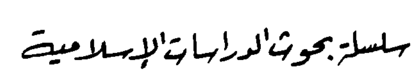
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز بحوث الدراسات الإسلامية
مكة المكرمة



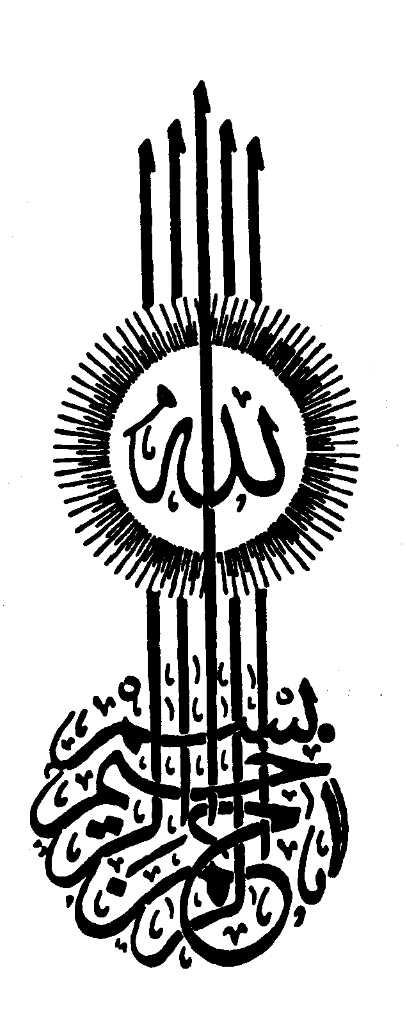
حروب البلقان والحركة العربية في المشرق العربي العثماني

١٣٣٠ - ١٣٣٢ هـ / ١٩١٢ - ١٩١٣ م

دكتور
عايض بن خزّام الروقي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
بجامعة أم القرى

١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م

ⓒ معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، ١٤١٥ هـ .
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
الروقي ، عايض بن خزام
حروب البلقان والحركة العربية في المشرق العربي العثماني
٤٥٦ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك x ـ ١٣ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠
ردمد ١٣١٩ـ٢٧١٦
١ ـ الدولة العثمانية ٢ ـ اوروبا ـ تاريخ أ ـ العنوان ب ـ السلسلة
ديوي ٩٥٣,٩٤٩ ١٧٣١ / ١٥
رقم الإيداع : ١٧٣١ / ١٥
ردمك : x ـ ١٣ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠
ردمد ١٣١٩ـ٢٧١٦


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراة
في التاريخ الإسلامي الحديث من جامعة أم القرى
بمكة المكرمة وحصلت على الدرجة العلمية بتقدير ممتاز
بتاريخ ٢٧/٨/١٤١٠هـ - ٢٤/٣/١٩٩٠م

وقل ربي
زدني علما

مقدمة

أهمية الموضوع والخطة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضله الله فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعـــــد :

فإن معرفتي بأن التاريخ الحديث يتميز بالشمول والاتساع ، ويتطلب مقدرة خاصة على الربط والاستنتاج ، جعلتني أتجه الى اختيار موضوع من الموضوعات التي تتسم بالحيوية والتأثير الفعال في عالمنا العربي والإسلامي الحديث ، الذي يعج بالمشكلات السياسية والفكرية التي تحتاج الى الدراسة والتحليل العلمي الصحيح ، وتاريخ الحركة العربية في المشرق العربي في فترة مقدمات الحرب العالمية الأولى يمثل واحداً من تلك المشكلات التي تحتاج الى الفحص الدقيق والتعليل السليم ، والربط بتاريخ الدولة العثمانية التي كان المشرق العربي في تلك الفترة جزءا منها ، ولأن هذه الدولة تأثرت بالأزمات السياسية والعسكرية التي سبقت الحرب العالمية الأولى ، ومن أبرزها حروب البلقان التي فقدت الدولة العثمانية على أثرها معظم ممتلكاتها الأوربية ليكوّن المشرق العربي حينئذ ثقلا سياسيا وتاريخيا في مجريات الأحداث التي عاشتها الدولة قبيل الحرب العالمية الأولى .

وقد حرصت عند وضع الخطة التي سار عليها هذا البحث أن تكون ذات أتصال مباشر بالمشكلات الفكرية التي شغلت الرأي العلمي العربي والإسلامي ، بل والعالمي ، والتي لم يستطع المفكرون أن يصلوا الى حل علمي حاسم بشأنها ، وأرجو الله أن تكون رسالتي هذه واحدة من الرسائل العلمية المنشودة في المجال الأكاديمي .

وقد وجدت أنه من الواجب أن أستقى معلوماتي لهذا البحث من منابعه الأصلية المتمثلة في الوثائق العثمانية والوثائق الانجليزية ، اضافة الى المصادر والمراجع العربية والأجنبية ، وبما أن فترة البحث تعتبر سقف العصور الحديثة وبداية المعاصرة ، فكان لابد من الاعتماد على الدوريات والصحف المعاصرة للأحداث ، والتي تحمل الى جانب الخبر مقالات بأقلام صناع الأحداث ومعاصريهم ، اضافة الى أن معظم من كتبوا عن تاريخ تلك الفترة ، تجاهلوا بعض أو معظم ما في هذه الصحف ، لا لكونها غير موثقة في خبرها ومقالاتها وانما لاختلافها معهم في الأفكار والاتجاهات .

وبفضل من الله وتوفيقه استطعت أن أحصل من الأرشيف العثماني في أستانبول في دولة تركيا الشقيقة

Osmanli Arsivi Daire Baskanligi , S ultanahmet ,Ist

على مجموعة من الوثائق التي لم تنشر من قبل ، وحصلت على بعض المصادر المهمة من القصر السلطاني Topkapi Sarayi ومن مكتبة مركز الأبحاث للتاريخ والفنون التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي في قصر يلدز- سيركوشكي في استانبول ، وكذلك من مكتبة جامعة استانبول وبعض المراكز العلمية هناك .

وحصلت على عدد كبير من الوثائق الأنجليزية من دار السجلات البريطانية العامة Public Record office تدور محتوياتها حول موضوعين مهمين للبحث هما :

Asiatic Turkey and Arabia

Turkish war .

وتم الاطلاع على أثنين وعشرين ملفا من الملفات التي تحوي تلك الوثائق وبعد الفحص والتمحيص أخذت منها ما يقرب من مائة وعشرين وثيقة ، غالبيتها تنشر لأول مرة في هذا البحث ، ثم أخضعت جميع الوثائق والمراجع الأجنبية للترجمة الدقيقة المعتمدة ، ثم وضعتها تحت مجهر الفحص والتحليل فهي ليست مما لا يرقى اليه الشك ، وانما هي أفكار وأعمال أناس شاركوا في صنع الأحداث التاريخية في تلك الفترة ، وبالتالي فهي تمثل وجهة نظر معينة ، وهي على أية حال قريبة من الحدث التاريخي تؤثر فيه وتتأثر به ، فلابد حينئذ من تحليلها وأستنتاج الأفكار المتزنة ، والرواية الصحيحة منها وهذا ما تم الأخذ به في هذا البحث .

أما الدوريات والصحف العربية والعثمانية فقد حرصت على أن أحصل على تلك الأعداد المعاصرة للفترة الزمنية للبحث ، وأن تكون الدوريات تلك من المشهود لها بالأتزان والثقل العلمي ، وقربها من صناع الحدث التاريخي أنفسهم مثل جريدة طنين التركية ، ومجلة المنار ، وجريدة المقتبس والأتحاد العثماني والمقطم والأهرام والاصلاح ، والتي كان كتابها والمشرفون عليها من الرجال الذين صنعوا تلك الأحداث التاريخية ، مدار البحث ، وبتوفيق من الله حصلت على أعداد نادرة جدا من بعض هذه الدوريات والتي تحمل مقالات قيمة ، وتورد أخباراً عزّ الحصول عليها في الوثائق المعاصرة ، ومع هذا فلم تؤخذ مضامين تلك الدوريات من مقالات وأخبار دون تمحيص وتحليل علمي متزن ، لتتم الفائدة المرجوة من هذا البحث .

بعد هذا كله بدأت في البحث عن الكتب العربية التي تعتبر مصادر معاصرة لفترة البحث ولكنها لم تعد متيسرة للقاريء والباحث ، لمرور زمن

طويل على طباعتها وعدم اعادة طبعها ، وتيسّر ذلك بفضل الله عن طريق تصوير بعض منها من مضانها ، كالهيئة المصرية للكتاب في القاهرة ، أو مكتبة معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة ، بينما عثرت على بعضها الآخر في مكتبة جامعة القاهرة ومكتبة جامعة عين شمس ، والتي تم الاطلاع فيهما على الرسائل العلمية التي لم تنشر حتى الآن .

هكذا تم البحث عن المادة العلمية في أماكنها الأصلية ومن مصادرها المباشرة ، لأن في ذلك خدمة للبحث واعطاء الحقيقة العلمية وضعها الصحيح دون التأثر بما قيل أو كتب عن طريق الآخرين .

أما الخطة التي سار عليها البحث فقد تضمنت تمهيدا وخمسة فصول ، اضافة الى الخاتمة والنتائج التي توصل اليها البحث ، وقد أعطى للتمهيد عنوان يعطي مدلولا كاملا لذلك التمهيد وهو : العرب والدولة العثمانية قبيل حروب البلقان حيث القى البحث الضوء على تصاعد خطر الغزو الأوربي في العالم العربي في تلك الفترة ، وعلى عصر السلطان العثماني عبد الحميد الثاني ، الذي تميز عهده بخلل داخلي كبير عاشته الدولة العثمانية في جميع ولاياتها وصاحبه ضغط خارجي من القوى الأوربية التي كانت تتربص الدوائر بالدولة وسلطانها ، ثم أشار البحث في ذلك التمهيد الى رد الفعل عند العرب ، الذي أخذ مسميات عدة كاليقظة العربية ، ونمو الوعي عند العرب ، لكن البحث حدد المدلول الصحيح لذلك ، وهو الاصلاح عند العرب ازاء هذه الأحداث التي تعيشها البلدان العربية في ظل الدولة العثمانية ، ولكن ما معنى الاصلاح هنا ؟ هذا ما حدده البحث في هذا التمهيد ، وفي آخر مباحث التمهيد كان الحديث عن فترة الاختلاط التي عاشتها الدولة العثمانية ، حيث شهدت ساحة الأحداث ظهور

ظهور جمعية الاتحاد والترقي والاتحاد الاسلامي والتقدم الاسلامي والاتحاد الطوراني وما في حكمها من الأحزاب والجمعيات والتيارات التي كانت تموج بها الدولة العثمانية حينئذ والتي تعتبر تسميتها فترة اختلاط أقرب الى الواقع التاريخي .

ثم كان الحديث في الفصل الأول من البحث عن الحرب الطرابلسية سنة ١٣٢٩ ـ ١٣٣٠ هـ /١٩١١ ـ ١٩١٢ م ، والتي انتهت بمعاهدة لوزان الشهيرة ، التي تعرف في بعض المراجع بأسم معاهدة أوشي ، وذلك سنة ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م ، ليتم التطرق بعدئذ لدفاع العرب عن الدولة والخلافة ، الذي اثبت صدق ولائهم للدولة العثمانية رغم تعرضهم للكوارث والحروب من الدول الأوربية التي ادعت محبتهم ، ثم ما تبع تلك الحرب من أصداء فعالة في ولايات الدولة العثمانية في شبه جزيرة البلقان ، وكأنها شرارة أشعلت الحرائق في البلقان وقادتها الى الحرب مع الدولة العثمانية ، ليختتم الفصل الأول بعدئذ بالحديث عن حزب اللامركزية الادارية العثماني الذي لعب دورا بارزا في الأحداث السياسية التي شهدتها الدولة العثمانية والمشرق العربي العثماني حينذاك ، ومجمل القول أن الحرب الطرابلسية أو الحرب العثمانية الايطالية في الفترة التي سبقت مباشرة حروب البلقان كان لها أثرها الواضح بالنسبة للبلقان وبالنسبة للحركة العربية ، لأنها كشفت ضعف الحكومة العثمانية ، وأوحت للبلقانيين بالإنفصال ، في الوقت الذي أوحت فيه للحركة العربية بالمطالبة بالاصلاح وتحديد معناه في اللامركزية الادارية واستخدام اللغة العربية .

ثم كان الحديث في الفصل الثاني عن حروب البلقان ضد الدولة العثمانية ، وبين البلقانيين بعضهم مع بعض ، وما سبق تلك الحروب من

نشاط أوربي محموم ضد الدولة العثمانية في ولايتها البلقانية ، حيث تبلورت صورة ذلك النشاط في موقفها من معاهدة لندن التي عقدت بين الدولة والحكومات البلقانية وما تبعها من أحداث أبانت التعصب الصليبي الواضح من الدول الأوربية للسكان المسيحيين في شبه جزيرة البلقان وأشار هذا الفصل الى مطالب العرب الاصلاحية المنطلقة من قاعدة اللامركزية الادارية ، مع حرصهم الشديد على سلامة الدولة العثمانية في المشرق العربي ، بيد أن انتهاء الحروب البلقانية الثانية بمعاهدة بوخارست وما تبعها من معاهدات أخرى ، كمعاهدة القسطنطينية بين الدولة العثمانية وبلغاريا ، ومعاهدة أثينا بين الدولة واليونان غيّر من بِنْيَة الدولة ، حيث فقدت الجزء الأكبر من ممتلكاتها الأوربية ، مما جعل أكثرية ممتلكات الدولة عربية ، وغالبية سكانها من العرب مما بعث في الحركة العربية نموا هائلا وتطورا سريعا ، تمثل في ردود الفعل المباشرة لحروب البلقان التي جاء الحديث عنها في الفصل الثالث من هذا البحث .

وقد القى الضوء في هذا الفصل على ردود الفعل المباشرة في جمعية بيروت الاصلاحية ، ولدى جمعية العربية الفتاة التي أسست في باريس ثم أنتقلت الى بيروت ، بعد أن قامت بدور واضح لعقد مؤتمر باريس ، الذي يعتبر من ردود الفعل المباشرة لحروب البلقان في المشرق العربي ، وأجتماعات المؤتمر وقراراته التي تطرق لها البحث هي تاكيد لذلك ، ثم كانت حركة البصرة واحدة من تلك المواقف التي عاشها العرب حينذاك ، وختم هذا الفصل بالحديث عن أخطار التمزق الداخلي في الدولة العثمانية ، والأنشطة المناوئة للدولة الاسلامية ، والتي كان ظهور القوميتين العربية والتركية معا من أبرز ملامح تلك الأخطار .

وكان لابد للبحث أن يسلط الأضواء على موقف بريطانيا التي رأت في الحركة العربية فرصةً يمكن الاستفادة منها لتحقق اطماعها في الخليج العربي والساحل الشرقي والجنوبي للجزيرة العربية ، سيما وأن هناك معاهدةً ستوقع مع الدولة العثمانية تنهي نفوذها في الجزيرة العربية ، وحاولت بريطانيا أن تحتضن الحركة العربية وتستقطبها ، وبالتالي تحقق أطماعها في البصرة، وتترجم سياستها الرامية الى اضعاف دولة الخلافة الاسلامية على أرض الواقع ، وهذا كله ما تطرقنا له في الفصل الرابع من فصول الرسالة .

أما الفصل الأخير من هذا البحث فقد تحدثنا فيه عن الحركة العربية عند قيام الحرب العالمية الأولى ، حيث كان نشر قانون الولايات ـ المركزية ، من قبل الحكومة العثمانية موقفا جديدا عاشته الحركة العربية حينذاك ، وبدأت المعارضة العربية ضد المركزية والتتريك تشتد بصورة واضحة وقامت بعض المحاولات التي لم يصادفها التوفيق تدعو لعقد مؤتمر في الجزيرة العربية ، يحضره زعماء وامراء البلاد العربية ، ولكنها لم تصل الى ما تريد ، وانتهت حيث بدأت ، ثم تحدث البحث عن ضم الاحساء الى نجد مما جعل سلطنة نجد وتوابعها في عهد الامام عبد العزيز آل سعود تلعب دورا بارزا في الحفاظ على ما بقي من المشرق العربي ، وتكون هي الحركة العربية الاسلامية التي بَعُدت عن الاستقطاب الأجنبي وحَفِظَت للجزيرة العربية هيبتها ومكانتها ، وحمتها مما كان يتهددها من أخطار أجنبية ، ليُخْتَتَم الفصل الأخير بقيام الحرب العالمية الأولى التي غيرت ميزان القوى والخريطة السياسية .

وفي نهاية البحث تم التوصل الى كثير من النتائج والحقائق التاريخية التي عاشها المشرق العربي مع الحركة العربية ، والتي تأثرت بحروب البلقان ، والتي أثرت بدورها على الدولة العثمانية بشكل مباشر .

وختاما لايسعني الا ان أقدم شكري الجزيل لكل من ساعدني في اظهار هذا الجهد العلمي الذي أرجو الله أن يكون لبنة صالحة في تاريخ الأمة الاسلامية ، أشكر جامعة أم القرى وكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة التي هيأت لي فرصة التحصيل العلمي والبحث حتى ظهر هذا الجهد العلمي على أرض الواقع ، وأشكر أيضا قسم التاريخ الاسلامي ، وقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

تمهيـــد

العرب والدولة العثمانية
قبيل حروب البلقان

أ ـ تصاعد خطر الغزو الأوربي في العالم العربي .

ب ـ عصر السلطان عبد الحميد الثاني : الخلل الداخلي ، الضغط الخارجي .

ج ـ رد الفعل عند العرب ، الاصلاح ، معناه .

د ـ فترة الاختلاط : الاتحاد والترقي ، الاتحاد الإسلامي ، التقدم الإسلامي ، الاتحاد الطوراني .

ا ـ تصاعد خطر الغزو الأوربي في العالم العربي .

أدى تزايد العدوان الاستعماري الأوربي وشموله لأجزاء كثيرة من أنحاء العالم ، لأن يتأثر العالم العربي بهذا الخطر الداهم الذي أصبح يتصاعد في أجزاء متفرقة من الوطن العربي .

ولكي نأخذ صورة واضحة وموجزة عن تصاعد خطر الغزو الأوربي في العالم العربي خلال الفترة التي سبقت فترة البحث ، لتكون بمثابة تمهيد توضيحي لما كان عليه العرب حينذاك ، حَريٌ بنا أن نتحدث عن هذا الخطر في أجزاء محددة من العالم العربي ، وفق تقسيم جغرافي معين وتسلسل زمني تصاعدي لكي تكون الصورة واضحة .

وسيكون الحديث هنا وفق التقسيم الجغرافي المشار اليه آنفا عن : الساحل الجنوبي للجزيرة العربية وتصاعد الخطر الأوربي فيه حتى فترة البحث ، ثم نعرج بالحديث الى الخليج العربي ، ثم يتطرق البحث بعد ذلك وبإلمامة سريعة عن هذا الخطر في بعض البلدان العربية كالجزائر وتونس ومصر وبلاد الشام ، وكلما بعد الحدث الاستعماري عن فترة البحث فان الحديث عن خطر الغزو الأوربي سيكون مؤجزا ومختصرا الى حد ما .

كان انشاء شركة الهند الشرقية البريطانية East India Company ، في بداية القرن الحادي عشر الهجري ، أوائل القرن السابع عشر الميلادي بمثابة مدخل استعماري للشرقين الأقصى والأوسط(١) ، وبدأ النشاط الاستعماري البريطاني في جنوب الجزيرة العربية منذ تأسيس مركز تجاري لها في المخا ، أتبعته بعد ذلك باحتلال جزيرة بريم سنة ١٢١٤ هـ ـ الموافق ١٧٩٩م(٢) .

(١) سيد نوفل : الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة ... ، ص٦٩ .
(٢) رأفت الشيخ : في تاريخ العرب الحديث ، ص٣١٧ ـ ٣١٨ .

ثم بدأ الاهتمام البريطاني يتزايد في الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية ، ليصل ذروته في محاولتها شراء ميناء عدن[١] ، وعندما لم تستطع ذلك لجأت للقوة العسكرية وهاجمت هذا الميناء الهام وبقوة كبيرة تتفوق من حيث الكم والكيف على تلك القوة التي يملكها سلطان عدن[٢] . حيث شاركت السفن الحربية البريطانية ذات التسليح المتقدم في مهاجمة الميناء ، والاستيلاء عليه في ٤ ذي القعدة ١٢٥٤ هـ/١٩ يناير ١٨٣٩ م[٣] ، وبعد أن وضعت الحكومة البريطانية يدها على ميناء عدن بدأت في الانطلاق لتسيطر على بقية أجزاء الجنوب العربي متبعة في ذلك أسلوب الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى[٤] .

ومن خلال قراءة التأكيدات التي اطلقها اللورد الفنستون Lord El-phinston ، حاكم بومباي سنة ١٢٧١ هـ/١٨٥٤ م على « ضرورة دمج وتركيز الادارتين السياسية والعسكرية في منطقة عدن الهامة في يد قادرة قوية وهي يد المقيم السياسي البريطاني هناك »[٥] ، فاننا نتعرف وبصورة واضحة على السر الكامن وراء قيام البريطانيين بالسيطرة على جزر كوريا موريا سنة ١٢٧٣ هـ/١٨٥٦ م ، وجزيرة بريم سنة ١٢٧٤ هـ/١٨٥٧ م ، ومن ثم السيطرة على جزيرة كمران الواقعة أمام ميناء اللحية في شمال الساحل اليمني المطل على البحر الأحمر سنة ١٢٧٦ هـ/١٨٥٩ م[٦] ، ورغم أن الاهتمام بالأماكن البعيدة عن عدن كان قليلا لدى الحكومة البريطانية الا أنها قد حاولت سنة

---

(١) سيد مصطفى سالم : تكوين اليمن الحديث ... ، ص٥٧ .

(٢) فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ... ، ص١٩٥ .

(٣) عبد الكريم محمود غرايبة : تاريخ العرب الحديث ، ص٢٢٠ .

(٤) محمود الشرقاوى : جنوب الجزيرة العربية ، ص٢٢ .

(٥) فاروق عثمان أباظة : المرجع نفسه ، ص٢١٣ .

(٦) فاروق عثمان أباظة : المرجع السابق ، ص٣١٩ .

١٢٩٨ هـ/١٨٨١ م أن تهاجم ميناء الشحر بالسفن الحربية لكي تمنع أي اعتداء قد يقع منه على ميناء المكلا كما تزعم(١) .

ومع أن سيطرة البريطانيين قد شملت جزيرة عدن الصغرى ورأس عدن الكبرى ، وتم لهم التحكم الكامل في القبائل اليمنية المجاورة لتلك المنطقة سواء عن طريق ربطهم بمعاهدات الحماية ، أو استجلاب ولائهم بالمرتبات والهبات المستمرة ، الا أن الوجود العثماني في جنوب الجزيرة العربية كان يقضّ مضاجع الساسة البريطانيين ، فمنهم من يرى أتخاذ خطوات سريعة لتحديد الحدود بين منطقتي النفوذ العثماني والبريطاني في تلك المنطقة ، ومنهم من يرى تدعيم الحامية العسكرية في عدن للوقوف في وجه المشروع العثماني الذي سمي باسم « البرنامج الإسلامي » ، وقد أخذت حكومة الهند بهذا الرأي ، وقامت بتدعيم القوات البريطانية في عدن لتحافظ على سيطرتها في تلك المنطقة ، وتؤمن مصالحها الاستعمارية ، وقد ختم التصعيد الاستعماري في جنوب الجزيرة العربية في تلك الفترة بالاتفاق بين بريطانيا والدولة العثمانية على تحديد الحدود لنفوذ كل من الدولتين في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٢ هـ/١٩١٤ م(٢) .

أما في الخليج العربي فقد بدأ خطر الغزو الأوربي يتصاعد منذ الحملة الفرنسية على مصر ، حيث أن بريطانيا قد أدركت منذ ذلك الحين أهمية السيطرة على الخليج العربي والساحل الشرقي للجزيرة العربية ، لأن في ذلك حماية لطريق مواصلاتها الى الهند ، وكانت الاتفاقية التي أبرمتها شركة الهند الشرقية مع سلطان مسقط سنة ١٢١٣ هـ/١٧٩٨ م لابعاد الفرنسيين

---

(١) جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ، ص٢١٣ .

(٢) فاروق عثمان أباظة : المرجع السابق ، ص٥٥٠ ، ٥٥٢ .

والهولنديين عن الخليج العربي[1] ، هي بداية خيوط تصاعد الغزو الأوربي في تلك الأجزاء من العالم العربي ، ثم تتابعت المعاهدات التي أصبحت بريطانيا تتفنن في ابرامها ، وفي معاني الفاظها ، معتمدة في ذلك كما يذهب أحد المؤرخين على دعامتين هامتين : الأولى : احتفاظها بحالة التفكك التي وجدتها في المنطقة منذ وصولها اليها ، والثانية : منع امارات الخليج العربي من الاتصال بأية دولة أخرى[2] .

وتبعا لتطور الأحوال فقد تطورت تلك المعاهدات التي تبرمها بريطانيا مع امارات الخليج العربي ، فمن معاهدة تجارية الى معاهدة صداقة وتجارة ، ثم الى اضافة بنود لهذه المعاهدات تلزم بعدم التنازل عن الممتلكات أو البيع أو الرهن أو السماح بالاحتلال لغير الحكومة البريطانية[3] .

وبعد المعاهدة العامة لعام ١٢٣٥ هـ/١٨٢٠ م التي سلبت فيها بريطانيا قوة القواسم في الخليج العربي[4] ، وقع رؤساء الخليج العربي أمام المقيم البريطاني اتفاقية فيما بينهم سنة ١٢٥٩ هـ/١٨٤٣ م لمدة عشر سنوات يلتزمون خلالها بالمحافظة على أمن منطقتهم ، ولايلجؤون الى الاشتباك المسلح فيما بينهم ويحكّمون المقيم البريطاني في موضوع أي عقوبة يجب ايقاعها على من يخالف هذه الاتفاقية ، ويبدون استعدادهم لبذل ما يستطيعون لمد هذه الاتفاقية لتصبح هدنة دائمة ويحكّمون المقيم البريطاني في ذلك اذا لم يتفقوا[5] .

---

(١) حسن على الابراهيم : الكويت دراسة سياسية ، ص٥٧ .

(٢) جمال زكريا قاسم : دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠ ـ ١٩١٤م ، ص٦ ـ ٧ .

(٣) حسن علي الابراهيم : نفس المرجع ، ص٥٧ .

(٤) سيد نوفل : المرجع السابق ، ص٧١ .

(٥) جمال زكريا قاسم : المرجع السابق ، ص١٣٠ .

ولم تعدم بريطانيا الحيلة لتتدخل في شئون الخليج العربي وتثير القلاقل والأزمات بين الفينة والأخرى ، لتتمكن على ضوء ذلك من ابرام معاهدة السلام الدائم بواسطة المقيم البريطاني في الخليج سنة ١٢٦٩ هـ/١٨٥٣ م وتلزم بها شيوخ رأس الخيمة وأبوظبي ودبي وعجمان وأم القيوين الذين أبدوا استعدادهم على تنفيذ بنود هذه المعاهدة والالتزام بها ، على أن تقوم الحكومة البريطانية بالاشراف على استمرار هذه المعاهدة ، واتخاذ الخطوات اللازمة لمراعاة تنفيذ موادها[١]، ومما يؤكد أهمية هذه المعاهدة لدى الساسة البريطانيين أن حاكم عام الهند هو الذي قام بالتصديق عليها خلافا لما كان متبعا حينذاك حيث كان يكتفي بتصديق المقيم البريطاني عليها[٢] .

وعقب انتقال مسئولية ادارة شئون الخليج العربي الى حكومة بومباي البريطانية ، ومن ثم الى حكومة الهند البريطانية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري ، النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي[٣] ، تم انشاء أول خط برقي في الخليج في تلك الفترة ، ثم تدخل المقيم البريطاني بالقوة المسلحة في نفس العام لإرغام شيخ البحرين على التخلي عن حكمه نظرا لما قام به من مهاجمة لقطر ، أما شيخ أبو ظبي الذي شارك في هذا الهجوم فقد اكتفى المقيم البريطاني منه بأخذ التعهد اللازم بالاّ يقوم باحداث أية اضطرابات أخرى تخل بالمعاهدات التي وقعها مع بريطانيا ، ولم يكتف المقيم البريطاني بهذا بل وقع في عام ١٣١٠ هـ/١٨٩٢ م اتفاقية مع شيخ أبو ظبي جاء فيها : « اني لا أدخل أبداً في قرار ما ولامحاورة مع أحد من الدول

(١) سيد نوفل : المرجع السابق ، ص٧٥ .
(٢) جمال زكريا قاسم : المرجع السابق ، ص١٣٤ .
(٣) سيد نوفل : المرجع السابق ، ص٨٠ .

سوى الدولة البهية الانكليزية بغير رضا الدولة البهية الانكليزية ، ولا أقبل أن يسكن في حوزة ملكي وكيل من دولة غير الدولة البهية ولا أسلم ولا أبيع ولا أرهن ولا أعطي للتصرف أو للتبرع بنوع ما شيئا من ممالكى لأحد الا للدولة البهية الانكليزية[1] » ، وهذا يؤكد لنا دون شك أن تصاعد خطر النفوذ البريطاني في الخليج العربي لم يقف عند حد معين ، ولم ينته بانتهاء شركة الهند الشرقية أو انتهاء حكومة بومباي البريطانية ، وانما استمر هذا الغزو وتطور .

ويؤكد تصاعد النفوذ البريطاني في الخليج العربي والساحل الشرقي للجزيرة العربية تلك الآراء التي أكدها اللورد كيرزون Lord Curzon ، الذي عين نائبا للملك في الهند سنة ١٣١٦ هـ/١٨٩٨ م حين قال : « انني أعتقد بأن أي اعتراف ضمني وبالتالي أي تحقيق فعلى لسلطة تركية أو أية سلطة أجنبية في الكويت قد يكون محفوفا بالخطر على المصالح البريطانية في الخليج ، ومن شأنه أن يسبب لنا المتاعب هناك ، ذلك أنه بالرغم من أن تركيا لم تؤكد سلطتها فانه يمكن لها أن تتخلى عن حقوقها التي تدعيها لفرقاء أو دول أخرى ، ولعلها تقوم بمفاوضات حول هذا الموضوع الآن ...

انني أعتقد أنه لازال أمامنا متسع من الوقت لتفادي أي خطر من هذا النوع والذي أقترحه هو أن تمتد الحماية البريطانية في أقرب مناسبة الى الكويت ...[2] » .

حدث ذلك على لسان نائب الملك في الهند الذي يعلم علم اليقين أن بلاده قد ألزمت كل من البحرين وشيوخ الساحل العماني بمعاهدات للحماية

---

(١) جمال زكريا قاسم : المرجع السابق ، ص١٤٢ ، أحمد السامرائى : القواسم والخليج العربى ... ، ص١٩٦ .

(٢) حسن على الابراهيم : المرجع السابق ، ص٥٩ ـ ٦٠ .

البريطانية ، وأن شبه جزيرة قطر قد تم الاستيلاء عليها من قبل البريطانيين[1] ، لكن هذا يعني أن بريطانيا التي كانت سياستها مبنية على عدم التدخل في شئون داخل شبه الجزيرة العربية قد بدأت تخشى من خطر مشروع انشاء خط حديدي الى رأس الخليج العربي بمساعدة الألمان أو الروس[2] ، ولم يتردد اللورد كيرزون في التأكيد على أن الحماية البريطانية في طريقها الى مسقط ، وأن العلم البريطاني سيرفع قريبا على قلاع مسقط ، متعللا بأن علاقة بلاده بمسقط تمتد لأكثر من قرن من الزمان ، اضافة الى قربها من الهند ووجود علاقات تجارية وصداقة مع السلطان الذي تدفع له بريطانيا مرتبا منذ خمسة وعشرين عاما[3] .

لقد بدأ الصراع الدولي في الخليج العربي يتبلور بصورة واضحة حينذاك ، نشاط روسي الماني يدور في اروقة وزارة الأشغال في الدولة العثمانية في محاولة لاقناعها بمشروع سكة حديد تصل الى شمال الخليج[4] ، اضافة الى الزيارات المتتابعة للقناصل الروس والفرنسيين التي يقومون بها الى الكويت ، والكل منهم يطلب ودّ حاكمها ويرغّبه في صداقة دولته ، أما البريطانيون الذين كان خوفهم من هذا النشاط الأوربي يزداد يوما بعد يوم ، فقد أستطاعوا الفوز بقصب السبق في هذا الصراع حين تم لهم توقيع اتفاقية عام ١٣١٦ هـ/١٨٩٩ م مع الشيخ مبارك الصباح أمير الكويت[5] . الأتفاقية التي وقعتها بريطانيا مع شيخ الكويت فتحت المجال كاملا للتدخل البريطاني في شئون شرقي الجزيرة العربية وجنوبي العراق وشمالي الخليج بوجه عام ،

---

(١) ابراهيم خليل أحمد : تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ... ، ص٣٢٢ .

(٢) موضي بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود : الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت ... ، ص٩٤ .

(٣) جمال زكريا قاسم : المرجع السابق ، ص١٢٢ .

(٤) منيرة عبد الله العرينان : علاقات نجد بالقوى المحيطة ...، ص١٧٤ ـ ١٧٥ .

(٥) محمود صالح منسى : حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوى ، ص٢٠٤ .

رغم أن اللورد كيرزون دافع عن الظروف التي أحاطت بهذه الاتفاقية مؤكدا أن « التحفظ الذي تضمنته هذه الاتفاقية ... قد أملته اعتبارات سياسية خاصة ومحاولات من تركيا لاستفزازنا[١] » .

وكان تصريح اللورد لانسداون Lord, Lansdowne ، وزير الخارجية البريطانية أمام مجلس العموم البريطاني الذي أطلقه قبيل الرحلة الاستعراضية التاريخية التي قام بها اللورد كيرزون أواخر سنة ١٣٢١ هـ/ ، أواخر سنة ١٩٠٣ م في بلدان الخليج العربي[٢] ، هذا التصريح يعتبر أول اعلان رسمي بشأن الحماية البريطانية على الكويت ، لأنه أكد فيه أن « شيخ الكويت محمي بريطاني وترتبط معه بريطانيا بموجب معاهدات واتفاقات خاصة[٣] » .

ولقد أجمل نائب الملك في الهند في زيارته تلك ومن خلال خطبته المشهورة التي القاها في امارة الشارقة في الثاني من شهر رمضان سنة ١٣٢١ هـ ، الحادي والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٠٣ م ، أجمل حينذاك أهداف السياسة البريطانية في الخليج العربي التي توجب المحافظة على سلامة الأمن في الخليج وبقاء نفوذ الحكومة البريطانية سائدا في المنطقة ، وعدم السماح لأي من امارات الخليج في الدخول في أي أتفاق أو مراسلات مع أية دولة أخرى ، أو السماح لأي مندوب لأي حكومة بالدخول في أراضيها الا بعد أخذ الموافقة من الحكومة البريطانية[٤] .

هكذا أظهرت رحلة اللورد كيرزون عزم بريطانيا الأكيد على تدعيم مراكز دفاعها ونفوذها في الخليج العربي وبأي ثمن كان ، وتأكد ذلك في

---

(١) جمال زكريا قاسم : نفس المرجع ، ص٢٧٢ .
(٢) لوتسكى : تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ص٤٢٤ .
(٣) جمال زكريا قاسم : المرجع السابق ، ص٢٨٤ .
(٤) سيد نوفل : المرجع السابق ، ص١٩٨ ـ ٢٠١ .

عام ١٣٢٢ هـ/١٩٠٤ م ، حين أنشأت حكومة الهند وكالة سياسية لها في الكويت ، وقامت بتعيين نوكس Knox كوكيل سياسي معتمد[١] ، وهذا الاجراء نتاج طبيعي بعد أن حسم نزاع تضارب المصالح والأطماع بين الدول الأوربية بعضها البعض ، وفق اتفاقية الوفـاق الودي بين بريطانيا وفرنسا سنة ١٣٢٢ هـ/١٩٠٤ م ، واتفاقية بريطانيا وروسيا التي تمت سنة ١٣٢٥ هـ/١٩٠٧ م[٢] ، تلك الاتفاقيتين اللتين أطلقتا يد بريطانيا لتتصرف كما تشاء في الخليج العربي وأطراف الجزيرة العربية ، بل وفي أقطار عربية أخرى .

أستمر تصاعد الخطر البريطاني في الخليج العربي وسواحله الغربية ، وكانت المناقشات الطويلة تجري في وزارة الهند حول الوضع في شبه جزيرة قطر ، ليصل الخطر ذروته حين قدّم السفير البريطاني في الاستانة السير جيرارد لوثر Sir. Gerard Lowther ، أحتجاجا للباب العالي في سنة ١٣٢٨ هـ/١٩١٠ م على قيام والي البصرة العثماني بارسال قوات عثمانية لتحتل جزيرة الزخنونية[٣] ، وأشار السفير البريطاني الى أن حكومته ستضطر لأتخاذ أجراءات حاسمة لايقاف هذه العمليات الحربية[٤] .

وعلى الجانب الآخر كانت حكومة الهند تبعث تعليماتها تباعا للمندوب السامي في الخليج لكي يحذر شيخ الكويت بعدم الدخول في معارك حربية أيا

---

(١) منيرة العريان : المرجع السابق ، ص١٨٥ .

(٢) زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، ص٥٢ .

(٣) تقع جزيرة الزخنونية على بعد عشرة أميال في الجنوب الشرقي من ميناء العقير .

(٤) فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ١٨٥٣ ـ ١٩١٤م ، ص٢٥٦ .

كان هدفها مع أمراء وشيوخ الجزيرة العربية لأن ذلك سيوقع الحكومة البريطانية في خلافات ومشاكل معقدة مع الدولة العثمانية[١] .

ولقد بدأت وطأة الاستعمار البريطاني تفرض وجودها على أطراف الخليج العربي وأماراته حين التزم كل من شيخ الكويت وشيخ البحرين ودبي في نفس العام بوقف تجارة السلاح التي كانت بريطانيا تتخذها ستارا لتحقيق أطماعها الاستعمارية في المنطقة حتى أنها كانت تلجأ في أحيان كثيرة الى احراق القوارب والسفن بحجة تهريبها للسلاح[٢] .

ولم يقف الأمر عند ذلك بل تطور الضغط الاستعماري والخطر البريطاني بصورة سريعة ، إذ أبرمت الحكومة البريطانية معاهدة مع شيخ البحرين في سنة ١٣٢٩ هـ/١٩١١ م[٣] ، لأستغلال مصائد اللؤلؤ والاسفنج ، وعلى نفس النهج وفي نفس العام التزم شيخ الكويت بألا يسمح لأي أجنبي مهما كانت دولته بأن يغوص في مياه الكويت ويبحث عن الأسفنج واللؤلؤ الا بعد استشارة من المعتمد السياسي البريطاني في الكويت[٤] ، وهذا تاكيد لايقبل الشك على مدى ما وصلت اليه قوة الاستعمار البريطاني وتنامي خطرها هناك .

وإذا كانت بريطانيا قد تحدت الدولة العثمانية في الخليج العربي وشط العرب في أوائل القرن العشرين ، وكلفت احدى سفنها الحربية بمسح المنطقة ذهابا وأيابا[٥] ، فما ذلك الا إدراكا منها لمدى ما وصلت اليه الدولة العثمانية

---

(1) F. O. 424 \ 222, Enclosur, in No. 85 "Government of India to Viscount, Morley" 19.3.1910. P. 143 .

(٢) عبد العزيز محمد المنصور : التطور السياسى لقطر في الفترة مابين ١٨٦٨ ـ ١٩١٦م ، ص٧٢ .

(٣) محمد عرابى نخلة : تاريخ الأحساء السياسى ١٨١٨ ـ ١٩١٣م ، ص٢٢٥ .

(٤) سيف مرزوق الشملان : من تاريخ الكويت ، ص٣٢٤ ـ ٣٢٥ .

(٥) مصطفى النجار وآخرون : تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، ص١٦١ .

من تشتت وضعف ، وبالتالي بروز الفرصة الذهبية للحكومة البريطانية لفرض سيطرتها على هذه المنطقة الحيوية ذات الأهمية العظيمة لمصالح بريطانيا سواء في الخليج العربي ذاته أو في طرق التجارة الدولية عبر مياهه والموصلة الى درة التاج البريطاني ـ الهند ـ .

وهذا الاستعراض الموجز لأهم ملامح تصاعد خطر الغزو البريطاني في الخليج العربي وأطراف الجزيرة العربية سواء كان ذلك في ساحلها الشرقي أو الجنوبي أو في شمال الخليج العربي ذاته ، يعطينا صورة واضحة لما كانت عليه الأوضاع في تلك الأقطار العربية ، وموقف الدولة العثمانية منها في الفترة غير البعيدة عن فترة البحث ، وسوف نتطرق الى الموقف البريطاني والسياسة البريطانية بشكل عام تجاه تلك الأقطار العربية ، والحركة العربية بصورة مباشرة في أحد الفصول التي تدخل ضمن الاطار الزمني المحدد للبحث .

أما في الشمال الأفريقي ، أو المغرب العربي فقد أخذ خطر الغزو الأوربي يهدد ذلك الجزء من العالم العربي منذ أن قررت الحكومة الفرنسية في أواخر سنة ١٢٤٥ هـ/أوائل عام ١٨٣٠ م مهاجمة الجزائر واحتلالها ، وحين أعلن ملك فرنسا في خطاب العرش عن عزمه تجهيز حملة عسكرية وتكليفها بهذه المهمة[١] ، وبعد بضعة أشهر ، وفي الأيام الأخيرة من عام ١٢٤٥ هـ المصادف للخامس من يونيو سنة ١٨٣٠ م نزلت القوات الفرنسية في مدينة الجزائر ، ونزعت الأعلام الجزائرية عن الحصون والأبراج ودور الحكومة ، ورفعت مكانها أعلام فرنسا[٢] ، لتقيم بذلك أول جسر من جسور الاستعمار الغربي في الشمال الأفريقي العربي .

---

(١) جلال يحيى : المغرب العربي الحديث والمعاصر ، الفجر واحتلال فرنسا للجزائر ، ص٣٤٠ .
(٢) ابراهيم خليل أحمد : المرجع السابق ، ص٢٨٢ .

وفي مؤتمر برلين الشهير جرى شيء من الحوار بين الدول الأوربية المشاركة في المؤتمر يرمي الى تشجيع فرنسا لكي تضع يدها على تونس ، كأن الوقت حينذاك كان وقت تسابق لبسط النفوذ على الولايات العربية العثمانية(١) ، وبالفعل قامت فرنسا باجراء الاستعدادات العسكرية على الحدود التونسية ، وكلف حاكم عام الجزائر الفرنسي بسرعة مد الخط الحديدي الواصل بين الجزائر وتونس ، أما القوة العسكرية فقد وصلت الى مشارف مدينة تونس في النصف الثاني من عام ١٢٩٨ هـ الموافق ١٢ مايو ١٨٨١ م ، وقدم قائد القوة العسكرية والقنصل الفرنسي ـ نص معاهدة خضوع تونس للحكومة الفرنسية ـ الى باي تونس ، وأعطياه مهلة قصيرة للتوقيع عليها أو رفضها ، ولكنه لم يتردد كثيرا ووقع المعاهدة التي أخضعت تونس للحماية الفرنسية منذ ذلك الوقت(٢) .

وفي نهاية المطاف وفي سنة ١٣٢٨ هـ/١٩١٠ م أستطاعت فرنسا أن توقع اتفاقية مع الدولة العثمانية حول ما عرف بتخطيط الحدود بين تونس وطرابلس الغرب ، وبموجب تلك الإتفاقية أضيفت جملة من الواحات الجديدة ـ التي كانت تمر بها طرق القوافل في الصحراء والتي كانت تعتبر نقاطا تجارية استراتيجية هامة ـ أضيفت الى النفوذ الفرنسي(٣) .

ومنذ عهد محمد علي باشا كانت مصر مركزا للصراع البريطاني ـ الفرنسي ، فالبريطانيون كانوا حريصين على اضعاف حاكم مصر لكي

---

(١) محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس في العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية على ماهي عليه اليوم ص٥٧ .

(٢) جلال يحيى : المغرب العربي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى ، ص٧١ ، ٧٦ .

(٣) ز . ب ياخيموفتش : الحرب التركية الإيطالية ١٩١١ ـ ١٩١٢م ص٤٢ .

لايقوى على تهديد طرق مواصلاتهم الى الهند والخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية ، والفرنسيون كانوا يدعمونه حتى ضد الدولة العثمانية التي يعتبر أحد رعاياها ، ويقومون بتدريب جيوشه ومساندتها في الحملات العسكرية[١] .

غير أن بريطانيا قد سارعت الى استخدام القوة العسكرية حين قامت بقصف ميناء الاسكندرية واحتلت المدينة في ٢٥ شعبان ١٢٩٩ هـ/١٢ يوليو ١٨٨٢ م ، وفي أول شهر ذي القعدة من نفس العام الموافق للخامس عشر من شهر سبتمبر ١٨٨٢ م دخلت الجيوش البريطانية مدينة القاهرة بعد انتصارها في معركة التل الكبير[٢] ، وأعلنت حينذاك أن احتلالها سيكون مؤقتا وبالتالي فهي لم تعلن حمايتها عليها ولم تضع حدا للسيادة العثمانية عليها[٣] .

ولم يخف وزير خارجية بريطانيا السير أدوارد جراي Sir, Edward Grey مشاعر القلق التي كانت تراود الساسة الانجليز منذ أن تم لهم احتلال مصر حين قال : « ... فطالما أننا جعلنا أنفسنا مسئولين عن حكم مصر فان الامتيازات الأجنبية تظل بمثابة الربقة (الرباط) المشدودة الى أعناقنا تستطيع أي دولة لها حقوق بمقتضى تلك الامتيازات أن تشدها أو ترخيها تبعا لمقتضيات الأحوال ... وليس يخفى أن المصالح البريطانية متماسة مع مصالح فرنسا أو مصالح روسيا في كثير من انحاء المعمورة ، ومن أخطر العوامل دائما أن يوجد عند تماس المصالح جو مشبع بسوء النية ، ففيه تنمو الوساوس وتتضاعف الشكوك[٤] » .

---

(١) عبد الكريم رافق : العرب والعثمانيون ١٥١٦ ـ ١٩١٦م ، ص٤٣٩ .

(٢) أورخان محمد على : السلطان عبد الحميد الثانى ، حياته وأحداث عهده ، ص٢٠٤ .

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : فى أصول التاريخ العثمانى ، ص٢٤٦ .

(٤) مذكرات لورد جراى ، تعريب على أحمد شكرى ، ص٢١٢ .

نعم لقد كان احتلال بريطانيا لمصر مدعاة للسخط والغضب الأوربي بشكل عام والفرنسي بشكل خاص ، لذلك ظل الاعتراض الفرنسي لهذا الاحتلال هو قطب الرحى في السياسة الفرنسية وحتى عند الرأي العام الفرنسي ، وهذا ما أدركه ربان السياسة البريطانية السير ادوارد جراي ، حين أشار في مذكراته الى تلك الحساسية المفرطة وكيفية معالجتها لدى الساسة الانجليز : « ... فاذا أردنا أن يكون موقفنا في مصر داعيا الى الارتياح فلا مندوحة لنا عن الحصول على تأييد فرنسا الايجابي لا أن يكتفى بمجرد توكيد منها بعدم عرقلة سياستنا ، ... وفي النهاية عقد اتفاق كانت النقطة البارزة فيه أن تؤيدنا فرنسا في مصر مقابل تأييدنا لها في مراكش !![١] » .

والساسة البريطانيون يدركون مدى المصاعب التي يقتحمونها عندما يخوضون غمار الاستعمار في مصر ، وهذا ما حاول السفير البريطاني في الأستانة السير جيرارد لوثر أن ينبه حكومته اليه في التقرير السنوي الذي بعثه من عاصمة الدولة العثمانية حيث قال : « احتلالنا لمصر مؤلم جدا لدرجة أنها ماتزال مفتوحة للنقاش ، وبينما من في الحكم قرروا أن يسمحوا للقضية أن تهدأ ، الا أنه فيما بعد تم رعاية فكرة الوطنية بكل قوة رغم أنها كانت سرية[٢] » .

أما في بلاد الشام فان خطر الغزو الأوروبي يعود في بداياته الى مطلع القرن الحادي عشر الهجري/أوائل القرن السابع عشر الميلادي ، حين نشطت الجمعيات التنصيرية المسيحية في الشام وبدأت في انشاء المدارس والمعاهد

---

(١) مذكرات لورد غراي : المصدر السابق ، ص٢٥٦ ـ ٢٥٧ .

(2) F. O. 424\ 250. Annual, Report 1910. No. 103 (Sir, G. Lowtherto sir Edward Grey) 14.2.1910 .

ونشر كتب الديانات المسيحية[1] ، وتنافس الارساليات التنصيرية في بلاد الشام الذي وصل ذروته في أواخر القرن الثالث عشر الهجري / النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، والذي تمثل في تدريس اللغة العربية ، وترجمة الكتب المسيحية الى اللغة العربية[2] ، ما هو الا غزو فكري للشرق العربي يراد به غرس المؤثرات الغربية على اختلاف أنواعها في المجتمع العربي الاسلامي ، وهو نوع من أنواع الغزو الأوربي للعالم الاسلامي بشكل عام والعالم العربي بشكل خاص .

تصاعد هذا الغزو حينما بدأ معظم المسيحيين يتجهون بأنظارهم نحو الغرب المسيحي ، لاسيما فرنسا ، وأفرز هذا الاتجاه شدة الصراع التنافسي بين بريطانيا وفرنسا على أرض الشام ، وما الحرب الأهلية في جبل لبنان حينذاك وما أفرزته من اصدار « البروتوكول » ، الذي أعده خمسة سفراء لدول أوربية هي : بريطانيا ، وروسيا ، وفرنسا ، والنمسا ، وبروسيا ، ثم ما أعقب ذلك من نظام المتصرفية والمتصرفين في لبنان الذي صدر من الباب العالي حينئذ[3] ، ماذلك كله الا تأكيد على قوة تصاعد النفوذ الأوربي في بلاد الشام العربية المسلمة .

في سنة ١٣٣٠ هـ/١٩١٢ م ظهرت بوادر الصراع البريطاني ـ الفرنسي في أرض الشام حين بحثت الحكومة الفرنسية مع الحكومة البريطانية عن المغزى الذي ينطوي خلف وجود بعض أعضاء السلك الدبلوماسي البريطاني

---

(١) جورج انطونيوس : يقظة العرب ـ تاريخ حركة العرب القومية ، ص٩٧ ـ ٩٨ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج٦ ، ص٤٤٢ ـ ٤٤٣ ، توفيق على برو : العرب والترك في العهد الدستورى العثمانى ١٩٠٨ ـ ١٩١٤م ، ص٦ .

(٣) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية ، ص٣٨ ، ٤٧ ، محمد جميل بيهم : قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور ج١ ، ص١٦٧ .

في بلاد الشام ، ومنهم سكرتير دار المعتمدية البريطانية في القاهرة ، الا أن وزارة الخارجية البريطانية تمكنت من أطفاء جذوة الغضب الفرنسي حين سارعت الى ابلاغ رئيس الوزراء الفرنسي المسيو بوانكاريه Roymond Poin-care تأكيدها القاطع على أن وجود هؤلاء المسؤولين ليس له أي مغزى سياسي ، وأن الحكومة البريطانية حين تؤكد ذلك انما تؤكد لحكومة فرنسا أنها لم ولن تنوي بأن يكون لها أي نفوذ سياسي في الشام[1] ، وكأنها بذلك تهب التصرف في شئون الشام والسيطرة عليه لفرنسا ، وهذا ما تحقق بعد ذلك حين قامت الحرب العالمية الأولى .

واذا كانت فرنسا وبريطانيا قد ساندتا بجميع الوسائل الاتجاهات الانفصالية في الأقاليم العربية التابعة للدولة العثمانية ، وسعيتا لاجتذاب العرب الى جانبيهما ، فان لفرنسا نشاطا مكثفا في هذا المجال ، لأن القنصليتين الفرنسيتين في دمشق وبيروت قامتا باتصالات مع بعض القوميين العرب ، ومولتا العديد من الصحف اللبنانية[2] .

ولاغرابة في ذلك اذا كان رئيس الحكومة الفرنسية يطالب صراحة أمام مجلس الشيوخ الفرنسي باجراء اصلاحات في جبل لبنان ، ويزعم أن التاريخ قد أحدث لدولته منافع جمة وفوائد شتى في جبل لبنان وفي سوريا ، ولتأكيد هذا الحق المزعوم قال رئيس الحكومة الفرنسية المسيو بوانكاريه : « ... يسرني أن أكذب كل ما يشاع عن وجود أختلاف بيننا وبين الانكليز بهذا الشأن ، وقد صرحت لنا انكلترا بصورة ودية ، أن ليس لها في جهات سورية أقل أمل أو غاية حتى ولا رأي سياسي ...[3] » .

(١) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

(٢) لوتسكى : المرجع السابق ، ص٤٠٥ .

(٣) جريدة الأهرام ، عدد ١٠٥٩٦ في ١ صفر ١٣٣١هـ .

كانت الدول الأوروبية بشكل عام وبريطانيا وفرنسا بشكل خاص ترى بعد محاولات محمد على في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، انشاء دولة عربية ، عدم تكرار هذا الخطر مرة أخرى ، ووضعت هذه الدول الاستعمارية خطتها منذ ذلك الحين على أساس فصل مصر عن الشام بأيجاد مناطق استعمارية عازلة بينهما ولكنها أجلت تنفيذ خطتها حتى تحين لها الفرصة لذلك ، ولقد حانت الفرصة بتشتت الدولة العثمانية وضعفها في فترة مقدمات الحرب العالمية الأولى[1] .

نعم انه الغزو الأوربي المتصاعد في جهات العالم العربي بشكل واضح وجلي ، ولم يعد الأمر حبيس دهاليز السياسية ومكاتب السياسيين ، وانما وصل الأمر الى التصريح العلني وعلى رؤوس الأشهاد كما ذكر آنفا ، وهذا ما يؤكد ما ذهبنا اليه في هذا التمهيد من وجود خطر غزو أوربي متصاعد يعم أجزاء العالم العربي ، وان اختلفت الفترات الزمنية التي ظهر فيها هذا الغزو .

ولقد كان الغزو الايطالي لطرابلس الغرب هو آخر تلك الأخطار التي عمت أجزاء العالم العربي قبيل فترة البحث ، ولا حرج هنا من أن نلقي نظرة موجزة على أهم ملامح ذلك الخطر الذي بدأ يداهم هذا القطر العربي المسلم .

بعد الاحتلال البريطاني لمصر وقعت الحكومة الايطالية في نفس العام بروتوكول ـ عدم المصلحة ـ في شئون مصر ، ليكون ذلك بمثابة الموافقة من جانبها على أحتلال مصر من قبل بريطانيا[2] ، وكان الأيطاليون يرمون من وراء ذلك لتحقيق رغباتهم الاستعمارية التي يشاركون فيها بريطانيا وفرنسا

(١) لطف الله سليمان : من أجل تاريخ دنيوى لفلسطين ، باريس ١٩٨٩م ، من تقرير نشرته عن الكتاب جريدة الأهرام الصادرة بتاريخ ١٩٨٩/٤/٤م .

(٢) ز . ب ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص٣٢ .

في أستعمار ولايات الدولة العثمانية ، في الشمال الأفريقي ، وتحقق لهم ذلك من خلال الاتفاق الذي أبرم مع فرنسا في ١٣١٨ هـ/ ١٩٠٠ م والذي أتفق من خلاله على أن تطلق فرنسا يد أيطاليا في شئون طرابلس الغرب على أن تترك أيطاليا لفرنسا المسألة المغربية ولاتتعرض لها بشيء فيها ، ثم أتْبعَتَ هذه الأتفاقية بأتفاقية مماثلة بعد ذلك بعامين ولم تعترض بريطانيا والنمسا على هاتين الاتفاقيتين حين تم ابلاغهما بهما ، وأنما أقرتاهما[1] .

ويذهب بعض المؤرخين الى أن فرنسا وبريطانيا قــد أعطتا لايطاليا حــرية العمل فــي طرابلس الغرب حين تم الوفـــاق الودي بينهما سنة ١٣٢٢ هـ/١٩٠٤ م[2] ، ليس هذا فحسب وانما « أمضيت عدة أتفاقيات بين الحكومة الايطالية من جهة وفرنسا وبريطانيا من جهة أخرى أقر فيها مبدأ الاعتراف بحق ايطاليا على طرابلس الغرب[3] » ، وكذلك الحال مع روسيا حين وقعت مع ايطاليا اتفاقية في سنة ١٣٢٧ هـ/١٩٠٩ م على شكل مذكرتين متبادلتين ، أعترفت أيطاليا فيها بادعاءات روسيا في منطقة المضايق ، نظير أعتراف روسيا بادعاءات ايطاليا في طرابلس الغرب وبنغازي[4] .

في أواخر سنة ١٣٢٨ هـ/ أواخر عام ١٩١٠ م بدأ الايطاليون محاولاتهم المستمرة للتخفيف من معارضة المسئولين في الدولة العثمانية تجاه مشروعاتهم وتدخلاتهم المستمرة في طرابلس[5] ، وبدأت العصبية تظهر على

---

(١) الطاهر احمد الزاوي : جهاد الأبطال في طرابلس الغرب ، ص١ ـ ٢ .

(٢) عبد الكريم رافق : المرجع السابق ، ص٤٦٢ ، عابدين حمادة : تاريخ الشرق والغرب ، ص٣٨ .

(٣) مصطفى كريم : مسألة غزو ايطاليا .... ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد السادس ، يوليو ١٩٧٦م ، ص١٣٦ .

(٤) لوتسكي : المرجع السابق ، ص٣٦٧ .

(5) F. O. 424 \ 226, No. 32, "Sir,R. Rodd to, sir, Edward Grey", Romc, 31. 12. 1910. p. 28.

تصرفات الساسة الايطاليين ، لأن الخوف قد بدأ يساورهم من فقدان آخر فرصة لتثبيت أقدامهم على الساحل الافريقي والاستيلاء على طرابلس الغرب[1] .

لقد كان الساسة الايطاليون مدركين عدم وجود معارضة من جانب الدول الاستعمارية الأخرى لأطماعهم في طرابلس وهذا ما أكده وزير خارجية أيطاليا حينذاك سان جوليانو San Giuliano في منتصف سنة ١٣٢٩ هـ/ صيف ١٩١١م حيث قال : « لاتوجد في الوضع الدولي عقبات سياسية يمكن أن نصادفها لأحتلال طرابلس ، لأن فرنسا بموجب الاتفاق لاتستطيع أن تعارض ذلك ، أما انجلترا والنمسا والمانيا فأنها ستنظر الى هذه الخطوة باستياء ولكنها لن تجد أمكانية لعرقلتها خصوصا اذا ما تمت بسرعة[2] » .

وقارىء التاريخ المدرك لأحداثه ومسبباته لايساوره أدنى شك في مدى سرعة تصاعد الغزو الأوربي للعالم العربي وقوة هذا الغزو وخطره الداهم ، كيف لا وأحد مفكري الغرب ينشر في تلك الفترة مقالا ينزف حقدا على العالم الاسلامي بشكل عام والعالم العربي بشكل خاص ويؤكد في آرائه تلك صحة الغزو الايطالي لطرابلس الغرب ، وأنه لابد من مساعدتها من الغرب المسيحي مهما كانت الخسائر باهظة في الرجال والمال ، لأنه على حد قوله ستعتبر هزيمة الايطاليين في طرابلس فرصة للمسلمين ليقوموا بطرد الأنكليز من مصر والسودان ، وطرد الفرنسيين من تونس والجزائر ومراكش وطرد الروس من أواسط آسيا الاسلامية[3] .

---

(١) ز . ب . ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص٤٦ .

(٢) ز . ب . ياخيموفتش : نفس المرجع ، ص٥٨ ـ ٥٩ .

(٣) مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج٣ ، ص٢٠٢ ـ ٢٠٤ .

وقد كان السلطان عبد الحميد الثاني مدركا للخطر الأوربي في المشرق العربي وهذا ما أكدته على لسانه ابنته عائشة في كتابها : Babam, Abdulhamid حيث قال : « كانت أطماع أنكلترة وفرنسا مصوبة نحو الشرق ، وكانتا تريدان كسر شوكتنا وقوتنا ببث الشقاق بيننا وبين المسلمين ، فحاولت بسياسة الخلافة (الجامعة الاسلامية) أن أقف حائلا بينهم وبين ذلك[١] » .

هذا هو تصاعد خطر الغزو الأوربي في العالم العربي في الفترة التي سبقت فترة البحث ، ولكن كيف كان الوضع في الدولة التي يخضع العالم العربي في معظم أجزائه لسلطانها ــ وهي الدولة العثمانية ، ولكي تكون الصورة أكثر وضوحا ــ سنخصص الحديث في الفقرة التالية عن عصر السلطان عبد الحميد الثاني ، وما تخلل هذا العصر من أحداث جسام أثرت بشكل مباشر على العالم العربي بشكل عام والمشرق العربي بشكل خاص .

ولعل أبرز ما يجب الحديث عنه في هـــذا العصــر ــ عصر السلطان عبد الحميد الثاني ــ هو ما شهده من خلل داخلي وضغط خارجي ، يتضح فيما هو آت .

---

(١) أورخان محمد على : المرجع السابق ، ص٢٣٧ .

(ب) عصر السلطان عبد الحميد الثاني :
الخلل الداخلي ، الضغط الخارجي .

السلطان عبد الحميد الثاني هو ابن السلطان عبد المجيد ، وهو السلطان العثماني الرابع والثلاثون ، وقد ولد في يوم الأربعاء المصادف ١٦ من شهر شعبان سنة ١٢٥٨ هـ الموافق ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٤٢ م ، في قصر « دولمه باغجه » الواقع على شاطيء البوسفور الأوربي[١] .

وفي الحادي عشر من شهر شعبان سنة ١٢٩٣ هـ الموافق ٣١ أغسطس سنة ١٨٧٦ م ، اجتمع كبار رجال الدولة العثمانية ، حيث تليت عليهم فتوى خلع السلطان مراد ، وتنصيب أخيه عبد الحميد الثاني ، سلطانا للدولة العثمانية ، حيث دام حكمه ثلاثا وثلاثين سنة[٢] .

واذا كان والد السلطان عبد الحميد الثاني هو أول سلطان في الدولة العثمانية يمنح الصفة الرسمية لحركة التغريب في الدولة العثمانية ، حين أدخل في الدولة ما عرف بالتنظيمات ـ أي تنظيم شئون الدولة وفق المنهج الغربي ـ[٣] أي أن الدولة بدأت في الخروج على النظم الاسلامية ، وأدخلت تنظيمات تتنافى مع الشريعة ، فلقد كانت أطماع أوربا في الدولة العثمانية حين تولى السلطان عبد الحميد السلطة قد بلغت أقصى درجاتها ، لأن الدول الأوربية ما فتئت تنتهز الأزمات الكبرى التي تمر بها الدولة لكي تحقق مآربها الخفية والمعلنة .

---

(١) أورخان محمد على : المرجع السابق ، ص٨٣ ، زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ...، ص٥٥

(٢) أورخان محمد على : نفس المرجع ، ص٩٢ ، جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص١٢٨ .

(٣) محمد حرب عبد الحميد : مذكرات السلطان عبد الحميد ، ص٣ ،

Elie, Kedourie: England and The Middle East, 1914 -- 1921. p. 26.

ولاغرابة في ذلك اذ أن العثمانيين قد ظلوا طوال تاريخهم في حرب مستمرة ضد الغرب المسيحي في محاولة لنشر الاسلام على جزء كبير من أوربا ، أو لصد الهجوم المعاكس الذي يقوم به الغرب ضد الدولة العثمانية طوال ستة قرون .

لقد كانت الدولة العثمانية حين أستلم السلطان عبد الحميد الثاني زمام الأمور فيها تجتاز طريقا صعبا ، وفي حالة من التفكك الداخلي والتهديد الخارجي[1] ، وكان على السلطان الجديد مواجهة هذه المخاطر وايجاد الحلول لمشاكلها الداخلية والخارجية وهذا الجهد المضاعف بطبيعة الحال سيجعل أعداء السلطان عبد الحميد ليسوا من خارج الدولة فحسب وانما سيكونون من داخلها ، ومن رجالات الدولة المشهورين وهو ما سيتطرق له البحث في الصفحات اللاحقة .

بدأ السلطان عبد الحميد عهده بأن عين مدحت باشا صدرا أعظم للدولة العثمانية ، ثم أعقب ذلك وبعد مناقشات ومحاورات جرت في جو ساده رد الفعل الوطني والاسلامي ضد التدخل الأوربي في شئون الدولة ، بإعلان الدستور « المشروطية[2] » ، في أواخر عام ١٢٩٣ هـ الموافق ٢٣ ديسمبر عام ١٨٧٦ م[3] .

وقد فوت السلطان عبد الحميد باعلانه للدستور في تلك الفترة الفرصة على ممثلي الدول الأوربية الذين كانوا مجتمعين في مؤتمر عام في

(١) جلال نوري : تاريخ استقبال ، ج٢ ، ص١٧ ، محمد أسعد طلس : تاريخ العرب ، المجلد ٢ ، ص٢٣ .

(٢) المشروطية : السلطات في الدولة ليست مطلقة ولكنها مشروطة بقيود وحدود يقررها القانون الأساسي ، وقد سمي العهد الدستوري ـ عهد المشروطية .

منيرة العرينان : المرجع السابق ، هامش ص٤٦ »

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٣٢ .

الأستانة يبحثون من خلاله ما يسمونه بالإصلاح الواجب اتخاذه في الدولة العثمانية[1] .

غير أن الدول الأوربية لم تكتف بهذا التدخل في شئون الدولة العثمانية ، فعرضت على السلطان عبد الحميد وبعد أقل من عام ، نص البروتوكول الذي وقع في لندن من قبل كل من بريطانيا وروسيا وفرنسا والمانيا وأيطاليا والنمسا ـ المجر ، والذي تتلخص أهدافه في اجراء الإصلاحات في دول البلقان المسيحية ، واعطاء منطقة صغيرة للجبل الأسود ، وأخيرا طلب تقليص عدد جنود الدولة العثمانية على طول نهر الدانوب[2] .

ولقد كانت معاهدة سان ستيفانو San Stefano في ٢٨ صفر سنة ١٢٩٥هـ/٢ مارس ١٨٧٨ م التي أعقبت الحرب الروسية والتي وقعتها الدولة العثمانية مع روسيا ورغم عدم تطبيقها الا أنها كانت بداية فقد الدولة لكثير من أراضيها وهي بداية النهاية للخسائر الفادحة التي باتت تتعرض لها الدولة العثمانية بين الفينة والأخرى[3] .

غير أن قرارات مؤتمر برلين التي وقعت في ١٣ رجب سنة ١٢٩٥ هـ الموافق ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨ م والتي خَفَّفَت كثيرا من نتيجة معاهدة سان ستيفانو ، كانت ترجمة حقيقية لمدى ما وصلت إليه قوة الضغوط الأوربية على أوضاع الدولة العثمانية والتدخل في شئونها الداخلية والخارجية[4] .

---

(١) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص١٢٩ .

(٢) أورخان محمد على : المرجع السابق ، ص١٢٢ .

(٣) جلال نورى : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٤٨ ـ ٤٩ .

(٤) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، هامش ٢٨ ، ص١٤٢ ـ ١٤٣ ، أورخان محمد على : المرجع السابق ، ص١٤٠ ـ ١٤١ ، مؤلف مجهول : ثورة العرب ضد الأتراك ، مقدماتها ـ أسبابها ـ نتائجها ـ تحقيق ، عصام محمد شبارو ، ص٤٨ .

وكان السلطان عبد الحميد الثاني قد أدرك أن ما يصلح لأوربا ليس بالضرورة أن يصلح للدولة العثمانية المسلمة ، لاسيما وأن الدولة ترتكز على فكر إسلامي أصيل وهي في حاجة الى تقوية الروابط بين المسلمين للوقوف في وجه الخطر المسيحي القادم من أوربا ، اضافة الى ذلك عدم ثقته في نزاهة وكفاءة ساسة الباب العالي ، وهذا ما أكده بعد حين في مذكراته حيث قال : « ... كان جدي السلطان سليم خان يصيح قائلا : أن أيدي الأجانب تسير متنزهة فوق كبدي ، ... كنت أحس أنا أيضا بأيدي هؤلاء الأجانب ليست فوق كبدي وانما في داخله ، أنهم يشترون صدوري العظام ووزرائي ويستخدمونهم ضد بلادي[1] » .

حينئذ بدأ السلطان في تركيز السلطة في يديه مما أعطى مظهر الحكم المطلق لعهده ، وقام بتعطيل الدستور في أوائل عام ١٢٩٤ هـ الموافق ١٤ فبراير ١٨٧٧ م[2] ، وقد تطرف بعض المؤرخين العرب حين أشاروا الى ايقاف العمل بالدستور واعتبروا ذلك مثلبا كبيرا في سياسة السلطان عبد الحميد حتى أنهم قد رموه بالاستبداد وبالمكر والخديعة السياسية[3] ، وأطلق بعضهم على الفترة التي تلت ايقاف الدستور من عصر السلطان عبد الحميد فترة « الاستبداد الحميدي[4] » .

ولم يكن السلطان عبد الحميد يهدف من ايقاف الدستور الاستبداد بالحكم ، اذ كان مدركا للأخطار الكثيرة التي تهدد دولته وما قد يحدثه لها

---

(١) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، ص٧٥ .

(٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ......، ص٥٨ ، محمود صالح منسي : المرجع السابق ، ص٧٣ .

(٣) وجيه كوثراني : بلاد الشام السكان الاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين ، ص٣١٦

(٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٣٩ .

الدستور من نزاعات وصدامات ، فهو اذاً ليس بتلك الصورة السيئة التي ألصقت به ، فقد كان يحاول إصلاح دولته وتحسين أحوالها وانقاذها من تلك الأخطار التي تهددها من الداخل والخارج .

ولعل المستشار الألماني الشهير ـ أوتوفون بسمارك Bismarck لم يجامل أحدا في وجهة نظره عندما قال لأحد المسئولين العثمانيين حينذاك : « لقد أحسنتم صنعا بتعطيلكم المجلس ، ذلك لأن أية دولة عندما تكون متكونة من قوميات عدة فان ضرر النظام البرلماني فيها يكون أكثر من فائدته(١) » .

كانت الأزمات الكثيرة تعصف بالدولة العثمانية أبان عصر عبد الحميد الثاني ، فالخطر من الغرب يهدد أملاك الدولة ، والاستعمار الأوربي يقتطع من أجزائها الآسيوية والأفريقية ، والخلل في داخل الدولة يتنامى مع وجود الجواسيس والعملاء الذين يحاولون الإطاحة بالخلافة الإسلامية وسلطان الدولة القوي ، وهذا ما أكده السلطان في مذكراته بعد ذلك ، وكيف أنه حاول مجابهة هذا الخطر بأسلوبه الخاص(٢) .

فحين أدرك السلطان عبد الحميد الثاني مدى الأخطار التي تهدد أجزاء دولته ، حاول أن يوطد سلطة الدولة في البلاد العربية ، وفي بلاد الشام بالذات لمركزها الاستراتيجي الهام وباعتبارها مفتاحا للحجاز الذي تهفو اليه أفئدة المسلمين كافة ، فقسمها الى ثلاث ولايات وسنجقين ، ولاية حلب في الشمال ، وولاية بيروت في الغرب ، وولاية دمشق في الشرق وسنجق جبل لبنان ، وسنجق القدس ، ثم قسم العراق كذلك الى ولايات ثلاث هي : ولاية

---

(١) أورخان محمد على : المرجع السابق ، ص١٣٧ .

(٢) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، ص٨ ، ٥٦ .

الموصل في الشمال ، وبغداد في الوسط ، والبصرة في الجنوب ، وقد ربطت متصرفية القدس بالأستانة رأسا[١] .

ولادراكه أن ارضاء الشعوب والأقوام المختلفة التي تستظل بالراية العثمانية تدبير حكيم ، فقد حرص أن يضم الى بطانته ورجال حرسه مجموعة من العرب ، وأوصل بعضهم الى مراكز بارزة ، لأن ثقته في العرب كانت كبيرة ، ولم يخامره أدنى شك في ولائهم للخلافة الإسلامية ، فالغالبية العظمى منهم ترى أن العمل على تقويض أركان الخلافة يعتبر تقويضا لأركان الاسلام ذاته[٢] .

ثم سعى السلطان عبد الحميد الثاني لبناء سكة حديد الحجاز بين المدينة المنورة ودمشق للوقوف في وجه الأخطار التي تهدد الدولة العثمانية المسلمة ولكي يزيد من ترابط المسلمين وتقاربهم ، فهو القائل : « ... المهم هو اتمام خط السكة الحديد بين دمشق ومكة في أسرع وقت ... ففي هذا تقوية للرابطة بين المسلمين ، كما فيه أيضا اتخاذ هذه الرابطة ـ بعد تقويتها ـ صخرة صلبة تتحطم عليها الخيانات والخدع الانجليزية[٣] » ، كما أن احتلال بريطانيا لمصر قد ذهب بسيطرة الدولة العثمانية على قناة السويس ، الشريان الرئيسي للوصول الى الحجاز[٤] ، وقد تصدى السلطان عبد الحميد للأطماع الأوربية المتصاعدة سواء في أوربا أو في المشرق العربي وكانت لديه رغبة في افتتاح ترعة بين البحر الميت والبحر الأحمر ويتم وصلها بالبحر المتوسط لأن ذلك

---

(١) عبد الكريم رافق : المرجع السابق ، ص٥٣٢ .

(٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ....، ص٥٨ .

(٣) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، ص٨ .

(٤) نبيل عبد الحي رضوان : الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس ، ص١٨٧ .

يمنح دولته شيئا من الاستقلالية عن قناة السويس ويبعده عن مكائد الانجليز ومكرهم كما يقول(١) .

وقد أشار الى هذا الاتجاه السفير البريطاني في الآستانة في تقريره السنوي لعام ١٩٠٧ م الموافق لسنة ١٣٢٥ هـ حين قال : « ... تلك السياسة الماهرة التي حدت بالسلطان الى أن يظهر أمام ثلاثمائة مليون من المسلمين بمظهر الخليفة والزعيم الروحي للاسلام ... حين مد سكة حديد الحجاز ، التي ستيسر لكل مسلم في المستقبل القريب سبيل الحج الى الأماكن المقدسة في مكة والمدينة (٢) » .

ولأن السلطان عبد الحميد كان يرى حينذاك أن الحروب الصليبية ضد الاسلام لم تنته ، فقد حاول توحيد عناصر الدولة من المسلمين لايجاد جبهة للصمود في وجه الغرب المسيحي ، وأحل عدداً من المسلمين محل كبار الموظفين المسيحيين الذين كانوا يشغلون مناصب هامة وبخاصة في وزارة الخارجية والسفارات العثمانيةفي الخارج (٣) .

وكان السلطان عبد الحميد يرمي الى تجميع الأمة الاسلامية لتقاوم النفوذ الأوربي المتصاعد الذي بدأ يهدد الأقطار الاسلامية بشكل عام والدولة العثمانية بشكل خاص ، لأنه يرى في الجامعة الاسلامية سياجا يحمي الدولة من الأخطار التي كانت تحيط بها من كل جانب أمام أطماع الروسيا والنمسا ـ المجر ، وفرنسا ، وبريطانيا (٤) ، فهذه الجامعة هي خير علاج

---

(١) جريدة الأهرام عدد ١٠٦١٣ في ٢١ صفر سنة ١٣٣١هـ ، جريدة الأتحاد العثمانى عدد ١٣٢٣ في ٢٧ صفر سنة ١٣٣١هـ .

(٢) جورج انطونويس : المرجع السابق ، ص١٤٣ ـ ١٤٤ .

(٣) احمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٤٩ ، ٢٥٢ .

(٤) عبد العزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية ـ دولة اسلامية مفترى عليها ـ ج٣ ، ص١١٩٩ .

يواجه به خصومه ، لأنها تعني الالتزام بالشريعة الاسلامية في الداخل بدلا من الاتجاه الى النظم الواردة من الغرب وبالتالي تجعل الالتفاف حول دولة الخلافة من قبل الشعوب العثمانية وتلبية نداء الجهاد الاسلامي ضد المطامع الأجنبية أمرا حتميا[1] ، وقد أكد ذلك هو حين قال : « ... أن الاسلام هـو القوة الوحيدة التي تجعلنا أقوياء ، ونحن أمـة حية قـوية ، ولكن شرط أن نصدق فـي ديننا العظيم...[2] » .

والى جـانب ذلك عـمل السلطان على تطوير الجـيش ، واهتم بالمدارس العسكرية لادراكه أن القوات المسلحة ذات الكفاءة العالية والتدريب الجيد هي الحصن الحصين لانقاذ الدولة من الانهيار[3] ، لكن الخلل الداخلي في الدولة والضغط الخارجي عليها لم يمكنا السلطان عبد الحميد من تحقيق أماله التي كان ينشدها .

في أواخر عام ١٣١٧ هـ الموافق لشهر ديسمبر ١٨٩٩ م ، هرب الداماد محمود باشا زوج شقيقة السلطان ومعه ولداه صباح الدين ولطف الله ، وكان الهدف من هروبه هو اظهار معارضته لحكم السلطان عبد الحميد الذي رفض اعادة الدستور ثم خلف الأمير صباح الدين والده في معارضة السلطان وأسس ما عرف بجمعية « التشبث الشخصي واللامركزية » ، وأنشأ لها صحيفة بأسم « ترقي[4] » ، غير أن أفكار الأمير صباح الدين أصبحت معاكسة لبرنامج

---

(١) موفق بني المرجة : صحوة الرجل المريض ـ أو ـ السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية ، ص٢٥ .

(٢) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، ص١٣ .

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٥٥ .

(٤) أرنست . أ . رامزور : تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨م ، ص٨٣ ، ١١٠ .

جمعية الاتحاد والترقي التي مارست ضده كثيرا من الضغوط لينتهي به الأمر وبجمعيته الى السير في ركاب جمعية الاتحاد والترقي ، وبالتالي حل جمعية اللامركزية والتشبث الشخصي في شهر شوال سنة ١٣٢٦ هـ الموافق لشهر نوفمبر ١٩٠٨ م(١) .

أما جمعية تركيا الفتاة فقد كانت من مظاهر الخلل الداخلي في عصر السلطان عبد الحميد الثاني ورغم أنها تكونت في البداية من عدد قليل من تلامذة مدارس الطب العسكرية ومن بعض الأتراك المناوئين للسلطان عبد الحميد والذين هربوا الى أوربا ومعظمهم من المسيحيين(٢) ، الا أن هذه الجمعية سرعان ما أنتشرت في أرجاء الروم أيلي ، وكونت لها خلايا بين ضباط الجيش ، ومن ثم اتفق مؤسسوها على تحويل اسمها من « جمعية الحرية العثمانية » الى « جمعية الاتحاد والترقي العثماني » ، وكان الولاة في الروم أيلي يلتحقون بها تباعا ، ولها جواسيس وعملاء في قصر السلطان عبد الحميد يبعدون عنها الشكوك ويطلعونها على مايدور في القصر(٣).

كان السلطان عبد الحميد يدرك أنه لا يستطيع أن يقف أمام الدول الأوربية بمفرده ، إذاً فالسبيل الوحيد لسلامة دولته هو أن يعتمد على ما بين هذه الدول من تنافس وخصومات ويضرب بعضها ببعض(٤) ، ولكن الخطر الداهم جاء من داخل الدولة وكان السلطان عبد الحميد الثاني يعرف ذلك الخطر جيدا ، وهذا ما تأكد من خلال مذكراته حين قال : « ... هؤلاء الذين أطلقوا

---

(١) توفيق علي برو : المرجع السابق ، ص٨٦ ـ ٨٧ .

(٢) آرنست . أ . رامزور : المرجع السابق ، ص٤٩ ، ٥٥ ، أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٦٣ .

(3) Mithat Sukru Bleda: Imparatorlu Gun Cokusu, pp. 30 -- 31.

(٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٤٧ .

على أنفسهم أسم ـ تركيا الفتاة ـ كانوا في الأصل ثلاثة أشخاص أو خمسة ، وهؤلاء عملوا ضدي عدة سنوات في أوربا تكلموا ، خططوا ، كتبوا ، كل ذلك قبل أن يفكروا أن العمل ضدي معناه أيضا ـ العمل ضد الوطن ... أستطعت أن أعرف من تحقيقاتي أن كلهم تقريبا من الماسون وأنهم منتسبون الى المحفل الماسوني الانجليزي وكانوا يتلقون معونة مادية من هذا المحفل ...[1] » .

تتابعت الأخطار على الدولة العثمانية في أواخر عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، وزاد في سرعتها ذلك الاجتماع الشهير الذي تم في ريفال ـ على بحر البلطيق ـ بين قيصر روسيا وملك انجلترا في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٢٦ هـ الموافق ١٠ يونيو سنة ١٩٠٨ م ، الذي أشيع عنه اعتزام بريطانيا التخلي عن معارضتها التقليدية للأطماع الروسية في بعض أملاك الدولة العثمانية[2] ، حينئذ سارعت جمعية الاتحاد والترقي باشعال ثورة قام بها الجيش التركي الثالث في الخامس والعشرين من جمادى الثانية سنة١٣٢٦ هـ ، المصادف للرابع والعشرين من يوليو سنة ١٩٠٨ م ، أعاد السلطان بسببها الدستور ، أو ما عرف بالمشروطية الثانية[3] ، ومع هذا فان تلك الثورة زادت من اهتمام الساسة الروس بشئون المضائق والبحث حولها[4] .

---

(١) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، ص٤٩ ، ٥٨ .

(٢) حقي العظم : الحرب البلقانية أسباب ونتائج ، مقال بجريدة المقتبس عدد ١٠٥٦ في ٢٨ ذى الحجة ١٣٣٠هـ ، ارنست . أ . رامزور : المرجع السابق ، ص١٤٧ .

(3) M. philips Price: Ahistory of Turkey, From Empire to Republic, p.82.

(4) Halford .L. Hoskins: The Middle East, P. 25.

وقد أختلف المؤرخون وأختلفت مواقفهم ونظرياتهم حول تلك الأحداث المتتالية التي شهدتها الدولة العثمانية ، والتي أنتهت بخلع السلطان عبد الحميد الثاني في يوم الثلاثاء الموافق ٦ ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ هـ ، الموافق ٢٧ ابريل سنة ١٩٠٩ م ، بناء على قرار مجلس المبعوثان الذي أجتمع في سان ستيفانو في شكل جمعية وطنية وبمقتضى فتوى من شيخ الاسلام[١] ، إلا ان ما يلفت النظر هنا هو أن يكون من أعضاء اللجنة التي قامت بابلاغ السلطان عبد الحميد قرار خلعه شخصية يهودية معروفة بكرهها للدولة العثمانية وللمسلمين بشكل عام ، وهو اليهودي ايمانويل قراصو[٢] ، ولقد كان السلطان عبد الحميد أول من تنبه الى ذلك حين رآه في الوفد فسألهم قائلا : « ألم تجدوا شخصا آخر غير هذا اليهودي لكي تبلغوا خليفة المسلمين قرار الحل ؟!!![٣] » .

هذا الحدث وما سبقه من احداث في أقل من عام دليل لايقبل الشك على أن الخلل الداخلي في الدولة قد وصل الى درجة لاشفاء فيها وبطبيعة الحال كان الضغط الخارجي على الدولة يفوقه بمراحل ، ولقد عبر السلطان عبد الحميد عن ذلك أبلغ تعبير حين قال : « ماذا حدث عندما أعلنت المشروطية ؟ هل قلت ديون الدولة ؟ هل كثرت الطرق والموانيء والمدارس ؟ هل أصبحت القوانين الآن أكثر تعقلا ومنطقا ... هل أصبح الرأي العام العالمي الآن بجانبنا أكثر من ذي قبل ؟ وهكذا عديد من الأسئلة واذا زادت فليس من رد ايجابي يمكن أن يرد به عليها ... الدواء الناجع يصبح سما زعافا اذا كان في يد غير الأطباء أو من لا يعرفون أصول استعماله »[٤] .

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص٧٠٩ ـ ٧١٠ .

(٢) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، ص٦ ـ ٧ .

(٣) أورخان محمد على : المرجع السابق ، ص٣٣٢ ـ ٣٣٤ .

(٤) محمد حرب عبد الحميد : نفس المصدر ، ص٩٩ .

لقد جابه السلطان عبد الحميد تلك المصاعب في الداخل والخارج ، وحاول أن تكون الجامعة الاسلامية دعامة تدفع الأمم الاسلامية للاتجاه نحو الدولة العثمانية ، وترفع مكانته لدى الشعوب الاسلامية الخاضعة للدول الأوربية ليتمكن من حمل هذه الدول على تعديل سياستها بعض الشيء نحو دولته التي يؤمن أن العثمانية فيها ما هي الا رابطة تربط الشعوب التي تختلف أصولها وفصولها ، وأن الحركات القومية فيها تهلكها ولا تنفع أهلها بشيء[1] .

ولقد أستطاع السلطان عبد الحميد أن يحافظ على تماسك ما تبقى من الدولة العثمانية ويتمسك بطابعها الاسلامي ، رغم ما وجه له من التهم الباطلة والصفات السيئة ، سواء لشخصه هو أو سياسته في دولته ، ولم يعدم التاريخ العربي الحديث بعض المنصفين الذين دافعوا عن سلوكيات السلطان الشخصية وسلامتها من كل عيب الصق فيها[2] ، كما دافعوا عن سياسته التي أنتهجها والتي كانت تعتبر مثلبا يرمى بـه السلطان ، وعيبا ينفرد بـه في نهجه السياسي[3] .

هكذا كان عصر السلطان عبد الحميد الثاني ، وما كان فيه من خلل داخلي أضر بالدولة العثمانية ، وأثر على شعوبها ، وما صحب هذا الخلل من ضغط خارجي ظهرت آثاره على نفوذ الدولة في أجزائها البعيدة عن مركز الخلافة ، كالبلاد العربية في المشرق العربي والتي هي مدار هذا البحث ، والتي كان رد الفعل فيها واضحا حينذاك ، وهذا ما سنتطرق اليه في المبحث التالي من هذا التمهيد .

---

(١) محمد شفيق غربال : المرجع السابق ، ص١٠٦ ـ ١٠٧ .

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٤٨ .

(٣) عبد الله بن الحسين : مذكراتي ، ص٢٣ ، محمد شفيق غربال : نفس المرجع ، ص١٠٧ ـ ١٠٨ .

(ج) رد الفعل عند العرب = الإصلاح ، معناه .

أدرك زعماء الاصلاح في العالم العربي مدى خطورة الغزو الأوربي الذي بدأ يتصاعد في أجزاء مختلفة من بلدانهم في وقت كان الخلل الداخلي والضغط الخارجي هو السمة البارزة في حياة الدولة العثمانية .

ولأن العاطفة الدينية لديهم كانت من أقوى الروابط التي تشدهم الى الخلافة الاسلامية ، فقد كانوا يعتبرون أن دولة الاسلام هي دولتهم ، والسلطان المسلم هو حامي حمى الاسلام ، ورافع لواء الجهاد ضد الكفار[١] ، ومع هذا فهم يسلمون بضرورة تحسين الحالة الداخلية في البلدان العربية من خلال الرجوع الى الاسلام الحقيقي والى المؤسسات الاسلامية التي تبعدهم عن شبح الاستعمار الغربي وحضارته المتجهة الى العلمنة والبعد عن الدين[٢] .

ولأن العثمانيين قد أحتفظوا بالبناء الاجتماعي والاقتصادي الذي كان سائدا في البلاد العربية قبل دخولها في اطار الحكم العثماني[٣] ، مما ساعد العرب على أن يحتفظوا في ظل الدولة العثمانية بمقوماتهم الأساسية من لغة وثقافة ، فقد كانت ملامح الاصلاح لدى الفئة المثقفة من العرب في تلك الفترة هي الحصول على شيء من الاستقلال الذاتي الذي يضمن لهم حقوقهم ويوفر لهم العدالة الاجتماعية والحرية الذاتية في ظل دولة الخلافة ، لكي يتأتى لهم النهوض في ظل الاسلام الذي انطلق منه مجدهم ، وظهرت عزتهم ، انطلاقا من

---

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص٥٠ .

(٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ....، ص١٣٤ ــ ١٣٥ .

= كلمة علمانى : أى Secularism : أى لادينى ، وليست مشتقة من العلم . ، محمد عمارة : العلمانية ونهضتها الحديثة ، ص١١ ــ ١٥ .

(٣) محمد عبد اللطيف البحراوى : من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم ، مجلة الدارة ، العدد الرابع ، السنة الثالثة عشرة ، ص٢٠٢ .

قوله تعالى : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ...﴾[1] الآية .

ولاشك في ان انتشار التعليم الغربي في بلاد الشام وتزايد نشاط المدارس والكليات الأجنبية التي كانت تنمو في كنفها الارساليات التنصيرية قد زاد من قلق العرب المسلمين الذين أدركوا خطورة هذا الغزو الثقافي الأجنبي ، وأحدث لديهم رد فعل قويا حيث بدأوا في قيادة الحركة العربية ذات الاتجاه الاسلامي ، ليصل بهم الأمر الى العزوف عن ادخال أبنائهم المدارس الأجنبية خوفا على عقيدتهم من سموم البعثات التنصيرية[2] .

وبقى العرب المسلمون في معزل عن المؤسسات التربوية المسيحية ، بل وأنشأوا مدرسة اسلامية في بيروت عرفت بالكلية العثمانية الاسلامية ، وهاجم بعض المفكرين العرب تلك التربية الغربية في البلدان الاسلامية ، وقد رأى السيد محمد رشيد رضا أن هؤلاء « المتخرجون من هذه المدارس .. هم الآلات التي يستعين بها الأجانب على ادارة أمر البلاد ، لأنهم تربية مدارسهم ، أو الجيش السلمي لثكناتهم ولا يتم لهم مايسمونه الفتح السلمي بدونهم[3] » .

لقد ظهرت الحركة العربية على مسرح الأحداث بعد انتهاء الحرب العثمانية الروسية في أواخر عام ١٢٩٥ هـ / منتصف سنة ١٨٧٨م ، الا أن رابطة الدين الاسلامي التي تربط العرب بالدولة العثمانية وحرص العرب على ارتباطهم بدولة الخلافة حد من بروز هذه الحركة[4] ، وحين اجتمع السوريون لمناقشة وضع الدولة العثمانية المضطرب حينذاك بسبب تلك الحرب ، كان

---

(١) الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

(٢) محمود صالح منسي : المرجع السابق ، ص٩٥ ـ ٩٦ .

(٣) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ......، هامش ١٩ ، ٢٢ ، ص١٨٩ ـ ١٩١ .

(٤) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٧٤ .

اتفاقهم على أن يظل ارتباطهم الروحي في البلاد الشامية مستمرا مع الدولة العثمانية ، وأن يبقى الخليفة العثماني خليفة للمسلمين ، ولم يتجهوا للمطالبة بالاستقلال التام الا اذا تبين لهم أن الدول الأجنبية تهدف الى الاستيلاء على بلدانهم[1] ، وهذا الاتجاه يتنافى بطبيعة الحال مع ما ذهب اليه بعض المؤرخين في العصور المتأخرة[2] .

وفي الوقت الذي كانت أغلبية العرب المسلمين تميل الى تأييد الخلافة ، لأن في ذلك تأييد للاسلام ، الا أن العرب المسيحيين الذين تعلموا في مدارس البعثات التنصيرية كانوا يميلون وبقوة فاعلة نحو الانفصال عن الدولة العثمانية ، تؤيدهم في ذلك الدول الأوربية التي كان احتضانها للحركة العربية حينذاك هو تحقيق لأغراضها الخاصة وأهدافها الاستعمارية المبيتة من خلال هذه الحركة[3] ، وقد وجدت هذه الدول بالفعل من نصارى الشام فريقا يرغب في أن تحكمهم فرنسا ، وفريق آخر يحبذ الارتباط مع بريطانيا[4] .

وقد كانت لبنان التي حصلت على قسط وافر من التعليم الغربي وأخذت بكثير من الأساليب الغربية هي بؤرة ذلك الاتجاه ضد الاسلام والخلافة الاسلامية ، اذ أن المسيحيين الموارنة كانوا يطالبون بالانفصال عن الدولة العثمانية ، وهذا عائد بطبيعة الحال الى شعورهم بالعزلة نتيجة لاعتناقهم للديانة المسيحية ورغبتهم في أن تحكمهم دولة تدين بدينهم ، الا أنهم أدركوا أن بلوغ غايتهم في الانفصال لن يتم الا بتعاونهم مع المسلمين ، حينئذ لجأوا

---

(١) مصطفى الشهابي : من ذكريات الحركة القومية العربية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٦ ، سنة ١٩٥٧م ، ص٣ .

(٢) ارنست . أ . رامزور : المرجع السابق ، ص٢١ ، جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص١٦٢ .

(٣) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص٨٩ ، ٩٦ .

(٤) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص٢٤٠ .

الى استخدام القاسم المشترك وهو العروبة ، وتغنوا بذلك الشعار في محاولة منهم لتأليف جبهة عربية موحدة تقوم على فكرة العروبة ، لعلها تستطيع أن تقف في وجه الدولة العثمانية المسلمة[1] ، وهذه الأفكار وتلك النظرية القاصرة التي أوجدت فكرة القومية العربية كبديل للروابط الدينية ، هي في الواقع النظرية العامة والكاملة عند أعداء المسلمين حتى وقتنا الحاضر .

ولعلماء المسلمين القول الفصل في تلك الدعوة ومصدرها وغاياتها حين أكدوا على أن « الدعوة الى القومية العربية أحدثها الغربيون من النصارى لمحاربة الاسلام والقضاء عليه في داره بزخرف من القول وأنواع من الخيال وأساليب من الخداع فاعتنقها كثير من العرب من أعداء الاسلام[2] » .

ولئن كان الشيخ محمد عبده يرى أن تطهير الاسلام من المؤثرات الفاسدة والدفاع عنه ضد الهجمات المسيحية ، لا يتأتى الا بمعرفة المسلمين لدينهم ، ليتحقق لهم الوقوف في وجه التيارات الثقافية الأوربية الضارة ، وفي وجه الحضارة المادية[3] ، فانه كان يدعو الى نهوض الأمة العربية المسلمة لتقف ضد الاستعمار الأوربي وحده دون الاصطدام بالدولة العثمانية المسلمة[4] ، وهو بهذا يعارض أفكار الكواكبي الذي تطرف كثيرا في قوميته العربية ، وفي محاولته فصل العرب عن الترك ، بل وزرع الأحقاد بينهم والتنكر للدولة العثمانية ، معتبرا أياها دولة غير جديرة بالخلافة الاسلامية ، لأنها لم تقدم للاسلام أي نفع على حد زعمه[5] ، ولعل ذلك شيء غير مستغرب على

---

(١) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ....، ص٦٠ ـ ٦١ .

(٢) الشيخ عبد العزيز بن باز : نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع ، ص١٣ .

(٣) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ....، ص٧٠ .

(٤) ابراهيم أحمد العدوى : قادة التحرير العربي فى العصر الحديث ، ص٨٣ .

(٥) عبد الرحمن الكواكبي : أم القرى ، ص١٦٣ ـ ١٧٠ .

الكواكبي الذي اتخذ من أحد مقاهي القاهرة قاعة لطرح آرائه وتخرصاته يوميا على أصدقائه وجلسائه من النصارى واليهود كما يؤكد ذلك أحد المؤرخين المعجبين به[١] .

ولقد ظهر كثير من دعاة الاصلاح العرب المسيحيين ، الا أن أشهرهم كان نجيب عازوري ، الذي أسس حزب قومي عربي صرف أسماه « حزب جامعة الوطن العربي » وذلك سنة ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤ م ، ثم قام بنشاط ثقافي مكثف مجد العرب من خلاله ، وصب جام غضبه وحقده على الأتراك[٢] ، ولأنه كان مسيحيا مارونيا فقد نشأ نشأة فرنسية ، وكان شديد الحب والميل الى فرنسا وحضارتها وقد تنكر للعرب المسلمين واللغة العربية حين ألف كتابا باللغة الفرنسية بعنوان « يقظة الأمة العربية »

" Le reveil de La Nation Arabe "[٣]

ويعتبر نجيب عازوري من أول دعاة العلمانية الذين نادوا بفصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية ، ليس هذا فحسب ، وانما طالب بفصل البلاد العربية عن الدولة العثمانية[٤] ، وأكد للدول الأوربية أن العرب على أتم الاستعداد لاحترام المصالح الأجنبية ومنح جميع الامتيازات التي كانت تمنح من قبل الدولة العثمانية اذا تم لهم الانفصال عن الدولة العثمانية[٥] ، وبصرف النظر عن نشأة صاحب هذه الآراء وميوله ، فان نشر أفكاره بلغة أجنبية غير

---

(١) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص١٦٨ ـ ١٦٩ .

(٢) نجيب عازوري : يقظة الأمة العربية ، ص١٩ .

(٣) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية .....، هامش ٤٧ ، ص٢٠١ .

(٤) توفيق علي برو : المرجع السابق ، ص٧٤ .

(٥) محمود صالح منسي : المرجع السابق ، ص١٠٢ .

اللغة العربية وفي عاصمة بلاد أجنبية دليل كاف على انحرافه[1] عن طريق الصواب ، وتأثره بالأفكار الغربية ، وربما السعي لتحقيق مطامع الاستعمار الأوربي في البلاد العربية من خلال شعارات القومية والوطنية .

واذا كانت حركة التنظيمات في الولايات العربية قد زادت من فكرة العثمنة بين العرب المسلمين ، فانها قد زادت من الوطنية اللادينية بين العرب المسيحيين[2] ، وحينئذ لم يقتصر الاصلاح لدى العرب المسلمين على ولاياتهم وانما أرادوا من الاصلاح انقاذ الدولة ، وهذا ما ظهر من خلال تأليف « جمعية الشورى العثمانية » في القاهرة سنة ١٣١٥ هـ/١٨٩٧ م ، والتي شارك فيها كثير من العثمانيين غير العرب[3] .

وحين أعلن عن عودة المشروطية ـ الدستور ـ سنة ١٣٢٦ هـ ـ ١٩٠٨ م ، ظهرت الأبعاد المنشودة للاصلاح لدى القوميات المختلفة التي تضمها الدولة العثمانية ومن ضمنها العرب ، ويذهب بعض المؤرخين الى أن الابتهاج والسرور الذي عم البلاد العربية كان مصدره شعور العرب بأنهم سيحصلون على بعض المناصب الوزارية ، وستكون المساواة بينهم وبين جميع العناصر في الدولة من خلال انتمائهم الى جمعية الاتحاد والترقي ، التي لعبت دورا في اعادة الدستور[4] .

بينما يؤكد البعض أن مطالب العرب تنحصر في المساواة مع غيرهم من العناصر ليساهموا في اصلاح الدولة ، وليس لهم طمعا في الوظائف ، لاسيما

---

(١) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص١٧٣ .

(٢) البر أورطايلي : انفصال الولايات العربية الشرقية عن الدولة العثمانية .... مقالة في المجلة التاريخية المغربية ، عدد ٣١ ـ ٣٢ ديسمبر ١٩٨٣م ، ص٥٤٤ .

(٣) توفيق علي برو : المرجع السابق ، ص٥١ ـ ٥٢ .

(٤) ادوارد عطية : العرب ، ص٨٨ ـ ٨٩ ، محمد أسعد طلس : المرجع السابق ، ص٤١ .

أن بعض المسئولين العثمانيين قد أطلق تصريحات تؤكد المساواة وأنه بعد الدستور لافرق بين العرب والترك والروم وغيرهم وكلهم عثمانيون متساوون في الحقوق والواجبات تحت راية الدولة العثمانية(١) .

أنشئت أول جمعية عربية في الآستانة بعد الدستور بأسم جمعية « الاخاء العربي العثماني » في ٥ رجب سنة ١٣٢٦ هـ ، الثاني من سبتمبر سنة ١٩٠٨ م ، ومن أهدا فها الرئيسية توحيد جميع العناصر في الولاء للسلطان ، واصلاح الولايات العربية وتعليم اللغة العربية فيها(٢) ، وحين أذاعت الجمعية السورية في باريس بيانها الذي دعت فيه الى إستقلال سوريا استقلالاً اداريا ، سارعت الأغلبية العربية الى استنكار ذلك على مختلف المستويات ، وأعربوا عن ولائهم للدولة العثمانية(٣) .

ولقد أدرك السفير البريطاني في الآستانة السير جيرارد لوثر Sir, Gar-ard Lowther ما يعنيه مفهوم الاصلاح عند العرب ، ومدى أخلاصهم للسلطان العثماني والدولة العثمانية مؤكدا في ذلك لوزير خارجيته أنه رغم الشكوك التي تنتاب العرب في أمر هذا الاصلاح فان ولاءهم للحكم العثماني ينطلق من كونه حكما اسلاميا ، والسلطان العثماني هو الرئيس الروحي للدولة العثمانية(٤) .

ان دعاة الاصلاح من العرب المسلمين لم يفكروا بالاستقلال عن الدولة العثمانية ومطالبهم الاصلاحية كانت تنحصر في اجراء الاصلاحات في الولايات العربية من خلال التوسع في نظام اللامركزية الادارية ، وتمثيل العرب

---

(١) توفيق علي برو : نفس المرجع ، ص٧٦ ، ١٦٢ .

(٢) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص١٧٧ .

(٣) محمود صالح منسي : المرجع السابق ، ص١٢١ ــ ١٢٢ .

(٤) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ...، ص٧٣ .

في وظائف الدولة تمثيلا يتناسب مع نسبتهم العددية[١] ، وهذا عكس ماكان ينادي به العرب المسيحيون الذين اختلفت تطلعاتهم الى الاصلاح ومعانيه فمنهم من يرغب في الاتجاه الى الغرب بحكم رابطة الدين[٢] ، ومنهم من يدعو الى انشاء أحزاب مسيحية داخل الدولة تحقق لهم القوة والاستقلال[٣] .

وقد أنشيء في القاهرة أواخر سنة ١٣٣٠هـ ، أواخر سنة ١٩١٢م حزب يدل دلالة واضحة على ما يعنيه الاصلاح لدى العرب المسلمين هو « حزب اللامركزية الادارية العثماني » ، وقراءة بيان هذا الحزب وبرنامجه تضع النقاط على الحروف حول أهداف واتجاهات الاصلاح عند العرب[٤] ، التي ترمي في مجملها الى البقاء في ظل الدولة العثمانية المسلمة والتصدي لطمع الطامعين الذين يهددون الدولة من كل اتجاه[٥] .

من كل ذلك يظهر لنا أن رد الفعل عند العرب كان يتمثل في الإصلاح بمعناه الشامل ، والذى بموجبه يتم تطهير جميع مرافق الدولة العثمانية من كل خلل دخل فيها ، وبالتالي منح الولايات العربية نوعا من الاستقلال الذاتى في اطار مايعرف باللامركزية ، على ان لاينفرد العرب بعقد أى معاهدات أو اتفاقيات سياسية أو اقتصادية مع الدول الأجنبية الا بعد الرجوع إلى الدولة العثمانية ـ دولة الخلافة ـ وعن طريقها[٦] .

---

(١) محمد عزة دروزة : نشأة الحركة العربية الحديثة ، ص٣٠٦ .

(٢) حسان حلاق : بيروت المحروسة في العهد العثمانى ، ص٢٩١ .

(٣) جريدة المقطم ، عدد ٦٩٤٨ في ١٧ صفر ١٣٣٠هـ .

(٤) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج١١ ، ص٨٤٩ ـ ٨٨٠ .

(٥) جريدة الإتحاد العثمانى ، عدد ١٣٤٧ في ٢٧ ربيع الأول ١٣٣١هـ .

(٦) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٧ ، ص٥٤٩ .

هذا الاتجاه الذى أخذ به غالبية العرب حينذاك يدحض بقوة تلك المفاهيم التى صاحبت عبارة « يقظة العرب » والتى شاعت كثيرا وأسيء فهمها واستخدامها ، لاسيما من اعداء الدولة العثمانية من الدول الأوربية ومناصريها في الوطن العربى ، الذين استغلوا ابتعاد بعض رجال الدولة عن أصول الدين الإسلامى ، الذى كان هو الرابطة القوية بينهم وبين العرب المسلمين ، لينفثوا سمومهم وأحقادهم ، ويفرقوا بين العرب والترك ، بشعارات رنانة .

فاليقظة العربية – عندهم – هى اسقاط الدولة والتنكر لها ، والقومية التركية – كما يزعمون – هى القاعدة القوية لبناء دولة علمانية جديدة – وهذا غاية مايهدف اليه أعداء الاسلام والمسلمين .

وهكذا كان الحال الذى انتهى في آخر الأمر بأفول دولة الخلافة ، وسقوط أجزاء من المشرق العربى في أيدى الاستعمار الغربى .

لقد كانت الحالة السياسية السائدة في المشرق العربى قبيل فترة البحث ، شبيهة بفوهة بركان خامد لايعرف كنهه ، فالغزو الأوربى يكتنفه من كل جانب ، والخلل ينخر في جسم الدولة ، ورد الفعل عند العرب لم يتحقق ولم يكتمل نموه بعد ، وهذا مايدعونا في المبحث التالى من هذا التمهيد للتعرف على تلك التيارات التى كانت تموج بها الدولة العثمانية حينئذ .

(د) فترة الاختلاط : الاتحاد والترقى ، الاتحاد الإسلامى ، التقدم الإسلامي ، الاتحاد الطورانى .

كى تكون الصورة واضحة لما كان عليه الوضع التاريخى والسياسى في العالم العربى والدولة العثمانية قبيل حروب البلقان ، حريٌ بنا أن نلقى شيئا من الضوء على تلك الأفكار والتيارات الدينية والسياسية التى كانت تهز كيان الدولة العثمانية وتؤثر بالتالي على مجريات الأحداث في المشرق العربى .

لقد كان العثمانيون مؤلفين من عدة عناصر وملل شتى ، غير أن الدولة العثمانية ذات العنصر التركى قد ارتضت الدين الإسلامى مصدرا لها ودستورا لحكمها وعاملت أصحاب الملل المختلفة في ضوء دستورها ونظام حكمها ومنحتهم حقوقهم ، وتركت لهم الحريات الكاملة في عباداتهم(١) ، لأنها وجدت في الإسلام « تنظيم العلاقات بين الراعي والرعية ، وبين الرجل وأهله ، وبين الرجل وأقاربه ، وبين الرجل وأخوانه المسلمين ، وبين المسلمين والكفار ، وبعبارات واضحة وأساليب جلية »(٢) .

إن الإسلام هو أهم عامل يجمع بين العرب وغير العرب في رابطة من أقوى الروابط ، وجامعة من أرقى الجامعات ، فالمسلم يشارك أخاه المسلم الآمال والآلام وان نأت الديار بينهم ، واختلفت المنافع المادية والسياسية ، فتراه أكثر حبا وعطفا وحنانا على أخيه المسلم ، وهذا تأكيد لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »(٣) .

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٤ ، ج١١ ، ص٨٣٢ .
(٢) الشيخ عبد العزيز بن باز : المرجع السابق ، ص٤ .
(٣) مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج١ ، ص٤٦ .

ولأن الشريعة الإسلامية كانت هي الدعامة التي ارتكزت عليها دولة الخلافة العثمانية المسلمة ، فقد كان توحيد العالم الإسلامي واعادة مجد الخلافة الإسلامية هو الأمل الذي يراود افئدة القادة المسلمين وعلمائهم [١]، وهذا ماحاول أن يقوم به السلطان عبد الحميد الثاني عندما تبنى الدعوة إلى الجامعة الإسلامية ، التي صادفت بعض النجاح ، لأن المسلمين في الدولة وفي مقدمتهم السلطان كانوا على اعتقاد كامل بأن السبب الكامن وراء ضعف الخلافة مرجعه ضعف الشعور الديني ، مما ساعد الدول المسيحية على التغلغل في أجزاء متفرقة من العالم الإسلامي[٢] .

وحين بدأ السلطان عبد الحميد في دعوته للجامعة الإسلامية وجد التأييد والعون من السيد جمال الدين الأفغاني الذي يعتبر أول من اشتغل بنشر فكرة هذه الجامعة لكن بريطانيا تصدت لها وأوقفت حركتها في مصر في بداية ظهورها[٣] .

واتجه الأفغاني إلى الاستانة ، وسعى لدى السلطان عبد الحميد ليجعل من اللغة العربية لغة للدولة باعتبارها لغة القرآن الكريم ، مؤكدا على أن هذا الاجراء سيرفع من مكانة الدولة العثمانية كدولة اسلامية ، ويزيد من هيبة السلطان كخليفة للمسلمين[٤] ، غير أن جهود الأفغاني تلك لم يتحقق لها النجاح وانتهى به الأمر أن يصبح من أعداء السلطان عبد الحميد رغم أن ظواهر افكارهما واتجاهاتهما واحدة[٥] ، ورغم أن الأفغاني « دعا إلى توحيد

---

(١) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ....، ص٥٦ ـ ٥٧ .

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٤٩ .

(٣) مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج٢ ص١٢٩ ـ ١٣٠ .

(٤) محمد عبد الكريم الوافي : الطريق إلى لوزان ـ الخفايا الدبلوماسية والعسكرية للغزو الإيطالي لليبيا ، ص١٠٧ .

(٥) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، ص٦٧ .

كلمة الإسلام وجمع شتات المسلمين في دولة واحدة تحت ظل الخلافة الإسلامية العثمانية »[1] .

حين سعى السلطان عبد الحميد الثاني لتقوية فكرة الجامعة الإسلامية وزيادة الاتجاه الديني ليحلا محل فكرة الجامعة العثمانية التي ينادي بها أنصار التنظيمات في الدولة ، فان ذلك كان عائدا إلى شعور السلطان بثقل المسئولية الملقاة على عاتقه لكي يحاول اعادة الدولة لأصولها الإسلامية الأولى ، لاسيما وهو يدرك أن العثمنة التي يُدْعَى لها حينذاك « كانت تدعو لفكرة الوطن الأم مع تساوي جميع الرعايا - أياً كان جنسهم ودينهم - أمام القانون ، وولائهم للأسرة العثمانية الحاكمة »[2] ، أي أن لفظة عثماني ذات مدلول تاريخي يعني « كل من كان في الدولة العثمانية أيا كان جنسه أو دينه أو مذهبه أو لغته في كل ممتلكات الدولة في القارات الثلاث »[3] .

من هنا كان على السلطان عبد الحميد أن لايسمح بظهور الدعوات القومية ، سواءً دعاة القومية الطورانية[4] ، أو دعاة القومية العربية في سوريا[5] ، وهذا ماجعل رجال الاستعمار الأوربي يشعرون بخطر سياسته الإسلامية تلك ، ويدعون الأمم الأوربية لمراقبتها والحذر منها ، لأنهم يؤكدون أن القصد منها هو تحدي قوات الدول المسيحية[6] .

لقد ارتبط العرب مع العثمانيين منذ دخولهم البلاد العربية برابطة الإسلام ، وكان الدين هو القاسم المشترك بينهم ، والدولة دولتهم ، وسلطان

---

(١) محمود صالح منسي : المرجع السابق ، ص٧٩ .

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٦٠ .

(٣) محمد عبد اللطيف البحراوي : المرجع السابق ، ص٢٠٢ .

(٤) علي حسون : العثمانيون والروس ، ص١٥٢ .

(٥) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٠٣ .

(٦) توفيق علي برو : المرجع السابق ، ص٣٤ .

الدولة المسلم هو خليفتهم ، حتى أن عصر التنظيمات الذى بدأ في اخراج الدولة عن منهجها الأساسى ، والجنوح بها إلى ماعرف بمرحلة التغريب هذا العصر أو تلك المرحلة لم تغير في ارتباط العرب المسلمين بالدولة ، لكونها دولة الخلافة الإسلامية ، بينما ظل المسيحيون العرب يشعرون بأنهم غرباء عن الدولة ، وأن عليهم التوجه للدول الأوربية التى تقوم على حمايتهم وتقديم المساعدات لهم ، وهذا ماأكده أحد دعاة القومية العربية الذي يرى أن فكرة القومية العربية هى التغلب على هذين الاتجاهين ، وهما تحويل أنظار المسلمين عن الدولة العثمانية ، وأنظار المسيحيين عن الدول الأوربية[١] .

من خلال ماسبق يتبين لنا أن الفترة القصيرة التى سبقت مرحلة البحث قد شهدت بروز تيارات فكرية مختلفة عصفت بالدولة العثمانية وبالتالى أثرت على المشرق العربى وهى ما آثرنا تسميتها هنا بفترة الاختلاط ، وكانت جمعية الاتحاد والترقى ، والاتحاد الطورانى أبرز هذه التيارات التى سنلقى عليها في الصفحات اللاحقة شيئا من الإيضاح الموجز ، لأن هذا الجزء بطبيعته هو تمهيد للبحث .

ظهرت الحركة الطورانية في الدولة العثمانية حين قوى الشعور القومى لدى الأتراك في أوائل القرن الرابع عشر الهجرى ، أو اخر القرن التاسع عشر الميلادى ، ويعتبر المؤرخ الأوربى ليون كاهين L. Cahun ، أول من بشر بوجود الجنس الطورانى وأهميته في الحضارة الأوروبية[٢] ، واصطلاح طوران بوجه عام هو اشارة إلى مرتفعات طوران ، الواقعة شرقى وشمال شرقى

---

(١) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص٨٢ ـ ٨٣ ، ساطع الحصرى : محاضرات في نشوء الفكرة القومية ، ص١٢١ .

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٦٠ ـ ٢٦٢ .

ايران ، واستخدم علماء الجغرافيا اسم الطورانيين ، كأحد الأجناس البشرية نسبة إلى تلك المرتفعات[١] .

وقد بدأ من يسمون الوطنيون الأتراك في احياء حركة جاهلية بعيدة عن الإسلام[٢] ، الذى كان فيه عزهم وقوة دولتهم ، حين اتجهوا إلى احياء أصولهم الطورانية ، والبحث عن أمجاد الأتراك الأوائل وربطهم بالأتراك المحدثين ، ومحاولة التخلص من الآداب والمؤثرات العربية والفارسية[٣] ، وأدى بهم هذا الاتجاه إلى انشاء جمعيات كشفية كان يسمى المنتسب اليها باسم طورانى بدلا من اسمه الإسلامى وكذلك كانت هتافاتهم وأعلامهم[٤] .

وقد ارتبطت الحركة القومية في الدولة العثمانية بما عرف في التاريخ الحديث بجمعية تركيا الفتاة « جون تورك La Jeune Turquie »[٥] ، والتى كانت على اتصال بيهود الدونمة[٦] ولا شك أن انتمائهم إلى المحافل الماسونية أثار كثيرا من الشكوك التى بدأت تحوم حولهم ، وحول أهدافهم التى يرمون من ورائها لهدم الدولة العثمانية المسلمة وتفتيتها ، وليس انقاذها كما تدعى شعاراتهم[٧] .

(١) محمد عبد اللطيف البحراوى : المرجع السابق ، ص٢٠١ .

(٢) زين نور الدين : نشوء القومية العربية ....، ص٨٩ .

(٣) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ١٥١٤ ـ ١٩١٤م ، ص٢٦٠ .

(٤) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ....، ص٨٩ .

(٥) أرنست .أ. رامزور : المرجع السابق ، ص٥٥ .

(٦) « هم أبناء اليهود اتباع اليهود ـ سبتاى زفى ـ المسيح الدجال ـ الذى ولد في أزمير في شهر يوليو سنة ١٦٢٦م وادعى أنه المسيح الذى ينتظره اليهود ، وحين كشف علماء الدولة العثمانية زيف ادعاءاته أمام السلطان العثمانى وشيخ الإسلام ، تراجع عنها وادعى الإسلام ، وقد تحول معه أتباعه للإسلام ظاهريا ، ومات سبتاى في ٣٠ سبتمبر سنة ١٦٧٥م ، وقد عرف أتباعه بالدونمه ـ وهى كلمة تستعمل كصفة مشتقة من المصدر التركى « دونمك ـ بمعنى العودة والرجوع » .
محمد عمر : يهود الدّنْمَة ، ص١٤ ، ٢٤ ، ٢٦ ـ ٣١ .

(٧) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، ص٤٩ ، ٥٦ .

وقد تشكلت في سنة ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩م نواة جمعية تركيا الفتاة من مجموعة من طلبة المدرسة الطبية العسكرية في استانبول[١] ، وقد وجدت هذه الجمعية مكانا لها في أوربا وأخذ اعضاؤها يصدرون صحفا في فرنسا وسويسرا وبريطانيا[٢] ، ثم بدأت في الانتشار وتكوين فروع لها في أنحاء متفرقة من الدولة ، وفي الاستانة ذاتها بل وفي قصر السلطان حتى أصبح كل مايجرى في القصر يصل إلى مركز الجمعية[٣] ، وفى ١٩ شعبان سنة ١٣٢٥هـ / ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٠٧م اتحدت فروع الجمعية فى سالونيك مع مركزها في باريس تحت أسم « الاتحاد والترقى العثمانى ـ عثمان ترقى واتحاد جمعيتى ـ »[٤] .

واختلف المؤرخون في آرائهم ومقاصدهم حين تحدثوا عن جمعية الاتحاد والترقى ، تبعا لاتجاهات هؤلاء المؤرخين ونظرتهم للأحداث التاريخية التى عاصرتها الجمعية حين ظهورها على مسرح الأحداث ، الا أن مايمكننا تاكيده هنا أن تلك الجمعية التى كانت تتغنى في شعاراتها بالحرص على النهوض بالدولة العثمانية واعادتها لسالف مجدها ، لم تستطع أن تعيد للدولة العثمانية تلك القوة الذاتية التى تجعل منها امتدادا للدولة الإسلامية الأولى التى قامت على أسس ودعائم مميزة أكسبتها تلك المكانة الدولية ، وانما أصبحت عاملا من عوامل الخلل الذى بدأ يظهر في جسم الدولة .

استغلت جمعية الاتحاد والترقى أخبار ذلك الإجتماع الشهير الذى عقد في ريفال بين ملك انجلترا ادوارد السابع وقيصر روسيا نيقولا الثانى في

---

(١) أرنست . أ . رامزور : نفس المرجع ، ص٤٩ .

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٥٩ .

(3) Bleda, op. cit, pp. 30 -- 31 .

(٤) أرنست . أ . رامزور : المرجع السابق ، ص١٣٨ ـ ١٣٩ .

جمادى الأولى سنة ١٣٢٦هـ الموافق لشهر يونيو سنة ١٩٠٨م[١] ، لاسيما وأن أصداء المعاهدة الروسية البريطانية المعقودة سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م كانت لاتزال تتردد في نفوس العثمانيين ، وأحسوا بالخطر الروسى من الشمال يهدد دولتهم[٢] ، حينئذ توالت البرقيات من مختلف القطاعات العسكرية تطالب السلطان عبد الحميد الثانى باعادة الدستور[٣] .

لم يجد السلطان بدا من الرضوخ لتلك الطلبات وسارع باعلان الدستور في ٢٥ جمادى الثانى سنة ١٣٢٦هـ الموافق ٢٤ يوليو سنة ١٩٠٨م[٤] ، واعلان الدستور في الدولة العثمانية أو اعادته حينذاك تأكيد على تحول الدولة عن نظمها الإسلامية التى تعتبر مرتكزا للدولة والروح الحى الذى تتنفس من خلاله ويؤكد ماذهبنا إليه هنا أن البرلمان الجديد الذى عقد أول جلساته في ٢٤ ذو القعدة ١٣٢٦هـ الموافق ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٨م تحت رعاية السلطان قد ضم ٢٦٠ عضوا منهم ٢١٤ من المسلمين ،و٤٢ من المسيحيين ، و٤من اليهود[٥] ، فدخول هذه العناصر غير الإسلامية يعتبر « أخطر تحول في تاريخ الدولة العثمانية مما أثر تأثيرا كبيرا على أوضاع الدولة وخاصة في المنطقة العربية »[٦] ، وهو تأكيد على سقوط هيبة دولة الخلافة وبعدها عن خطها الإسلامي الأول .

انتهزت الدول الأوربية وبشكل خاص روسيا ، وحكومة النمسا ـ المجر قيام ثورة الاتحاديين وسقوط السلطان عبد الحميد ، لتحقق امالها الاستعمارية

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٦٦ .

(٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص١١٦ .

(٣) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٦١ .

(٤) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ص٣٥٠ .

(٥) زين نور الدين زين : الصراع الدولى في الشرق الأوسط وولادة دولتى سوريا ولبنان ، ص٥٥ .

(٦) منيرة عبد الله العرينان : المرجع السابق ، ص٦٢ .

في أطراف الدولة العثمانية[١] ، ففى الوقت الذى كان يظن فيه زعماء الاتحاد والترقى أن في استطاعتهم كسب ثقة الدول الأوروبية ، وأن الدستور كفيل بالغاء التمييز بين العثمانيين على اختلاف طبقاتهم وأديانهم وأجناسهم[٢] ، أعلنت حكومة النمسا ـ المجر عن ضمها لأقليمي البوسنة والهرسك[٣] ، فيما كانت شئون المضائق تستأثر باهتمام شديد وأولوية قصوى من وزير الخارجية الروسى[٤] .

أحدقت برجال الاتحاد والترقى صعوبات عدة ، وظهر فريق آخر داخل الدولة ينافسهم السلطة هو حزب اتحاد الأحرار العثمانى[٥] ، ومع ذلك فان الميول نحو العلمانية كانت السمة البارزة في سياسة الاتحاديين الذين كانوا يتأرجحون بين الاتجاهين العلمانى والدينى ، وهذا ماجعلهم يتخبطون في سياستهم بين الجامعة العثمانية ، وحركة التتريك والحركة الطورانية ، والجامعة الإسلامية[٦] .

لم تكن الدولة العثمانية في هذه الفترة تتحمل تلك الصراعات وهذا التأرجح الذى يبعدها عن النظم الإسلامية ، ولكن أعضاء الاتحاد والترقى وغالبيتهم من ضباط الجيش لم يكونوا رجال سياسة يستطيعون من خلالها الوقوف أمام دهاء ومؤامرات رجال السياسة في الدول الأوروبية[٧] ، ناهيك عن ذلك خليط الأجناس والأديان الذى كان سمة بارزة لأعضاء جمعية الاتحاد

---

(١) محمد رفعت : التوجيه السياسى للفكرة العربية الحديثة ص٩٦ .

(٢) محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص٣١٦ .

(3) Mahmud, Muhtar: Balkan Harbi, P. 181.

(4) Hoskins, op. cit, p. 25.

(٥) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٧٠ .

(٦) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص١٣٩ .

(٧) محمد فريد بك : المرجع السابق ، ص٧٢٩ .

والترقى ، ويزيد من سيئات ذلك كله أن اليهود كانوا اكثرية في الجمعية ، وكانوا أصحاب نفوذ وقوة[1] .

انطلقت الحركة العلمانية في الدولة العثمانية على أيدى الاتحاديين تقليدا للحركة العلمانية في أوربا ، وكانت تستهدف علّمَنة التربية والقضاء ، وقد كان رد الفعل قويا لدى علماء المسلمين ، لاسيما أعضاء الاتحاد الإسلامى الذين يرون أن الإسلام لايمكن له أن يتلاقى مع هذه الحركات ، وأن أى تقدم يحصل للعالم الإسلامى ومصدره الحضارة الأوربية فيما يختص بنظام الحكم ، أمر لايمكن تحقيقه ولا يجب الأخذ منه ولكى يتم لهم تحقيق هذا الإتجاه قاموا بتأسيس جمعية « التقدم الإسلامي » ، فى محاولة منهم لتقوية الروابط بين مختلف الشعوب الإسلامية وتطوير حياتها الفكرية وتقدمها الإقتصادى في ظل دولة الخلافة العثمانية[2] .

وقام احد الشيوخ غير البارزين في الدولة يعاونه مجموعة من أتباعه بتأسيس جمعية باسم « اتحاد محمدى » ، وأصدروا صحيفة باسمها ، وكانوا يهاجمون من خلالها جمعية الاتحاد والترقى ، واصفين أعضاءها بالالحاد والماسونية[3] ، وهذا ما أكده بعد ذلك السفير البريطانى في الآستانة فى رسالته السرية التى وجهها لوزير خارجيته ، حين أكد أن الاتجاه الأول لجمعية الاتحاد والترقى ليس « تعديل وتحديث الشريعة الإسلامية ... وانما هدم أسس الشريعة وتحطيمها ، ... لأن معظم قادة الجمعية هم صراحة علمانيون وعقلانيون »[4] .

---

(١) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص١٧٦ ، أورخان محمد على : المرجع السابق ، ص٢٨٦ .

(٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية ، ص٨٥ ـ ٨٩ .

(٣) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص١٢٧ .

(٤) أورخان محمد على : المرجع السابق ، ص٣٠٢ .

وقد أصبحت الدولة العثمانية حينئذ مسرحا للأحزاب والجمعيات التى تقوم تباعا وبأسماء مختلفة ، فالاغريق أسسوا حزبا لهم في مجلس المبعوثان ، والاتراك أسسوا حزبى « ترك أوجاغى ـ الوطن التركى » و « ترك يورتى جمعيتى ـ جمعية المملكة التركية ـ » ، والمعارضين للاتحاد والترقى ألفوا حزب « الحرية والائتلاف »[١] ، وفى بعض فصول البحث سنتحدث بشىء من التفصيل عن بعض هذه الأحزاب التى لعبت دورا في حرب البلقان وتاريخ الدولة العثمانية في تلك الفترة ، والتى كان لها أثراً على المشرق العربى العثمانى وعلى الحركة العربية فيه .

وقد برزت الاتجاهات المتنافرة في الدولة من خلال نواب مجلس المبعوثان ، فمنهم دعاة العودة إلى الإسلام ونظمه ، ومنهم المنادون بالخلافة الاسلامية التى هى مرتكز للدولة العثمانية ، ومنهم النصارى وطلاب الامتيازات من المسيحيين واليهود وغيرهم ، وبالتالى ظهر هذا التنافر على شكل قوميات متباعدة ومتباغضة حين برزت من خلال هذا المجلس ـ التركية ، والعربية ، واليونانية ، والبلغارية ، والأرمنية ، وما إلى ذلك[٢].

وفى تقريره السنوى لوزارة الخارجية البريطانية أكد السفير البريطانى في الاستانة ذلك الضعف الذى تمر به الدولة العثمانية ، وأن من يقومون على تدبير أمورها السياسية لم يحددوا مسارهم الذى يرغبون السير فيه ، وهو يلقى باللوم في ذلك على تباعد اتجاهاتهم واختلاف أفكارهم[٣] .

---

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٣٠١ ، ٣٠٧ ، ٣٢٦ ، أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٧٥ .

(٢) جريدة الأهرام عدد ١٠٦١٥ في ٢٣ صفر ١٣٣١هـ .

(3) F. O. 424\250, Annual, Report, 1910. No. 103 "Sir, G. Lowther to Sir Edward Grey" 14.2.1911.

ولقد كان دعاة التنصير الأوربيين يرقصون فرحا لقيام ثورة الاتحاد والترقى التى أزاحت السلطان عبد الحميد من طريقهم ، ليصولوا ويجولوا في مختلف جهات الدولة العثمانية ويقضوا على البقية الباقية من حركة الجامعة الإسلامية[1] ، وهذا بطبيعة الحال تأكيد على أن عودة الدستور - المشروطية الثانية - لم تكن علاجا لأمراض الدولة المزمنة ، وهو ماأكده السلطان عبد الحميد حين قال : « أقراص السلفات لاتصلح لكل مرض ، أو لكل بنية ، وأظن أن أصول المشروطية لاتصلح لكل شعب ، .... كنت أظن أنها غير مفيدة ، أما الآن فانني مقتنع بضررها »[2] .

هكذا كانت سياسة أعضاء جمعية الاتحاد والترقى ، وهكذا كانت الحالة السياسية في الدولة العثمانية بعد عودة الدستور - المشروطية الثانية - ، وقبيل حروب البلقان التى هى مدار هذا البحث ، وهذا يظهر لنا أن الدولة العثمانية تمر بفترة اختلاط سياسية وعقائدية متباينة ، ولكنها مع ذلك لم تعدم المخلصين من ابنائها المسلمين الذين حاولوا مقاومة هذه الأخطار ، والابقاء على نظم الدولة الإسلامية ، ليستمر لها البقاء ، ولكن الأمراض والأزمات قد استشرت فى جسم الدولة ، وصعب الدواء أمام الداء ، وزاد على ذلك كله تتابع الأزمات الجسام التى أمست تحل على الدولة العثمانية بدءاً بحرب طرابلس الغرب ، التى زادت الجرح اتساعا ، ومرورا بحربى البلقان التى أفقدت الدولة اتزانها وأظهرت إلى سطح الأحداث الكثير من المشاكل التى كانت تحت الرماد ، وهذا كله ماسنعرفه من ثنايا هذا البحث الذى يدور محوره حول تلك الحروب وآثارها ونتائجها على الدولة العثمانية والمشرق العربى العثمانى .

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج ٨ ، ص٦٠٥ - ٦١٦ .

(٢) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، ص٢٩ .

الفصل الأول

الحرب الطرابلسية ١٩١١ / ١٩١٢م

أ ـ حكومة الاتحاد والترقي ومعاهدة لوزان ١٣٣٠هـ/١٩١٢م

ب ـ دفاع العرب عن الدولة والخلافة .

ج ـ صدى حرب طرابلس في ولايات الدولة العثمانية في البلقان

د ـ حزب اللامركزية الإدارية العثماني .

(أ) حكومة الاتحاد والترقى ومعاهدة لوزان ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م

كانت طرابلس الغرب والأقاليم التابعة لها جزءاً من الدولة العثمانية منذ القرن العاشر الهجرى ، أواسط القرن السادس عشر الميلادى ، واستمرت على ذلك الولاء للدولة حتى غزاها الايطاليون في أوائل القرن الرابع عشر الهجرى ، أوائل القرن العشرين الميلادى[١] .

ورغم أن السلطان عبد الحميد الثانى اهتم بولاية طرابلس الغرب حيث عنيت حكومته بتعليم الأهالى النظام العسكرى وأنشأت فيها فرقا من الفرسان « الالايات الحميدية » ، الا أن وسائل الدفاع قد ضعفت في تلك الولاية منذ تولى جمعية الاتحاد والترقى مقاليد الأمور في الدولة العثمانية[٢] .

واذا كانت ايطاليا قد استطاعت أن تلعب مع الدول الأوربية لعبة دبلوماسية معقدة لتضمن موافقة أبرز تلك الدول على استيلائها على طرابلس الغرب[٣] ، فانها كانت ومنذ سنين عدة تتبع سياسة اقتصادية وتجارية مع طرابلس ، دون معارضة العثمانيين[٤] ، مما سهل لها في نهاية الأمر تحقيق أطماعها الاستعمارية في ذلك الاقليم .

ولقد بذل الايطاليون محاولات جادة لدى الدول الأوربية ، ولدى الدولة العثمانية لكى يحصلوا على تسهيلات أكثر ، فى تحقيق تطلعاتهم في ذلك الاقليم ، ولكى يحولوا دون المعارضة المستمرة من رجال الدولة العثمانية تسهيلا للغزو العسكرى المرتقب[٥] .

---

(١) محمد فؤاد شكرى : ميلاد دولة ليبيا الحديثة ـ وثائق تحريرها واستقلالها ص٩ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٤ ، ج١٠ ، ص٧٨١ ، حقي العظم = الحرب البلقانية ـ أسباب ونتائج ، جريدة المقتبس عدد ١٠٤٧ في ٧ ذى الحجة ١٣٣٠هـ .

(٣) عبد المنصف حافظ البورى : الغزو الايطالي لليبيا دراسة في تاريخ العلاقات الدولية ، ص٢١ ـ ٢٢

(4) J. A. R. Marriott: The Eastern Question, An Historical study in European Diplomacy, p. 440.

(5) F. O. 424\226, No. 32, "Sir, R. rodd to sir, Edward Grey", Rome, 31. 12. 1910. p.28.

لقد قام السفير العثمانى في روما بتنبيه حكومته إلى الأطماع المبيته لدى الايطاليين ، والتدابير العسكرية المستمرة التى تقوم بها الحكومة الإيطالية للاغارة على طرابلس الغرب ، ولكن التضليل السياسى الذى إتبعته الحكومة الإيطالية مع المسئولين العثمانيين أدى مفعوله كاملاً[1] ، وفى اليوم الثالث من شهر شوال ١٣٢٩هـ الموافق للسادس والعشرين من سبتمبر ١٩١١م ، استغلت الحكومة الإيطالية احتفالات الدولة العثمانية بعيد الفطر المبارك ، وانشغال المسئولين فيها بأفراح العيد ، وتعطيل الحياة العامة فى الدولة ، لتبعث حينذاك وبشكل مفاجىء انذارها الشهير الذى أعلنت فيه عن عزمها احتلال اقليمى طرابلس الغرب وبنغازى ، وسلم الانذار إلى حكومة الاستانة في اليوم التالى وطلب الرد عليه خلال أربع وعشرين ساعة[2] .

ومن خلال قراءتنا للانذار الإيطالي يتبين لنا أن الحيثيات التى استندت اليها الحكومة الإيطالية هى في جوهرها وفى مجملها أهداف استعمارية مبيتة ، وتدخّل في شئون دولة أخرى ذات سيادة واستقلالية تامة ، غير أن ضعف الدولة العثمانية حينذاك ، وادراك الايطاليين لهذا الضعف ورغبتهم في تحقيق مكسب استعمارى لهم في أملاك الدولة هو مادفعهم لهذا الإتجاه ، وطلبوا من الدولة الغثمانية قبول هذا الإحتلال والتنبيه على السلطات التركية والقوات المسلحة عدم الاصطدام بهم[3] .

سارعت الحكومة العثمانية بالرد على الانذار الإيطالى بموجب مذكرتها الجوابية المؤرخة في ٦ شوال ١٣٢٩هـ الموافق ٢٩ سبتمبر ١٩١١م ، والتى

(١) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص٤٣٠ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٤ ، ج ١٠ ، ص٧٨٢ ـ ٧٨٣ ، الطاهر أحمد الزاوى : المرجع السابق ، ص٢٦ ـ ٢٧ .

(٣) محمد عبد الرحمن برج : دراسة في التاريخ العربى الحديث والمعاصر ، ص٢٣ .

أبدت من خلالها رغبتها في تسوية النزاع سلميا ، في محاولة لفتح باب المفاوضات والمحافظة على ما أسمته صلات الصداقة والثقة مع الحكومة الإيطالية ، وتنصلت من مسئولية أية أعمال كانت نتيجة للحكم الماضى[١] .

غير أن الحكومة الإيطالية التى هيأت كل شيء لخوض غمار الحرب ، وبعد اطلاعها على الرد العثماني ، أعلنت الحرب على الدولة العثمانية في نفس اليوم ـ الذى كتب فيه الرد العثمانى ـ وقطعت علاقاتها السلمية مع الدولة العثمانية وأبلغت الدول الأوربية باعلانها الحرب على تركيا[٢] .

قامت الدولة العثمانية بحملة دبلوماسية مكثفة علها تستجلب عطف الدول الأوربية ومساندتها للوقوف أمام الغزو الإيطالي ، وحاولت أن تكون في حملتها تلك على درجة كبيرة من الاعتدال ، غير أنها مع شديد الأسف وجدت نفسها فى الميدان تصارع وحدها عدة قوى[٣] .

فقد تخلت الدول الأوربية كلها عن الدولة العثمانية ، بدءاً بفرنسا التى أصدرت بياناً اعلنت فيه حيادها وعدم قدرتها على التوسط لانهاء الحرب في الوقت الراهن ، وسارت روسيا على نفس النهج ، أما بريطانيا فرغم حساسية موقفها ، لاسيما أمام رعاياها في العالم الإسلامى ، فإنه لم يطل ترددها لتعلن هى الأخرى ما أسمته بالحياد ، ولكنه ليس حياداً بالمعنى الصحيح اذ أنها أرغمت مصر على الحياد وهذا فيه مساعدة لحكومة ايطاليا المعتدية ، لأن مصر بلد اسلامى ولا زالت تخضع للسلطان العثمانى ، وبالامكان ارسال

---

(١) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص٤٣٠ ـ ٤٣١ .

(٢) محمد عبد الكريم الوافى : المرجع السابق ، ص٧٥ ـ ٧٦ ، محمد كمال الدسوقى : المرجع السابق ، ص٣٢٦ .

(٣) مصطفى كريم : مسألة غزو ايطاليا الاستعمارى لليبيا ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد السادس ، يوليو ١٩٧٦م ، ص١٣٦ ـ ١٣٧ .

الأسلحة والمؤن عن طريقها ، وقد وقفت كل من المانيا والنمسا نفس الموقف الذى وقفته الدول الأوربية سالفة الذكر[١] ، رغم ماأشيع على اعمدة الصحف من قيام ممثلى الدول الأوربية ، وبصفة خاصة المانيا ـ باجراء مباحثات تمهيدية لانهاء هذا الصراع بين الدولة العثمانية وايطاليا[٢] .

وهكذا أصبحت حكومة الدولة العثمانية في عزلة سياسية وأصبح الأعداء يتربصون بها الدوائر ، وهى التى كانت تعتقد أن صداقتها للدول الأوربية ذات مرتكزات ثابته واحترام متبادل[٣] .

ويذهب أحد المؤرخين إلى أن الإعجاب الذى كان يحمله أعضاء حكومة الاتحاد والترقى لأوربا وحضارتها هو الذى جعلهم يثقون في أوربا ثقة عمياء ، وهو ماتبين من خلال ندائهم الذى وجهوه للرأى العام الأوربى ، وأشاروا من خلاله إلى أن « الجمعية تناشد روح العدالة والنزاهة التى تتميز بها أوربا ، وتنتظر بصبر ذلك الحكم الذى سيصدره الرأى العام الأوربى في هذا الخصوص[٤] » ، أما صحافة الاتحاديين فهى الأخرى لم تخف اعجابها بموقف الرأى العام البريطانى ، الذى رأت أنه يزداد غضبا على الايطاليين ومسلكهم في طرابلس[٥] .

وعندما بدأت الحرب كانت القوات العثمانية المرابطة في طرابلس لاتتجاوز ستة آلاف شخص هى مجموع الفرقة الثانية والأربعون وكان سلاحهم في معظمه أسلحة قديمة وسيوف وخناجر ، في حين كانت التحصينات تفتقد إلى المدفعية القوية التى تجابه الانزال الإيطالى[٦] ، المؤلف من ثمانية آليات

---

(1) A. J. P. Taylor: The Struggle for Mastery in Europe, 1848 - 1918. P. 474.

(٢) جريدة طنين التركية عدد ١١٣١ في ٤ ذى القعدة ١٣٢٩هـ .

(٣) مذكرات لورد غراى : المصدر السابق ، ص٦ .

(٤) محمد عبد الكريم الوافى : المرجع السابق ، ص٧٦ ـ ٧٧ .

(٥) جريدة طنين التركية ، العدد السابق في ٤ ذى القعدة ١٣٢٩هـ .

(٦) ز . ب . ياخيمولتش : المرجع السابق ، ص٧٤ .

من المشاه وألين من الجنود الراكبين ، وعشرة آلاف من الخيالة ورماة المدفعية والمهندسين ، حيث وصل مجموع أفراد القوات العسكرية إلى أربعة وأربعين ألفا[١] .

ومع هذا سارع السفير الايطالى في لندن بمقابلة السير ادوارد جراى Sir, Edward Grey وزير خارجية بريطانيا في ١٨ شوال ١٣٢٩هـ / ١١ أكتوبر ١٩١١م ، مبديا له خوف الحكومة الإيطالية من تحركات الأسطول العثمانى في البحر الأحمر ، والذى بدأ يستقبل القوات العثمانية في اليمن ويضمها إليه فى محاولة منه لفك الحصار المفروض على سواحل طرابلس الغرب من قبل الأسطول البحرى الإيطالي ، ولم يخف السفير الإيطالي رغبته في أن تلعب بريطانيا دوراً واضحاً في تحييد البحر الأحمر في هذه الحرب ، وأن يكون نقل هذه الرغبة لرجال السياسة في الاستانة باسم البريطانيين لكى لايؤخذ هذا العرض على أنه ضعف في الحكومة الإيطالية[٢] .

أما الدولة العثمانية فقد كان الوضع السياسى في داخلها لايقل في اضطراباته وصراعاته عن أزمة الحرب المستعرة مع ايطاليا ، فرغم أن المجلس النيابى في الدولة العثمانية قد اسقط وزارة حقى باشا الاتحادية[٣] التى حامت حولها كثير من الشكوك والاشاعات فى تمكين ايطاليا من ولاية طرابلس[٤] ، الا أن تأليف وزارة اتحادية جديدة برئاسة سعيد باشا والابقاء على بعض الوزراء من الوزارة السابقة[٥] ، زاد من حدة التفكك السياسى

---

(١) الطاهر أحمد الزاوى : المرجع السابق ، ص٤٩ .

(2) F. O. 424/229, No. 13, "Sir, Edward Grey to Sir, R. Rodd" Foreign office, 11. 10. 1911. p. 8.

(٣) سليمان فيضى : في غمرة النضال ، ص١٠٠ .

(٤) حسين هادى الشلاه : السيد طالب النقيب ودوره في تاريخ العراق الحديث ، ص١٥٩ .

(٥) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٣٣٢ .

داخل مجلس المبعوثان العثمانى وضاعف من شدة الصراعات ، فى وقت كانت الدولة فيه تحتاج إلى الألفة والاتفاق ، وهذا ماظهر واضحا على صفحات الصحف الصادرة في الاستانة والتى بدأت في شن حملاتها على الحكومة الاتحادية الجديدة التى ألفها سعيد باشا ، حتى أنها اتهمت الاتحاديين في سياستهم التى يتبعونها بأنها لن تقتصر في تدميرها على الاتحاديين أنفسهم وانما سيشمل تخريبها الدولة العثمانية بكاملها ، وهذا ناتج عن أن أعضاء جمعية الاتحاد والترقى لايفكرون الا فى مايحقق لهم البقاء في الحكم كما تقول تلك الصحف(١) .

ومع هذا لم تقف الدولة العثمانية مكتوفة الأيدى تجاه هذا الغزو الإيطالى ، فهى تدرك سوء النية المبيتة والأطماع المتزايدة في املاكها ، ففى الوقت الذى قامت فيه بطرد الموظفين والمستخدمين الايطاليين العاملين في أجهزة الدولة ردا على ماقامت به القوات الإيطالية من طرد للموظفين العثمانيين العاملين في ادارات الدولة في طرابلس وبنغازى فانها أعدت تجهيزات صحية كبيرة لاستقبال الجرحى والمرضى المتضررين من هذه الحرب(٢) .

كما وضع رجال الدولة العثمانية خطة حربية خاصة تهدف إلى ارسال مجموعة من الضباط بصورة سرية إلى طرابلس الغرب عن طريق تونس أو مصر ، ليكونوا من هناك جيشا محليا من الأهالى ثم يقومون بتدريبه ، أما الأسلحة فقد كانت تهرب لهم عن طريق مصر التى كانت تتساهل في ذلك إن لم تكن تساعد عليه ، تاييداً لاخوانهم الطرابلسيين(٣) .

---

(١) جريدة المقطم عدد ٦٩٢٠ في ١٣ محرم ١٣٣٠هـ ، وعدد ٦٩٢١ في ١٤ محرم ١٣٣٠هـ .

(2) F. O. 424\250, Annual, Report, 1911. No. 100, "Sir, Glowthor to Sir, E. Grey" Constantinople, 31. 1. 1912. p. 52.

(٣) مذكرات سليم على سلام ، تحقيق حسان على حلاق ص١٢٦ ـ ١٢٧ ، ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص١٠٢ .

وفى ١٤ ذى القعدة ١٣٢٩هـ الموافق ٥ نوفمبر ١٩١١م اقرت الدوائر الحاكمة فى ايطاليا مرسوما ملكيا أعلن سيادة المملكة الإيطالية التامة والشاملة على طرابلس الغرب وبرقة[١] إلا أن البـاب العـالى رد على ذلك المرسوم باحتجاج شديد اللهجة موضحا فيه أن المرسوم يعتبر باطلا « سواء من الناحية القانونية أو من الناحية التطبيقية ، ... ومخالف لأبسط مبادىء القوانين الدولية ، لأن تركيا وايطاليا ماتز الان فى حالة حرب ، ولأن الحكومة التركية مصممة على الحفاظ وعلى الدفاع بقوة السلاح عن حقوقها فى الاقليمين المذكورين اللذين لايحق لأحد نزعهما عنها أو التصرف فيهما »[٢] .

ولقد شكل الغزو الايطالي لطرابلس خطرا جسيما على الدولة العثمانية بشكل عام ، ولحكومة الاتحاد والترقى بشكل خاص ، وهذا ماجعل اليأس يدب في نفوس المسئولين ، فوزير الحربية العثمانية يصرح أمام مجلس الوزراء أن دولته قد فقدت طرابلس وبنغازى ، ولاجدوى من التضحية بالجنود في قضية خاسرة كما قال ، فى الوقت الذى يعترف فيه الصدر الأعظم بعجز الدولة عن الاحتفاظ بهاتين الولايتين ، وهو حينئذ يرى عدم اثارة المسألة الشرقية بشكل عام[٣] .

ولعل مشاركة البعثات الأجنبية ــ ولا سيما البريطانية ــ في تقديم المساعدات الطبية والعلاجية للجرحى في معركة طرابلس الغرب بصورة نالت استحسان المسئولين العثمانيين كانت دليلا على مرحلة الضعف والانهيار للدولة العثمانية على جبهات القتال[٤] .

---

(١) ز . ب . ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص١٠٤ ــ ١٠٥ .

(٢) محمد عبد الكريم الوافى : المرجع السابق ، ص١٠١ .

(٣) ز . ب . ياخيموفتش : نفس المرجع ، ص٧٥ .

(٤) جريدة طنين التركية عدد ١٢٩٩ في ٢٥ ربيع الثانى ١٣٣٠هـ .

من هنا كان جنوح حكومة الاتحاد والترقى لابرام الصلح مع الحكومة الإيطالية ، وكان رئيس الوزراء العثمانى مستعدا للقيام ببعض التنازلات على أن يأتى العرض من الدول الأوربية إلا أن المشروع العثمانى كان مختلفا كل الاختلاف مع مشروع سفراء الدول الأوربية المعروض في أوائل ربيع ثانى ١٣٣٠هـ ، الأسبوع الأول من ابريل ١٩١٢م[١] .

فقد أقدمت ايطاليا على خطوة أكثر جرأة ، لتضع الدول الأوربية والدولة العثمانية أمام الأمر الواقع ، فقامت أساطيلها البحرية في الثامن عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٣٠هـ الموافق ٤ مايو سنة ١٩١٢م ، باحتلال الجزر العثمانية في البحر المتوسط ، ومن أشهرها جزيرة رودس ، وأرخبيل الدوديكانيز Dodecanes في بحر ايجه[٢]، ثم قامت بتهديد مدخل الدردنيل ، وقصفت ميناء بيروت على ساحل الشام وكأنها بذلك تدعو إلى توسيع رقعة الحرب ، وهذا ما أثار الدول الأوربية خاصة بريطانيا العظمى صاحبة الاشراف المباشر على الحركة البحرية المتجهة إلى البحر الأسود وقناة السويس[٣] .

وقد أقامت ايطاليا ادارة لهذه الجزر، وأصدرت بها طوابع بريد ايطالية ، واستبدلت بالبحارة الذين قاموا بعملية الاحتلال حاميات ايطالية من الجنود وحملة البنادق الصغيرة ، كما استبدلت بالأعلام العثمانية أعلاما ايطالية ، حينذاك سارعت الحكومة العثمانية إلى إجراء بعض التحصينات لسواحل آسيا الصغرى خوفا من هجوم ايطالى جديد على تلك السواحل[٤] .

---

(١) محمد عبد الكريم الوافى : المرجع السابق ، ص١٧٥ ـ ١٧٦ .

(٢) ز . ب . ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص١٥٠ .

(٣) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية ـ القرن التاسع عشر ١٨١٥ ـ ١٩١٤م ، ص٦٥٦ .

(٤) ز . ب . ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص١٥١ ـ ١٥٢ .

في هذه الفترة الحرجة من تاريخ الدولة العثمانية استقالت وزارة الاتحاديين في أواخر شهر رجب ١٣٣٠ هـ ، المصادف لشهر يوليو ١٩١٢ م لتتولى الحكم وزارة أطلق عليها اسم « الوزارة الكبرى » وقد ألفها أحمد مختار باشا الغازي[١] ، وقد استلمت هذه الوزارة الحكم في وقت كانت الحالة السياسية في الدولة العثمانية قد بلغت من الحرج حداً لا يمكن لهذه الوزارة أن تخرج منه دون تضحية كبيرة تقدم عليها ، وهو ما تحقق في معاهدة الصلح مع ايطاليا بعد ذلك ببضعة أشهر .

حاولت الوزارة الاتحادية التي كان يرأسها سعيد باشا أن تفتح باب المفاوضات مع ايطاليا عن طريق بعض الدول الأوربية ، وقد لعب بعض رجال الأعمال اليهود المؤيدين لجمعية الاتحاد والترقى دوراً بارزاً في بدء هذه المفاوضات[٢] ، وكانت محاولات الصلح تلك تجرى في طى الكتمان ، بينما تعلن الحكومة عن شديد تمسكها بوحدة الدولة العثمانية وعدم التفريط في ولايتى طرابلس وبنغازى[٣] .

ولقد بين وزير خارجية بريطانيا لسفير دولته في الاستانة مدى معارضة الحكومة الايطالية للمقترحات التي طرحها وزير الخارجية العثماني في حكومة الاتحاديين ، واقترح الوزير البريطاني بدوره مشروع سلام ، يحول كثيراً دون إراقة ماء الوجه للسياسة التركية كما قال ، ويتلخص مشروعه هذا في أن تعترف الدولة العثمانية بسيادة ايطاليا على الأمور المدنية مقابل إعتراف إيطاليا بالسيادة الروحية للسلطان ، والسماح للمسلمين بممارسة عباداتهم

---

(1) Feroz Ahmad: Ittihat Ve Terakki, 1908 - 1914, P. 184.

(٢) جريدة المقطم عدد ٦٩٧٥ في ١٩ ربيع أول ١٣٣٠هـ .

(٣) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٤٠٤ .

الدينية بحرية تامة ، والبقاء على قوانينهم وعاداتهم ، وعلى أن تدفع ايطاليا مبالغ سنوية عن طريق شيخ الإسلام اعترافا بالخلافة الروحية(١) .

وقد حاولت كل من حكومة النمسا ـ المجر ، والحكومة الفرنسية أن تقوما بدور الوساطة لإيقاف الحرب بين كل من الدولة العثمانية وايطاليا ، غير أن مساعيهما لم تلق نجاحاً ينكر في كلا الدولتين(٢) ، ولكن الحكومة الأئتلافية الجديدة التي ألفها مختار باشا الغازى كما أسلفنا ، لم تحاول المراوغة وكتمان المفاوضات مع الايطاليين وإنما أعلنت في برنامجها أنها ستواصل الحرب مع ايطاليا ، ولن ترفض المفاوضات التي تؤدى إلى صلح مشرف يحفظ للدولة العثمانية حقوقها وكرامتها(٣) .

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن المفاوضات السرية بدأت في مدينة لوزان في سويسرا في أوائل شهر رجب سنة ١٣٣٠ هـ المصادف لشهر يونيو سنة ١٩١٢ م ، وطرح فيها الجانب العثماني استعداده لإعلان استقلال طرابلس تحت رئاسة أمير مسلم تابع للسلطان العثماني(٤) ، إلا أن ما اتفق عليه غالبية المؤرخين هو أن هذه المفاوضات قد بدأت بالفعل إبان حكومة الاتحاد والترقى ، وأن أول جلسة عمل عقدت بين الطرفين ـ العثماني والايطالى ـ كانت في الثامن والعشرين من شهر رجب ١٣٣٠ هـ ، الموافق للثاني عشر من يوليو ١٩١٢ م ، وقد قدم خلالها الوفد العثماني كثيرا من التنازلات لعقد الصلح ومن أبرزها منح ايطاليا قاعدتين بحريتين على الساحل ، فضلا عن امتيازات

---

(1) F. O. 424/231, No. 160, "Sir, Edward Grey to Sir, G. Lowther", Foreign office, 4. 6. 1912. p. 137.

(٢) ز . ب . ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص ١٥٨ ، ١٦١ .

(٣) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٣٩٦ .

(٤) جلال يحيى : العالم العربي الحديث ـ المدخل ـ ص ٤٥٧ ـ ٤٥٨ .

اقتصادية هامة ، إضافة إلى منح الاستقلال الذاتي لطرابلس ، ولكن الطرفين وصلا إلى طريق مسدود في هذه المباحثات(١) .

بعد تلك المحاولات اليائسة التي حاولت من خلالها حكومة الاتحاديين أن تغلق المضائق ، وأن تزرع الألغام في مداخلها وبعد تدخل الدول الأوربية للحيلولة دون ذلك(٢) ، لم يعد أمام حكومة أحمد مختار باشا الغازى ـ الجديدة، والتي أصبحت تواجه مأزق سياسية وعسكرية في الداخل والخارج على حد سواء لم يعد أمامها حينذاك إلا استئناف المفاوضات مع ايطاليا ، وهو ما يمكن أن نسميه بالمرحلة الثانية من المفاوضات العثمانية ـ الايطالية والتي بدأت في الأول من شهر رمضان المبارك ١٣٣٠ هـ الموافق ١٣ أغسطس ١٩١٢ م في ضاحية كو Caux التابعة لمدينة لوزان Lausanne السويسرية(٣) .

وقد مثل الدولة العثمانية في المفاوضات كل من :

١ ـ محمد نابى بك ، مندوب فوق العادة .

٢ ـ رومبيو غلو فخر الدين بك ، مندوب فوق العادة ووزير مفوض .

كما مثل الحكومة الايطالية كل من :

١ ـ نائب البرلمان بييترو برتوليني Pietro Bertolini.

٢ ـ نائب البرلمان ومستشار الدولة قويدو وفوزيناتو Guido Fusinato .

٣ ـ جوسبى فولبى Giuseppe Volpi ، مستشار(٤) الدولة .

---

(١) الطاهر أحمد الزاوى : المرجع السابق ، ص ٩٨ .

(2) F. O. 424/250, Annual, Report, 1912. No. 315, "Sir, G. Lowther to Sir Edward Grey", Constantinople, 17. 4. 1913. P. 12.

(٣) ز . ب . ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(4) Muahede name, Numorasi, 335. "Osmanli Arsivi Daire Baskanligi. Ist.
J. C. Hure Witz : The Middle East and North Africa in World Polities, Vol, 1. P. 552.

وقـد انتـقل الوفـدان المـتفـاوضـان إلى ضـاحـيـة أوشي Ouchy مـن ضواحي لـوزان منـذ الثـاني والعشـريـن مـن شـهـر رمضـان ١٣٣٠ هـ الموافق ٣ سبتمبر ١٩١٢ م(١) ، وطالت مفاوضاتهما لأكثر من شهر منذ ذلك التاريخ ، وكل منهما يحاول أن تكون المقترحات التي يطرحها هي الأساس لتوقيع المعاهدة المنتظرة غير أن الأفكار والآمال كانت متباعدة لدى الجانبين .

ولقد حاول أعضاء جمعية الاتحاد والترقى الذين خرجوا من الحكم بعد أن ساءت سيرتهم ، أن يستغلوا الأخبار التي تشاع عن اعتزام الحكومة توقيع صلح مع ايطاليا ، فعقدوا لهم مؤتمراً في الاستانة ، وحولوا جمعيتهم إلى حزب سياسي(٢) ، وأعلنوا رفضـهم لأى صلح مع ايطاليا والتنازل عن أي جزء من أملاك الدولة في طرابلس وبنغازى رغم أنهم هم الذين فتحوا باب المفاوضات الداعية إلى الصلح ولكنهم كانوا يريدون إحراج الوزارة الجديدة التي أخرجتهم من الحكم(٣) .

أما الحكومة الايطالية التي عاث اسطولها البحرى في البحر المتوسط وبدأت أطماعها تتبلور في جزر الدوديكانيز(*) ، فقد وجدت في الدول الأوربية وخاصة بريطانيا وفرنسا خصماً عنيداً ، تهمه تلك الجزر ولن يسمح لايطاليا

---

(1) F. O. 424/250. Annual, Report, 1912. No. 315, G. Lowther to E. Grey" Constantinople, 17. 4. 1913. P. 13.

(٢) حقى العظم : اللامركزية أيضا ، جريدة المقتبس عدد ١٠١١ في ٢ ذى القعدة ١٣٣٠ هـ .

(٣) محمود حسن صالح منسي: الحملة الايطالية على ليبيا ـ دراسة وثائقية في استراتيجية الاستعمار ـ ص ١٦٧ .

(*) دوديكانيز Dodecanes إسم يطلق على إثنتي عشرة جزيرة في أرخبيل سبوراد في جنوب بحر ايجـه ، وأهم هذه الجزر ـ جزيرة رودس ، المنجد في اللغة والأعلام ، ص ٢٩٠، دار المشرق ، بيروت ، ط ٢٧ ، ١٩٨٤م .

بأن تقوم بإشراف مباشر عليها ما لم يتم التوصل إلى حل مرض لجميع القوى الأوربية[١] .

وقد لعبت بريطانيا دوراً مباشراً لانهاء مفاوضات الصلح وتوقيع معاهدة السلام بين الدولة العثمانية وايطاليا ، ففي الوقت الذي ألحت فيه على ايطاليا بترك التحركات الحربية في بحر ايجه وحصرها في دائرة طرابلس وبنغازى[٢]، حاولت أن تقنع المسئولين العثمانيين في الاستانة عن طريق سفارتها هناك بأن فرصة السلام التي تلوح الآن في الأفق لا يجب التفريط فيها ، لا سيما أمام التهديدات التي تتعرض لها الدولة العثمانية من الداخل والخارج[٣] .

وأمام هذه الأزمات التي تمر بها الدولة العثمانية رأت حكومة مختار باشا الغازى أن تصل بالمفاوضات الجارية في سويسرا إلى نتيجة حاسمة فأوفدت وزير الزراعة العثماني وزودته بصلاحيات واسعة وقد وصل المسئول العثماني إلى لوزان في ١٦ شوال ١٣٣٠ هـ الموافق ٢٧ سبتمبر ١٩١٢ م ، وبوصوله أخذت المباحثات تدخل في دور حاسم ويتفق الطرفان على الخطوط العريضة لتوقيع الصلح بينهما[٤] .

كانت العقبة التي لا تلتقى فيها آراء الطرفين المتفاوضين هى الاعتراف العثماني بالحاق طرابلس بايطاليا ، وانتقال جزر الدوديكانيز إلى ايطاليا ،

---

(1) F. O. 424/234, No. 488, "Sir, Edward Grey to Sir, F. Bertie", Foreign office, 11. 1. 1912. P. 216.
William, M. Sloane : Bir Tarih Laboratuori, Balkanlar, P. 198.

(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٤٠٠ .

(3) F. O. 424/234, No. 585, "Sir, E. Grey to Sir, G. Lowther", F. O. 15. 10. 1912. P. 267.

(٤) الطاهر أحمد الزاوى : المرجع السابق ، ص٩٨ ـ ٩٩ .

فالعثمانيون لا يستطيعون الإعلان صراحة عن الحاق طرابلس بايطاليا لأن ذلك يؤثر على مكانتهم في العالم الإسلامي والعربي ، أما جزر الدوديكانيز فالاهتمام الأوربى بها ، وأهميتها لبعض الدول الأوربية يجعل التفاوض بشأنها أمراً عسيراً ، إلا أن نذر الحرب في البلقان جعل الدولة العثمانية تعقد هدنة للحرب الدائرة في طرابلس(١) ، وتتبعها بعقد معاهدة الصلح المعروفة بمعاهدة لوزان - أوشى - مع ايطاليا والتي منحت الدولة بموجبها الاستقلال لولايتي طرابلس وبنغازى ، ومن ثم أبدت استعدادها لسحب قواتها من هناك(٢) .

لقد تم توقيع معاهدة الصلح بين الدولة العثمانية والحكومة الايطالية في ٨ ذى القعدة ١٣٣٠ هـ الموافق ١٨ أكتوبر ١٩١٢ م ، وحررت مواده الإحدى عشرة في لوزان بسويسرا ووقعه عن الدولة العثمانية كل من : محمد نابى بك ، رومبيو غلو فخر الدين ، وعن الحكومة الايطالية كل من : بييترو برتولينى ، وقويدو فوزيناتو ، وجوسبى فولبى(٣) .

ومن المفيد هنا أن نشير بصورة موجزة إلى مضمون مواد المعاهدة كما وردت في النسخة الأصلية المحفوظة في الأرشيف العثماني في استانبول تحت رقم ٣٣٥ :

المادة الأولى : تعهدت الحكومتان فيها بايقاف حالة الحرب بينهما وإرسال مفوضين من الجانبين لتنفيذ ذلك حال توقيع هذه المعاهدة .

المادة الثانية : تعهدت الحكومتان باصدار أمر بسحب القوات الحربية والضباط من جبهات القتال ، فالدولة العثمانية تسحب قواتها من طرابلس وبرقة، والحكومة الايطالية تسحب قواتها من الجزر التي احتلتها في بحر ايجه.

---

(١) جريدة المقتبس ، عدد ١٠١٤ ، ٥ذو القعدة ١٣٣٠هـ .

(2) F. O. 424/234, No. 582, "Mr. Dering to sir Edward Grey". Rome; 15. 10. 1912. P. 266.

(3) Muahede name, Numarasi, 335. "Osmanli Arsivi Daire Baskanligi. Ist.

المادة الثالثة : يتم تبادل أسرى الحرب بين الدولتين في أسرع وقت ممكن

المادة الرابعة : تتعهد الحكومتان بمنح عفو شامل لكل من ساهم بأعمال عدائية أو حامت حوله شبهات أثناء الحرب لصالح أيا من الدولتين .

المادة الخامسة : التزام الحكومتين بجميع المعاهدات والاتفاقيات التي كانت بينهما قبل الحرب ، والعودة بعلاقاتهما إلى وضعها السابق .

المادة السادسة : تلتزم حكومة ايطاليا بما تفرضه الدولة العثمانية من زيادة في الجمارك ، وما تقيمه من امتيازات في اطار القانون التجارى الذي تلتزم به جميع الدول الأوربية تجاه الدولة العثمانية .

المادة السابعة : تتعهد الحكومة الايطالية بالغاء مكاتب البريد الايطالية في الدولة العثمانية ، إذا عملت الدول الأوربية ذلك .

المادة الثامنة : تؤيد الحكومة الايطالية الدولة العثمانية في مطالبتها الغاء نظام الامتيازات واستبداله بنظام القانون الدولي .

المادة التاسعة : استعداد الدولة العثمانية باعادة الموظفين الايطاليين الذين يعملون في الدولة وفصلوا من عملهم أثناء الحرب ، على أن تدفع لهم رواتب الفترة التي أوقفوا فيها عن العمل .

المادة العاشرة : تتعهد الحكومة الايطالية بدفع قسط سنوى للدولة العثمانية يعادل المبلغ المستوجب عن إيرادات الولايتين - طرابلس الغرب وبنغازى - لكل سنة من السنوات الثلاث التي سبقت الحرب ، والذي لا يقل عن ٢ مليون ليرة ايطالية لكل سنة .

المادة الحادية عشرة : تدخل هذه المعاهدة حيز التنفيذ وسريان المفعول في نفس يوم توقيعها ، واثباتا لذلك وقع المفوضون ذوو الصلاحية المطلقة هذه الاتفاقية ، وختموها بأختامهم[1] .

---

(1) Muahede name, Numarasi, 335. "Osmanli Arsivi Daire Baskanligi" Ist.

وقد أشار أحد المؤرخين إلى أن اعلان الحرب على دول البلقان من قبل الدولة العثمانية قد تم في الساعة الثانية والدقيقة الأربعين من مساء اليوم السابق لتوقيع المعاهدة التي وقعت في الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر يوم ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٢ م[١] ، وهذا تأكيد على أن الأزمات التي عاشتها الدولة العثمانية وخاصة إعلان الحكومات البلقانية للحرب ، قد ساعدت على توقيع هذه المعاهدة التي اقتطعت أجزاء غالية من أملاك الدولة العثمانية .

ويذهب البعض إلى أن الدولتين العثمانية والايطالية قد وقعتا اتفاقا تمهيديا في ضاحية أوشي قبل توقيع المعاهدة الرسمية آنفة الذكر بثلاثة أيام ، على أن يلتزم الطرفان ببنوده سرا حتى يتم التوقيع النهائي على المعاهدة[٢] ، إلا أن السفير البريطاني في الاستانة اعتبر هذا الاتفاق بمثابة معاهدة سلام ، حققت ايطاليا بموجبها سيادة كاملة على طرابلس وبنغازى ، وأنكرت كل أشكال السيادة للدولة العثمانية هناك[٣] .

وقد ألحقت بالمعاهدة الرسمية المشار إليها بعاليه أربعة ملاحق اعتبرها الموقعون على المعاهدة جزءاً مكملاً لها وأهم هذه الملاحق هو المنشور الموقع من السلطان العثماني والذي تم بموجبه منح الاستقلال الإداري التام لولايتى طرابلس وبنغازى[٤] ، على أن تدار بقوانين جديدة من قبل الأهالى الذين يجب أن يساهموا بتقديم الوصايا والإرشادات ، وأنه سيعين نائب للسلطان لمدة خمس سنوات للمحافظة على المنافع العثمانية ، كما يعين قاض للولايتين من

---

(١) الطاهر أحمد الزاوى : المرجع السابق ، ص١٠٦ .

(٢) ز . ب . ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص١٧٩ ، لوتسكى : المرجع السابق ، ص٣٧١ .

(3) F. O. 424/250, Annual, Report, 1912. No. 315. "G. Lowther to Sir, E. Grey", 17. 4. 1913. P. 10.

(٤) محمد عبد الكريم الوافى : المرجع السابق ، ص٢١٣ ـ ٢١٤ .

قبل السلطان ليقوم بتنفيذ أحكام الشرع الشريف على أن يعين هذا القاضي بدوره ومن العلماء المحليين نوابا شرعيين له وفقا للأحكام الشرعية ، وتدفع الدولة العثمانية راتب القاضي من خزينتها أما رواتب نائب السلطان والموظفين الشرعيين غير القاضي فتصرف رواتبهم من مداخيل الولاية المحلية(١) .

كما أن الملحق الثاني لا يقل عن الملحق الأول أهمية ، لأنه عبارة عن منشور من ملك ايطاليا على غرار منشور السلطان العثماني ، إلا أنه يؤكد فيه خضوع ولايتى طرابلس وبنغازى لايطاليا ، وفيه منح ملك ايطاليا العفو العام لمن ساهم في الحرب إلى جانب جيوش الدولة العثمانية من أهل الولايتين ، وترك لهم الحرية بإقامة شعائرهم الدينية وذكر اسم السلطان العثماني في خطبة الصلوات باعتباره خليفة للمسلمين ، وذكر أن هناك لجنة سيتم تشكيلها تضم في عضويتها بعض الأهالي تقوم بوضع الأنظمة المدنية والإدارية على النمط الايطالى(٢) .

إن موافقة الدولة العثمانية على عقد معاهدة الصلح مع ايطاليا على تلك الصورة سالفة الذكر دليل قاطع على أن الدولة العثمانية كانت تعيش أسوأ مراحل تاريخها ، وأن الأزمات العنيفة كانت تهدد كيانها(٣) ، وهو ما عبر عنه السفير البريطاني في الاستانة الذي اعتبر شروط الصلح التي تم التوصل إليها بين الدولة العثمانية وايطاليا من « أفضل ما يمكن أن تحصل عليه الحكومة العثمانية في ظل الظروف القائمة »(٤) .

---

(١) جريدة المقتبس عدد ١٠٢٩ في ٢٣ ذى القعدة ١٣٣٠هـ .

(٢) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص٤٣٥ ـ ٤٣٦ .

(٣) مارى ملز باتريك : سلاطين بنى عثمان ـ صفحات من تاريخ تركيا ...، ص١٥٢ .

(٤) محمود حسن صالح منسى : المرجع السابق ، ص١٦٦ .

ورغم اعتراف الدول الأوربية بحقيقة ضم طرابلس الغرب وبنغازى إلى ايطاليا بعد يوم واحد من توقيع معاهدة لوزان[١] إلا أن الأطماع الايطالية في جزر الدوديكانيز التي تنازلت عنها الدولة العثمانية بصفة مؤقته لايطاليا ، لم تلق القبول والتأييد من الدول الأوربية[٢] ، لا سيما من قبل بريطانيا العظمى التي أضحى الساسة فيها يدركون المغزى الحقيقي لهذه الأطماع الايطالية والتي ستكون قضية الجزر منطلقا لها إلى آسيا الصغرى وشواطىء البحر المتوسط[٣] .

ومع أن السلطان العثماني حاول أن يثبت حسن النية مع الايطاليين حين أصدر قانون العفو عن سكان الجزر التي تسيطر عليها ايطاليا اعتبارا من ٢٠ صفر ١٣٣١ هـ ، الموافق ٢٨ يناير ١٩١٣ م[٤] ، لكى تجلو القوات الايطالية عنها حسبما نصت عليه بنود معاهدة لوزان التي تؤكد أن الاحتلال الايطالى للجزر العثمانية في بحر أيجه سيكون مؤقتا[٥] ، إلا أن المسئولين الايطاليين رفضوا الجلاء عن هذه الجزر بحجة أن الدولة العثمانية لازالت تحتفظ بقوات في طرابلس الغرب وتؤيد الأهالي هناك لاثارة المتاعب ضد الايطاليين[٦] .

---

(١) الطاهر أحمد الزاوى : المرجع السابق ، ص١١٠ .

(2) F. O. 424/235, No. 754, "Sir, E. Grey to Sir, F. Bertie", F. O, 26. 11. 1912. P. 347.

(3) F. O. 424/235, No. 575, "Sir, R. Rodd to Sir, E. Grey" Rome, 20. 11. 1912. P. 256.

F. O. 424/250, Annual, Report, 1913, :Mr. Beaumont to E. Grey". 4. 12. 1914.

(٤) دستور « ترتيب ثاني » مجلد ٥ ، ص ٤٧ ، « قوانين ونظامات ومعاهدات أيله عمومه عائد مقاولات وارادات سنية محتوياتى » .

(٥) جريدة الإصلاح ، عدد ٢٣ ـ ١٤١٨ في ١ رجب ١٣٣١ هـ .

(6) F. O. 424/235, No. 815, "Sir, E. Grey to Sir, R. Rodd", F. O. 28. 11. 1912. P. 377.

F. O. 424/242, No. 21, "Sir, E. Grey to Sir, R. Rodd", F. O. 1. 2. 1913. P. 13.

F. O. 424/248, No. 414, "Sir, R. Rodd to Sir, E. Grey" 19. 8. 1913. P. 234.

وقد حاولت اليونان أن تجد لها موطىء قدم في تلك الجزر ، ونشب بينها وبين ايطاليا اشكال حولها ، وأكد بعض الايطاليين حينذاك أنه ينبغى لايطاليا الاحتفاظ ببعض هذه الجزر كقاعدة للبحرية الايطالية في بحر ايجه[١] .

هكذا كانت حرب طرابلس الغرب ، وهكذا كانت نهايتها على يدى الحكومة العثمانية ، التي وقعت معاهدة لوزان مع حكومة ايطاليا ، وتنازلت بموجبها عن جزء غال وعزيز من أجزاء الدولة العثمانية ، التي باتت تتلقى الطعنات من الداخل والخارج ، والتي أرغمت على هذا الصلح إرغاما ، وحاولت باقصى جهودها أن تحتفظ بما يمكن الاحتفاظ به من حقوق لأهل طرابلس أولا وللسلطان العثماني والدولة العثمانية ثانيا ، ولكن كيف يكون لها ذلك وحكومات البلقان تعلن الحرب على الدولة ، والدول الأوربية تبارك كل خطوة فيها إذلال وتحطيم لهيبة وقوة الدولة العثمانية المسلمة ، مما يعد بمثابة حربا صليبية ضد دولة الخلافة .

---

(1) William, Miller : The Ottoman Empire and Its Successors, 1801 - 1927, P. 510.

(ب) دفاع العرب عن الدولة والخلافة :

كانت علاقات العرب بالدولة العثمانية منذ ضم العثمانيين للمشرق العربي علاقة حب وولاء ، وكان الدين الإسلامي هو الرابطة القوية التي تربط العرب بالدولة العثمانية ، لذا كان العرب يدركون أن إخلاصهم للدولة العثمانية سيعزز مكانة الإسلام ، ويحمي الأقطار العربية من الاعتداءات الأجنبية لاسيما أن الدولة العثمانية هي دولة الخلافة المسلمة التي ملأت ذلك الفراغ الكبير الذي تركته دولة بني العباس بعد ما حل بها التجزؤ والانهيار .

وكان العثمانيون يبادلون العرب ذلك الاحترام والتقدير وينظرون إلى تلك الولايات العربية نظرة تقدير واحترام لأن اللغة التي يتحدثون بها هي لغة القرآن الكريم مصدر الدين الإسلامي والغالبية العظمى من العرب يدينون بالدين الإسلامي، بخلاف كثير من الشعوب التي دخلت تحت راية العثمانيين[١].

وقد لعب العرب دوراً بارزاً في تاريخ الدولة العثمانية طوال القرون الأربعة الماضية ، سواء في مشاركاتهم في الإدارة الداخلية للدولة ، أو في وضع النظام القضائي لها[٢] بمشاركة هيئة العلماء في الدولة العثمانية ، كما أن الجيوش العربية التي حملت السلاح تحت العلم العثماني ، والضباط العرب الذين وصلوا إلى مراكز عسكرية قيادية في الجيش العثماني ، قد برهنوا على قدرتهم الفائقة في المعارك وولائهم الصادق للدولة العثمانية[٣] .

ولقد كان السلطان عبدالحميد الثاني مدركاً لأهمية العرب والولايات العربية ، حيث نراه يقربهم إليه ويضمهم إلى حرسه ، ويوصل بعضهم إلى مراكز قيادية في الدولة[٤] ، حينئذ ندرك العلة التي جعلت العرب لا ينظرون إلى

---

(١) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص ٢٧ .

(٢) محمود صالح منسي : حركة اليقظة العربية في الشرق الأسيوي ، ص ٣٩ .

(٣) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص ٢٦ .

(٤) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٧٣ .

الدولة العثمانية على أنها دولة أجنبية ، ولا ينظرون إلى الحكم العثماني على أنه استعمار ، وظلت هذه الفكرة السياسية الدينية مسيطرة على أذهان الغالبية من العرب[١] ، غير أن قيام حرب طرابلس وما أعقبه من تنازل الدولة العثمانية عنها ثم ما تبع تلك الحرب من أحداث جسام هزت مكانة الدولة العثمانية في نفوس العرب المسلمين ، وأحدثت نوعاً من الانفصام في تكوين الدولة .

لقد وقف العرب من الحكم الدستوري « عودة المشروطية » سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨ م موقفا يعبر عن الاخلاص الصادق للدولة العثمانية ، ويؤكد حرصهم على الرابطة الإسلامية ، وولائهم للخلافة العثمانية[٢] ، فقد شكل أهالي بيروت حرسا وطنيا لمساعدة الجيش عند الضرورة ، واشترى طالب النقيب ـ نائب البصرة ـ مركبا بخاريا من ماله الخاص ، وأهداه للدولة لتدافع به عن شط العرب[٣] .

ولأن العرب كانوا شديدي الولاء للدولة العثمانية ، ولديهم رغبات صادقة في إصلاح الدولة ، وتنظيم الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي فيها فقد سارع كثير منهم في الانضمام إلى جمعية الاتحاد والترقى ، وأيدوها في برنامجها الإصلاحي الذي وعدت بتنفيذه في داخل الدولة العثمانية[٤] .

ومهما قيل عن مواقف بعض النواب العرب في مجلس المبعوثان غداة الغزو الإيطالي لطرابلس ، وتحميلهم للحكومة العثمانية تبعات هذا الغزو ومانتج عنه من استيلاء على أرض عربية[٥] ، الا أن ذلك لايقيم دليلا على عدم الولاء

---

(١) عبدالعزيز محمد الشناوي : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٩٤٥ ـ ٩٤٦ .

(٢) منيرة عبدالله العرينان : المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٣) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ١١٩ .

(٤) جريدة الاصلاح عدد ٣٩ ـ ١٤٣٤ في ٢١ رجب سنة ١٣٣١هـ ، عبد الرزاق أحمد النصيرى : نورى السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٣٢م ، ص٣٢ .

(٥) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص١١٨ .

للدولة ، فأصحاب المواقف والمطالب القومية قليلون جدا ، بينما الأكثرية من العرب المسلمين « تعتبر الدولة العثمانية المسلمة دولتها ، ودولة الخلافة الإسلامية الواجب عليها الطاعة لها دون انفعال بالتيارات السياسية والقومية »[1] .

واذا وجدنا عكس ذلك الولاء بين العرب فلن يعدو أن يكون من العرب المسيحيين ، الذين يخضعون للدولة العثمانية كسائر رعاياها غير المسلمين ، والذين لايشتركون ، في الجيش ولا يدخلون الحروب التى تخوضها الدولة ضد الكفار ، كما قضت بذلك النظم العثمانية ، فهم بذلك لايبالون بانتصارات الدولة أو انكساراتها وبالتالى فلن يكون لديهم أى ولاء لها[2] .

ويؤكد احد المؤرخين أن أهل المغرب العربى ينكرون وصف الخلافة العثمانية بالاستعمار التركى ، ويرون في الخلافة العثمانية جمعا لشمل هذه الأقطار في مواجهة أعداء الإسلام ، وأنها السد المنيع الذى انحسرت عنده المؤامرات الصليبية الاستعمارية[3] ، مما يوحى بأن البعض في المشرق العربى كان ينظر إلى دولة الخلافة ، كدولة استعمارية ، ولكن أحد زعماء المشرق العربى كان يؤكد عكس ذلك تماما حين قال : « ان العرب المسلمين يعتبرون شركاء للأتراك ، كانوا يشتركون معهم في الحقوق والواجبات بدون تمييز عنصرى ، وكانت الوظائف العليا في الدولة سواء العسكرية أم المدنية مفتوحة للعرب ، وقد كان للعرب ممثلون في مجلسي البرلمان العثمانى ، أصبح كثيرون منهم رؤساء وزارة ، ومنهم من كان شيخ الإسلام ، ومن أصبح قائدا عسكريا أو واليا[4] » ، ولقد اثبتت الأحداث التاريخية أن المشرق العربى

---

(١) محمد عزة دروزة : المصدر السابق ، ص٢٤٠ .

(٢) ساطع الحصرى : محاضرات في نشوء الفكرة القومية ، ص١٢٠ ــ ١٢١ . .

(٣) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص٤١ ــ ٤٢ .

(٤) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص٢٦ ــ ٢٧ .

قد احتفظ بمقوماته الحضارية ، وثقافته الدينية تحت ظل دولة الخلافة الإسلامية ، ولم يقع في ظل الاستعمار الغربى الا بعد أفول الدولة العثمانية .

وعندما تعرضت ولايتا طرابلس الغرب وبنغازى للعدوان الايطالي أوائل شهر شوال ١٣٢٩هـ ، أواخر شهر سبتمبر ١٩١١م هب العرب المسلمون للدفاع عن الدولة وخاضوا المعارك ضد الايطاليين جنبا إلى جنب مع أخوانهم من جند الدولة العثمانية هناك(١) ، ولقد ازداد شعور العالم العربى حماسا وطاعة للدولة العثمانية بعد هذا العدوان الغادر الذى قامت به ايطاليا ضد أملاك الدولة ، فالكتاب والمفكرون العرب في مصر والشام يحثون الناس ويدعونهم إلي التبرع بأرواحهم وأموالهم لمساعدة الدولة ضد هذا العدوان ، الذى يستهدف القضاء على الإسلام والمسلمين ، والذى يجب التصدى له من جميع المسلمين كل حسب قدرته ، فاما أن يجاهد بنفسه ويدافع عن أمته ، وأما أن يدفع المال والسلاح ليساعد المجاهدين الذين يخوضون المعارك على جبهات القتال(٢) .

أما الحكام والأمراء العرب فقد كان رد الفعل لديهم قويا ، فهذا هو الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذى ينشىء دولته في وسط الجزيرة العربية ، ويخوض غمار الحرب مع المنافسين والطامعين في ملك آبائه وأجداده ، ولكن ذلك لم ينسه واجبه الإسلامى تجاه دولة الخلافة الإسلامية حيث أرسل إلى الصدر الأعظم برقيته المؤرخة في ١٢ شوال ١٣٢٩هـ الموافق

---

(١) أمين شاكر وآخرون : تركيا والسياسة العربية من خلفاء آل عثمان إلى خلفاء أتاتورك ، ص٨٣ ، جريدة الاصلاح عدد ٣٩ ـ ١٤٣٤ فى ٢١ رجب ١٣٣١هـ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٤ ، ج١٢ ، ص٩٤٩ ، مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج١ ، ص٤٠ .

٥ أكتوبر ١٩١١م ، والتى يظهر فيها انزعاجه من اعتداء ايطاليا على أملاك الدولة العثمانية ويؤكد استعداده وقبائل نجد الخاضعة له لخوض المعركة ضد أعداء الإسلام والمسلمين حينما تأذن له دولة الخلافة بذلك[١] .

وكذلك السيد محمد الادريسى رغم عدائه لجمعية الاتحاد والترقى وشدة الخلاف بينهما الا أنه أكد في خطاب بعثه للإمام يحيى حميد الدين في ١٦ ربيع الأول ١٣٣٠هـ الموافق ٤ مارس ١٩١٢م ، انه استجاب لايقاف الحرب العدائية بينه وبين جنود الدولة العثمانية منذ قيام الحرب الإيطالية في طرابلس ، على أمل أن يتوصل معهم إلى وفاق يخدم الإسلام والمسلمين ، وتستطيع الدولة العثمانية التفرغ لمجابهة المعتدين الإيطاليين حسبما يقول ، الا أن ذلك الهدوء بينهما لم يستمر طويلا[٢] ، لأن الدولة العثمانية لاترغب في التعامل مع الأدريسى ولا فى عقد صلح معه لعدة اعتبارات من أهمها أنه غريب عن المنطقة ، وليس له جذور تاريخية ، وبالتالي فأتباعه ومؤيدوه قليلون جدا مما يسهل على الدولة العثمانية التخلص منهم دون أية تبعات لذلك[٣] ، وهذا ماجعل الادريسى يقلب للدولة العثمانية ظهر المجن ويتحالف مع الايطاليين ضدها كرد فعل لاحتقار الدولة العثمانية له ، ولكن ايطاليا تخلت عنه بعد معاهدة لوزان لأن الغرض من الحلف معه قد انتهى[٤] .

أما الإمام يحيى حميد الدين امام اليمن ، فقد بعث بدوره برقية تأييد للدولة العثمانية جاء فيها : « علمت أن بعض الأجانب يهاجمون الحديدة

---

(١) عبد العزيز محمد الشناوى : المرجع السابق ، ج٣ ، ص١٢٢٣ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٤ ، ص٣٠٠ ـ ٣١٠ ، مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص١٧٢ ـ ١٨٠ .

(٣) منيرة عبد الله العرينان : المرجع السابق ، ص٨٦ .

(٤) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص٢١٨ ـ ٢١٩ .

وطرابلس الغرب ، فاني مستعد للقيام بمائة ألف جندي تحت قيادتي بين محارب ومتطوع ، وانني أقدم نفسي فداء في سبيل الله »[1] .

حتى الشعراء العرب لم يبخلوا في الدفاع عن طرابلس الغرب وعن دولة الخلافة ، فهذا أحمد شوقي يهتف للعثمانيين قاطبة ، في ذلك الحفل الذي أقامته جماعة الهلال الأحمر المصرية لجمع التبرعات للمقاتلين في طرابلس الغرب من الجيش العثماني حيث قال :

ياقوم عثمان ـ والدنيا مداولةٌ	تعاونوا بينكم ياقوم عثمانا
كونوا الجدار الذي يقوى الجدار به	فالله قد جعل الإسلام بنيانا
في ذمة الله ـ أو في ذمةٍ ـ نفرٌ	على طرابُلسٍ يقضون شجعانا[2]

لقد كان حماس العرب ودفاعهم عن دولة الخلافة ابان العدوان الايطالي على طرابلس الغرب ، مضرب المثل ، فاللجان تشكلت لجمع التبرعات المادية لمساعدة المجاهدين ، والشباب يتطوعون للقتال ، حتى من كان في بعثة دراسية في أوربا ترك دراسته وعاد ليحمل المسئولية ويدافع عن دولته ووطنه[3]

وانهالت التبرعات وأرسلت الأموال وتدفق المتطوعون ، من مختلف الأقطار العربية من تونس ، ومن مصر والشام[4] ، ومن اهالي الخليج العربي في الكويت وقطر والبحرين وأهالي البصرة وأعيانها[5] ، وارتفعت الأصوات في

(١) عبد العزيز محمد الشناوي : المرجع السابق ، ج٣ ، ص١٢٢٣ .
(٢) أحمد شوقي : الشوقيات ، ج١ ، ص٢٤٥ .
(٣) محمد جلال كشك : السعوديون والحل الإسلامي ، ص٤٤٥ .
(٤) محمد كرد علي : خطط الشام ، ج٣ ، ص١٢٦ .
(٥) عبد العزيز محمد الشناوي : المرجع السابق ، ج٣ ، ص١٢٢٥ ، جمال زكريا قاسم : النزاع البريطاني العثماني في الخليج العربي قبل نشوب الحرب العالمية الأولى ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد ٢٩ ـ ٣٠ يوليو ١٩٧٣م ، ص٣٦١ .

مختلف أنحاء العالم الإسلامى وفى البلدان العربية تطالب بالوقوف إلى جانب دولة الخلافة في وجه العدوان الأوربى المسيحى الذى تتعرض له طرابلس الغرب وبنغازى .

لقد أكد أحد أعيان طرابلس الغرب أهمية بقاء الدولة العثمانية ، ووجوب مناصرتها والوقوف إلى جانبها لانقاذ العالم الإسلامى من خطر الاستعمار الأجنبى ، مشيراً إلى أنه بعد تجربة الغزو الإيطالى لطرابلس فان أى محاولة للانفصال معناها الوقوع في أيدى المستعمر الأوربى[١] .

هكذا تحولت حرب طرابلس الغرب ضد العدوان الإيطالى إلى حرب جهاد اسلامى عربى كامل ، وتدفق المجاهدون على المعسكرات العثمانية ، وهاجمت الفصائل العربية الكبيرة ، الوحدات الإيطالية في ضواحى طرابلس ، وأجبرتها على اخلاء عدة مراكز محصنة ، كما أظهر السكان المحليون مقاومة شديدة للقوات الإيطالية في ضواحى بنغازى وفى المدينة ذاتها ، ليصبح نضال العرب عاملا مهما لتحديد سير هذه الحرب[٢] التى كان الإيطاليون يعتقدون أنها نزهة بحرية قصيرة المدى لن تستغرق بضعة أيام .

وحين منحت الدولة العثمانية الاستقلال لولايتى طرابلس وبنغازى ، وأنسحبت القوات العثمانية منها وفق بنود معاهدة لوزان الموقعة في ٨ ذى القعدة ١٣٣٠هـ/١٨ أكتوبر ١٩١٢م ، انفرد العرب بالمقاومة ضد الاحتلال الإيطالى[٣] ، وكانت الجيوش الإيطالية لم تحتل هضبة برقة موطن السنوسيين وزعيمهم السيد أحمد السنوسى ، ورغم قلة سكانها إلا أن وجود السنوسيين بها أكسبها قيمة سياسية وعسكرية[٤] .

---

(١) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص٤٥٨ .

(٢) ز .ب . ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص٧٧ ـ ٧٩ ، ٨٨ ، لوتسكى : المرجع السابق ، ص٣٧٠ .

(٣) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص٩ .

(٤) جورج انطونيس : المرجع السابق ، ص١٩٩ .

وقد كان السيد أحمد بن السيد محمد الشريف بن السيد على السنوسى قد وجه منشورا إلى كافة قبائل طرابلس الغرب وبنغازى يحثهم فيه على جهاد الإيطاليين ، حيث قال : « ... ان الموت في الجهاد هو منتهى أرب اللبيب ، اذ هو الحياة الحقيقية ... فكيف بمن به يكون خلاصه من أسر الأعداء وسبيهم نساءه وأولاده ... ولاتصدنكم عن جهادكم كثرة عَدَدٍ ولاعُدد ، فان قوة الإيمان تتلاشى في جنبها كل عدد ، فجموعهم المعسكرة مكسرة ... وقد وعد الله ناصره بالنصر والتثبيت .. فالله الله عباد الله ، خلصوا أنفسكم وأعراضكم من أيدى الكفار ، واغسلوا يانوى الهمم ملابس مروءتكم من العار وجاهدوا بالأنفس والأموال ... وليكن هم كل منكم وهواه قتالهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله »[1] .

وكان وقوف السنوسيين إلى جانب الدولة العثمانية للدفاع عن طرابلس الغرب تاكيدا لولائهم للدولة العثمانية[2] ، والرغبة في الحفاظ عليها ، وهو خلاف ماكان يعتقده الساسة الايطاليون من وجود خلافات بين الدولة العثمانية والسنوسيين[3] وهو ما اعترف به قائد الحملة الايطالية ضمنا حين قال : « ان القبائل العربية دون استثناء معادية لنا وجميعها مسلحة بهذه الدرجة أو تلك »[4] ، وهو مازاد من درجة التشاؤم لدى رئيس الوزراء الايطالي جوفانى جوليتى G. Giolitte حيث أشار إلى أن الاحتفاظ بالسيادة الاسمية للسلطان العثمانى في طرابلس الغرب وبرقة سيؤدى إلى نتائج عكسية على الوجود الايطالي وسيقلل من سيطرة ايطاليا على الأهالى الذين سيعتبرون السلطان

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج٢ ، ص١٠٩ ـ ١١١ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٢ ، ص١٤٢ .

(٣) منيرة عبد الله العرينان : المرجع السابق ، ص٩٣ .

(٤) ز . ب . ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص٨٠ .

خليفة عليهم ويكنون له الولاء كزعيم ديني وهذا بطبيعته سيحدث قلاقل واضطرابات لايطاليا كما يقول[١] .

وقد تزعم الضابط العربي المعروف عزيز على المصرى جيش المقاومة العربي ضد العدوان الإيطالي ، ووضع يده في يد السيد أحمد السنوسى ، ونظم القوى العربية التى قامت بمقاومة عنيدة ضد الايطاليين[٢] ، كما شارك في تلك المعارك عدد من الضباط المتطوعين من سوريا والعراق[٣] ، ولم تكن مشاركة عزيز المصرى في حرب طرابلس هى الدليل الوحيد على ولائه للدولة العثمانية ودفاعه عنها ، وانما سبق له أن أدى خدمات جليلة للدولة العثمانية حين استطاع اقناع الإمام يحيى حميد الدين بضرورة عقد الصلح مع الدولة العثمانية لتتفرغ للعدو المشترك في طرابلس الغرب الذى يتربص بالعرب والمسلمين الدوائر[٤] .

وقد توجه بعض أعيان بيروت في شهر صفر ١٣٣٠هـ/ فبراير ١٩١٢م إلى مصر وطلبوا من الخديوى عباس حلمى باشا أن يدعم الجيش العثمانى الذى يقاتل في طرابلس الغرب ويسمح بمرور الأسلحة والجنود عبر الأراضى المصرية ، ووعدهم الخديوى بتحقيق مايمكن من المساعدة[٥] .

وحين حاولت ايطاليا أن تلجأ إلى المكر والخداع ، وتبث الفرقة بين العرب والدولة العثمانية ، وتدعو العرب إلى الانفصال عن العثمانيين عن طريق المنشورات التى تلقيها الطائرات الإيطالية على المعسكرات العربية ، حين

---

(١) محمد عبد الكريم الوافى : المرجع السابق ، ص١٥٠ .

(٢) محمد عبد الرحمن برج : المرجع السابق ، ص٢٥ .

(٣) منيرة عبد الله العرينان : نفس المرجع ، هامش ٢ ، ص٩٤ .

(٤) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص١٥٧ .

(٥) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، ص١٨ .

حـاولت ذلك سـارع العرب لاثبات ولائهم للدولة وأرسلوا برقـيـة للحكومـة فى الاستانة نقلتها بالنص جريدة صباح التركية ، جاء فيها : « نحن العرب أبناء هذا الوطن العـثـمـانى المقـدس نفـديه بالمـهج ولاننفـصل عنه ، ولو أراد هو الأنفصال عنا ، وانا لمدينون في حياتنا القومية واتحادنا للجنود العثمانيين وضباطهم البواسل ، على ان مانبذله وما سنبذله أيضا من المهج والمال فى الذب عن حوضنا لم نبذله طوعا لأوامر اخواننا الجنود ، بل رغبة في الاحتفاظ بكياننا واننا نجل هذه الرغبة ، لأنها كانت سببا في شد أواصر الأخوة بيننا وبين اخـواننا العـثـمـانيـين ، فلهـذا نعلن لحكومـة الاسـتـانة وسـائر اخـواننا العثمانيين أننا مستعدون لبيع أرواحنا وأرواح أبنائنا على بساط هذه السهول والرمال المحرقة دفاعا عن بلادكم التى هى بلادنا ، .... لأننا متأهبون للموت حتى لايبقى منا فرد ، والله لايهدى كيد الخائنين »[١] .

ولقد فاخرت جريدة طنين التركية بهذه البطولات التى تتفجر من العرب فى حرب طرابلس ، مشيرة إلى أن « أخواننا العرب فعلوا المعجزات ، فبيضوا صفحة تاريخنا ، وعجز ايطاليا في الحال وفى الاستقبال بات أمرا محققا ، ... بعد مـاحـالف النصـر العرب الذين أبلوا بلاء الحـسن ، ... فلتـعلم أوربا هذا والسلام »[٢] .

ان السلطان عبد الحميد الثانى كان يدرك مدى الولاء الذى يحمله العرب في طرابلس للدولة العثمانية وفى مقدمتهم السيد أحمد السنوسى ، لهذا كان متفائلا جدا في تصريحه الصحفى الذى أدلى به لمجلة نور اندسون الألمانية ، وأكد فيه أن الايطاليين سيجدون مقاومة عنيفة من قبل السنوسيين وأتباعهم ،

(١) جريدة المقطم عدد ٦٩٤١ في ٩ صفر ١٣٣٠هـ .
(٢) جريدة المقطم عدد ٦٩٨٠ في ٢٥ ربيع الأول ١٣٣٠هـ .

وستكون خسائرهم فادحة وحساباتهم خاطئة ، لأن العرب هناك لن يسلموا طرابلس بسهولة ، وأن الدولة قد أمنت لهم مايكفيهم من البنادق والمدافع لكى يقووا على المقاومة والدفاع عن وطنهم[١] ، وهذا القول هو ماأكده السفير البريطانى في الاستانة السير جيرارد لوثر فى التقرير السنوى لسنة ١٩١٢م ، الذى بعثه لوزير خارجيته في ١٧ ابريل ١٩١٣م[٢] .

ولقد قدم العرب في حرب طرابلس الغرب ضروبا من الاستبسال والشجاعة جعلت أحد مكاتبى الصحافة الغربية والذى كان على جبهات القتال يؤكد في مقالة لجريدة الديلى تلغراف البريطانية أن العالم لم يشهد من البطولات والتضحية مثلما تشهده ساحات الحرب في طرابلس ، وأن العرب يؤدون فنون الحرب ويعلمونها للايطاليين الجهلاء ، الذين أصبحوا مدافعين عن مواقعهم رغم أنهم هم المهاجمون[٣] .

كانت معارضة العرب للصلح مع ايطاليا قوية ، فالمقالات تتصدر صفحات الجرائد مستنكرة على دولة الخلافة هذا الصلح ، ومؤكدة أن العرب لن يرضوا بالتنازل عن طرابلس وسيدافعون عنها بالمال والأنفس[٤] ، أما النواب العرب في عاصمة الدولة فقد وقف أحدهم معلنا معارضة العرب لأى فرمان سلطانى يلحق طرابلس بايطاليا[٥] .

(١) جريدة الأهرام عدد ١٠٦١٣ في ٢١ صفر ١٣٣١هـ ، جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٢٣ في ١٧ صفر ١٣٣١هـ .

(2) F. O. 424\250. Annual, Report, 1912 No. 315, "Sir, G. Lowther to E. Grey", Constantiople, 17. 4. 1913. P. 12.

(٣) جريدة المقتبس عدد ٩٧٨ في ١٩ رمضان ١٣٣٠هـ .

(٤) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٤٠٧ .

(٥) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص١٤٣ ـ ١٤٤ .

وبالفعل كان العرب غير مقتنعين بالفرمان السلطانى ، وفسر الطرابلسيون ذلك التنازل على أنه منح للاستقلال الذاتى واعتراف بحقهم واخلاصهم للدولة العثمانية[1] ، لذا فقد واصلوا النضال ضد القوات الايطالية بعد توقيع معاهدة « أوشى » لوزان وحاولت بعض القيادات الطرابلسية أن تنسق مع القادة الايطاليين لمنح المجاهدين الاستقلال الذاتى الذى منح لهم من قبل الدولة العثمانية ، ويذهب أحد القادة العسكريين في ذلك إلى القول أنه اذا لم تعترف ايطاليا بهذا الاستقلال « فلاتنتظر منا الا القتال حتى ننال الاستقلال رغما عن أنفها ، وأُبَشّر اخواننا المسلمين عموما والعثمانيين خصوصا بأننا اتفقنا على قتال عدونا مادام فينا الدم العربى يجرى في عروقنا »[2] .

هكذا كان اخلاص العرب للدولة العثمانية ، وهكذا كان دفاعهم عن دولة الخلافة ضد الغزو الإيطالى لطرابلس الغرب ، واذا نظرنا بشىء من الادراك والواقع إلى تاريخ الدولة العثمانية ، لوجدنا أنها هى الدولة الإسلامية التى رفعت رايات الإسلام عالية في أجزاء متفرقة من أوربا المسيحية ، وهى التى وقفت حصنا منيعا في وجه أطماع أوربا المسيحية في الشرق العربى الإسلامى ، وهذا ماجعل العرب المسلمين يفخرون بتلك الدولة وينظرون لها نظرة تقدير واحترام ويدافعون عنها بالغالى والنفيس .

---

(١) الطاهر أحمد الزاوى : المرجع السابق ، ص١٠٧ .

(٢) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٥٣ في ٤ ربيع الثانى ١٣٣١هـ .

(ج) صدى حرب طرابلس في ولايات الدولة العثمانية في البلقان

لقد كان النزاع المسلح بين الدولة العثمانية وايطاليا في طرابلس الغرب ذا أبعاد خطيرة على السياسة العثمانية والوجود العثمانى في أقاليمها الأوربية ، ويمكن القول أن تلك الحرب التى شنتها ايطاليا على ممتلكات العثمانيين في شمال افريقيا هى مقدمة لحروب البلقان التى تفجرت قبل انتهاء هذه الحرب الإيطالية .

وكان السفير البريطانى في الاستانة أول من ذهب إلى هذا القول حين رأى فى تقريره السنوى لحكومته أن الحرب الإيطالية ستنتهى في البلقان ، وأن دول البلقان ستنتهز هذه الفرصة لتعلن الحرب على الدولة العثمانية[1] ، وذهب إلى نفس الرأى أحد المسئولين العثمانيين حين أكد في تصريح صحفى إلى أن وقوف بريطانيا وفرنسا على الحياد في حرب طرابلس عمل معنوى له بعد غير منظور لدى الحكومات البلقانية التى ستتحرك اطماعها ضد الدولة العثمانية ، وربما تعلن الحرب عليها قبل انتهاء حرب طرابلس[2] .

ان الحرب الطرابلسية كانت مظهرا من مظاهر الفتن والمؤامرات التى عصفت بالدولة العثمانية لتزيدها ضعفا على ضعف ، وتجعلها واهنة القوى[3] ، في وقت لم تتقدم فيه حكومة الاتحاد والترقى بالقوة العسكرية العثمانية إلى الامام ، ولم تضف لها أى تحسين مما جعلها تمنى بالهزائم المتكررة على جبهات القتال فى طرابلس الغرب[4] .

---

(1) F. O. 424/250, Annual, Report, 1912, No. 315, "Sir G. Lowther to Sir E. Grey", 17. 4. 1913. P. 14.

(٢) جريدة المقطم عدد ٦٩٦٦ في ٩ ربيع الأول ١٣٣٠هـ .

(٣) هـ . ج . ولز : معالم تاريخ الانسانية ، المجلد ٤ ، ص١٤٣٠

(4) Taylor, op. cit, p. 484.

لقد كان صدى الحرب الطرابلسية في ولايات الدولة العثمانية في البلقان قويا ومؤثرا بدرجة اعتبرها الكثير من الكتاب والمؤرخين أنها هى التى فتحت باب المسألة البلقانية ، وأتاحت فرصة ذهبية للحكومات البلقانية التى كانت في السابق تدعم العصابات الارهابية في مقدونيا لتقوم بالتصفية الجسدية للمسلمين وتنهب أموالهم ، غير أن وقوع الحرب بين الدولة العثمانية وايطاليا في طرابلس الغرب ، ووصولها إلى الجزر العثمانية في بحر ايجة ، ومضيق الدردنيل أضاء الضوء الأخضر أمام الحكومات البلقانية لتعلن العداء صراحة ، وتظهر نواياها المبيتة تجاه الدولة العثمانية مستغلة في ذلك قيام هذه الحرب التى زادت من متاعب الدولة واضطراباتها[1] .

بدأت حركات العصيان والتمرد في مقدونيا قبيل حرب طرابلس الغرب ، ووجدت تأييدا ودعما من الحكومات البلقانية حيث لعب رئيس الوزراء اليونانى فينيزيلوس Venizelos ، دورا بارزا في دعم هذه الحركات[2] ، غير أن فكرة الحرب البلقانية والتحالف بين حكومات البلقان لم تمتد وتنتشر الا بعد نشوب الحرب الطرابلسية ، التى تعتبر أول حرب تخوضها الحكومة العثمانية بعد اعادة الدستور « المشروطية الثانية » ولقد كان لحرب طرابلس الغرب انعكاسات واضحة لدى الساسة البلقانيين ، وهو ماتمثل في ارسال بعض المندوبين البلقانيين إلى العاصمة الإيطالية للتباحث حول مدى استفادة دول البلقان من هذه الحرب ، لاسيما وأن بعض معتمدى بلغاريا في بعض الدول الأوربية قد رأوا ضرورة الاستفادة من هذه الحرب وعدم اضاعت الفرصة التى هيأتها لهم ايطاليا بحربها للدولة العثمانية[1] .

---

(1) L. S. Stavrianos, The Balkans Since 1453, p. 534

جريدة المقتبس ، عدد ٩٧٠ في ٩ رمضان ١٣٣٠هـ ، على حسون : العثمانيون والبلقان ، ص٢٥٨ ، مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج١٢ ، ص٩٥٨ .

(٢) بيير رنوفان : المرجع السابق ، ص٦٦٢ .

(3) Miller, op. cit, p. 499.

ففى الوقت الذى أصابت الجيش العثمانى أنواعا من الفوضى ، حين ذهب أحسن ضباطه للمشاركة في العمليات الحربية في طرابلس الغرب ، غمر الفرح والسرور البلدان المسيحية في البلقان ، وجرت مفاوضات سرية أولية في مدينة صوفيا بين الصرب وبلغاريا ، تهدف إلى ايجاد حلف دفاعى بين الدولتين ضد الدولة العثمانية[١] .

وسارع وزير خارجية الصرب بارسال منشور سرى إلى كل من دول الاتفاق الثلاثى ـ روسيا وفرنسا وبريطانيا ـ ذكر فيه أن الحالة التى نشأت عن الحرب العثمانية الايطالية من شأنها أن تحدث تأثيرا في البلقان ، وأن دولة الصرب عقدت العزم على فعل ماتراه واجبا لحماية مصالحها عند حدوث مشاكل ، ويذهب أحد المسئولين في وزارة الخارجية الصربية إلى القول أن أثر حرب طرابلس الغرب قد وصل إلى البلقان في اليوم الثانى من أعلانها[٢] .

وقد زاد من تأثير الحرب الطرابلسية في البلقان مناشدة الملك نيقولا لأصدقائه ملوك بلاد البلقان الأخرى بالاستعداد لحرب الدولة العثمانية ، حين قامت ايطاليا بحربها في طرابلس الغرب[٣] ، مما حدا بالدولة العثمانية إلى اجراء التعبئة العسكرية العامة في منطقة أدرنة ، وحشد قواتها الحربية في البلقان[٤] ، ادراكا منها إلى أن حرب طرابلس الغرب سيكون له صدى قويا في البلاد البلقانية ، وأثبتت الأحداث التالية لرجال الدولة صدق توقعاتهم .

---

(1) Stavrianos, op. cit, p. 533

هارولد . ف يعقوب : ملوك شبه الجزيرة العربية ، ص١٧٩

(٢) يوسف . ف . البستانى : تاريخ حرب البلقان الأولى بين الدولة العلية والاتحاد البلقانى ... ، ص٥٢ ـ ٥٤

(3) Sloan, op. cit, p. 160.

(٤) ز . ب . ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص١٠٠ .

وانساق السفير البريطاني في الاستانة السير جيرارد لوثر ، وراء اعتقاداته السياسية حين أشار إلى أن الهجوم الايطالي على طرابلس الغرب سيدفع الدولة العثمانية لمهاجمة اليونان كنوع من الانتقام[1] ، ولم يلحظ أن اليونان هي التي باتت تنتهز الفرصة الذهبية التي هيأها لها هذا الهجوم الايطالي ، والذي أصبح صداه في اليونان وفي سائر دول البلقان ينشر الفرح والسرور لدى حكومات هذه الدول .

ولقد أسر المسئولون اليونانيون إلى سفير بريطانيا في أثينا ببعض مطالبهم التي يرغبون في الحصول عليها من الدولة العثمانية ، خاصة تلك الجزر التي تدعي اليونان ملكيتها ، لاسيما بعد سقوطها في أيدي الايطاليين ، وليس هذا فحسب وانما عبروا عن رغبتهم تحقيق الآمال التي يطلبها المسيحيون الخاضعون للدولة العثمانية في أوروبا ، مشيرين من طرف خفي إلى أن تلك المطالب يجب تحقيقها عن طريق التنازل السلمي من قبل الدولة العثمانية قبل ابرام معاهدة الصلح مع ايطاليا ، والا فان الدول البلقانية الأربع وفي مقدمتها اليونان ستضطر إلى الحصول على آمالها ورغباتها بالقوة المسلحة ، لأن هناك تفاهم بين تلك الدول البلقانية حول ذلك[2] .

أما معتمد الصرب في بلغاريا فقد أعلنها صريحة حين ذكر أن الحكومات البلقانية تود من صميم القلب أن تفشل الدول الكبرى في التوسط بين الحكومة العثمانية وايطاليا ، لأن الحرب بينهما قد أعطت فرصة فريدة

(1) F. O. 424/250, Annual, Report, 1911. No. 100, "G. Lowther to E. Grey", 31. 1. 1912. p. 13.

(2) F. O. 424/234, No. 222, "Mr. Beaumont to Sir, E. Grey", Athens, 11. 9. 1912. pp. 111 - 112.

للدول البلقانية كي تعلن الحرب ضد العثمانيين ، وتصفى نهائيا منازاعاتها القديمة مع الدولة العثمانية[١] .

وهذا ماأدركته الحكومة الإيطالية التى أثارت خوف الدول الأوروبية عندما أشارت إلى أن ايطاليا ستقدم المساعدات للدول البلقانية اذا لم يوقع الصلح مع الدولة العثمانية ، واذا نشبت الحرب بين البلقانيين والدولة العثمانية قبل التوصل إلى توقيع الصلح فإن ايطاليا لن تترك دول البلقان المسيحية لتتعرض لهجوم المسلمين العثمانيين[٢] .

وأسرعت الدول الأوروبية وفى مقدمتها فرنسا في التدخل في محادثات الصلح الجارية بين ايطاليا والدولة العثمانية ، حيث نصح رئيس الوزراء الفرنسى ريمون بوانكاريه المسئولين العثمانيين بضرورة التعجيل بعقد الصلح مع ايطاليا ، لأن ذلك سيسهل على الدول الأوربية الضغط على البلدان البلقانية كى تكف عن تحرشاتها العدائية ضد الدولة العثمانية[٣] ، في حين رأت الدوائر الحاكمة في روسيا أن انتهاء الحرب العثمانية الايطالية ، سيقلل من خطر التعقيدات غير المستحبة في البلقان التى ربما تقدم عليها الحكومات البلقانية ، مستغلة انشغال الدولة العثمانية بحرب طرابلس والصعوبات التى تواجهها بسبب تلك الحرب[٤] .

وقد تركت الحكومة البريطانية لمساعد وزير خارجيتها السير آرثر نيكولسون Sir, Arthur Nicolson مهمة ابلاغ السفير العثمانى في لندن ، وجهة نظر بريطانيا ، التى تأمل فيها من حكومة الباب العالى سرعة توقيع

---

(١) يوسف . ف . البستانى : المرجع السابق ، ص٥٧ .

(٢) ز . ب . ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص١٧٤ .

(٣) جريدة الاتحاد العثماني عدد ١٣٠١ في ١ صفر ١٣٣١هـ .

(٤) ز . ب . ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص١٢٣ .

معاهدة السلام مع ايطاليا دون تأخير ، لأن ذلك سيكون له أثره في تهدئة الأوضاع غير المستقرة في البلقان ، الا أن المسئول البريطانى لم يشر إلى أى دور ستقوم به بريطانيا مع الدول البلقانية ، رغم حرصه على اظهار تعاطف بريطانيا مع البلقانيين ومطالبهم الاصلاحية كما يقول[1] .

أخذت الدول الأوربية تمارس ضغوطها على الحكومة العثمانية ، وتبدى لها انواعا من النصح لكى تسرع في عقد الصلح مع ايطاليا، خوفا من أن تضع ايطاليا تهديداتها بمساعدة دول البلقان ضد الدولة موضع التنفيذ[2] .

وكانت الحكومة العثمانية قد شرعت في مفاوضات الصلح مع ايطاليا منذ اندلاع الثورة الداخلية في البانيا ، وبدأت أول جلسات المفاوضين العثمانيين مع المفاوضين الايطاليين في مدينة لوزان في سويسرا في الثامن والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٣٠هـ ، الثانى عشر من يوليو سنة ١٩١٢م[3] ، ولكن الموقف في البلقان ازداد خطورة ، وأصبحت الأزمات تتتابع على الدولة العثمانية ، فبينما كان الجيش العثمانى في طرابلس الغرب يخوض حربا شرسة ويحتاج إلى المساعدة والدعم ، أصبحت الجبهة البلقانية ثغرة مفجعة للقوات المسلحة العثمانية[4] ، لاسيما وأن الايطاليين قد نقلوا المعركة مع الدولة العثمانية إلى بحر الادرياتيك وبحر ايجه وقاموا باغراق بارجتين عثمانيتين ، واحتلوا ثلاث عشرة جزيرة للدولة منها جزيرة رودس ، وهذا مما زاد من انزعاج الدول الأوربية وخشيتها من انتقال الحرب إلى البلقان[5] .

---

(1) F. O. 424/234, No. 344, "E. Grey to G. Lowther", F. o, 2. 10. 1912. P. 165.

(٢) محمد عبد الكريم الوافى : المرجع السابق ، ص٢٠٥ .

(٣) الطاهر أحمد الزاوى : المرجع السابق ، ص٩٧ ـ ٩٨ .

(4) Ahmad, op. cit, P. 192.

(٥) محمد جميل بيهم : المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٠٠ ، بيير رنوفان : المرجع السابق ، ص٦٥٦ .

إن الحصار الايطالى وانتقال المعركة بين روما والآستانة من أرض طرابلس الغرب إلى الموانىء العثمانية فى بحرايجه ومضيق الدردنيل قد نبه البلقانيين ولفت نظرهم إلى استحالة وصول امدادات الجيوش العثمانية عن طريق البحر ، مما يجعل التفوق العسكرى في جانبهم بسبب استمرار هذه الحرب[1] .

ورغم أن أحد المؤرخين يذهب إلى أن الاجراءات التى اتخذتها الدولة العثمانية في مقدونيا حول ربطها بالدولة وتطبيق النظام المركزى عليها عن طريق حركة استيطان اسلامية جديدة كما يقول ، قد ساهمت في تحزب الدويلات البلقانية ضد الدولة العثمانية لاستشعارها بالخطر المحدق بها[2] ، الا أن الشيء المؤكد والذى أثبتته القرائن التاريخية وذهب إليه كثير من المؤرخين هو أن الانتصارات الإيطالية في الحرب الطرابلسية وانتقال العمليات العسكرية إلى الثغور العثمانية في الحوض الشرقى للبحر المتوسط وفى بحر ايجه كل ذلك كان له صدى كبير لدى دويلات البلقان حيث بدأت فى اقامة الأحلاف والمعاهدات فيما بينها لتحقق أطماعها في ظل الضعف الذى تعيشه الدولة العثمانية من جراء هذه الحرب[3] .

لقد كانت البلقان تموج بحركات قومية واضطرابات مستمرة ضد الدولة العثمانية قبل نشوب حرب طرابلس الغرب ، الا أن هذه الحرب قد أظهرت في الأفق نذر حرب ستقدم عليها الحكومات البلقانية ، وهذا ما أكدته الصحف الأوربية حين ذاك والتى كانت تشير بين الفينة والأخرى على صدر صفحاتها

---

(١) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص١٠٣ .

(٢) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص٦٠١ .

(٣) محمد شفيق غربال : المرجع السابق ، ص٥٤ ، ز . ب . ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص١٦٩ ، عبد الحميد البطريق : التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥ ـ ١٩٦٠م ، ص١٥٠ .

إلى الاهتمام الأوربى بالحرب العثمانية ـ الإيطالية ، وحرص الحكومات الأوربية على عقد صلح بين الجانبين لتحول بذلك دون نشوب حرب في شبه جزيرة البلقان(١) .

كان التوتر السياسى والعسكرى يسود منطقة البلقان ، في حين كانت المفاوضات تجرى بين ايطاليا والدولة العثمانية في أوشى احدى ضواحى مدينة لوزان السويسرية ، وكان المفاوضون العثمانيون يتشددون في شروط الصلح مع ايطاليا في محاولة منهم لحفظ كرامة السلطان العثمانى ، وللابقاء على بعض حقوق الدولة العثمانية في طرابلس الغرب لكى تحافظ على مكانتها في العالم العربى والإسلامى(٢) .

وعندما تجمعت سحب الحرب فوق البلقان ، أدركت الحكومة العثمانية أن الخطر أصبح وشيكا ، وأنها ستخوض الحرب مع البلقانيين لامحالة ، مما يشكل عبئا آخر على قدراتها المالية والعسكرية(٣) ، حينذاك سارع صانعوا القرار السياسى في الحكومة العثمانية ، وأبلغوا تعليماتهم إلى وفدهم المفاوض في سويسرا ليتنازل عن بعض شروطه ، ويقبل المطالب الايطالية اذا دفعت ايطاليا تلك المكوس والايرادات التى كانت ترد إلى الدولة من ولايتى طرابلس وبنغازى وانقطعت خلال فترة الحرب(٤) .

لقد اضطرت الحكومة العثمانية للتراجع عن شروطها في مفاوضاتها مع الايطاليين بعد أن داهمتها أخطار الحرب البلقانية ، وبعد أن خاب أملها في

---

(١) جريدة المقطم عدد ٦٩٧٤ في ١٨ ربيع الأول ١٣٣٠هـ .

(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٤٠٤ ـ ٤٠٥ .

(3) F. O. 424/250, Annual, Report, 1912, No. 315, "G. Lowther to E. Grey", Constantinople, 17. 4. 1913. P. 13, Miller, op. cit, P. 498.

(٤) عبد المنصف حافظ البورى : المرجع السابق ، ص١٩٨ ـ ١٩٩ .

الحصول على مساندة الدول الأوربية لمواجهة الحكومات البلقانية في تهديداتها[1] لتجد نفسها أمام الأمر الواقع ، وتبرم معاهدة الصلح مع ايطاليا مع اندلاع حرب البلقان ، تلك المعاهدة التى كانت لها فائدة كبيرة للعثمانيين والتى اعتبر البعض أن توقيع ايطاليا عليها بمثابة صدقة للسلطات العثمانية التى ستتمكن من تحريك قواتها من آسيا الصغرى إلى البلقان دون مضايقة من القوات الإيطالية بعد تلك المعاهدة[2] .

ورغم ادراك الحكومة العثمانية أن التخلى عن طرابلس الغرب بهذه السهولة سيسقط هيبتها في نظر الشعوب الإسلامية ، الا أن صدى الحرب الايطالية كان مؤثرا بدرجة كبيرة في ولايات الدولة البلقانية ، والتى تعتبر في نظر الساسة العثمانيين الحاجز الأخير للدولة من جهة أوربا ، وسقوطها يعتبر تهديدا مباشرا لعاصمة الدولة .

لقد لعبت حوادث البلقان دورا مؤثرا وفاعلا في انهاء المفاوضات وعقد الصلح مع ايطاليا ، لاسيما وأن التعبئة العامة في الجيش العثمانى على الجبهة البلقانية أصبحت على قدم وساق ، مما يؤكد الحقيقة التاريخية التى ذهبنا إليها هنا في أن صدى حرب طرابلس في ولايات الدولة العثمانية في البلقان كان له رجع قوى على الدولة العثمانية ذاتها وهو ماتحقق بالفعل في تزامن اعلان الحرب على الدولة العثمانية من قبل حكومات البلقان مع توقيع معاهدة الصلح مع ايطاليا[3] .

---

(1) Ahmad, op. cit, P. 190.

(2)F. O. 424/250. Annual, Report, 1912. No. 315, "G. Lowther to E. Grey", Constantinople, 17. 4. 1913. p. 10.

(٣) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص٤٤٠ ،

Taylor, op. Cit. P. 489,

محمد قاسم وأحمد نجيب هاشم : التاريخ الحديث والمعاصر ، ص٢٥٢ .

ويرى أحد المؤرخين أن الحرب بين الدولة العثمانية وايطاليا في طرابلس الغرب كان لها صدى قويا لدى حكومة النمسا ـ المجر ، صاحبة المصالح الاقتصادية والسياسية فى البلقان ، وقد وجدت هذه الحكومة نفسها في موقف حرج عند اعلان الحرب ، ولكنها أيدت ايطاليا شريطة أن لاتؤثر هذه الحرب على الوضع القائم في البلقان ، وحين وصول صدى الحرب إلى البلقان صار رد الفعل في الصحافة المجرية عنيفا جدا[١] .

على أننا نرى أن جميع الدول الأوربية التى وافقت على الاحتلال الايطالي لطرابلس الغرب كانت تدرك أن صدى ذلك الاحتلال سيصل إلى البلقان ، لهذا كانت موافقتها أو حيادها رغم ماكان يفرقها من تناقضات ينطلق من شرط أساسى هو أن لاتمس تلك الحرب الوضع القائم في البلقان ، ومع ذلك فان الدبلوماسية الإيطالية قد حاولت أن تضم اليها حكومتى بلغاريا والصرب في الحرب ضد الدولة العثمانية عندما توسعت الحرب ولم تستطع ايطاليا حسمها[٢] .

غير أن الساسة الايطاليين قد أبدوا انزعاجهم عند قيام الحرب البلقانية من الأطماع الصربية التى تطمع في الحصول على ميناء بحرى على الأدرياتيك ، وبدأت الصحافة الايطالية ، ووزارة الخارجية في حكومة ايطاليا باثارة الرأى العام الايطالى ، وتنبيهه إلى الأضرار التى قد تصيب البلاد من جراء احتلال صربيا لجزء من شاطىء بحر الأدرياتيك[٣] ، وهو عكس سياستها سالفة الذكر أثناء حربها مع الدولة العثمانية .

---

(١) لسلو ناجى : صدى الحرب الايطالية التركية بطرابلس الغرب في الصحافة المجرية ، المجلة المغربية ، عدد ٢٣ ـ ٢٤ ، نوفمبر ١٩٨١م ، ص٤١٩ .

(٢) ز . ب . ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص٧٢ ، ١٧١ .

(3) F. O. 424/ 235, No. 452, "R. Rodd to E. Grey", Rome, 9. 11. 1912. pp. 203 - 204

واذا كانت الآمال قد داعبت اليونانيين فى ضم جزيرة كريت ، حينما قامت حرب طرابلس الغرب ، كرد فعل لهذه الحرب لدى تلك الدولة البلقانية[١] ، فان حكومة روسيا كانت شديدة القلق على مضيق البوسفور والدردنيل كى تأمن مرور سفنها الحربية بهما بدون تأثر من هذه الحرب[٢] ، مما يعنى أن صدى حرب طرابلس الغرب كان شديدا في الولايات العثمانية في البلقان وفي غيرها .

فى المشرق العربى العثمانى كان هناك صدى لحرب طرابلس الغرب ، الا أنه ليس بتلك القوة التى حدثت في ولايات الدولة العثمانية في البلقان ، ففى بلاد الشام دارت أنواع من النقاشات السياسية حول مصير البلاد والصيغ المستقبلية التى تنتظرها وأضحت القنصليات الفرنسية في المدن السورية مرتعا لاعداد التقارير ونقلها عن ردود الفعل تلك[٣] .

أما في اليمن فقد اتجه القادة العثمانيون هناك إلى اللين والتساهل مع امام اليمن[٤] ، حيث توصل الطرفان إلى عقد صلح دعان في ذى القعدة ١٣٢٩هـ / أواخر اكتوبر ١٩١١م[٥] ، لتتجه الدولة العثمانية إلى ميدان الجهاد ضد الغزو الإيطالى لطرابلس الغرب[٦] ، ورغم أن الادريسى سبب ازعاجا

---

(1) Miller, op. cit,P . 510.

جريدة الاتحاد العثمانى ، عدد ١٣٤٧ في ٢٧ ربيع الأول ١٣٣١هـ

(٢) محمد كمال الدسوقى : المرجع السابق ، ص٣٢٧ .

(٣) وجيه كوثرانى : السلطة والمجتمع والعمل السياسى من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام ، ص١٩٦ .

(٤) هارولد . ف . يعقوب : المرجع السابق ، ص١٨٤ .

(٥) عبد الواسع يحيى الواسعى : تاريخ اليمن ـ المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن ، ص٣١٨ ـ ٣٢٠ .

(٦) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص٢١٦ .

للدولة العثمانية ، وتحالف مع الايطاليين ضدها ، الا أن انشغال الدولة في حرب طرابلس حال دون محاسبته من قبل القوات العثمانية[1] ، وقد فتح ثغرة استغلها الايطاليون لاحداث قلاقل ضد الدولة تضعف من قواتها وتشتت جهودها العسكرية والدبلوماسية[2] .

وموقف الادريسى هذا يتعارض تماما مع شعور العالم العربى الذى « اتجه إلى مساعدة الدولة ماديا ومعنويا للوقوف أمام الخطر الأجنبى بجمع التبرعات في كافة البلدان العربية بما فيها مصر التى كانت أكثرها تحمساً وامكانية وارسال المتطوعين »[3] ، لجبهات القتال .

هكذا يظهر لنا جليا أن أصداء حرب طرابلس الغرب في ولايات الدولة العثمانية في البلقان كانت مؤثرة جدا ، وكان أكبر رد فعل لهذه الحرب هو اعلان دويلات البلقان الحرب ضد الدولة العثمانية ، وهو ماحدا بالمفاوضين العثمانيين أن يتنازلوا عن كثير من حقوق الدولة في طرابلس الغرب وبنغازى ليتفرغوا للخطر الأكبر وهو حرب البلقان .

---

(١) منيرة عبد الله العرينان : المرجع السابق ، ص٨٦ .

(٢) محمد عبد الكريم الوافى : المرجع السابق ، ص١٢٣ .

(٣) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٣٦٧ .

(د) حزب اللامركزية الادارية العثمانى

شهدت الدولة العثمانية في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى، أو اخر القرن التاسع عشر الميلادى ظهور تيارات سياسية جديدة كان لها عظيم الأثر على مجرى الأحداث التاريخية التى مرت بها الدولة ، خاصة في تلك الفترة التى هى مدار البحث ، والتى كان أبرز الأحداث فيها حرب طرابلس الغرب وحرب البلقان .

ولقد كانت اللامركزية الادارية Decentralization Administration هى أبرز تلك التيارات ، لاسيما وأنها لعبت دورا مؤثرا في الشرق العربى العثمانى، وحاول دعاة الاصلاح من العرب أن يأخذوا بهذا الاتجاه حين أسسو حزب اللامركزية الادارية العثمانى في مصر وأقاموا له عدة فروع في البلدان العربية بعد ذلك .

ان أول من أثار قضية اللامركزية ودعى اليها هو الأمير صباح الدين ابن الداماد محمود جلال الدين، والذى لجأ مع والده إلى باريس ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م[١] ، وصار يدعو إلى مشروطية تقوم على أساس اللامركزية ، لايجاد اتحاد عثمانى يكون لمختلف شعوب الدولة العثمانية فيه قسطا كبيرا من الحكم الذاتى ، وتبقى فيه الأسرة الحاكمة هى الرابطة بين تلك الشعوب[٢] .

وسميت الجمعية التى انشأها الأمير صباح الدين جمعية « التشبث الشخصى وعدم المركزية والمشروطية » ، وقد تعارضت مبادىء هذه الجمعية مع مبادىء جمعية الاتحاد والترقى « تركيا الفتاة » حينذاك ، والتى اتجه

---

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص١١٦ .

(٢) أرنست . أ . رامزور : المرجع السابق ، ص٩٩ .

أعضاؤها إلى المركزية يؤيدهم في ذلك مسيحيو الدولة العثمانية مما قوى من حركة القومية التركية التى ترعاها جمعية الاتحاد والترقى[1] .

عاد الأمير صباح الدين إلى الآستانة في أعقاب ثورة الاتحاد والترقى سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ، وأسس جمعية اللامركزية في ١٨ شعبان سنة ١٣٢٦هـ الموافق ١٤ سبتمبر ١٩٠٨م والتى تدعو إلى حصول الولايات العثمانية على نوع من الاستقلال الذاتى في ظل الدولة العثمانية[2] ، ثم أخذ يشرح مبادىء جمعيته هذه ، وينفى عنها التهم التى ترمى بها من معارضيها مؤكدا أنه لا يهدف من فكرة اللامركزية « إلى خلق ولايات مستقلة ذات امتيازات خاصة ، بل أن وحدة السلطنة لا يمكن أن تكون موضع جدل ، وأن القضية لا تعدوا أن تكون إدارية صرفة[3] » لكن الضغوط السياسية دفعت بالأمير صباح الدين لأن يتنازل عن أهدافه ويعلن في حفل عام أن برنامج اللامركزية ، لا يختلف عن مبدأ توسيع المأنونية التى تنادى بها جمعية الاتحاد والترقى ، وهكذا حلت جمعية اللامركزية في شهر شوال ١٣٢٦هـ / نوفمبر ١٩٠٨م ، رغم أن دعاة الاصلاح العرب كانوا قد أسسوا شعبا لهذه الجمعية في دمشق واللاذقية وعالية[4] .

ويذهب أحد المؤرخين إلى القول أن جمال الدين الافغانى كانت لديه اتجاهات اللامركزية ، واقترح ذلك على السلطان عبد الحميد الثانى ، مستشهدا في ذلك بما تعيشه مصر حينذاك من شبه استقلال ذاتى أتاح لها

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٦٠ .

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : نفس المرجع ، ص٢٧٠ .

(٣) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٨٦ .

(٤) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص٩٣ .

نوعا من الازدهار الاقتصادى والتطور الإدارى ، إلا أن أفكار الافغانى تلك لم تتحقق[1] .

لقد حاولت جمعية الاتحاد والترقى أن توفق بين مدلولى اللامركزية ، وتوسيع المأنونية عن طريق الاهتمام بالمؤسسات الإدارية المحلية ، مع الأخذ فى الاعتبار احتياجات الأهالى ، وهذا يدل على أن الجمعية بدأت بالتسليم المحدود باللامركزية ، إلا أن عدم وجود حدود واضحة تفصل بين المبدأين السياسيين ـ اللامركزية وتوسيع المأنونية ـ بحيث أن تضييق حدود اللامركزية يحدث خلطا والتباسا بمفهوم المأنونية الواسع[2] ، هذا التقارب دفع بحكومة الاتحاديين إلى التشدد في المركزية في محاولة منها إلى صهر القوميات المختلفة في بوتقة واحدة ، أى الاتجاه بالدولة إلى العثمنة بمفهومها الشامل ، وهو ما أثار مشاكل كثيرة في المجلس النيابى ، لتدخل الأحزاب المعارضة التى تتجه إلى اللامركزية في صراع مع جمعية الاتحاد والترقى ، ويظهر حزب المعارضة المعروف بحزب « الحرية والائتلاف » إلى أرض الواقع ، وليستجلب إلى عضويته كثيرا من نواب الأقاليم غير التركية[3] .

ان اعادة الدستور ـ المشروطية الثانية ـ فى الدولة العثمانية قد صحبه ظهور مبدأين سياسيين هما : المركزية ، واللامركزية ، ولأن قبلت العناصر غير التركية كلها بمبدأ اللامركزية ، فإن العنصر التركى الذى يدير شئون الدولة قد انقسم إلى قسمين ، منهم من يقول بالمركزية ، ومنهم من ينادى باللامركزية[4] ، وربما لدى دعاة المركزية شىء من التبرير ، نظرا للأوضاع

---

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص٨٣ ـ ٨٤ .

(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، هامش ١ ، ص٩٠ .

(٣) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص١٠٧ .

(٤) جريدة الأهرام عدد ١٠٧٧٦ في ١١ أغسطس ١٩١٣م ، نقلا عن جريدة عزم التركية .

المتردية التى تعيشها الدولة والتى خرجت للتو من حرب طرابلس الغرب ، وتتجه إلى حرب البلقان الشرسة ، مما يتطلب وجود قوة مركزية تسيطر على الدولة ومقدراتها .

لكن دعاة اللامركزية من الأتراك كان لهم اتجاه آخر من خلال هذا المبدأ السياسي ، الذي يرون أنه مرادف للحرية ، وأن الدولة العثمانية إذا أرادت الحرية بمعناها الواسع فلتأخذ باللامركزية التي سترتقى الدولة من خلالها وتتقدم إلى مصاف الأمم المتطورة ، وقد صنفت اللامركزية عند هؤلاء على صور ثلاث :

- اللامركزية السياسية - وهى التي تسلب من يد المركز والحكومة وشورى الأمة كل ما يتعلق بالحربية والبحرية والسياسة الخارجية والتوظيف والمالية .
- اللامركزية الإدارية - ، التي تُطْلق للحكومات المحلية في الولايات والألوية والأقضية والنواحي يدها في تدبير شئون تلك البلاد على ما يوافق حالها وتقتضيه حاجتها الخاصة بها .
- اللامركزية العلمية ، ومن البديهى كما يقول أصحاب هذا الرأى أن الصورتين الثانية والثالثة من هذه الصور هما اللتان تناسبان الدولة العثمانية فيجب اعتناقهما والأخذ بهما لتنهض الدولة وتتطور(١) .

وقد دافع الصدر الأعظم عن مبدأ المركزية في الدولة حين قال : « أما الحكومة اللامركزية فتحتاج إلى قانون الولايات قبل كل شيء ، ويسوغنى أن أقول لكم أن سن هذا القانون لم يتم بعد »(٢) ، وهو بهذا يبرر بقاء المركزية فى الدولة حتى صدور قانون الولايات - أى توسيع المأذونية ، وهذا التصادم

(١) جريدة الاتحاد العثماني عدد ١٣٠٥ في ٦ صفر ١٣٣١ هـ نقلا عن جريدة أقدام التركية .
(٢) جريدة المقطم عدد ٦٩٢٣ في ١٨ محرم ١٣٣٠ هـ .

والاختلاف بين رجال الدولة في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخها دليل واضح على وجود اضطراب فكرى وسياسى تعيشه الدولة العثمانية حينذاك .

وكان دعاة الاصلاح العرب يرون حينئذ أن المركزية هى عبارة عن تولى رجال الحكومة العليا في العاصمة لكل شئون الدولة من سياستها الخارجية إلى ادارتها الداخلية ، ليصبح بيدهم الحل والعقد والنصب والعزل ، بينما اللامركزية هى جعل الإدارة الداخلية لكل ولاية من الدولة في أيدى أهلها ، وتكون رابطتهم بمركز الحكومة العام في الأمور العامة كالسياسة الخارجية والحربية ، لذا فهم يرون أن اللامركزية هى الأصلح للدولة العثمانية ، ولا صلاح لها بغيرها[1] .

إن الحرب الايطالية قد كانت عبئا على الحكومة الاتحادية ذات الاتجاه المركزي في الحكم ، مما جعلها تتعرض للضغوط من المعارضين لها ، كما أن الانقسام قد بدأ يظهر في صفوف الاتحاديين أنفسهم[2] ، حينئذ تشكل حزب جديد هو حزب الحرية والائتلاف « حريت وائتلاف فرقة سى » في السابع عشر من ذى القعدة ١٣٢٩ هـ الموافق ٨ نوفمبر ١٩١١ م[3] ، وقد انضم إلى هذا الحزب كثير من مبعوثي العرب والأرمن والألبان وغيرهم من العناصر العثمانية المعارضة لسياسة الاتحاديين المركزية ، لأن الحزب الجديد يدعو إلى منح الولايات العثمانية استقلالا إدارياً ، وأن تدار شئون المملكة على أساس اللامركزية[4] ، وهذا الاتجاه يتفق كثيرا مع رغبات العناصر غير

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، جـ ٥ ، ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥ .
(٢) عبدالوهاب الانكليزي : زمن الفترة ، جريدة المقتبس ، عدد ٩٦٠ في ٢٧ شعبان ١٣٣٠ هـ .
(٣) عبدالعزيز محمد الشناوي : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٦٠٥ .
عبدالعزيز محمد عوض : الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤ ـ ١٩١٤ م ، ص ٥٠ .
(٤) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٤ .
سليمان فيضى : المصدر السابق ، ص ٨٦ ـ ٨٧ .

التركية والتي تدعو إلى إصلاح الدولة العثمانية على مبدأ اللامركزية وأهم هذه العناصر بطبيعة الحال كان دعاة الإصلاح من العرب .

وقد كانت ملامح برنامج حزب الحرية والائتلاف تعطى دليلا على رغبة مؤسسيه في الاحتفاظ بسياسة الجامعة العثمانية ، والابقاء على مبدأ رابطة العثمنة بين رعايا الدولة ، وشجب الاعتماد على الفكرة القومية والإسلامية في آن واحد ، وزيادة سلطة رؤساء الحكومات المحلية وتوسيع سلطة المجالس المحلية للولايات[١] ، وهذا البرنامج ساهم إلى حد كبير في تأييد سكان الولايات العربية والأوربية والأرمنية التابعة للدولة العثمانية لهذا الحزب واتجاهاته[٢] .

لقد استطاع حزب الحرية والائتلاف أن يتسلم السلطة من الاتحاديين في شهر رجب ١٣٣٠هـ / يوليو ١٩١٢م ، ويعلن القانون العرفى في البلاد بعد أقل من شهر من تسلمه للسلطة[٣] ، لأن الوضع السياسى والعسكرى في الدولة العثمانية قد بلغ مرحلة من الضعف والانهيار ، فالحرب في طرابلس الغرب لم تكن قد انتهت ، وحركات التمرد العسكرى في منطقة الروميلى على اشدها ، والثورة في البانيا ، والتحالفات في البلقان تزداد تعقيدا[٤] ، لكن أحد المؤرخين يذهب إلى أن مجيء حزب الحرية والائتلاف إلى السلطة يعتبر نجاحا للدبلوماسية الانجليزية والفرنسية التى تقف وراء قيادة هذا الحزب ، الذى يميل في اتجاهاته إلى دولتى الوفاق الودى[٥] .

(١) حقى العظم : الاتحادي والنفعى في سورية ، جريدة المقتبس ، عدد ٩٩٣ فى ١٠ شوال ١٣٣٠هـ .
(٢) أرنست . أ . رامزور : المرجع السابق ، ص٢٢ .

(3) Ahmad, op. cit, pp. 184 - 188.

(٤) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص٨٥ .
(٥) ز . ب . ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص١٩٧ ـ ١٩٨ .

غير أن جمعية الاتحاد والترقى بادرت في ٢٤ رمضان ١٣٣٠هـ الموافق ٥ سبتمبر ١٩١٢م إلى تشكيل حزب تركى قومى هو « الحزب القومى الدستورى » « مللى مشروطية فرقة سى[(١)] » ، ومن أهم اتجاهاته عدم قبول مبادىء اللامركزية سواء في ذلك المعتدلة والمتطرفة ، والاحتجاج على حكومة الائتلافيين لمنحها الامتيازات اللامركزية للألبانيين والتى قررت تعميمها في جميع ولايات الدولة[(٢)] .

وقد اتهمت احدى الصحف الصادرة في بغداد اللامركزية ، متهمة اياها بافساح المجال للتدخل الأجنبى في شئون الولايات العثمانية[(٣)] ، وهذا الصراع بين الاتحاد والترقى ، والحرية والائتلاف ، أو بين المركزية واللامركزية في عاصمة الدولة العثمانية وفى تلك المرحلة من تاريخها تأكيد على أن الصراع السياسى على السلطة قد بلغ درجة تنذر بالخطر ، سيما وأن جراح الحرب في طرابلس الغرب لازالت تنزف دما ، ونذر الحرب في البلقان تنذر بشر مستطير يقترب من الدولة العثمانية .

وتأثر المشرق العربى العثمانى بهذا الصراع السياسى في الدولة وقويت عزيمتهم بانتقال السلطة إلى دعاة اللامركزية ، لأنهم يؤمنون بذلك المبدأ ، ويدركون أن اتساع الدولة وتباعد أطرافها ، اضافة إلى اختلاف الشعوب العثمانية في لغتها وعاداتها وتقاليدها ، كل تلك التركيبات المعقدة للدولة العثمانية تدعو للأخذ بنظام اللامركزية في ظل الجامعة العثمانية[(٤)] ، وخرج كثير من نواب العرب من حزب الاتحاد والترقى لينضموا إلى حزب الحرية والائتلاف ، وأقفلت نوادى جمعية الاتحاد والترقى في البلدان العربية[(٤)] .

---

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٢٩١ ـ ٢٩٢ .

(٢) حقى العظم : اللامركزية أيضا ، جريدة المقتبس عدد ١٠١١ في ٢ ذى القعدة ١٣٣٠هـ .

(٣) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص١٦٩ .

(٤) مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج١ ، ص٤٣ ، زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص٩٥ .

(٥) سليمان فيضى : المصدر السابق ، ص١٠١ .

وفى شهر محرم ١٣٣١هـ ، أو اخر شهر ديسمبر ١٩١٢م ، ألف دعاة الاصلاح من العرب في القاهرة حزبا سياسيا علنيا هو حزب اللامركزية الادارية العثمانى[١] ، وسمح لكل مواطن عثمانى سواء كان عربيا أم غير عربى أن ينضم إلى الحزب شريطة أن تتفق اتجاهاته السياسية مع اتجاهات الحزب وأهدافه ، وكان مؤسسو الحزب من السوريين المقيمين في مصر[٢] ، لكن الشيء الغريب والجديد فعلا في تاريخ الدولة العثمانية في المشرق العربى هو ذلك النشاط المكثف للمسيحيين العرب الذين شاركوا في تأسيس هذا الحزب بتأثير فاعل .

وقد نشر الحزب المذكور بيانا للأمة العثمانية ، أشار فيه إلى أن المركزية التى اتبعتها الحكومة في الدولة العثمانية كانت سببارئيسيا فيما أصاب ولايات الدولة في طرابلس الغرب والبلقان من حروب وأضرار أدت إلى انتزاعها من الدولة ، وأن أفضل علاج يمكن القيام به لتتماسك أطراف الدولة مع مركزها هو نظام اللامركزية الذى سيقوم عليه هذا الحزب[٣] .

ووضع حزب اللامركزية الادارية العثمانى برنامجا له في ست عشرة مادة نصت المادة الأولى منها على أن : الدولة العلية العثمانية دولة دستورية نيابية ، وكل ولاية من ولاياتها تعد جزءاً من السلطنة لاينفك عنها بحال من الأحوال ، وانما تبنى ادارة هذه الولايات على أساس اللامركزية الادارية والسلطان هو الذى يعين الوالى وقاضى القضاة .

---

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٤٣٤ .

(٢) محمد جميل بيهم : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٤ .

(٣) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٣ ، ص٢٢٦ ـ ٢٢٩ ، جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٣٨ في ١٦ ربيع الأول ١٣٣١هـ ..

أما المادة الرابعة فقد أعطت لكل مركز ولاية ـ مجلس عمومى ومجلس اداري ومجلس معارف ومجلس أوقاف ، وأن تكون قرارات المجلس العمومى نافذة كما تذكر المادة الخامسة من برنامج الحزب .

أما المادة السادسة فقد أشارت إلى أنه : من حقوق المجلس العمومى للولاية المراقبة على حكومتها والنظر في جميع شئون الادارة المحلية من تقرير ميزانية الولاية وأمور الأمن العام والمعارف والنافعة والأوقاف والبلدية وتقرير مايراه فيها وسن النظامات لها ، أما ماكان من أمور النافعة يتعلق بالأمور العسكرية أو السياسة الخارجية أو السكك الحديدية فيرفعه بعد ابداء رأيه فيه إلى العاصمة .

أما المادة الرابعة عشر فتقول : يكون في كل ولاية لغتان رسميتان التركية واللغة المحليه ، فى حين طالبت المادة الخامسة عشر بوجوب تعميم التعليم في كل ولاية بلغة أهلها ، بينما الزمت المادة السادسة عشرة والأخيرة من مواد الحزب : أهل كل ولاية بتأدية الخدمة العسكرية في ولايتهم ويكون عسكرها على قدم الاستعداد للدفاع عنها زمن السلم ، وأما سوق الجنود في زمن الحرب فهو منوط بنظارة الحربية وحينئذ يجب على المجلس العمومى أن يتخذ الوسائل للدفاع عن الولاية(١) .

تلك المواد التى المحنا اليها هى ذات الصلة بالاتجاه السياسى لحزب اللامركزية الادارية العثمانى وربطه بمركز الدولة في الاستانة ، أما المواد الأخرى فتنطوى على التنظيم الداخلى للحزب والواجبات التى يجب أن تقوم بها مجالس الولاية في ظل النظام اللامركزى الذى ينشده الحزب .

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٣ ، ص٢٢٩ ـ ٢٣١ ، جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٣٨ في ١٦ ربيع الأول ١٣٣١هـ .

وانفرد أحد المؤرخين بذكر ثلاث وثلاثين مادة على انها هي قانون حزب اللامركزية الادارية العثمانى الذى أشرنا إليه غير أن قراءة تلك المواد ، ومقارنتها بالمواد سالفة الذكر يظهر لنا أن ما أشار إليه ذلك المؤرخ لايعدو أن يكون تنظيما داخليا للحزب يبين مهمات العاملين به ونظام العمل الواجب اتباعه في الحزب[١] .

لقد عهد الحزب بادارته إلى هيئة تتألف من عشرين عضوا مركزها مصر ، وهيئة تنفيذية مكونة من ستة أعضاء[٢] ، وأنشأ له فروعا فى مدن الشام ، وأقام اتصالات وثيقة مع الجمعيات العربية الأخرى في الشام والعراق والآستانة ، ليصبح هذا الحزب ذا أهداف واضحة تهدف من خلال اللامركزية التى يتبناها إلى حماية الولايات العربية العثمانية من الضغط الخارجي والمنازعات الداخلية[٣] ، وهذا يعنى أن حزب اللامركزية الادارية العثماني كان أول تجربة تخوضها الحركة العربية في ميدان العمل المنظم ، ويمثل الأهداف والتطلعات العربية في ظل الخلافة العثمانية .

ولقد عبر أحد زعماء حزب اللامركزية الادارية العثمانى عن تلك المطالب والأهداف في ظل اللامركزية الادارية ، التى لادخل لها في السياسة الخارجية ولافى الحربية ، وليس هناك أحد ينازعها العاصمة[٤] ، غير أن « طلاب اللامركزية موقنون بأنهم لايعرفون طريقة لبقاء الدولة وحفظ البلاد ثم عمرانها الامايطلبونه ، وحجتهم ناهضة يذعن لها المنصفون من غيرهم ، وهم يطلبون

(١) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص٨٧ ـ ٩٣ .

(٢) لوتسكى : المرجع السابق ، ص٤٠٧ .

(٣) خيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨ ـ ١٩٢٠م ص٢٠ .

(٤) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٣ ، ص٢٣٨ .

من كل ذى رأي أن يقنعهم بطريقة يمكن بها حفظ البلاد العربية من استيلاء الدول الطامعة فيها عليها ، ولما يجدوا مقنعا »[١] .

حاولت الحكومة الجديدة التى شكلها حزب الحرية والائتلاف فى عاصمة الدولة أن تمنح اللامركزية الادارية للولايات العثمانية ، خاصة ولايات المشرق العربى العثمانى ، وهذا ما أشار إليه الصدر الأعظم كامل باشا حين استلم الحكم من سلفه الائتلافي مختار باشا حيث أكد عزم حكومته « على معاملة عناصر الدولة معاملة مساواة مطلقة بحيث ستحترم لغاتهم وتقاليدهم ، وستزيد في حقوق الولايات وتترك لها مزيدا من الحكم الذاتى »[٢] .

وكانت الصحافة العثمانية الصادرة في الآستانة تدرك الأخطار التى تهدد ولايات الدولة العثمانية في الشرق العربى فهذه جريدة اقدام التركية ترد على خطاب رئيس الوزارة الفرنسية ريمون بوانكاريه الذى ألقاه في مجلس الشيوخ الفرنسى ، وأظهر من خلاله أطماع حكومته في سوريا ، حيث حذرت الصحيفة من تلك الأطماع ، ووجوب التصدى لها عن طريق اجراء الاصلاحات الفعلية في ولايات الشام عن طريق نظام اللامركزية الادارية ، لأن النظام المركزى قد أثبت فشله ، وأكدت الصحيفة على أن الدولة العثمانية في وضعها الراهن وانشغالها بحرب البلقان لاتستطيع رد هجمات الأعداء عن ولاياتها بالمدفع والسيف ، ولكن بهذه السياسة الحكيمة سياسة اللامركزية تستطيع أن ترد فرنسا عن سوريا ، والدول الأخرى عن بقية ولايات الدولة ، مشيرة إلى أنه اذا لم تقم الدولة بذلك فلن تتمكن من الدفاع عن ولاياتها تلك ولن تستطيع الاستعانة بالمانيا ضد فرنسا[٣] .

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٧ ، ج٥ ، ص٣٩٧ .

(٢) توفيق علي برو : المرجع السابق ، ص٤١٩ .

(٣) جريدة الأهرام عدد ١٠٥٩٦ في ١ صفر ١٣٣١هـ .

وحين عاد الاتحاديون إلى الحكم في ١٥ صفر ١٣٣١هـ / ٢٣ يناير ١٩١٣م ، حاول وزير الداخلية أن يهدىء من ردة الفعل لدى المطالبين باللامركزية حيث ذكر أن حكومته ترغب في « أن تنظر الولايات في كل الأمور التى تخصها كأمور التعليم وتقدم الولاية الاقتصادى والصناعى ، وأعمال النافعة كانشاء الطرق والجسور ... وسيكون لكل ولاية ميزانية خصوصية ، أما المسائل التى تتعلق بالعسكرية والمالية فتعود إلى الحكومة المركزية »[١] .

لقد كان دعاة الاصلاح العرب يرفضون المركزية المطلقة التى تجعل كامل السلطة محصورة في عاصمة الدولة ، لأنها بذلك تجرد الولاة من كامل صلاحياتهم ، وتجعل أمور ولاياتهم مربوط بالعاصمة حتى فى الأشياء البسيطة التى لاتعنى حكومة العاصمة في شيء[٢] ، أما الاصلاح الحقيقى الذى يدعون اليه فهو في منح اللامركزية بمفهومها الواسع لولايات الدولة العثمانية ، لتنظر كل ولاية في شئونها وتسعى لرقيها دون تعرضه للتأخير أو المعاكسة من عاصمة الدولة ، والغاية من ذلك كله هو رقى الدولة العثمانية ، لتصبح دولة قوية وقادرة مملوءة بالحياة والتطور ، كى تفوز في معترك الصراعات الدولية المحيطة بها[٣] .

ان الاصلاح عند العرب كان في بدايته ينطلق من المبدأ السياسى المتمثل في اللامركزية ، والذى تمثل في تأسيس حزب اللامركزية الادارية العثمانى ، كحزب سياسى علنى ليصبح فيما بعد أفضل سلطة تتحدث عن أمانى العرب ورغباتهم في ظل دولة الخلافة[٤] ، وهذا ماعبر عنه السيد محمد

---

(١) جريدة الأهرام عدد ١٠٦١٣ في ٢١ صفر ١٣٣١هـ .

(٢) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٢٨٦ في ١٤ محرم ١٣٣١هـ .

(٣) جريدة الاصلاح عدد ٢٤ ـ ١٤١٩ في ٢ رجب ١٣٣١هـ من حديث رفيق العظم ـ رئيس اللجنة العليا اللامركزية الادارية العثمانية لمدير جريدة ـ الجون تورك ـ العثمانية .

(٤) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية . . . ، ص٩١ .

رشيد رضا أحد المؤسسين لحزب اللامركزية الادارية العثمانى حين قال :
« ان الحزب قد أصبح اقوى مما كان ، فقد كثرت فروعه في الولايات وانتظمت ، وقويت الثقة به وثبتت ، ... طوره الأول كان طور تمهيد للعمل باعداد الأفكار ، ثم بتأليف اللجان ، وقد انتهى الآن بطور القيام بالأعمال ، وأن قيامه بالعمل واضطلاعه بالسعى هو خير خدمة للدولة قبل الأمة ، ... فكانت المصلحة في أن يدير هو الحركة لئلا تفضى إلى الفوضى ، أو يتغلب عليها الغلاة المتطرفون ، الذين ظهرت في مدة سكوته أصواتهم بنغمة الثورة ، وتوزيع منشورات أقلقت الحكومة وعقلاء الأمة »[1] .

هذا هو الإصلاح عند العرب المتمثل في اللامركزية في ظل الخلافة الإسلامية في الدولة العثمانية ، وهو تأكيد على أن حرب طرابلس الغرب وما أعقبها من تحالفات حكومات البلقان ضد الدولة العثمانية ، انما كانت دافعا قويا للعرب المسلمين ليقفوا إلى جانب دولة الخلافة ، ووجدوا حينذاك أن خير وسيلة لاصلاح ولاياتهم والنهوض بدولتهم هو نظام اللامركزية ، الا أن حرب البلقان طورت الأحداث في الدولة العثمانية والمشرق العربى وهو ماسنعرفه في الفصول اللاحقة .

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٧ ، ج٣ ، ص٢٣٩ .

الفصل الثاني

حروب البلقان

أ ـ نشاط الدول الأوربية ضد الدولة العثمانية في ولاياتها البلقانية .

ب ـ حرب البلقان الأولى : مقدماتها ، معاهدة لندن ١٣٣١هـ / ١٩١٣م .

ج ـ العرب واللامركزية ، وسلامة الدولة في المشرق العربى .

د ـ حرب البلقان الثانية ، معاهدة بخارست ١٣٣١هـ / ١٩١٣م ، فقد الدولة الجزء الأكبر من أقاليمها الأوربية ؛ تغيّر بنية الدولة ، الأكثرية العربية .

(أ) نشاط الدول الأوربية ضد الدولة العثمانية في ولاياتها البلقانية .

لعبت الدول الأوربية دورا فعالا ضد الدولة العثمانية في ولاياتها البلقانية ، ولم يكن هذا الدور طارئا أو غريبا على تاريخ الدولة العثمانية المسلمة ، التى أصبحت في نظر الدول الأوربية خطرا جسيما يهدد أوربا من الشرق ، وباتت المسألة الشرقية عند الساسة الأوربيين هى ازالة هذه الدولة المسلمة من القارة الأوربية .

ان تحامل أوربا ضد الدولة العثمانية وضد الإسلام ، ليس معناه مراعاة أحوال مسيحيى الدولة في شبه جزيرة البلقان ، ولا الحيلولة دون قيام الثورات والفتن فيها ، وانما يعود إلى تلك الفترة التى فتح فيها العثمانيون أجزاء كبيرة من القارة الأوربية ، لتبدأ المسألة الشرقية عند أوربا منذ ذلك الحين ، وتصبح امانى الدول الأوربية بأسرها هى اجلاء العثمانيين عن القارة الأوربية وازالة آثارهم منها(١) .

ومهما اختلفت مصالح الدول الأوربية في أملاك الدولة العثمانية ، الا أن العداء للإسلام والمسلمين ، هو القاسم المشترك بينهم والقاعدة المتفق عليها ، وهذا ما أكده اللورد سالسبورى Salisbury حين قال : « ما أخذه الصليب من الهلال لايعود إلى الهلال ، وما أخذه الهلال من الصليب يجب أن يعود إلى الصليب »(٢) .

غير أن نظرية زعيم حزب الاحرار البريطانى وليم غلادستون William, E. Gladston كانت أكثر صراحة ووضوحا ، حيث تنادى بوجوب طرد العثمانيين

---

(١) صلاح الدين القاسمى : نبأ الحرب ، جريدة المقتبس ، عدد ١٠٠٩ في ٢٨ شوال ١٣٣٠هـ .
(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج١١ ، ص٨١٨ .

من أوربا ، وتأييد الشعوب البلقانية المسيحية في نضالها للتحرر من الحكم الإسلامي العثماني على حد زعمه(١) .

انعقد في الاستانة ١٢٩٣ ـ ١٢٩٤هـ /١٨٧٦ ـ ١٨٧٧م مؤتمر لسفراء الدول الأوربية لاعداد منهج الاصلاحات الواجب على الدولة العثمانية اتخاذها في شبه جزيرة البلقان ، ورغم صدور قرارات عن المؤتمر ، الا أن السلطان العثماني رفض تلك القرارات والمطالب التى حاول السفراء أن يملوها على الدولة العثمانية(٢) ، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن اعلان الدستور ـ المشروطية الأولى ـ حينذاك قطع على السفراء المؤتمرين ما كانوا يهدفون إليه ، وأوقف قراراتهم الداعية للاصلاح على طريقتهم في ولايات الدولة الأوربية(٣) .

زرعت أوربا في شبه جزيرة البلقان مشكلات قومية استخدمتها لتفصل تلك البلاد عن الدولة العثمانية(٤) ، فروسيا التى تبنت ودعمت الروح القومية السلافية ، لعبت دورا بارزا في منح الاستقلال لبلغاريا ، واتفقت مع النمسا لتأييد بلغاريا وارسال جيش مختلط لنصرتها ان هى حاربت الدولة العثمانية ، بينما قامت الصحف الروسية بنشر الأخبار المتتابعة عن وجود حلف بين الصرب وبلغاريا ورومانيا واليونان ضد العثمانيين ، ولكن السلطان عبد الحميد أكد أن « هذه الشعوب في عداء ونزاع وانقسام والحق يقال أن سيادتنا في أوربا مؤسسة على هذا الانقسام بين الأمم البلقانية ، والصحف الروسية تحاول عبثا ، ... ومشروع الروس صائر إلى الفشل التام »(٥) .

---

(١) عبد العزيز محمد الشناوى : المرجع السابق ، ج٣ ، ص١٢٠٠ .

(٢) منيرة عبد الله العرينان : المرجع السابق ، ص٤٧ .

(٣) محمود صالح منسي : المرجع السابق ، ص٧١ .

(٤) على حسون : العثمانيون والبلقان ، ص٢٦٣ .

(٥) جريدة الأهرام عدد ١٠٦١٣ في ٢١ صفر ١٣٣١هـ ؛ جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٢٣ في ٢٧ صفر ١٣٣١هـ .

كانت هناك آمال روسية في ايجاد مملكة سلافية في شبه جزيرة البلقان ، تجاور الدولة العثمانية ، وتستطيع روسيا من خلالها تحقيق أهدافها المستقبلية[1] ، وحين وضعت الحرب الروسية ـ العثمانية أوزارها ، كان أهم بنود معاهدة سان ستيفانو sanstefano الموقعة في ٢٨ صفر سنة ١٢٩٥هـ الموافق ٢ مارس ١٨٧٨م بين الدولتين والمؤلفة من ٢٩ بندا اقامة مملكة بلغارية وتوسيع رقعتها لتمتد من البحر الأسود حتى بحر ايجه ، ومنحها استقلالا تاما ، بحيث لاترتبط بالدولة العثمانية الا برباط لفظي ، كما منحت تلك المعاهدة الاستقلال لكل من أمارة الصرب والجبل الأسود ورومانيا[2] .

ورغم أن الدول الأوربية قد فزعت من مقررات معاهدة سان ستيفانو ، وسارعت إلى تعديلها وفق قرارات مؤتمر برلين الذى رأسه المستشار الألمانى الشهير بسمارك Bismarck ، الا أن بنود معاهدة برلين رغم تخفيفها لبعض بنود معاهدة سان ستيفانو بتقليص الأراضى المعطاة لبلغاريا ، واعتبار بلغاريا تابعة للدولة العثمانية على أن تعطى استقلال ذاتى[3] رغم ذلك كله فان مؤتمر برلين يؤكد أن نية روسيا كانت متجهة إلى ايجاد دولة بلغارية شاسعة ولكنها ضعيفة تقوم من تلقاء نفسها بخدمة المصالح الروسية وكذلك الحال مع امارة الصرب[4] .

وازداد قلق الدول الأوربية بعد انتصار الدولة العثمانية في حربها مع اليونان سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م ، حيث تدخلت في شئون الدولة وولاياتها

---

(١) جريدة الاصلاح عدد ٦٥ ـ ١٤٦٠ في ٢١ شعبان ١٣٣١هـ .

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٤٤ ؛ أورخان محمد على : المرجع السابق ، ص١٣٨ ـ ١٣٩ .

(٣) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، هامش ٢٩ ، ص١٤٣ .

(٤) مذكرات لورد غراى : المصدر السابق ، ص١٠٩ ـ ١١٠ ؛ فؤاد المرسى خاطر : الصراع الروسى ـ العثمانى ... ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلدان ٢٨ ـ ٢٩ ، سنة ٨١ ـ ١٩٨٢م ، ص٢٠٤ .

البلقانية ، وكفلت لجزيرة كريت الاستقلال ، ومنحتها حكما ذاتيا تحت زعامة أمير يونانى[1] ويذهب البعض إلى أن مطالبة الدول الأوربية للدولة العثمانية بتنفيذ الاصلاحات في شبه جزيرة البلقان انما هو ترجمة لسياستها الداعية إلى المحافظة على كيان الدولة العثمانية في أوربا خوفا من الاستقلال البلقانى ومن ثم التدخل الروسى ، وهذه السياسة عكس ماكانت تتبعه تلك الدول تجاه أملاك الدولة في آسيا وأفريقيا والتى تبيح لها اقتطاع واستعمار أجزاء كبيرة من تلك الممتلكات[2] .

ويرى أحد المؤرخين أن المانيا والنمسا قد قامتا بدور المحرض في دول البلقان ضد روسيا ، لأنه ليس لهاتين الدولتين صلات عرقية بشعوب البلقان ، كتلك التى تربط روسيا بصقالبة البلقان[3] ، وبصرف النظر عن اخذنا بهذا الرأى من عدمه ، فان الأهداف الروسية كان يدعمها اهتمام من نوع آخر هو الاهتمام بالمضائق وسواحل البحر الأسود مما يلى البلقان[4] اضافة إلى تزعمها حركة الجامعة الصقلبية في شبه جزيرة البلقان ، وهى حركة روسية قومية كان من أهدافها جمع صقالبة البلقان الأرثوذكس وتخليصهم من الدولة العثمانية المسلمة[5] .

وكانت هناك أهداف توسعية لدى حكومة النمسا ترغب في تحقيقها على حساب الدولة العثمانية في ولاياتها البلقانية وسنحت لها الفرصة حين اعلان الدستور ــ المشروطية الثانية ــ سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م لتستغل التطورات

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٥٩ .

(٢) منيرة العرينان : المرجع السابق ، ص١٠٢ .

(٣) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٣٥١ .

(4) Taylor, op. cit, P. 483.

(٥) عبد العزيز محمد الشناوى : المرجع السابق ، ج٢ ص١٠٦٠ .

الداخلية في الدولة وتعلن ضم البوسنة والهرسك إلى أملاكها ، ورغم أن هذا الاجراء قد فصل الامارتين السلافيتين ـ الصرب والجبل الأسود ـ عن بعضهما ، ومنع الصرب من تحقيق أحلامها التوسعية في الوصول إلى بحر الأدرياتيك[1] ، الا أن النمسا كانت قد ضمنت مساندة روسيا لها في مقابل عدم معارضة النمسا لفتح المضيقين في وجه السفن الحربية الروسية ، كما أمنت جانب بلغاريا ، اذ أنها شجعتها على اعلان استقلالها عن الدولة العثمانية[2] .

لقد أدرك وزير خارجية فرنسا أهمية المكاسب التى حصلت عليها النمسا في أملاك الدولة العثمانية في البلقان حين قال : « أن الربح الذى نالته النمسا بضم البوسنة والهرسك إلى أملاكها ذو قيمة كبيرة ، فانها ضمت اليها أوسع أرض نالتها دولة اوربية عظيمة منذ سنة ١٨٧٠م من غير أن تطلق رصاصة أو تمشق سيفا ، ... ثم أرادت أن تتوج تلك السياسة البلقانية بفوز آخر ، فنالت من أوربا ترضية عظيمة وجديرة بالنظر ، وهى تأسيس البانيا مستقلة ، فوطدت مطامعها في قلب شبه الجزيرة وعلى الهضاب التى تشرف عليها من كل جانب ، ولاغرو فان انشاء البانيا جديدة تحت حماية النمسا يجعل للنمساويين النفوذ الأكبر في البلاد البلقانية[3] » .

لم يكن نشاط الدول الأوربية في البلقان سرا لايعرفه أحد ، ولم يكن مقتصرا على روسيا والنمسا ، وقد أظهرت ثورة الألبانيين مدى هذا النشاط ، اذ أن سفراء تلك الدول في الآستانة قد سارعوا إلى الباب العالى محذرين اياه

(١) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص٤٥ .
(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٧٧ .
(٣) يوسف . ف . البستانى : المرجع السابق ، ص٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

من الخطر الناجم عن هذه الثورة ومدافعين عن المطالب التى ينشدها الألبانيون[١] ، أما وزير الخارجية البريطانى فقد نصح الصدر الأعظم للدولة العثمانية بتسريح الجيوش التى يتم حشدها في البانيا لأن ذلك يخفف الأعباء عن الخزانة العثمانية والدول الأوربية لن تترك أحدا يهاجم الدولة أو يجرد عليها السلاح من الدويلات البلقانية كما يقول الوزير البريطانى[٢] .

واذا كانت روسيا تسعى دائما إلى أن تذكى الهياج في الصرب وبين السلافيين من رعايا النمسا فان ضم النمسا لمقاطعتى البوسنة والهرسك قد جعلها تبذل جهودا ضخمة من أجل قيام تحالف بين دول البلقان بزعامة الصرب لتصفية ماتبقى من الممتلكات العثمانية في البلقان ، وشاركت كل من بريطانيا وفرنسا في تشجيع اقامة ذلك التحالف[٣] .

وحين خطب وزير خارجية روسيا ايزفولسكى Izvolskyi في الثانى من محرم ١٣٢٧هـ / ٢٥ ديسمبر ١٩٠٨م في المجلس الروسى ـ الدوما Duma ـ محبذا تكوين كتلة بلقانية واحدة ، لتتصدى للأخطار التى تجابه تلك البلدان كما يقول ، كتب السير ادوارد غراى Sir, Edward Grey وزير خارجية بريطانيا ، مثنيا على الحديث الذى قال به الوزير الروسى ومعبرا عن سروره الكبير بهذا الاتجاه ، مؤكداً على حاجة المجتمع للشعور المشترك بين دول البلقان وتوحيدها دفاعا عن المصالح المشتركة ، لأنه ـ كما يقول ـ في جانب هذا الرأى ويشجعه أينما كان[٤] .

---

(١) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص٤٢ .

(٢) مذكرات لورد غراى : المصدر السابق ، ص٧ .

(٣) محمد كمال الدسوقى : المرجع السابق ، ص٣٢٧ ـ ٣٢٨ .

(4) STAVRIANOS, OP. CIT, P. 532.

وبعد عام واحد من تصريحات وزير خارجية روسيا ، وقعت محالفة عسكرية سرية بين روسيا وبلغاريا ، أكدت روسيا من خلالها تعاطفها الكامل مع الأمانى الكثيرة التى تجيش في صدور الشعوب السلافية ، وأبدت استعدادها لخوض أى حرب تقوم بها المانيا أو النمسا ضد تلك الشعوب[١] ، وهذا يعنى أن تشجيع روسيا للدول البلقانية ، ومن ثم حرب الدول البلقانية للدولة العثمانية قد أيقظ التنافس بين النمسا وروسيا[٢] ، وزاد من نشاطهما في شبه جزيرة البلقان على حساب ولايات الدولة العثمانية فيها ، وفى أوائل سنة ١٣٢٩هـ / أوائل سنة ١٩١١م أعطى السفير الروسى في الآستانة تعهدات باسم حكومته لملك بلغاريا تلتزم فيها بعدم السماح بحدوث أية تغييرات في الموقف علي الساحة البلقانية ، وأن شئون البلقان بين روسيا والمانيا ستتم تسويتها قريبا[٣] ، وبعد ثلاثة اشهر وفى نفس العام طلب السفير الروسى في الأستانة من الحكومة العثمانية عدم اظهار أية نوايا عدوانية ضد امارة الجبل الأسود ، ويذهب المراقبون السياسيون في عاصمة الدولة حينذاك إلى أن هذا التدخل من السفير الروسى ذو طبيعة تهديدية ، غير أن عباراته المغلفة بألفاظ ودية حالت دون اثارة الغضب في الدوائر الرسمية هناك[٤] .

لقد كانت الحرب الطرابلسية بين الدولة العثمانية وايطاليا ذات أثر فعال لمواقف الدول الأوربية في البلقان فالايطاليون يؤكدون أن سياستهم هى المحافظة على الوضع الراهن الاقليمى في شبه جزيرة البلقان[٥] ، أما

(١) مذكرات لورد غراى : المصدر السابق ، ص١٩ .

(٢) بيير رونوفن : تاريخ القرن العشرين ، ص٢٩ ـ ٣٠ .

(3) F. O. 424/ 226, No. 86, "Mr. Lindley to Sir, E. Grey", Sophia, 1. 2. 1911. p. 77.

(4) F. O. 424/ 250, Annual, Report, 1911, No. 100. "G. Lowther to E. Grey", constantinople, 13. 1. 1912. p. 13.

(٥) محمد عبد الكريم الوافى : المرجع السابق ، ص٩٨ .

الدبلوماسيون الروس فكان الاتجاه لديهم غير موحد ، فالبعض منهم أراد أن تفتح المضائق أولا ، بينما رغب البعض في تنظيم التحالف البلقاني ليشمل الدولة العثمانية ، في حين كان اتجاه البعض الآخر هو ايجاد حلف بلقاني بمعزل عن الدولة العثمانية(١) .

ورغم أن السفير الروسى في الأستانة ووزير خارجيته لم يتمكنا من تنظيم حلف عملى بين دول البلقان عند نشوب الحرب الايطالية(٢) ، الا أن السياسة الروسية أخذت في اتجاه أكثر إلى تكوين حلف يكون لها فيه النفوذ القوى على الدول الموقعة على الحلف ، وقد قام السفيران الروسيان هارتوج Hartwig في بلغراد ، ونيكلودوف Nekloudof في صوفيا بانهاء هذه المهمة ، حيث وقعت المعاهدة الصربية البلغارية في ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٣٠هـ الموافق ١٣ مارس سنة ١٩١٢م ، وانضمت اليها اليونان في ٤ جمادى الثانى سنة ١٣٣٠هـ الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩١٢م(٣) ، وكان وزير خارجية روسيا المسيو سازونوف Sazonof أول المؤيدين لهذه التحالفات حيث قال : « حسنا ، ان هذا شيء ممتاز ، وأن هذا سوف يسد الطريق للأبد أمام الاختراق الألمانى والغزو النمسوى »(٤) ، أما الصدر الأعظم في الدولة العثمانية فكان يرى أن اليونان أصبحت آلة في يد روسيا أو بالأصح العنصر السلافى كما يقول . ومصلحة اليونان كما يرى المسئول العثمانى هى مع الدولة العثمانية لامع روسيا(٥) .

---

(١) جريدة المقطم عدد ٦٩٨٥ في ١٠ ربيع الثانى ١٣٣٠هـ ؛

Stavrianos, op. cit, p. 533.

(2) Taylor, op. cit, p. 484.

(٣) بيير رونوفان : تاريخ العلاقات الدولية ـ القرن التاسع عشر ـ ص٦٦٣ .

(4) Taylor, Ibid: p. 484.

(٥) جريدة الأهرام عدد ١٠٦٢٦ في ٧ ربيع الأول ١٣٣١هـ .

هكذا لعبت السياسة الروسية دوراً بارزاً في دفع الدول البلقانية إلى التحالف ضد الدولة العثمانية وضد بعض الدول الأوربية ، ولم يكن النشاط الروسى في الولايات العثمانية البلقانية ينفرد بالدعم والمؤازرة ، لحكومات البلقان وانما لعبت الدول الأوربية الأخرى أدواراً مشابهة ، تهدف في مجملها إلى دعم الدويلات البلقانية ضد الدولة العثمانية ويذهب بعض المؤرخين إلى أنّ الحكومة البريطانية أيدت سرا تأليف الحلف البلقاني ، لأن الساسة العثمانيين اتجهوا إلى الألمان دون بريطانيا[١] .

أما رئيس وزراء فرنسا ريمون بوانكاريه فقد أبدى كامل اعجابه وتأييده للحلف البلقانى ، حين أطلعه عليه وزير خارجية روسيا[٢] ، بينما حث وزير خارجية بريطانيا سفير الدولة العثمانية في لندن ليطلب من حكومته اتخاذ اجراءات ترضى دول البلقان ، وتعيد الطمأنينة إلى الشعوب المسيحية فيها[٣] ، أما الحكومة الايطالية فقد تقربت إلى قادة الحركات المعادية للدولة العثمانية في البانيا والجبل الأسود وجهزتهم بالسلاح والذخيرة[٤] ، كما أظهر رئيس الوزراء الايطالى رضاه الكامل عن تفاقم النزاع بين الدولة العثمانية والبلقانيين عند مقابلته للسفير البريطاني في روما[٥] ، أما استخدام الطائرات لأول مرة في حرب البلقان وبعض الأسلحة الحديثة فهو دليل واضح على أن الدول الأوربية كانت تدعم البلقانيين بالعتاد والسلاح[٦] بالإضافة إلى الدعم السياسي سالف الذكر .

---

(١) محمد قاسم وأحمد نجيب هاشم : المرجع السابق ، ص٢٥٢ .

(٢) هارولد تمبرلي و ـ أ . ج . جرانت : أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ... ، ج٢ ، ص١٤٧ .

(3) F. O. 424/ 234, No. 147, "E. Grey to Sir, G. Buchanan" F. O, 2. 9. 1912. PP. 69- 70.

(٤) ز . ب . ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص٤٥ .

(5) F. O. 424/ 235, No. 452 "R. Rodd to Sir, E. Grey", Rome, 9. 11. 1912. pp. 203 - 204.

(٦) على حسون : العثمانيون والبلقان ، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

وقبيل إعلان الحرب على الدولة العثمانية من قبل حكومات البلقان حاول الساسة الأوربيون أن يظهروا بمظهر الحريص على عدم الرغبة في قيام الحرب، حيث أبلغ وزير خارجية فرنسا سفارة بلاده في بلغاريا لتطلب من الحكومة البلغارية عدم الإقدام على الحرب ضد تركيا لأنها لن تحصل على التأييد من أحد[1] ، أما المسيو سازونوف وزير خارجية روسيا فقد اتجه إلى الدول الأوربية مناشداً أياها كي تحول دون نشوب الحرب التي أصبحت وشيكة الوقوع ، وساد الدوائر الألمانية والنمساوية شيء من هذا الاضطراب[2] ، أما مساعد وزير خارجية بريطانيا فقد حاول مع الحكومات البلقانية كي تمنع انفجار الحرب ، خوفا من أن يكون لروسيا والنمسا دور في ذلك[3] ، هذا الوضع الذي عاشته الدول الأوربية يوحي بأن انفجار الحرب في بلاد البلقان سيجعل الدول الأوربية تلتزم الحياد ولن تتدخل فيها ، بينما كان الرأي العام لدى شعوب البلقان يرى أن الدول الأوربية ستقف إلى جانب الحكومات البلقانية[4] ، وهذا هو الواقع الذي أثبتته الوقائع التاريخية .

وحين كان الاعتقاد السائد لدى الدول الأوربية هو تفوق الدولة العثمانية عسكريا على البلقانيين ، فقد صرحت تلك الدول مجتمعة على أن هذه الحرب لن تغير شيئا من الحالة الحاضرة ولا من خارطة البلقان[5] ، وقد أصدرت

---

(1) F. O. 424/ 234, No. 164, "Sir, E. Grey to Sir, F. Bertie", F. O, 4. 9. 1912 . P. 75.

(2) F. O. 424/ 234, No. 223, "Earle Granville to Sir, E. Grey", Berlin, 17. 9. 1912. P. 112.

(3) F. O. 424/234, No. 343, "Sir, E. Grey to Mr. T. Russell", F. O. 2. 10. 1912. P. 165.

(4) Sloane, op. Cit, P. 196.

(5) F. O. 424/250, Annual, Report, 1912 No. 315 "G. Lowther to Sir, E. Grey", 17. 4. 1913. PP. 15 - 16.

، مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج١ ، ص٧١

، حقي العظم : الحرب البلقانية ـ أسباب ونتائج ـ ، جريدة المقتبس عدد ١٠٥٦ في ٢٨ ذي الحجة ١٣٣٠هـ .

روسيا والنمسا في ٢٧ شوال ١٣٣٠ هـ الموافق ٨ أكتوبر ١٩١٢ م قراراً تحذر فيه دول البلقان بأنه حتى إذا أفلحت دول البلقان في هزيمة الدولة العثمانية فلن يسمح لها بإضافة أي حدود جديدة لأراضيها[١] ، غير أن الطريف في الأمر أن تعلن إمارة الجبل الأسود الحرب على الدولة العثمانية في نفس ذلك اليوم .

وبعد أن اشتعلت الحرب بين الدول البلقانية والدولة العثمانية ، صرح الكونت ليوبولد برشتولد Count, Leopold Berchtold وزير خارجية النمسا ـ المجر ، وبعد أقل من ثلاثة أسابيع من قرار حكومته وروسيا الموجه للبلقانيين صرح قائلا : « ليست سياستنا في البلقان سياسة فتح ، وليس معنى هذا أننا لانهتم بالحوادث التى تجرى في تلك الأنحاء فان لنا في شبه جزيرة البلقان مصالح حيوية ونحن مزمعون أن ندافع عنها مهما كلفنا ذلك »[٢] .

وبينما كان رئيس وزراء الصرب يعلن للصحافة النمساوية استعداد روسيا للتدخل إلى جانب حكومته في حالة تدخل أى دولة أوربية[٣] ، كانت وكالات الأنباء العالمية تؤكد على أن المساعدات الروسية لحكومات البلقان لم تنقطع ، وأن كثيراً من الروس من بينهم عدد من ضباط الجيش الاحتياطى قد انضموا إلى جيش بلغاريا والصرب[٤] ، وهذا ماعترف به صراحة السفير الروسى في لندن حين قال لوزير الخارجية البريطانى : « أنه من الصعب كبح جماح الرأى العام الروسى ، اذا كان هناك اعتقاد أن النمسا وألمانيا تفكران في منع الحلفاء البلقانيين من الاحتفاظ بما كسبوه »[٥] ، أما الحكومة

(1) Stavrianos, op. cit, p. 534.

(٢) محمد كرد على : أوربا والحرب ، جريدة المقتبس عدد ١٠٢٣ في ١٦ ذى القعدة ١٣٣٠هـ .

(٣) جريدة المقتبس عدد ١٠٢٦ في ١٩ ذى القعدة ١٣٣٠هـ .

(٤) جريدة الأهرام عدد ١٠٦١١ في ١٩ صفر ١٣٣١هـ .

(5) F. O. 424/235, No. 814. "Sir, E. Grey to sir, F. Bertie", F. O, 28. 11. 1912. p. 376.

الإيطالية فقد أعلنت أنها سترسل فرقة من جيشها إلى البانيا اذا أرسلت النمسا قواتها إلى هناك[١] .

هكذا زاد نشاط الدول الأوروبية في ولايات الدولة العثمانية في شبه جزيرة البلقان ، وكشفت كل دولة من تلك الدول عن أهدافها وأطماعها المبيتة في أملاك الدولة العثمانية في أوربا ، وزاد الأمر سوءاً أن تلك الدول الأوربية قد تنكرت لمواقفها السابقة المعلنة قبل الحرب ، وقررت بشكل جماعى أنه ليس من العدل والانصاف أن يحرم البلقانيون من ثمرة انتصارهم[٢] .

ولقد أعلنها رئيس الوزراء البريطانى اسكويث Asquith في ٣٠ ذى القعدة ١٣٣٠هـ الموافق ٩ نوفمبر ١٩١٢م ، صريحة حيث قال : « انه ينبغى على هذه الدول ـ يعنى بذلك الدول الأوربية ـ أن تعترف بالحقائق الجديدة ، وترتضى التغييرات الاقليمية التى كان الدم والتضحية سبيل الفوز بها»[٣] ، مشيرا إلى أن خريطة أوربا يجب أن تعدل ، ويجب ألا نسرق ثمار الانتصار من البلقانيين التى كلفتهم كل عزيز على حد قوله[٤] .

أما رئيس الوزراء الفرنسى فقد ذهب إلى أبعد من ذلك في خطابه لمجلس النواب الفرنسى ومجلس الأعيان ، حيث قال : « أن اتحاد الشعوب البلقانية بقصد الاستقلال يعتبر عملا عظيما في حد ذاته ، وفرنسا تنظر إلى عملها هذا بعطف وولاء ، فليكن البلقان بعد اليوم للبلقانيين من بلغار ويونان وصرب وألبانيين وجبليين ، فهذا هو الحل الوحيد الطبيعى العادل للمسألة البلقانية »[٥] .

---

(١) جريدة الأهرام عدد ١٠٥٩٤ في ٢٩ محرم ١٣٣١هـ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج١ ، ص٧١ ، توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٤٢٢ .

(٣) هارولد تمبرلى و ـ أ . ج . جرانت : المرجع السابق ، ج٢ ، ص١٤٨ ـ ١٤٩ .

(4) F. O. 424/250, Annual, Report, 1912, No. 315, "G. Lowther to Sir, E. Grey" Constantinople, 17. 4. 1913. p. 17.

(٥) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٠٢ في ٢ صفر ١٣٣١هـ .

واذا كان وزير خارجية ايطاليا قد قال أن نظرية ـ البلقان للبلقانيين ـ هى أحسن حل يرضى ايطاليا وبقية الدول الأوربية ، فان الحكومة الألمانية التى كانت قادرة على مساعدة الدولة العثمانية في أن تتجنب هذه المصائب ، لم تقم بأى دور ايجابى لمصلحة الحكومة العثمانية ، بل كانت الصحف الألمانية تقدم التهانى للبلقانيين على انتصاراتهم ، وتردد القول أنها خير صديقة لهم[١] ، وكذلك كان الموقف الروسى لايختلف عن موقف سائر الدول الأوربية ، فقد جاء في المذكرة الرسمية التى نشرها وزير خارجية روسيا ، والتى أبان فيها موقف حكومته من الازمة البلقانية « أن الغرض الأول الذى وضعته روسيا نصب عينيها بعد فوز البلقانيين هو أن ينال هؤلاء البلقانيون ثمرة فوزهم »[٢] .

ولقد قامت فرنسا بارسال باخرة تحمل عدة بطاريات من المدافع وكمية كبيرة من القنابل والذخائر ، لمساعدة الصرب مستغلة فترة مفاوضات الصلح الجارية في لندن[٣] ، أما الحكومة البريطانية فقد احتجزت الباخرة العثمانية ـ مرمريس ـ فى ميناء بومباى بحجة اصلاحها ، ولم تفرج عنها الا بعد توقيع معاهدة لندن بين الدولة العثمانية ودول البلقان[٤] .

وحين سقطت مدينة أدرنة في أيدى البلغاريين ، بعد تعثر مفاوضات الصلح في لندن ، واستئناف الحرب ، قوبل هذا الخبر في مجلس النواب الروسى ـ الدوما Duma ـ بعاصفة من التصفيق ، وصادف أن كان معتمد

---

(١) الاسكندر ايكونوه : ماوراء التحالف البلقانى ـ جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٤٤ في ٢٣ ربيع الأول ١٣٣١هـ .

(٢) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٩٠ في ١٨ جمادى الأولى ١٣٣١هـ .

(٣) جريدة الأهرام عدد ١٠٦١٣ في ٢١ صفر ١٣٣١هـ .

(٤) خالد حمود السعدون : الأوضاع القبلية في ولاية البصرة العثمانية ... ، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

البلغار في روسيا موجودا في المجلس ، فحمل على الأكتاف من قبل النواب ووكلائهم وهم يرددون النشيد الوطنى الروسى والنشيد الوطنى البلغارى(١) .

هكذا كان موقف الدول الأوربية ضد الدولة العثمانية في ولاياتها البلقانية قبيل نشوب حرب البلقان الأولى التى أعلنتها الدول البلقانية ضد الدولة العثمانية ، وأثناء هذه الحرب ، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها وعقدت معاهدة لندن بين الجانبين ، لم توقف الدول الأوربية نشاطها في شبه جزيرة البلقان ضد الدولة العثمانية ، ولم تخف تعاطفها مع الحكومات البلقانية .

وحين قامت حرب البلقان الثانية بين البلقانيين بعضهم البعض ، عبر وزير خارجية بريطانيا للقائم بالأعمال البلغاري عن انزعاج حكومته والدول الأوربية من تلك الحرب التى بدلت التعاطف والاستحسان والاعجاب لدى الدول الأوربية إلى خيبة أمل شديدة من جراء تلك الحرب التى حولت حلفاء الأمس إلى أعداء ألداء ، وأضاف الوزير البريطاني مؤكدا أن الدول العظمى لن تتدخل لحماية أى منهم(٢) ، ولكنه لم يلتزم بما قال وانما وجه تحذيراً إلى حكومة الآستانة محذراً اياها عدم القيام بأى أعمال استفزازية على حد قوله ضد دول البلقان تتعارض مع مبادىء معاهدة لندن ، وأن أى اجراء تقوم به الدولة العثمانية سيجلب عليها نتائج وخيمة(٣) .

وقد اجتمع سفراء الدول الأوربية في الاستانة بمقر السفارة النمساوية ، لمناقشة الصيغة المثلى للخطاب المزمع رفعه للباب العالى ، بشأن عدم الخروج

---

(١) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٧١ في ٢٥ ربيع الثانى سنة ١٣٣١هـ .
، يوسف . ف . البستانى : المرجع السابق ، ص٤٤ ـ ٤٥ .

(2) F. O. 424/ 247, No. 33, "E. Grey to H. Bax-- Ironside", F. O, 2. 7. 1913. P. 17; F. O. 424/247, No. 246, "E. Grey to H. Bax-- Ironside", F. O, 11. 7. 1913. Pp. 114-- 115.

(3) F. O. 424/247, No. 390, "E. Grey to H. Bax-- Ironside", F.O, 17. 7. 1913. P. 174.

على معاهدة لندن ، ومحاولة استرداد المناطق التى أخذها الحلفاء في الحرب البلقانية[1] الأولى ، ثم قام هؤلاء السفراء بزيارة الصدر الأعظم وابلاغه باعتراض حكوماتهم على التحركات العسكرية العثمانية التى تخل بمقررات معاهدة لندن[2] .

وبالرغم من أن وزير خارجية فرنسا قد حذر الدولة العثمانية بأن لاتطمع في استرداد شبر واحد من الأراضى التى فقدتها في حرب البلقان الأولى[3] ، الا أن رئيس الوزراء البريطانى كان أكثر حزما وتطرفا عندما استعاد العثمانيون مدينة أدرنه إذ حمّلهم سوء العواقب التى ستلحق بهم ان هم أصروا على الاحتفاظ بتلك المدينة ، وهدد بايقاف المستشارين البريطانيين المتفق على ارسالهم للعمل لدى الدولة العثمانية في الأناضول[4] .

لقد واجهت الدولة العثمانية في ولاياتها الأوربية مصاعب جمة ، لم تنحصر في الثورات والقلاقل التى كان يقوم بها البلقانيون ، ومن ثم اعلانهم الحرب على الدولة العثمانية ، وانما أصبح التدخل الأوربى فى ولايات البلقان العثمانية يمثل عبئا آخر يضاف إلى تلك المصاعب التى واجهتها الدولة ، ولم يقف التدخل الأوربى في البلقان عند حد معين ، ولازمن محدود ، وهذا يؤكد ماذهبنا إليه في هذا الجزء من البحث من أن حرب البلقان قد سبقها نشاط أوربى كبير ضد الدولة العثمانية في ولاياتها البلقانية ، مما ترتب عليه بروز عوامل فعالة في قيام تلك الحرب ونتائجها .

---

(1) F. O. 424/248, No. 302, "Mr, Marling to Sir, E. Grey" Constantinople, 8. 8. 1913. p. 181.

(٢) جريدة الأهرام عدد ١٠٧٥٩ في ١٧ رجب ١٣٣١هـ ، ص٤ ؛ جريدة الاصلاح عدد ٨٩ ـ ١٤٨٤ في ١٩ رمضان ١٣٣١هـ ؛ جريدة الأهرام عدد ١٠٧٧٤ في ٦ رمضان ١٣٣١هـ ، ص٢ .

(٣) جريدة الاصلاح عدد ٥٩ ـ ١٤٥٤ في ١٤ شعبان ١٣٣١هـ .

(٤) مذكرات لورد غراى : المصدر السابق ، ص٩ .

ويرى البعض من المؤرخين والكتاب أن دوافع حرب البلقان كانت في معظمها من دول أوروبا التى حولت تلك الحرب إلى حرب صليبية حديثة ، الهدف منها طرد المسلمين العثمانيين من شبه جزيرة البلقان المسيحية[1] ، وهذا الرأى يدعم كذلك ماقصدناه سلفا .

وهكذا لعب التدخل الأوربى في الولايات البلقانية دورا مؤثرا ساهم في اشعال نار حرب البلقان الأولى التى كانت نتائجها جد خطيرة على الدولة العثمانية والمشرق العربى العثمانى ، كجزء هام من هذه الدولة .

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج١٢ ، ص٩٣٨ ـ ٩٤٣ ؛ محمد فريد بك : المرجع السابق ، ص٧١٦ .

(ب) حرب البلقان الأولى : مقدماتها ، معاهدة لندن ١٣٣١هـ/١٩١٣م

الحديث عن حرب البلقان الأولى ، التى قامت بين الدولة العثمانية والدول البلقانية الأربع التى شاركت في تلك الحرب وهى كل من : بلغاريا ، والصرب ، واليونان ، والجبل الأسود ـ والتى انتهت بمعاهدة لندن ١٣٣١هـ / ١٩١٣م ، يعتبر الحديث عنها محوراً أساسياً ، لما لهذه الحرب من آثار كبيرة على مجريات الأحداث في الدولة العثمانية والمشرق العربى العثمانى ، فهذه الحرب التى اعترفت للبلقانيين بقوميتهم ، دلت دلالة واضحة على أن هزيمة الدولة العثمانية فيها قد فجرت الروح القومية التركية ، وأحدثت تبعات كثيرة دفعت الدولة ثمنها في ولاياتها الأخرى .

ولقد كان مؤتمر برلين في ١٣ رجب ١٢٩٥هـ الموافق ١٣ يوليو ١٨٧٨م[1] يشكل المنعطف الأول والخطير في علاقات البلقانيين مع الدولة العثمانية ، اذ أنه ترك كثيرا من مواضع الخلل السياسى ، وفتح الأبواب على مصراعيها للدول البلقانية لتزداد طمعا في التوسع والاستقلال ، غير أن السلطان عبد الحميد الثانى قد حال دون تلك الأهداف والغايات طوال فترة حكمه ، كما يقول جمال الدين الأفغاني ، عندما كان يصف سياسة السلطان عبد الحميد : « كلما حاولت أوربا أن تجمع كلمة دول البلقان للخروج عن الدولة بحرب ، كان السلطان يسارع بدهائه العجيب لحل ماربطوه وتفريق ماجمعوه من كلمة وكيد »[2] .

---

(١) محمد فريد بك : المرجع السابق ، ص٦٩٧ .

(٢) أورخان محمد على : المرجع السابق ، ص٢٣١ .

ورغم أن سكان البلقان كانوا منقسمين إلى شعوب وقوميات متعددة ، ويختلفون عن بعضهم البعض في اللغة والتاريخ[١] ، الا أن الحقد الصليبى في نفوس هؤلاء كان يوحد بينهم في عدائهم للدولة العثمانية حتى صار غرس هذا العداء واجبا من واجبات التربية للأبناء ، وعلامة من علامات الوطنية والانتماء[٢] ، والدول الأوربية لاتزيد هذا الحقد والعداء الاتشجيعا ودعما مستمرا ، ولعل مؤتمر برلين وموقف تلك الدول فيه دليل واضح على موقف الدول الأوربية ، وقد أفصح أحد المؤرخين الأوربيين عن هذا الاتجاه حين قال : « حركات الاحتجاج بدأت في مقدونيا منذ سنة ١٩١٠م ، وكان من المنطقى أن تعمل الدول المسيحية في البلقان على تأييد هذه الحركات حتى تحرر الأراضى الخاضعة »[٣] .

أما السفير البريطانى في الآستانة السير جيرارد لوثر فقد أعطى صورة واضحة عن علاقات الدول البلقانية مع الدولة العثمانية في تلك الفترة ، حيث أشار في التقرير السنوى الذى بعث به إلى وزير الخارجية البريطانية السير ادوارد جراى ، إلى أن الساسة العثمانيين يخشون من تدخل بلغاريا في مقدونيا ، وهؤلاء الساسة منقسمون على أنفسهم فالبعض منهم يفضل سياسة المصالحة مع المسيحيين في مقدونيا ، بينما يرى البعض الآخر أن سياسة القوة هى الأفضل ولابد من سياسة استيطانية عن طريق ارسال أسر مسلمة لتلك القرى المسيحية لتقف هذه العملية في وجه قيام بلغاريا الكبرى ، ومع أن تقرير المسئول البريطانى أشار إلى توتر فى علاقات بلغاريا مع الدولة

---

(١) ساطع الحصرى : محاضرات في نشوء الفكرة القومية ص٥٨ .

(٢) يوسف . ف . البستانى : المرجع السابق ، ص٣٣ ، ٣٧ .

(٣) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية ـ القرن التاسع عشر ١٨١٥ ـ ١٩١٤م ، ص٦٦٢ .

العثمانية نتيجة لسياسة نزع السلاح من المقدونيين ، الا أنه وصف علاقات رومانيا والصرب مع العثمانيين بأنها جيدة ، وأن هناك اتفاقات بين رومانيا والدولة العثمانية لزيادة الصداقة بينهما ، وكان لملك الصرب زيارة ناجحة للآستانة ، وأشار السفير البريطانى إلى وجود تهديدات خفية وازعاج لعلاقات اليونان مع العثمانيين(١) .

وكانت شخصية رئيس الوزراء اليونانى فينيزيلوس Venizelos ، ذات أثر فعال في دفع الحكومات البلقانية لعمل تحالف دفاعي ضد الدولة العثمانية والدفاع عن المسيحيين العثمانيين في البلقان ، وقدم أول عرض له لقيام تحالف بين بلغاريا واليونان في شهر ربيع الثانى سنة ١٣٢٩هـ/ ابريل ١٩١١م ، الا أن الشك وعدم الثقة من جانب البلغاريين أخر هذا التحالف بعض الوقت ، أما امارة الجبل الأسود التى تعكر صفو الصلات السياسية بينها وبين الباب العالى بعد ذلك التاريخ بشهر واحد ، فقد كانت خطتها تهدف إلى اشراك كل البلقانيين في ذلك الحلف وهو ماتحقق بالفعل(٢) .

وقد شهدت العلاقات السياسية والاقتصادية بين الدولة العثمانية وكل من بلغاريا واليونان والصرب والجبل الأسود طوال عام ١٣٢٩هـ/١٩١١م نوعا من الهدوء والتحسن الحذر بين الطرفين ، وجددت الدولة العثمانية المعاهدة التجارية مع بلغاريا ، وعينت سفيرا جديدا لها في أثينا تعبيراً عن حسن العلاقات وأملا في تطويرها ، أما امارة الجبل الأسود فلم يؤثر على علاقاتها

(1) F. O. 424/250, Annual, Report, 1910, No. 103, "G. Lowther to Sir, E. Grey" Constantinople, 14. 2. 1911. pp. 6-- 7.

(2) Miller, op. cit, p. 499,

مارى ملزباتريك : المرجع السابق ، ص١٥٦ ـ ١٥٧ .

مع الدولة العثمانية طوال تلك السنة الا لجوء بعض الثائرين الألبان اليها ، مما حدا بالسلطات العثمانية إلى تقديم شكوى إلى المسئولين الجبليين ، مهددة اياهم بالانتقام ان لم تنزع السلاح من هؤلاء اللاجئين وتوقف المساعدة التى يتلقونها على أيدى ضباط من الجبل الأسود[1] .

ورغم جهود رئيس الوزراء اليونانى فينيزيلوس التى بذلها للتآليف بين الدول البلقانية ، الا أن التشجيع الروسى لكل من الصرب وبلغاريا ، ودفعهما لتوقيع معاهدة تضمن تعاونهما المشترك ، ساعد بصورة حاسمة وسر يعة على قيام تحالف صربى ـ بلغارى وتوقيع معاهدة بين الدولتين في ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٣٠هـ/ ١٣ مارس ١٩١٢م[2] ، ومن أهم بنود تلك المعاهدة المادة السرية الملحقة بتلك المعاهدة ، والتى أعلن الطرفان فيها أنه « فى حالة حدوث أية اضطرابات داخلية في تركيا مما يعرض المصالح القومية أو الوطنية للدولتين المتعاقدتين أو احداهما للخطر ، أو فى حالة قيام مصاعب داخلية أو خارجية في تركيا مما يعرض الحالة الراهنة فى شبه جزيرة البلقان للخطر وجب على الدولتين المتعاقدتين أن تسارعا إلى تبادل الآراء لاتخاذ الخطوات العاجلة لمنع الخطر »[3] ، كما أن الطرفين اتفقا على تقسيم مقدونيا إلى منطقتين ـ صربية وبلغارية ـ على أن تلجأ الدولتان إلى تحكيم قيصر روسيا في حل كل خلاف يقع بينهما[4] .

---

(1) F. O. 424/250, Annual, Report, 1911, No. 100, "G. Lowther to Sir, E. Grey" Constantinopl, 31. 1. 1912. pp. 12-- 13.

(2) F. O. 424/250, Annual, Report, 1912, No. 315, " G. Lowther to Sir, E. Grey" Constantinople, 17. 4. 1913. P. 14,

هارولد تمبرلى و . أ . ج . جرانت : المرجع السابق ، ج٢ ، ص١٤٦ ـ ١٤٧ .

(٣) عبد الحميد البطريق : المرجع السابق ، ص١٥٠ .

(٤) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٤١٠ .

ورغم أن رئيس الوزراء اليونانى كان قد فوض سفير حكومته في بلغاريا بفتح باب المحادثات الرسمية قبل توقيع المعاهدة ـ الصربية ـ البلغارية ، بأقل من شهر ، الا أن تلك المحادثات انتهت بتوقيع الاتفاقية اليونانية ـ البلغارية في ١٣ جمادى الثانى ١٣٣٠هـ/ ٢٩ مايو ١٩١٢م ، والتى تعهد فيها الفريقان بتقديم المساعدات لبعضهما البعض اذا هوجمت احداهما من قبل الدولة العثمانية ، وعلى أن يؤمنا سلامة وجود السكان من البلغار واليونان الأتراك ، وأن يتعاونا على تأمين حقوق تلك القوميات(١) .

أما امارة الجبل الأسود فقد حاولت أن تنضم إلى هذه التحالفات ، وتم لها الاتصال شفويا مع تلك الدول ، لتنتهى هذه الاتصالات بعقد معاهدات تحالف بين الجبل الأسود من جهة وبلغاريا والصرب من جهة أخرى ، وذلك في شهر شوال ١٣٣٠هـ/ أواخر سبتمبر وأوائل أكتوبر ١٩١٢م(٢) ، لتنهى بذلك كامل نظام التحالف البلقانى ضد الدولة العثمانية ، سيما وأن اليونان وبلغاريا قد وقعتا حلفا عسكريا في ١٤ شوال ١٣٣٠هـ الموافق ٢٥ سبتمبر ١٩١٢م نص على تعهد بلغاريا بارسال ثلاثمائة ألف جندى إلى ميدان المعركة ، وتعهد اليونان بارسال مائة وعشرين ألف جندى ، وأن توحد الدولتان قواتهما للدفاع المشترك اذا هاجمت الدولة العثمانية احدى الدولتين(٣) .

واذا كان الواقع قد أكد أن اتفاق الجبل الأسود مع بلغاريا والصرب بمثابة الحلقة النهائية في الحلف البلقانى فهو يؤكد أيضا أن دول البلقان كانت تخطط لمهاجمة الدولة العثمانية ، بعد أن أصبح الرأى العام لتلك الشعوب مهيأ

---

(1) Miller, op. cit, pp. 500-- 501' Sloane, op. cit, p. 161.

(2) Stavrianos, op. cit, P. 355.

(3) Sloane, op. cit, p. 165.

للانقضاض على العثمانيين ، واخراجهم من شبه جزيرة البلقان[١] وليس ذلك بمستغرب على تلك الدويلات التى كانت تدعم العصابات الارهابية فى مقدونيا ، لتعيث فيها فسادا ، وتريق دماء المسلمين ، وتعتدى على أموالهم وأعراضهم دون رادع أو خوف[٢] .

وبينما كانت أخبار التحالف البلقانى تتوالى على أسماع الساسة العثمانيين ، كانت أوضاع الدولة العسكرية والسياسية تمر بمرحلة من التفكك والضعف ، فالجيش العثمانى لم تعد معنوياته وقواته كما كانت في سالف عهدها ، وقياداته أصبحت تلعب أدواراً سياسية ليست من مهماتها الأساسية ، مما حدا بالمسئولين في الحكومة العثمانية إلى اتخاذ بعض الاجراءات في الجيش تحت مفهوم التطهير الشامل[٣] .

أما الوضع السياسى في الحكومة العثمانية فكان اسوأ وأمر ، وتمثل فى الصراع بين حزب الحرية والائتلاف الذى كان على سدة الحكم وعاصر قيام حرب البلقان الأولى ، وبين جمعية الاتحاد والترقى الطامعة في العودة إلى الحكم ، مما جعل القرارات السياسية في الدولة ابان اشتعال تلك الحرب تفقد قيمتها المؤثرة والفاعلة على الصعيدين السياسى والعسكرى في الدولة[٤] .

أخذ التوتر يسود منطقة البلقان ، وأعلنت كل من بلغاريا والصرب تعبئة جيوشهما في أواخر شهر شوال ١٣٣٠هـ/ أوائل أكتوبر ١٩١٢م[٥] ، ثم قدمت الحكومات البلقانية إلى الحكومة العثمانية مذكرة على شكل انذار شديد اللهجة

(1) F. O. 424/234, No. 221, "Mr. Beaumont to Sir, E. Grey", Athens, 9.9. 1912. P. 111.

(٢) جريدة المقتبس عدد ٩٧٠ فى ٩ رمضان ١٣٣٠هـ .

(3) Stavrianos, op. cit, p. 534.

(٤) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص٨٥ ــ ٨٦ ، مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج١١ ، ص٨٧٧ .

(5) F. O. 424/234, No. 340, "Earl Granville to Sir, E. Grey", Berlin, 2. 10. 1912. p. 164.

في مضمونه العام ، وقد تضمنت هذه المذكرة اجراء الاصلاحات في الولايات البلقانية بالاتفاق مع الدول الأوربية طبقا للمادة ٢٣ من معاهدة برلين ، وطالبت المذكرة البلقانية بمنح الاستقلال الادارى للولايات البلقانية واعادة رسم حدودها حسب جنسيات السكان العرقية ، وتعيين حكام عموميين لهذه الولايات من البلجيكيين والسويسريين ، وتكوين شرطة لهذه الولايات تحت اشراف هؤلاء الحكام ، كما طالبت بحرية التعليم وأن تكون المجالس العمومية لهذه الولايات موزعة بالتساوى بين المسلمين والمسيحيين ، على أن تتم هذه الاصلاحات تحت مراقبة سفراء حكومات البلقان الأربع بالأستانة[١]

وقد سارعت حكومة الجبل الأسود في السابع والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٣٠هـ المصادف للثامن من شهر اكتوبر سنة ١٩١٢م لتعلن الحرب على الدولة العثمانية[٢] ، فى الوقت الذى أرسلت كل من حكومات بلغاريا والصرب واليونان منشورا إلى الدول الأوربية تعلن فيه أنها لاتهدف من وراء تلك الحرب إلى أى توسع اقليمى ، وانما تهدف إلى الاصلاحات التى تمنح تلك الولايات البلقانية استقلالها الذاتى[٣] .

ورغم أن نذر الحرب من جميع حكومات البلقان كانت تلوح في الأفق للساسة العثمانيين ، الا أن آمالهم كانت معلقة بشكل كبير على الدور الذى

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج١١ ، ص٨٧٥ ـ ٨٧٦ ، يوسف . ف . البستانى : المرجع السابق ، ص٦٢ ـ ٦٤ ؛

Ahmad, op. cit, p. 89.

(2) F. O. 424/250, Annual, Report, 1912, No. 315, "G. Lowther to Sir, E. Grey" 17. 4. 1913. P. 15;

هارولد تمبرلى و . أ . ج . جرانت : المرجع السابق ، ج٢ ، ص١٤٨ .

(3) F. O. 424/234, No. 447, Sir, R. Paget to Sir, Edward Grey", Belgrade, 9. 10. 1912. P. 202.

يمكن للدول الأوربية أن تلعبه في ايقاف هذه الحرب ، ومعالجة القضايا التى يثيرها البلقانيون بالطرق الدبلوماسية التى تحقق لهم الاصلاحات المطلوبة(١) .

وفى الثامن من شهر ذى القعدة ١٣٣٠هـ الموافق للثامن عشر من شهر أكتوبر ١٩١٢م أعلنت بلغاريا والصرب واليونان الحرب على الدولة العثمانية(٢) ، ليكتمل بذلك عقد الدول البلقانية المتحالفة على حرب الدولة العثمانية وهى : الجبل الأسود ، وبلغاريا ، والصرب ، واليونان .

وقد ظهرت في هذه الحرب روح الحقد والكراهية ضد المسلمين من خلال المنشورات التى بدأت تظهر من الحكومات البلقانية والتى لقبوا فيها هذه الحرب ـ بالحرب الصليبية ـ ومصارعة الصليب للهلال ، فى الوقت الذى كان السلطان العثمانى يدعو إلى الرفق بالنساء والشيوخ والأطفال ولم يشر إلى النواحى الدينية في هذه الحرب(٣) ، رغبة منه في عدم اثارة التعصب داخل دولته المليئة بالأديان المختلفة ، ويذهب أحد المؤرخين إلى أن الجيش العثمانى الذى كان يخوض الحرب ضد الحلفاء البلقانيين ، قد ضم كثيراً من الجنود ذوى الأصول البلغارية والصربية واليونانية ، وكانوا يطلقون نيران أسلحتهم في الفضاء أثناء سير المعارك ، وعندما لاحت لهم بوادر انتصار اخوانهم في الجنسية والدين طاروا اليهم ورموا الطرابيش العثمانية ، ووضعوا بدلا منها القبعات على رؤوسهم(٤) .

---

(1) F. O. 424/234, No. 485, "Sir, Edward Grey to Sir, G. Lowther", F. O. 11. 10. 1912. p. 214;

جريدة المقتبس عدد ١٠١٤ في ٥ ذى القعدة ١٣٣٠هـ .

(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٤١٦ ؛

Taylor, op. cit, P. 490.

(٣) يوسف . ف . البستانى : المرجع السابق ، ص٦٩ ، على حسون : العثمانيون والبلقان ، ص٢٥٨ .

(٤) يوسف . ف . البستانى : نفس المرجع ، ص٧٥ .

اشتعلت حرب البلقان الأولى ، والتى سارت أحداث معاركها في غير صالح الدولة العثمانية ، وكان النصر حليف البلقانيين الذين استخدموا الطائرات لأول مرة بمساعدة من الدول الأوربية(١) ، وفى أقل من شهرين حقق البلقانيون انتصارات حاسمة ، اذ انتصر البلغاريون في معركة قرق كليسا ومعركة جتالجه ولوله بورغاز ، بينما حقق اليونانيون والصربيون انتصاراتهم في كومانوفو ومناستير ، وألاصونا ، وفي معركة ينيجه واردار التى سلمت بعدها سالونيك لليونان ليدخلها ملك اليونان منتصرا في ٣ ذى الحجة ١٣٣٠هـ الموافق الثانى عشر من نوفمبر ١٩١٢م ، بينما دخل ولى عهده وولى عهد الصرب مناستير فى ١٦ ذى الحجة ١٣٣٠هـ الموافق ٢٥ نوفمبر ١٩١٢م ، أما عسكر الجبل الأسود ، التى تعززهم القوات الصربية فقد زحفت على سنجق نوفى بازار ، والبانيا لتسيطر في منتصف شهر ذى الحجة ١٣٣٠هـ / أواخر شهر نوفمبر ١٩١٢م على منطقة دروار ، وبذلك فقدت الدولة العثمانية سيطرتها على معظم ارضيها في أوربا عدا شريط صغير حول العاصمة(٢) .

ولقد سارعت الدول الأوربية بارسال قطع من أساطيلها رابطت في القرن الذهبى أمام الاستانة بناء على طلب من سفراء تلك الدول في عاصمة الدولة العثمانية ، وأخذت هذه البوارج ترفع راياتها المختلفة فوق مياه البوسفور ، وأخذ هذا الأسطول المختلط ينزل إلى العاصمة مائتين من بحارته بعد ظهر كل يوم ، وحينما زاد قلقهم أنزلت تلك البوارج جنودا لحماية الأحياء والمصارف

---

(١) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص٢٣٣ .

(2) F. O. 424/234, No.872, "Sir F. Elliot to Sir E. Grey" Athens, 30. 10.1912. p. 407
F. O. 424/235, No. 333, "Foreign office to Admiralty", F. O, 11. 11. 1912. p. 157;
F. O. 424/235, No. 362, "Sir Edward Grey to Sir, R.Rodd", F. O. 12. 11. 1912. p. 168.

والسفارات والقنصليات ، ولكنها لم تلبث أن سحبتها[١] ، كما عبر المسئولون في الولايات المتحدة عن انزعاجهم من تلك الأوضاع التى تهدد عاصمة الدولة ، وبالتالى تهدد أمن رعاياهم وهم لايشاركون فى الأسطول الأوربى سالف الذكر ولن يتمكنوا من ارسال أى سفينة حربية إلى هناك خلال تلك الفترة ، الا أن المسئولين البريطانيين أبدوا استعدادهم للقيام بتلك المهمة عن طريق البارجة البريطانية المرابطة هناك[٢] .

وحين أدرك الصدر الأعظم كامل باشا صعوبة الموقف جمع مجلس وكلاء الدولة وقرر أن يطلب تعضيد أوربا فى ايقاف رحى الحرب ، التى وصلت إلى مشارف القسطنطينية ، وغيرت حسابات الأوربيين أنفسهم ، وأرسلت برقيات من الحكومة العثمانية إلى تلك الدول تطلب التدخل المباشر وانهاء هذه الحرب[٣] ، وبينما كان رجال السياسة في أوربا يتباحثون في كيفية التوصل إلى وقف هذه الحرب دون أن تتأثر مصالحهم الاستراتيجية والاقتصادية[٤] ، كان الوزير اليونانى للشئون الخارجية يقترح تدويل مدينة القسطنطينية مع قطاع صغير على كلا الجانبين لمضيق البسفور[٥] .

وفى الرابع والعشرين من ذى الحجة ١٣٣٠هـ الثالث من ديسمبر ١٩١٢م وقعت اتفاقية للهدنة على أن تتبعها مفاوضات للصلح بين كل من الدولة

---

(1) F. O. 424/250, Annual, Report, 1912, No. 315, "G. Lowther to Sir, E. Grey" Constantinople, 17. 4. 1913. p. 16.

(2) F. O. 424/235, No. 151, "Mr. Bryce to Sir E. Grey", Washington, 4. 11. 1912. p. 69.

(3) F. O. 424/235, No. 332, Sir Edward Grey to Sir, F. Bertie, F. O, 11. 11. 1912. p. 157;
يوسف . ف . البستاني : المرجع السابق ، ص١٠٨ .

(4) F. O. 424/235, No. 127, Sir E. Grey to Sir G. Buchanan" F. O, 4. 11. 1912. p. 56;
F. O. 424/235, No. 129, Sir E. Grey to sir F. Bertie,
F. O, 4. 11. 1912. p. 56.

(5) F.O. 424/235, No. 577, Sir E. Grey to E. Guchen,
F. O, 20. 11. 1912. p. 257.

العثمانية وبلغاريا والصرب والجبل الأسود ، على أن تبقى الهدنة مابقيت مفاوضات الصلح وتنتهى عند قطع المفاوضات ، كما نصت اتفاقية الهدنة على أن تجرى مفاوضات الصلح في لندن بعد التوقيع على هذه الهدنة بعشرة أيام وأن تبقى جنود كل فريق من المتحاربين في مواقعها الحاضرة ، وقد غابت اليونان عن هذه الهدنة لعاملين أساسيين أحدهما الأمل لدى القادة اليونانيين في سقوط مدينة يانينا ، وثانيهما تمكين الأسطول اليونانى من محاصرة بحر ايجه مدة مفاوضات الصلح للحيولة دون ارسال المؤن والذخائر للجيوش العثمانية المحاصرة في المدن التى لم تسقط بعد في أيدى البلقانيين[1] .

ثم عينت الحكومة العثمانية وحكومات البلقان مندوبيها إلى مؤتمر الصلح ، وتأخر عقد المؤتمر ثلاثة أيام عن المدة التى حددت في الهدنة ، حيث افتتح فى قصر ـ سنت جيمس ـ فى لندن يوم الاثنين السابع من محرم ١٣٣١هـ الموافق ١٦ ديسمبر ١٩١٢م ، بكلمة ترحيبية ألقاها وزير خارجية بريطانيا اللورد ادوارد غراى Lord Edward Grey وقد حضرت اليونان هذا المؤتمر رغم أنها لم توقع على الهدنة[2] .

وقد وصلت المباحثات التى استمرت اكثر من شهر إلى طريق مسدود ، اذ ان العثمانيين كانوا يصرون على الاحتفاظ بالمدن التى بقيت تحت

(1) F. O. 424/236, No. 68, Sir, G. Lowther to Sir E. Grey, Constantinople, 4. 12. 1912. p. 52;
F. O. 424/236, No. 67, dated, 4. 12. 1912. London, p. 51.
F. O. 424/236, No. 72, Sir, R. paget to sir E. Grey, Belgrade, 4. 12. 1912;
F. O. 424/250, Annual, Report, 1912, No. 315, Sir, G. Lowther to Sir E. Grey, 17. 4. 1913. p. 16.
(2) F. O. 424/250, Annual, Report, 1912. No. 315, pp. 16- 17;
جريدة الاتحاد العثمانى ، عدد ١٢٨٢ فى ٩محرم ١٣٣١هـ .

سيطرتهم ومن اهمها أدرنة ويانينا وسكوتارى في حين كان البلقانيون يطالبون بانسحاب القوات العثمانية من هذه المدن ، وتسليمها للحلفاء البلقانيين ، مما حدا بسفراء الدول الأوربية في الاستانة وبتكليف من حكوماتهم إلى تقديم مذكرة إلى الباب العالى يطالبونه فيها بالتنازل عن مدينة أدرنة للدول البلقانية ، وتحكيم الدول الأوربية في مصير جزر بحر ايجه(١) ، عندئذ جمع الصدر الأعظم كامل باشا ديوانا كبيرا من عظماء الأمة وأعيانها للنظر في هذه المذكرة ، وجنح المجتمعون إلى ضرورة عقد صلح مع الدول البلقانية(٢) ، مما أتاح الفرصة لأعضاء جمعية الاتحاد والترقى كي يزيحوا الائتلافيين من السلطة بحجة أن حكومتهم ستتنازل عن أجزاء غالية من الدولة(٣) ، وهذا يعطينا برهانا آخر على مدى ماخلفته حرب البلقان من صراعات سياسية في الدولة العثمانية هى حينئذ أعجز من أن تتحملها ، وجعلت الساسة العثمانيين من أعضاء الاتحاد والترقى يتجهون إلى أصولهم التركية في حالة اليأس هذه ، أملا في أن سياسة التتريك لعناصر الدولة هى العلاج الناجع للخروج من هذه الحرب بالنصر .

لقد استثمر الاتحاديون انكسار الجيش العثمانى في حرب البلقان ، ليقوموا بالدعاية لحزبهم ، ويحمّلوا حكومة الائتلافيين مسؤولية الهزيمة ، وحين اجتمع مجلس الوزراء برئاسة الصدر الأعظم كامل باشا ، فى الباب العالى لكتابة الرد على مذكرة سفراء الدول الأوربية سالفة الذكر ، فى الخامس عشر من شهر صفر ١٣٣١هـ المصادف ٢٣ يناير ١٩١٣م ، هجم الاتحاديون على

---

(1) Stavrianos, op, cit, p. 537;

مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص٢٥ ـ ٢٦ .

(٢) توفيق علي برو : المرجع السابق ، ص٤٢٤ ـ ٤٢٥ .

(٣) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص٤٤١ .

المجتمعين وقتلوا وزير الحربية ناظم باشا ، وأرغموا الصدر الأعظم على الاستقالة ، وتشكلت حكومة اتحادية جديدة برئاسة محمود شوكت باشا[1] .

وسارعت الوزارة الجديدة بارسال الرد على مذكرة الدول الأوربية ، مشيرة إلى أن حكومة الباب العالى راغبة في السلام ، أما « أدرنة فانها إسلامية محضة وهى العاصمة الثانية للسلطنة ، الإشاعة فقط عن التنازل عنها أفضت إلى سقوط الوزارة »[2] ، وارتأت الوزارة في مذكرتها تلك أن تقسم ادرنة إلى قسمين ، تحتفظ الدولة بالجهات التى فيها آثار وأماكن اسلامية وهى الواقعة على الضفة اليسرى لنهر مارتيزا كما أصرت على المحافظة على جزر بحر ايجه لأهميتها الحربية للدولة العثمانية على أن تقوم الدول الأوربية بتعيين شكل الحكومة في تلك الجزر[3] ، وهذا الرد بطبيعة الحال لايختلف كثيرا عن الرد الذى كانت الحكومة السابقة تنوى ارساله للدول الأوربية ، الا أنه أعطى الفرصة للدول البلقانية لتقطع مفاوضات الصلح وتستأنف الحرب[4] .

واذا كان النواب اليونانيون والبلغار والصربيون في مجلس النواب العثمانى قد شكلوا النواة الأولى لبلورة الاتحاد البلقاني من خلال تفاهمهم وتعاونهم في المجلس[5] ، فان مما يوجب الملاحظة وجود ثلاثة وزراء يهود في الحكومة الاتحادية الجديدة[6] ، التى زادت من تمسكها بالمركزية والقومية التركية .

---

(1) F. O. 424/241, No. 447, Sir, G. Lowther to Sir, Grey constantinople, 25. 1. 1913. p. 263;

مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٢ ، ص١٤٨ ـ ١٥١ ، مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٣ ، ص٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(٢) جريدة الأهرام عدد ١٠٦١٥ فى ٢٣ صفر ١٣٣١هـ .

(٣) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٢٥ في ٢٩ صفر ١٣٣١هـ .

(4) Stavrianos, op, cit, p. 537;

يوسف . ف . البستاني : المرجع السابق ، ص٢٣٤ .

(٥) جريدة الأهرام عدد ١٠٦١٥ في ٢٣ صفر ١٣٣١هـ .

(٦) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٤٦٢ .

ولقد دارت مفاوضات حاسمة في مؤتمر السفراء المنعقد في لندن حول رد الحكومة العثمانية ، وكاد المؤتمرون أن يتفقوا على ايجابية الرد العثمانى وواقعيته[1] ، الا أن القائد العام للجيش البلغارى أرسل إلى الصدر الأعظم برقية ينبئه فيها بقطع المفاوضات وعودة الحرب اعتباراً من مساء يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر صفر ١٣٣١هـ الموافق ٣ فبراير ١٩١٣م طبقا للمادة الرابعة من اتفاقية الهدنة ، وقد رد عليه الصدر الأعظم العثمانى ، مبلغا اياه تلقيه لهذه البرقية ومعرفة مضمونها[2] .

قامت روسيا باجراء مشاورات مكثفة مع الحكومة الفرنسية والبريطانية لوضع حد لهذه الحرب ، كما يقول وزير الخارجية الروسى[3] ، لكن بريطانيا وفرنسا كانتا قلقتين من أطماع الصرب في الساحل الأدرياتي مما يدفع حكومة النمسا ـ المجر ، للتدخل كطرف رئيسى في الحرب ، وهو مالايتفق مع استراتيجية تلك الدولتين[4] ، ومع هذا اقترح اللورد ادوارد غراى ، وزير خارجية بريطانيا على الدولة العثمانية أن تستأنف مفاوضات الصلح ولو بشكل شبه رسمى[5] .

وتجدد القتال على جميع الجبهات ، وسقطت المواقع العثمانية المحصنة ، ولم تستطع الحكومة الاتحادية الجديدة تدارك الموقف ، حيث سقطت يانينا في يد اليونانيين في ٢٨ ربيع الأول ١٣٣١هـ/ ٦ مارس

---

(1) F. O. 424/242, No. 20 , Sir, E. Grey to Sir F. Cartwright, F. O, 1. 2.1913. P. P. 12--13.

(٢) جريدة الأهرام عدد ١٠٦١٥ الجمعة ٢٣ صفر ١٣٣١هـ .

(3) F. O. 424/242, No. 204, Sir, E. Grey to Sir, G. Buchanan, F. O, 12. 2. 1913. p. 112.

(4) F. O. 424/242, No. 205, Sir, E. Grey to Sir, F. Bertie, F. O, 12. 2. 1913. P. 113.

(٥) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٣٣ في ٩ ربيع الأول ١٣٣١هـ .

١٩١٢م ، ثم سقطت مدينة أدرنة ــ درة البلقان ــ فى أيدى البلغاريين في الثامن عشر من ربيع الثانى ١٣٣١هـ المصادف ٢٦ مارس ١٩١٣م[١]، وأخيرا استطاع الجبل الأسود أن يسيطر على سكوتارى « أشقودره » في السابع عشر من جمادى الأولى ١٣٣١هـ الموافق ٢٣ ابريل ١٩١٣م[٢] ورغم أن سيطرة الجبليين على سكوتارى قد جعل من هذه المدينة قضية عالمية بسبب رغبة الدول الأوربية في جعل هذه المدينة تابعة للدولة الالبانية الجديدة التى أوجدتها أوربا ، لتحفظ التوازن فيما بينها وتبعد الصرب عن سواحل الأدرياتيك[٣] رغم ذلك كله فان سقوط مدينة أدرنة على وجه الخصوص كان له رنة أسى عميق في نفوس العثمانيين قاطبة ، وزاد من سخط الشعب العثمانى على حكومة الاتحاد والترقى[٤] .

لقد أظهرت حرب البلقان الأولى مطامع الدول الأوربية في أملاك الدولة العثمانية ومواقفها الذاتية التى تسعى من خلالها إلى تحقيق مصالحها الاستراتيجية والسياسية على حساب الدولة العثمانية ، فروسيا لن تسمح لبلغاريا بالتقدم إلى الأستانة والتحكم في مضيق البوسفور ، والنمسا ـ المجر ، ستقاوم الصرب لكى لاتسيطر على البانيا وتصل إلى سواحل الادرياتيك ، أما الألمان فانهم لن يسمحوا لروسيا ببسط حمايتها على الأستانة ، التى كان وزير خارجية بريطانيا يرى جعلها مدينة حرة اذا انهارت الدولة العثمانية وقسمت أملاكها ، وهذا الرأى لايحبذه الروسيون بطبيعة الحال ، وهو ماتنبه له رئيس الوزراء الفرنسى ، الذى رأى فيه تحطيما للتحالف

---

(١) يوسف . ف . البستانى : المرجع السابق ، ص١٣٠ ـ ١٣١ ، ص١٥٨ ـ ١٦٠ ، محمد كمال الدسوقى : المرجع السابق ، ص٣٤٣ .

(٢) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق ، ص٤٤٤ .

(3) Tay lor, op. cit, p.496.

(4) F. O. 424/244, No. 14, Sir, G. Lowther to Sir, E. Grey, 31. 3. 1913. p. 9.

الروسى الفرنسى ودعما للتحالف النمسوى ـ الألمانى الذى ستصبح المانيا من خلاله سيدة لأوربا كما قال[1] .

وسارعت وزارة الخارجية في الحكومة العثمانية إلى ابلاغ السفير البريطانى في الآستانة رغبتها في السلام ، وتأييدها للجهود التى تبذلها الدول الأوربية لوضع نهاية لهذه الحرب القائمة بين الدولة العثمانية ودول البلقان[2] ، وتم التوصل إلى معاهدة هدنة ثانية بين العثمانيين ودول التحالف البلقانى ، فى ١٠ جمادى الأولى ١٣٣١هـ الموافق ١٦ ابريل ١٩١٣م[3] ، بعد أن وافقت الأطراف المتنازعة على القواعد التمهيدية لعقد الصلح والمتمثلة في أن يكون خط التحديد بين الدولة العثمانية وبلغاريا ممتدامن اينوس على بحر ايجه ، الى ميديا على البحر الأسود ، وأن يمنح الاستقلال لألبانيا كما قرر في مؤتمر سفراء الدول الأوربية ، وأن يفوض أمر الجزر في بحر ايجه للدول الأوربية على أن تتنازل الدولة العثمانية عن كامل حقوقها في جزيرة كريت[4] .

واستؤنفت مفاوضات الصلح في لندن ، وحاول المندوب البلغارى أن يؤثر على وزير خارجية بريطانيا لاجراء تعديلات على خط الحدود بين بلغاريا والدولة العثمانية يخالف القواعد التمهيدية المتفق عليها ، لكنه لم يستطع تحقيق مآربه ، لأن الوزير البريطاني استطاع بدبلوماسيته المعروفة اقناع المسئول البلغارى بعرض ذلك الموضع في اجتماع السفراء ومناقشته[5] .

---

(1) F. O. 424/244, No. 206, Sir, E. Grey to Sir, G. Buchanan, F. O. 8. 4. 1913. p. 119;
F. O. 424/244, No. 260, Sir, E. Grey to Sir, F. Bertie,
F. O, 10. 4. 1913. p. 141;
Taylor, op. cit, p.492.

(2) F. O. 424/244, No. 15, Sir, G. Lowther to Sir, E. Grey, Constantinople, 1. 4. 1913. p. 9

(3) Stavrianos, op. cit, p. 537.

(٤) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٧٥ في ١ جمادى الأول ١٣٣١هـ يوسف . ف . البستانى : المرجع السابق ، ص٢٣٨ .

(5) F. O. 424/245, No. 184, Sir, E. Grey to Sir, H. Bax - Ironside, F. O, 8. 5. 1913. p.97.

وقد تم توقيع معاهدة السلام بين الدولة العثمانية والحكومات البلقانية الأربع في لندن في الرابع والعشرين من جمادى الثانى ١٣٣١هـ ، الموافق ٣٠ مايو ١٩١٣م والتى أشارت إلى رغبة الجانبين الأكيدة في انهاء حالة الحرب الحاضرة واقامة علاقات تتصف بالسلام والصداقة بين حكوماتهم ورعاياهم كما تضمنت سبع مواد هى :

المادة الأولى : اقرار السلام والصداقة بين السلطان العثمانى من جانب وحكام الدول البلقانية من جانب آخر وكذلك بين ورثتهم وخلفائهم وحكوماتهم وشعوبهم مدى الحياة .

المادة الثانية : يتنازل السلطان العثمانى لحكام الدول البلقانية عن كل أراضى دولته الواقعة في القارة الأوربية غرب الخط الواصل من اينوسEnos على بحر ايجه ، إلى ميديا Midie على البحر الأسود ، مع استثناء البانيا Albanie ، وسيتم التحديد الدقيق لخط الحدود من اينوس حتى ميديا بواسطة لجنة دولية .

المادة الثالثة : تترك للدول الأوربية مسألة تسوية تحديد حدود دولة البانيا وجميع القضايا الأخرى المتعلقة بها .

المادة الرابعة : يتنازل السلطان العثمانى لحكام الدول البلقانية عن جزيرة كريت Crete ، كما يتنازل لصالحهم عن كل حقوق السيادة وكل ماكان يملك على هذه الجزيرة .

المادة الخامسة : يأتمن السلطان العثمانى وحكام الدول البلقانية ـ الدول الأوربية ـ في البت في تحديد مصير كل الجزر العثمانية في بحر ايجه ، وشبه جزيرة ـ جبل أثوس Athos ـ باستثناء جزيرة كريت .

المادة السادسة : يترك السلطان العثمانى وحكام البلقان العناية بتسوية المالية الناتجة عن حالة الحرب ، والناتجة عن التنازلات عن الأراضى المذكورة عاليه إلى لجنة دولية تنعقد في باريس ، ويفوضون ممثليهم فيها .

المادة السابعة : تتم تسوية القضايا المتعلقة بأسرى الحرب والقضاء والجنسية والتجارة من خلال اتفاقيات خاصة بها(١) .

وقد سارع وزير خارجية بريطانيا إلى التأكيد على أن معاهدة لندن هذه قد تركت بعض المسائل لكى تناقش ، ويتم الوصول بها إلى حلول نهائية ، ولاسيما أن هذا الصلح يخدم مصالح الدول الأوربية ، التى تدرك الأهمية الحربية والاستراتيجية لبعض المواقع والمدن التى انتزعها الحلفاء البلقانيون من الدولة العثمانية(٢) ، وهكذا فقدت الدولة العثمانية بموجب تلك المعاهدة كافة ممتلكاتها الأوربية باستثناء العاصمة القسطنطينية وشريط ضيق يمتد من العاصمة الى خط يسير من أينوس على بحر ايجه إلى ميديا على البحر الأسود(٣) .

ورغم أن حرب البلقان الأولى قد أفقدت الدولة العثمانية ٨٣٪ من الأراضى و ٦٩٪ من السكان في الولايات الأوربية(٤) ، وأتاحت الفرصة للدول الأوربية كي تتدخل بصورة واضحة في شئون الدولة العثمانية ، الداخلية منها والخارجية على حد سواء(٥) ، رغم هذا كله إلا أن تلك الحرب التى فصلت

---

(1) Muahede Name, Numarasi, 333, Osmanli Arsivi Daire Baskanligi, Ist.

(٢) جريدة الاصلاح عدد ٢٢ ـ ١٤١٨ في ٢٩ جمادى الثانية ١٣٣١هـ ؛ مذكرات سفير أمريكا في الاستانة المستر هنرى مورغنتو تعريب فؤاد صروف ، ص١٨ .

(٣) جريدة الاصلاح عدد ٢٩ ـ ١٤٢٤ في ٨ رجب ١٣٣١هـ ؛ محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص٤٤٥ .

(٤) على حسون : العثمانيون والبلقان ، ص٢٦١ .

(5) F. O. 424/247, No. 599, Sir, E. Grey to Sir, C. Spring - Rice, F. O. 25. 7. 1913. p.265.

الولايات الأوربية عن الدولة ، قد قضت على اتجاه العثمنة ، والجامعة الإسلامية في أوساط الحكومة العثمانية ، وأتاحة الفرصة لدعاة الجامعة الطورانية ، كى يدعون إلى تدعيم الوطنية المتطرفة ، الداعية إلى تفوق القومية التركية على غيرها من القوميات ، لتفجر هذه الحرب الروح القومية التركية ، المتمكنة حينذاك في نفوس أعضاء جمعية الاتحاد والترقى ، وتزيد من قيمة تلك الجمعيات التى أنشأها الاتحاديون والتى تغلب عليها الصبغة القومية المتطرفة مثل جمعية « ترك أوجاغى » وفروعها المتعددة[1] .

غير أن هذا التغيير في نهج الحكومة العثمانية قد أحدث ردة فعل عنيفة في المشرق العربى العثمانى ، الذى كان ينظر إلى الدولة العثمانية نظرة تقدير واحترام ، باعتبارها دولة الخلافة ، والتى تعتبر سلامتها في المشرق العربى من أولويات اهتماماته ، ومع أن البعض يرى أن ادخال بعض العناصر العربية في الحكومة الاتحادية التى شكلت بعد معاهدة لندن ، يعتبر استرضاء للعرب وكسب مودتهم[2] ، الا أن الهزيمة في البلقان والاعتراف للبلقانيين بقوميتهم زاد في النزعة القومية لدى الترك وشد من ساعد الاتجاه الطورانى ، وهذا بطبيعة الحال يفرض علينا الاجابة على السؤال الحتمى البارز على مسرح الأحداث حينذاك وهو ماهية الموقف العربى في المشرق العربى العثمانى ، ومدى استمرار حرص العرب على سلامة الدولة في ظل نظام الإصلاح المرغوب لديهم والمعروف ـ باللامركزية ـ وهو ماسنتطرق له في الفقرة التالية من البحث .

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٨٠ ؛ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص٢٠١ ـ ٢٠٥ ؛ توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٣٢٦ ـ ٣٢٧ .

(2) F. O. 424/246, No. 286, Sir, G. Lowther to Sir, E. Grey, Constantinople, 19. 6. 1913. pp. 166 - 167.

(جـ) العرب واللامركزية ، وسلامة الدولة في المشرق العربى

بينما كان تأثير الحرب الايطالية في طرابلس الغرب قويا ومؤثرا في شئون البلقان وفى مختلف ولايات الدولة العثمانية في المشرق العربى العثمانى ، كانت الهزيمة التى تعرضت لها الدولة العثمانية في حرب البلقان الأولى ذات أثر فعال في شئون المشرق العربى العثمانى كذلك ، وبرزت على سطح الأحداث التاريخية بعد هاتين الأزمتين فكرة اللامركزية الادارية ، التى أخذت مجراها القوى بين دعاة الاصلاح العرب ، ولاسيما أن الخوف من انهيار الدولة العثمانية في المشرق العربى بدأ يزداد لديهم بعد هزائمها في البلقان .

وبظهور فكرة اللامركزية عند الاصلاحيين العرب أصبح المشرق العربى قطب الرحى في السياسة العثمانية ، وبرز إلى حيز الوجود ماعرف ب « قضية عربية » التى تتضمن بمفهومها الصحيح والواقعى « اللامركزية الكاملة » التى تحفظ للولايات العربية استقلالها ضمن الرابطة العثمانية وفى ظل دولة الخلافة الاسلامية .

وقد كان المفكرون العرب يدركون المؤامرات والأطماع التى تقوم بها الدول الأوربية ضد الدولة العثمانية ، والتى تهدف في مجملها إلى تجزئة الدولة وبالتالى إلى انفصال العرب عنها(١) ، مما يسهل من مهمة الاستعمار الأوربى في تحقيق أطماعه الاستعمارية في المشرق العربى ، لذا فهم يرون أن اللامركزية هى أصلح شيء لحياة الدولة العثمانية ، وأنه لاصلاح للدولة بغيرها فهى التى تحفظ كيانها وتقيها شرور التجزئة والانهيار(٢) .

---

(١) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص٥٨ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٥ ، ص٣٤٤ ـ ٣٤٥ .

ورغم أن أحد المؤرخين كان يرى أن الأفكار القومية واللامركزية كانت تسير جنبا إلى جنب ، فى نفوس الغالبية العظمى من الاصلاحيين العرب[١] ، الا أن القرائن التاريخية تؤكد أن تلك الحقبة الزمنية التى ظهرت فيها فكرة اللامركزية ، كان الإسلام هو الرابطة الأقوى ، والعرب في غالبيتهم الساحقة مسلمون ، واتجاههم نحو اللامركزية يهدف في المقام الأول إلى النهوض والمحافظة على سلامة الدولة الإسلامية في المشرق العربى[٢] ، ويعتبر موقف الإمام عبد العزيز بن سعود ، الذى وقفه ابان الاعتداء الايطالى على طرابلس الغرب ، حين أظهر استعداده الكامل لنصرة الدولة العثمانية ، تاكيداً لما ذهبنا إليه ، ولاسيما أنه كان يرى أن الدولة العثمانية هى دولة الخلافة الإسلامية[٣] .

ثم كانت حرب البلقان الأولى لتؤكد بما لايدع مجالا للشك أن العرب يبذلون النفس والنفيس في اعلاء شأن الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية ، وهو ماتمثل في الإقبال المنقطع النظير الذى شهدته مدن الشام وغيرها ، استجابة لنداء الجهاد الذى وجهه السلطان العثمانى حين بدأت الحرب[٤] .

وحين كان الحماس ظاهراً على المسلمين العرب في أثناء توجههم إلى ساحات القتال ، كان المسيحيون في الشام لايعبأون كثيراً بتلك الحرب أو بنتائجها المحتملة ، لأن ولاءهم للدولة العثمانية لم يكن بذلك العمق الذى لدى العرب المسلمين ، ولكن الأعمال الوحشية التى ارتكبها البلقانيون ضد

---

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص١٦٣ .

(٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص١٣٩ ؛ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص١٧١ .

(٣) فوزي أسعد نقيطى : العلاقات السعودية البريطانية ١٩٠١ ـ ١٩٤٦م ، ص٤٩ .

(٤) جريدة المقتبس عدد ١٠١٢ في ٣ ذى القعدة ١٣٣٠هـ ؛ جريدة المقتبس عدد ١٠١٣ في ٤ ذى القعدة ١٣٣٠هـ .

المسلمين أثناء الحرب زادت من فزع المسيحيين العرب الذين لجأوا إلى مصر ولبنان خوفا من انتقام العرب المسلمين ، وهو مالم يحدث بالفعل[١] ، الا أن ذلك الفزع والخوف أتاح الفرصة لرئيس وزراء فرنسا كي يطلب من الحكومة العثمانية تحمل المسئولية تجاه حماية المسيحيين في الشرق التى يقول عنهم أن فرنسا تعتبر نفسها حامية لهم[٢] .

ومع أن الجنود العرب القادمين من البلاد العربية قد وصلوا إلى جبهات القتال ، تأكيداً لولائهم الصادق للدولة العثمانية[٣] ، الا أن الأحداث الجارية في ولايات الدولة الأوربية ، كان لها صدى عميق لدى رجال الاصلاح العرب ، الذين باتوا يتوجسون خيفة من مصيرهم المنتظر اذا تمزقت الدولة العثمانية بعد هذه الحرب[٤] ، مما أوجد لدى تلك الفئة حسا طبيعيا مشتركا هدفه اتقاء الخطر ، والدفاع عن كيان الدولة العثمانية وتقويتها بتقوية الولايات العربية ، على قاعدة الاصلاح الحقيقى المنطلق من فكرة اللامركزية[٥] .

ومع أن أحد المفكرين العرب قد أبدى انزعاجه الشديد من آثار حرب البلقان على المشرق العربى ، التى تمثلت في البداية بتدخل احدى الدول الأوربية فيما أسمته المسألة السورية ، الا أنه أكد على أن « سورية عثمانية ، ولن تزال كذلك مادام في الدولة العثمانية دماء من الحياة تستطيع بها الذب عن

---

(1) F. O. 424/236, Enclosurein No. 249. Consul Devey to Sir, G. Lowther, Damoscus, 14. 11. 1912. pp. 156-- 157.

(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٤٢٥ .

(٣) جريدة المقتبس عدد ١٠٥٣ في ٢٤ ذى الحجة ١٣٣٠هـ .

(4) F. O. 424/236, No. 182, Sir, G. Lowther to Sir, E. Grey, Constantinople, 4. 12. 1912. p. 118.

(٥) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، ص١٩ .

سورية وغيرها ، ... وأكثر أبناء البلاد العربية اليوم جنود مدربون في الجيش العثماني »[1] ، لكن دعاة الاصلاح العرب كانوا يرون أن الوحدة العثمانية ، والحفاظ على سلامة الدولة وممتلكاتها الآسيوية لن تتكون تكونا صحيحا تاما الا بالاصلاحات المنطلقة من قاعدة اللامركزية ، والتى تمنح الولايات العثمانية نوعا من الاستقلال الذاتي الذى يتيح لها ايجاد قوة دفاعية أهلية لكل قطر وولاية[2] .

وقد تبلورت حقيقة مطالبة العرب باجراء الاصلاح على قاعدة اللامركزية منذ أو اخر سنة ١٣٣٠هـ وأوائل ١٣٣١هـ في شهر ديسمبر ١٩١٢م ، من خلال مطالبة الوالي العثماني فى بيروت لحكومته باجراء الاصلاحات السريعة لتلك الولايات لكى لا تخرج عن الدولة ، في ظل المؤثرات والتيارات العديدة التي تتجاذبها[3] ، وليس هذا فحسب ، وإنما في تأليف حزب اللامركزية الإدارية العثماني ، الذي أسسه مجموعة من رجالات العرب السوريين في القاهرة في تلك الفترة ، على أثر المخاوف التي أحاقت بقلوبهم على مصير بلادهم حين بدأت الانكسارات في الجيش العثماني الذي يخوض حرب البلقان[4] .

ومن خلال القراءة المتأنية والواعية للبيان الذي نشرته اللجنة العليا لحزب اللامركزية الإدارية العثماني في القاهرة يتبين مدى حرص العرب على سلامة الدولة العثمانية في المشرق العربى ، وأنهم لا يهدفون من وراء هذا

(١) رفيق العظم : سورية للدولة ، جريدة المقتبس عدد ١٠٥٨ في ٣٠ ذى الحجة ١٣٣٠ هـ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، جـ ١١ ، ص ٨٣٤ ، مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، جـ ١٢ ، ص ٩٥٤ .

(٣) محمد كرد على : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٢٧، زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية .. ، هامش ٤٢ ، ص ٢١٠ .

(٤) محمد جميل بيهم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٣ ـ ٢٤ ؛ أرنست . أ . رامزور : المرجع السابق ، ص ٢٦ .

الحزب إلا الحفاظ على كيان الدولة وولاياتها التي يخشى عليها من العدوان الأجنبي كما حدث في طرابلس الغرب ، وقاعدة اللامركزية ستزيد من تماسك أجزاء الدولة التي بدأت في التفكك بسبب قوتي الجذب والدفع بين المركز والأطراف كما يقول البيان ، واللامركزية خير وأبقى لهذه الدولة ، وإن لم تبادر لها أضمحلت اضمحلالاً وانحلت انحلالا لا يرضاه العثمانيون قاطبة[1] .

وحينما أكد رئيس الوزراء الفرنسي تطلع حكومته إلى سوريا ولبنان مدعيا أن لها مصالح خطيرة فيهما ، لم يتردد المفكرون العرب في الرد عليه ، مؤكدين أن خير علاج لهذا الداء العضال هو سير الحكومة « على قواعد اللامركزية التي لا عز للخلافة الإسلامية ولا حياة لدولتنا العثمانية ولا قيام لهيئتنا الاجتماعية بغيرها فهى تنقذنا من الموت والانقراض المحققين ، فطالبوا حكومتنا الحاضرة ولا تحسبوا أنى أقول لكم ثوروا وارفعوا علم العصيان في وجهها ، كلا ثم ألف كلا ، لأن حركة مثل هذه تعجل باحتلال الأجنبي الواقف أمام بيروت لبلادنا ، وأنما أقول طالبوا باللامركزية التي يتوقف عليها صلاحنا وصلاح دولتنا بسكون وتؤده دون الخروج عن طاعة أولى الأمر »[2] ، وهذا الاتجاه يؤكد ارتباط العرب المسلمين بدولة الخلافة الإسلامية ، وهو على النقيض تماما من اتجاه فريق من المسيحيين العرب ، الذين نزعوا إلى طلب المساعدة من الغرب والاستقلال عن الدولة العثمانية بأي شكل كان[3] .

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٩ ؛ جريدة الاتحاد العثماني عدد ١٣٣٨ في ١٦ ربيع الأول ١٣٣١ هـ .

(٢) حقى العظم : مقال في جريدة الاتحاد العثماني ، عدد ١٣٠٢ في ٢ صفر ١٣٣١ هـ .

(٣) وجيه كوثرانى : السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلادالشام ، ص ١٧٢ ؛ جريدة الأهرام عدد ١٠٦٠١ في ٧ صفر ١٣٣١ هـ .

وقد تنبه القنصل الأمريكى في بغداد إلى مشاعر القلق التى كانت تعم العراقيين حين سماعهم لهزائم الجيوش العثمانية في حرب البلقان ، مبديا قلقه من أن تُقْدِم بريطانيا على احتلال تلك البلاد في تلك الفترة التى شُغِلَت فيها الدولة العثمانية ، مما يسهل المهمة البريطانية(١) ، وزادت آثار القلق والخوف عند العرب حينما عاد الاتحاديون إلى السلطة ، ولاسيما أن معارضتهم للاصلاحات المحلية على قاعدة اللامركزية كانت معروفة من ذى قبل ، ويرى القنصل البريطانى في بيروت حينذاك أن رجوع حزب الاتحاد والترقى الى الحكم سيوجد آثاراً بارزة للأفكار الانفصالية عن الدولة خاصة وأن العرب في بيروت قد شعروا باليأس من تحسن وضعهم ، وأن احتلال القوى الأجنبية لهذه المنطقة ماهى الا مسألة وقت ليس الا(٢) ، ويذهب السفير البريطانى في الاستانة إلى نفس الأفكار التى قال بها قنصل حكومته المشار اليه آنفاً ، رغم أنه أشار إلى وجود لجنة فى العاصمة العثمانية تناقش الاصلاحات في الولايات الآسيوية على قاعدة اللامركزية ، لكن اجتماعاتها لاتوحى بالثقة لدى العناصر غير التركية كما يقول ، لأن هدفها من ذلك هو كسب التأييد لتقوية مركزها عند تجدد الحرب مع الدول البلقانية(٣) .

أما الوقائع التاريخية فقد أثبتت صدق ولاء العرب للدولة العثمانية وتمسكهم بالوحدة العثمانية رغم اختلافهم مع جمعية الاتحاد والترقى(٤) ، ففى

(١) خالد حمود السعدون : المرجع السابق ، ص٣٢١ .

(2) F. O. 424/242, Enclosure in No. 253, Consul-- Generral Cumberbatch to Sir, G. Lowther, Beirout, 20. 1. 1913. p. 135.

(3) F. O. 424/242, No. 253, Sir, G. Lowther to Sir, E. Grey Constantinople, 7. 2. 1913. p. 135.

(٤) عبد العزيز سليمان نوار : مصر والعراق ـ دراسة في تاريخ العلاقات بينهما حتى نشوب الحرب العالمية الأولى ص٢٧٥ .

الوقت الذى كان يخوض فيه الجنود العرب معارك حاسمة في البلقان دفاعا عن الدولة والخلافة[1] ، كان المفكرون العرب ورجال الاصلاح يدعون إلى المحافظة على الدولة ، ويؤكدون على أن الهدف من الإصلاح الذى ينشدونه هو قطع الطريق على طمع الطامعين في ولايات الدولة العربية ، وأن بلادهم السورية ستبقى عثمانية يخفق فوقها العلم العثمانى إلى ماشاء الله[2] ، وكان العرب في الشام قد أثبتوا حسن علاقتهم بالدولة العثمانية حين قرروا الغاء حزب الحرية والائتلاف فى بيروت في الرابع عشر من ربيع الأول ١٣٣١هـ/ ٢٠ فبراير ١٩١٣م بعد استئناف الحرب مع الدول البلقانية ، موضحين في بيان الالغاء حرصهم على سلامة الدولة وتوحيد الجهود في الاتجاه الصحيح الداعى إلى اصلاح البلاد العثمانية[3] ، وهذا ماأكده أحد المؤرخين على لسان واحد من رجال الحركة العربية اذ قال : « أن فكرة القومية العربية لم تكن قوية بين جموع العرب ، وأن كل ماكانوا يطالبون به المساواة مع الترك فى الحقوق والواجبات داخل نطاق الامبراطورية [الدولة العثمانية] ، وأقصى ماطالبوا به الاستقلال الذاتى مع استمرار الخضوع للخليفة العثمانى »[4] .

لقد أصبحت فكرة الاصلاح على قاعدة اللامركزية قضية شائكة في السياسة العثمانية ، فمنذ ظهورها على مسرح الأحداث التاريخية مع قيام حرب طرابلس الغرب ومروراً بحرب البلقان ، وحتى قيام الحرب العالمية الأولى ، وهى تستأثر بالحوار الحاد والجاد معا بين مؤيدى هذا الاتجاه

(١) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٤٨ في ٢٨ ربيع الأول ١٣٣١هـ .

(٢) جريدة الاتحاد العثماني ، عدد ١٣٤٧ في ٢٧ ربيع الأول ١٣٣١هـ ؛ مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٣ ، ص١٩٢ .

(٣) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٣٨ في ١٦ ربيع الأول ١٣٣١هـ .

(٤) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص١٨٥ .

ومعارضيه ففى الوقت الذى تهاجم فيه صحيفة بغدادية اللامركزية وتتهمها بأنها تتعارض مع العقيدة الإسلامية ، وتدعو إلى تفكك الدولة الإسلامية ، وأنها ستمكن الأجانب من الدخول إلى البلاد العربية[1] ، كان أحد دعاة الإصلاح العرب يؤكد على أهمية اللامركزية للدولة العثمانية ، نظرا لاتساع مساحتها وتباعد أطرافها وصعوبة المواصلات بين العاصمة والولايات ، ونظراً لاختلاف اللغات والأديان بين سكان ولايات الدولة العثمانية ، ولاسيما أن من تسند لهم أمور الوظائف القضائية والادارية بعد تخرجهم من مدارس العاصمة هم أبعد الناس عن معرفة أحوال تلك الولايات التى يوجهون للعمل بها[2] ، وقد وقفت بعض الصحف العثمانية إلى جانب العرب المطالبين باللامركزية ، مؤكدة على ولائهم للدولة وحرصهم على سلامتها وبقائها في المشرق العربى ، وطلبهم للاصلاح انما ينبع من اخلاصهم للدولة ، وخوفهم من أن تتمزق أطرافها وتصبح هدفا سهلا للأجانب[3] .

وقد كتب أحد المفكرين العرب المطالبين باللامركزية قبيل معاهدة لندن بين الدولة العثمانية وحكومات البلقان مقالا صريحا يعبر فيه عن خوف العرب من تبعات هذا الصلح على البلاد العربية التى قد تجد نفسها صيدا سهلا أمام أطماع الدول الأوربية التى يخشى منها أن تعطى حقوقا وامتيازات من قبل حكومة الاتحاديين في عاصمة الدولة ، لتتوسع بالتالى دائرة نفوذهم ويحققوا مآربهم في الولايات العربية[4] .

---

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص١٦٩ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٥ ، ص٣٤٥ ـ ٣٤٧ .

(٣) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٧٦ في ٢ جمادى الأول ١٣٣١هـ نقلا عن جريدة أقدام التركية .

(٤) محمد رشيد رضا : مقال بمجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٥ ص٣٥٢ .

وقد شارك المفكرون الأتراك عبر الصحف التركية بمقالات تدعو الحكومة المركزية في الاستانة بضرورة المسارعة إلى حل القضية العربية على قاعدة اللامركزية لكى يستمر ولاء العرب للدولة العثمانية ، وتتم حمايتهم من التدخلات الأجنبية التى قد تجعلهم يقلبون ظهر المجن لدولة الخلافة ويساعدون على تغلغل الأطماع الأوربية في البلاد العربية(١) ، ومن طرائف الأمور أن نجد فرنسا في تلك الفترة الزمنية التى يدور فيها هذا الحوار السياسى ـ تغرس أحد عملائها المسيحيين في وسط دعاة الاصلاح العرب المطالبين بفكرة اللامركزية ، ليبدى حماسة كبيرة في الحل الفردى الذى يقضى باقتطاع سورية من الدولة العثمانية والالتجاء إلى فرنسا(٢) ، الا أن المفكرين العرب تنبهوا لصاحب هذا الاتجاه وأمثاله ، وحاولوا التنبيه اليهم وأنهم لايمثلون مطالب العرب واتجاهاتهم التى يدعون اليها(٣) ، حتى أن بعض المسيحيين أكد للصحافة العثمانية أن غالبية المسيحيين السوريين لايفكرون في الانسلاخ عن الدولة العثمانية ، ولايريدون الا دعمها وتقويتها بادخال الاصلاحات إلى الولايات العربية على قاعدة اللامركزية ، واتفاقهم مع المسلمين العرب تأكيد لذلك ، وهو يدرك وأبناء عقيدته أن القوى الأجنبية تتخذ من حماية المسيحيين ستاراً للتدخل(٤) .

وحين رأى زعماء العرب أن الخطر على الدولة العثمانية أصبح كبيراً بعد خسارتها للولايات الأوربية ، واندحار جنودها في ميادين القتال في حروب

---

(١) جريدة الاصلاح عدد ١٠ ـ ١٤٠٥ في ١٥ جمادى الثانى ١٣٣١هـ .

(٢) وجيه كوثرانى : بلاد الشام السكان الاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين ، ص٢٩٣ ـ ٢٩٥ .

(٣) مجلة المنار ، المجلد ١٧ ، ج٣ ، ص٢٣٧ ؛ حسان حلاق : المرجع السابق ، ص٢٩١ .

(٤) من حديث رزق الله أرقش ـ أحد أعضاء الجمعية الاصلاحية البيروتية ـ لمدير جريدة الجون تورك ، ترجمته عنها جريدة الاصلاح عدد ٢٧ ـ ١٤٢٢ في ٦ رجب ١٣٣١هـ .

البلقان ، وأن هجوم أى دولة قوية على أطرافها سيمكنها من انتزاع أجزاء أخرى من الدولة حينئذ سارع زعماء الاصلاح إلى تدبر الأمر للحيولة دون انهيار الدولة العثمانية ، وتفتت أجزائها ، ووجدوا خير وسيلة لذلك هى القيام بالاصلاحات الفعلية التى تطبق على مبدأ اللامركزية في مصالح الولايات الداخلية المحضة كالادارة والقضاء والتعليم والزراعة والصناعة ، لأنها تزيد من عمران الولايات وترقية أهلها ، بحيث تصبح كل ولاية عضوا قويا في بنية الدولة ، وتوقف بالتالى التدخلات الأجنبية التى هى بمثابة الاستعمار وتسمى الفتح السلمى ، وهم مع ذلك كله يؤكدون أنهم من أشد العثمانيين تمسكا بالجامعة العثمانية وأقواهم ارتباطا بها[1] ، ويرون « أن اللامركزية هى التى تشد أواخى اخاء العرب والترك ، وعدمها هو الذى يخشى أن يؤدى في أقرب وقت إلى شقاق عظيم وفتن خطرة »[2] .

وبعد معاهدة لندن التى أفقدت الدولة العثمانية معظم أجزائها في أوربا ، تسارعت الأحداث على الدولة العثمانية ، وأصبح المشرق العربى مهدداً بالتدخل الأجنبى من قبل الدول الأوربية ، وهذا ما أدركه حينذاك الامام عبد العزيز بن سعود والشيخ مبارك الصباح اللذان كانا شديدى الولاء والتعلق بالدولة العثمانية الإسلامية رغم ماعرفاه عن سلوك جمعية الاتحاد والترقى حينذاك ، غير أن الأطماع والتحركات البريطانية في الخليج العربى ، التى أصبحت معروفة حتى في الاستانة غيرت من موقف هذين الزعيمين[3] .

وقد أثبت دعاة اللامركزية من رجال الاصلاح العرب أنهم لايريدون من ذلك النظام الانفصال عن الدولة ، أو الدعوة إلى عقيدة أو جنس أو اتجاه

(١) جريدة الاصلاح عدد ٢٩ ـ ١٤٢٤ في ٨ رجب ١٣٣١هـ ؛ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص٨٦

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٥ ، ص٣٥٠ .

(٣) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٧ ، ص٥٩٩ ..

سياسي يضعف من كيان الدولة العثمانية ، وإنما كان هدفهم الأساسي هو اعطاء الولايات العربية استقلالا داخليا في نطاق الدولة العثمانية على قاعدة اللامركزية كي تمنح الدولة نهضة شاملة تقف من خلالها أمام اعدائها وتكسب محبة رعاياها(١) ، وكان بيان حزب اللامركزية الذي أعلنه في ٩ ذى القعدة ١٣٣١ هـ الموافق ٩ أكتوبر ١٩١٣ م تاكيداً صادقا على رغبة العرب في البقاء تحت راية الدولة العثمانية ، وأن الهدف من فكرة اللامركزية هو المحافظة على سلامة العرب بل وسلامة الدولة نفسها ، ولعله من المفيد هنا أن نورد الأصول الأساسية من المطالب العربية التي أشار إليها ذلك البيان :

١ ـ حرية الشعب في هيئاته النيابية ، وأهمها حريته في انتخاب أعضاء مجالس الولايات العمومية ومجلس المبعوثان وغيرها ، وجعل جميع قرارات المجالس العمومية نافذة فيما هو داخل في اختصاصها وهو كل ما يتعلق بمصلحة الولايات التي لا تتعلق بالسياسة الخارجية ولا الحربية.

٢ ـ حريته في أمور المعارف ، وأهمها أن يكون التعليم كله باللغة العربية ، وأن تناط إدارته بالمجالس المحلية .

٣ ـ حريته في أمور النافعة والشؤون الاقتصادية بأن تكون جميع أعمالها بأيدي المجالس المحلية ، إلا ما يتعلق بالسياسة الخارجية أو الحربية ، فللمجالس العمومية في هذا حق الرأى المحترم فقط ، وأما حق التنفيذ فمن خصائص الحكومة العليا في العاصمة .

٤ ـ اعتبار اللغة العربية رسمية في جميع الولايات العربية بأن تكون جميع معاملات الحكومة بها في هذه الولايات ، فلا يقبل فيها موظف إلا من أهلها الذين يحسنونها قولا وكتابة(٢) .

---

(١) جريدة الاصلاح عدد ٤١ ـ ١٤٣٦ في ٢٣ رجب ١٣٣١ هـ ؛ جريدة الاصلاح عدد ٥١ ـ ١٤٤٦ في ٥ شعبان ١٣٣١ هـ ؛ محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٥٧ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، جـ ١١ ، ص ٨٤٩ ـ ٨٥٩ .

وكان وزير الداخلية العثماني طلعت بك قد صرح أمام الوجهاء العرب ودعاة الاصلاح الذين قدموا إلى الاستانة بعد انتهاء أعمال مؤتمرهم في باريس ، صرح قائلا : « أن موقفنا من نظام اللامركزية كان مبنيا على أوضاع الشعوب البلقانية أننا كنا نعلم نزعات تلك الشعوب ونواياها ، وكنا نخشى أن يؤدى النظام اللامركزى إلى تسهيل وتسريع انفصالهم عنا ، ولكن الآن وقد انفصلت تلك الشعوب عن الدولة فعلا ، لم نعد نرى ما يستوجب الاستمرار في سياسة المركزية التي كنا نتبعها قبلا ، لأننا نعرف نزعاتكم الحقيقية ، فلا نتردد في المضى معكم إلى آخر حدود التساهل في سبيل تطمينكم على صيانة حقوقكم ، لأننا نعتمد على اخوتكم فنستطيع أن نتفاهم معكم في جو من المودة الصحيحة على سياسة جديدة »[1] .

هكذا كان موقف العرب من فكرة اللامركزية التي تنطلق أساسا من حرصهم الشديد على سلامة الدولة في المشرق العربي وتأثرهم بالوحدة الإسلامية التي تربط العرب بالترك في ظل دولة الخلافة ، إضافة إلى خوفهم من الوقوع تحت السيطرة الأوربية التي تحاول الاستحواذ على ممتلكات الدولة في المشرق العربي[2] ، وهذا الموقف يختلف عما نادى به البعض بالقومية العربية دون ربطها بالإسلام[3] ، مما يختلف كل الاختلاف عن الموقف العربي الرئيسي كما عرضناه .

---

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٥٤١ ـ ٥٤٢ .

(٢) محمد شفيق غربال : المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

(٣) مجيد خدورى : الاتجاهات السياسية في العالم العربي ، ص ٣٠ ـ ٣١ ؛ وجيه كوثراني : بلاد الشام السكان الاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين ، ص ٢٥٤ .

والسؤال الذي فرض نفسه في هذه الآونة هو : هل مبدأ اللامركزية الذي يطالب به العرب لن تنطوى عليه نتائج سياسية خطيرة في أملاك الدولة العثمانية في آسيا كما حدث في أملاكها الأوربية ؟

وقد أجاب على ذلك السيد محمد رشيد رضا أحد مؤسسي حزب اللامركزية الإدارية في القاهرة وأشهر المفكرين العرب المنادين باصلاح الدولة العثمانية على قاعدة اللامركزية حين قال : « إن طلاب الإدارة اللامركزية أنما يطلبونها لأنهم يعتقدون أنها هى المنجية لدولتهم ولبلادهم من الخطر الأجنبى وأن البلاد لا تعمر إلا بها ، وليس في مطالبهم شيء يمنع أن تكون مقاليد القوة البرية والبحرية والسياسية للدولة وأن تكون في يد العاصمة »[1] ، وقال : « ... وما حفز العرب في هذه المواضع وأهاب بهم إلى طلب الاصلاح والدولة تئن من أثقال الحرب البلقانية التي غلبت فيها على أمرها إلا لخوفهم أن يكون بقاء الخلل السابق سببا لانحلال الدولة وتقسيم الدول لها بالفتح السلمي الاقتصادي أو الاحتلال العسكرى »[2] .

هكذا إذا كان موقف العرب من الدولة العثمانية حين برزت القضية العربية إلى سطح الأحداث مع حرب البلقان الأولى وبعدها ، فلم تكن حركتهم في اطارها العام تدعو إلى الجنسية العربية أو الانسلاخ عن الدولة العثمانية ، ولكن حروب البلقان أفقدت الدولة العثمانية الجزء الأكبر من اقاليمها الأوربية وأصبح العرب هم الأكثرية في الدولة مما غَيَّر البِنْيَةَ الأساسية للدولة العثمانية ، وهو تحول جد خطير في تاريخ الدولة .

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٧ ، جـ ٥ ، ص ٣٩٨ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٧ ، جـ ٣ ، ص ٢٣٤ .

(د) حرب البلقان الثانية ، معاهدة بوخارست ١٣٣١هـ / ١٩١٣م ؛ فقد الدولة الجزء الأكبر من أقاليمها الأوربية ؛ تغيّر بنْيَة الدولة ، الأكثرية العربية .

حين أُرغمت الدولة العثمانية على خوض غمار حرب البلقان الأولى ، كانت الدول البلقانية المتحالفة تقف جميعها ضد الدولة العثمانية ، فى محاولة منها لاقتطاع الولايات الأوربية من أملاك الدولة ، وعندئذ شعر العرب فى المشرق العربى أن اصلاح الدولة على قاعدة اللامركزية سيساعد بدون أدنى شك على سلامة دولة الخلافة ويزيد من تماسكها وقوتها أمام الأخطار التى باتت تهددها في أمنها وكيانها .

ولقد تحققت أهداف البلقانيين في معاهدة لندن الموقعة في ٢٤ جمادى الثانية ١٣٣١هـ / ٣٠ مايو ١٩١٣م التى أنهت الحكم العثمانى في أوربا وأعطت الاستقلال للدويلات البلقانية[1] ، تلك المعاهدة التى كان لها شأن كبير في تقسيم الأراضى التى انتزعت من الدولة العثمانية أثناء حرب البلقان الأولى ، لتغير من كيان الدولة وبنيتها الأساسية وتفقدها جُلّ أملاكها الأوربية[2] .

وبدأت الحكومة العثمانية في الاتجاه نحو المشرق العربى ، ووضع قواعد الاصلاح موضع التنفيذ حيث صدرت ارادة سنية برقم ١٥٩ في ١٢ جمادى الأولى ١٣٣١هـ تقضى بالاستمرار في قبول اللغة العربية في المحاكم والمدارس والمكاتبات في جميع المناطق ذات الأكثرية العربية ، على أن يتعلم

(1) Barbara, Jelavich: History of The Balkans, Vol, 2. p. 95.

(2) Roderic. H. Davison: Turkey, Ashort. History. p. 110.

الطلاب اللغة التركية ليتمكنوا من تولي الوظائف الحكومية التى تسند اليهم مستقبلا(١) ، كما صدرت ارادة سنية أخرى برقم ١٦٠ وتاريخ ١٢ جمادى الأولى ١٣٣١هـ بتأسيس مدرسة لتخريج العلماء والدعاة والقضاة في المدينة المنورة ، تتولى وزارة الأوقاف بالتعاون مع أعيان المدينة المنورة مهمة انشائها والاشراف عليها ، وينتخب المدرسون لها من العلماء المحليين ، على أن يكون التدريس فيها باللغة العربية(٢) .

أما دول البلقان التى منحتها معاهدة لندن المذكورة أجزاء غالية من ممتلكات الدولة العثمانية في أوربا ، فقد مزقت الأطماع حلفها وتفرقت كلمتها ، وأصبحت مشاكلها تزيد من قلق الدول الأوربية التى تسعى جاهدة لمساعدة تلك الدويلات على الاستقرار والتعاون(٣) ، وكأن تلك المعاهدة التى اقتطعت الولايات الأوربية من الدولة العثمانية جلبت معها تمزيقا لحلف البلقان(٤) .

سرعان مادب الخلاف والحسد بين البلقانيين ، وظهر النزاع بينهم على تقسيم غنائم الحرب ، فسارعت اليونان والصرب إلى ابرام محالفة بينهما ، أشارت بعض المصادر إلى أنها دفاعية بحته ، بينما أشار بعضها الآخر إلى أنها دفاعية هجومية ، وأن من بنودها اتاحة الفرصة لرومانيا للدخول فيها(٥) ، أما حكومة الجبل الأسود فقد أكدت على لسان وزير خارجيتها أنها ستنضم إلى جانب الصرب واليونان في حالة قيام حرب بينهما وبين بلغاريا انطلاقا من

(١) دستور ـ ترتيب ثاني ـ قوانين ونظامات ومعاهدات .. وإرادات سنية محتويات ، ص٣١٨ .

(٢) دستور ـ ترتيب ثاني ـ ... ص٣١٩ ـ ٣٢٢ .

(3) F. O. 424/242, No. 206, Sir, E. Grey to Sir, E. Goschen, F. O. 12. 2. 1913. p. 113.

(4) F. O. 424/247, No. 34, Sir, E. Grey to Sir, H. Bax- Ironside, 2. 7. 1913. p. 17; Taylor, op. cit, p. 496.

(٥) جريدة الاصلاح عدد ٢٦ ـ ١٤٢١ في ٥ رجب ١٣٣١هـ ؛ يوسف . ف . البستاني : المرجع السابق ، ص ٢٩٦ ؛ هـ . ج ولز : المرجع السابق ، المجلد الرابع ، ص١٤٣٠ .

معاهدتها السابقة مع الصرب[1] ، أما العثمانيون فرغم ماقيل من أنهم حاولوا الدخول في هذا التحالف الجديد كي يتمكنوا من استعادة أدرنة من يد البلغار ، الا أن الدلائل التاريخية تؤكد أن اتجاههم إلى أوربا لم يعد بتلك الأهمية التى كانت لديهم قبل الحرب ، وأن اهتمامهم أصبح منصبا على المشرق العربى الذى أضحى يمثل الأكثرية العثمانية ، والمستند القوى للدولة[2] .

ولقد عم الذعر والفزع العواصم الأوربية حين رأت أن الحلفاء البلقانيين أصبحوا أعداء لبعضهم البعض ، وأن الحرب بينهم ستقع في أقرب لحظة[3] ، حينذاك اتفقوا على تحديد نطاق الحرب كي لايتجاوز شبه جزيرة البلقان ، وأن تلتزم كافة الدول الأوربية بمبدأ الحياد كى لاتتسع هذه الحرب وتعم أضرارها القارة الأوربية ، ولاسيما أن للحكومات البلقانية مكانة خاصة لدى الدول الأوربية[4] .

وفى ٢٥ رجب ١٣٣١هـ الموافق ٢٩ يونيو ١٩١٣م شنت بلغاريا الحرب علي اليونانيين بعد منتصف الليل مما جعل الغضب يستبد باليونان والصرب على حليفهما الغادر فحاصر ملك اليونان على رأس جيشه البلغاريين في سالونيك ، وقام بالتعاون مع الصرب بشن حملات ناجحة على الجيوش البلغارية[5] ، حينئذ اشتدت عزائم الحكومة العثمانية ، واستغلت هذه الفرصة وهاجمت أدرنة واستردتها من الجيش البلغارى المنكسر[6] ، أما رومانيا التى

---

(1) Stavrianos, op. cit, p. 538.

(٢) جريدة الاصلاح عدد ٤٠ ـ ١٤٣٥ في ٢٢ رجب ١٣٣١هـ .

(3) F. O. 424/246, No. 345, Sir, E. Grey to Mr, Carnegie, F. O, 26. 6. 1913. p. 196.

(4) F. O. 424/246, No. 353, Sir, E. Grey to Sir, G. Buchanan, F. O. 27. 6. 1913. p. 200.

(٥) هارولد تمبرلى و . أ . ج . جرانت : المرجع السابق ، ج٢ ، ص١٥٢ ؛

Taylor, op. cit, p. 497.

(6) Sloane, op. cit, p. 199.

كانت تهدف إلى تعديل حدودها مع بلغاريا وفق مصلحتها ، اضافة إلى رغبتها في حفظ التوازن بين قوات الدول البلقانية فقد حشدت جيوشا على الحدود البلغارية وأعلنت الحرب إلى جانب اليونان والصرب ، وهددت العاصمة صوفيا[1] ، وهكذا وجدت بلغاريا نفسها تقف وحيدة في وجه حلفائها السابقين اضافة إلى الدولة العثمانية ورومانيا ، واستمر القتال أكثر من ثلاثين يوما منيت فيه الجيوش البلغارية بهزائم كبيرة وخسائر فادحة في العتاد والأرواح[2] ، مما حدا بها إلى طلب المساعدة من الدول الأوربية خاصة بريطانيا ، كي تقوم بدور فعال لايقاف هذه الحرب التى لم تعد تتحمل نتائجها بلغاريا بعد أن تدخلت فيها رومانيا كطرف أساسى[3] .

وكانت الدول الأوربية قد أدركت أن سياسة الحياد وعدم التدخل في شئون البلقان سيترك آثاراً سيئة على التوازن الدولى في القارة الأوربية ، فمن الأولى أن تتفق هذه الدول مع بعضها ، لتمنح شيئا من الاستقرار لمصالحها الاستراتيجية[4] وعندما تجاوز الجيش العثمانى خط أينوس ـ ميديا ، الذى قررته معاهدة لندن ، واستعاد العثمانيون مدينة أدرنة تغيرت مواقف أوربا من تلك الحرب ونتائجها ، رغم ادراكها الكامل أن بلغاريا هى العنصر الأساسى الذى أحدث الارتباك بين المتحاربين ، وهى أول من تنكر لتلك المعاهدة هى

(1) F. O. 424/247, No. 33, Sir, E. Grey to Sir, H. Bax- Ironside, F. O, 2. 7. 1913. p. 17; F. O. 424/250, Annual, Report, 1913, Mr, Beaumonto Sir, E. Grey, 4. 12. 1914. p. 23.

(٢) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية ـ القرن التاسع عشر ١٨١٥ ـ ١٩١٤ ، ص٦٦٤ .

(3) F. O. 424/247, No. 246, Sir, E. Grey to Sir, H. Bax Ironside, F. O. 11. 7. 1913. p. 114; F. O. 424/247, No. 245, Sir, E. Grey to Sir, H. Bax Ironside, F. O. 11. 7. 1913. p. 114.

(4) F. O. 424/247, No. 244, Sir, E. Grey to Sir, F. Cartwright, F. O, 11. 7. 1913. p. 114.

وحلفاؤها ، وألمح وزير خارجية بريطانيا إلى ذلك الموقف الأوربى الذى يحتم على الدولة العثمانية البقاء محصورة داخل نطاق مقررات معاهدة لندن(١) التى مزقها الحلفاء البلقانيون بأنفسهم قبل الدولة العثمانية ، وهو ماحاول أن يشير إليه سفير الدولة العثمانية في لندن في رسالته الموجهة إلى وزير خارجية بريطانيا حينذاك والتى أكد فيها تصميم حكومته في المحافظة على عاصمة الدولة وحدودها الآمنة التى تضمن لها أكبر قدر من السلامة(٢) .

وقد أكد سفير روسيا في الآستانة للصدر الأعظم انزعاج حكومته من اقدام الدولة العثمانية على استرداد أدرنة ، في الوقت الذى قام فيه سفراء الدول الأوربية بابلاغ الصدر الأعظم مواقف دولهم التى تتوافق مع موقف روسيا ، لكن الباب العالى وجه مذكرة إلى تلك الدول يلقى فيها تبعة الحرب على بلغاريا(٣) ، والحقيقة التى لاتقبل الجدل هى أن حرب البلقان الثانية ليست الا اكمالاً للحرب الأولى التى أثيرت فى سبيل ايجاد التوازن في تلك المنطقة ، ولأوربا علاقة وثيقة بشبه جزيرة البلقان ، تجعلها تؤيد مامن شأنه توطيد أركان التوازن فيها ، وهو مادفعها إلى عدم التوسط بين المتحاربين .

عقدت الهدنة في أواخر شهر شعبان ١٣٣١هـ / نهاية يوليو ١٩١٣م على أن تجرى مفاوضات الصلح بين كل من بلغاريا من جهة ورومانيا واليونان والصرب والجبل الأسود من جهة أخرى(٤) ، ولاسيما أن الحرب قد أوصلت

(1) F. O. 424/247, No. 390, Sir, E. Grey to Sir, H. Bax Ironside, F. O. 17. 7. 1913. p. 174.

(2) F. O. 424/247, No. 460, Tewfikpasha to Sir, E. Grey Londres, 20. 7. 1913. p. 202.

(٣) جريدة الأهرام عدد ١٠٧٥٩ في ١٧ رجب ١٣٣١هـ ؛ يوسف . ف . البستانى : المرجع السابق ، ص٢٩٨ .

(٤) فؤاد المرسى خاطر : المرجع السابق ، ص٢٠٥ ؛ محمد كمال الدسوقى : المرجع السابق ، ص٣٤٦ .

بلغاريا إلى مرحلة جعلت الحكومة الرومانية تتعاطف معها وتسعى إلى عقد معاهدة الصلح التى تنقذها من الدمار كما يقول السفير الرومانى في لندن[1] .

وقد بدأت أعمال مؤتمر الصلح في بوخارست عاصمة رومانيا ، وطلبت الدولة المضيفة من الدول الأوربية العظمى ممارسة نفوذها لارغام الدولة العثمانية على الانسحاب من أدرنة والالتزام بمقررات معاهدة لندن[2] ، فى الوقت الذى كان رئيس الوزراء اليونانى يطلب من سفير بريطانيا في بوخارست أن يلتمس باسم حكومته من كافة الدول الأوربية عدم التدخل في بنود التسوية التى سيقرها مؤتمر الصلح لأن ذلك سوف يطيل حالة القلق فى شبه جزيرة البلقان ويزيد من التفكك والاختلاف بين المؤتمرين[3] ، وهو ماأخذت به كل من بريطانيا وفرنسا حينذاك ، لأن رغبتهما كما عبر عنها المسؤولون في الحكومتين هى استتباب الأمن والسلام في البلقان وحفظ التوازن بين الدول الأوربية فيها[4] .

اجتمع سفراء الدول الأوربية في الاستانة في مقر السفارة النمساوية ، واتفقوا على مخاطبة الباب العالي بضرورة اعادة المناطق التى تم استرجاعها من وراء خط أينوس ـ ميديا ، مهددين الدولة العثمانية اذا أصرت على موقفها ، بسحب الوعد الأوربى بتقديم مساعدات مالية للدولة العثمانية ، ولكن

---

(1) F. O. 424/247, No. 597 , Sir, E. Grey to Sir, G. Barclay, F. O, 25. 7. 1913. p. 263-264.

(٢) جريدة الأهرام عدد ١٠٧٧١ في ٣ رمضان ١٣٣١هـ

(3) F. O. 424/248, No. 124 , Sir, G. Barclay to Sir, E. Grey, Bucharest, 7. 8. 1913. p. 63.

(4) F. O. 424/248, No. 135 , Sir, E. Grey to Sir, F. Bertie F. O, 7. 8. 1913. p. 66, F. O. 424/248, No. 136, Sir, E. Grey to Sir, G. Barclay, F. O, 7. 8. 1913. p. 66.

الباب العالى سارع بارسال مذكرة إلى تلك الدول أعلن فيها أن الحكومة العثمانية قد قررت الاحتفاظ بمدينة أدرنة[١] .

في الساعة العاشرة والنصف من صباح اليوم الثامن من شهر رمضان ١٣٣١هـ الموافق للعاشر من أغسطس ١٩١٣م ، وقعت معاهدة بوخارست بين ملك البلغار من جهة وملوك الصرب واليونان والجبل الأسود ورومانيا من جهة أخرى ، منهية بذلك حرب البلقان الثانية ، وتضمنت هذه المعاهدة عشر مواد أرغمت بلغاريا بموجبها على التنازل عن كثير من مكتسباتها في حرب البلقان الأولى ووضعت حدوداً جديدة بينها وبين الدول البلقانية الأخرى التى فازت بنصيب الأسد في هذه الحرب[٢] .

ويذهب أحد المؤرخين إلى أن بلغاريا كانت تعلق الآمال على اختلافات الدول الأوربية ، وتمنى نفسها بتعديل هذه المعاهدة ، ولكن آمالها ذهبت أدراج الرياح[٣] ، واذا نظرنا إلى آفاق الجو السياسى الذى عاشته أوربا حينذاك نجد أن هذا الاتجاه كان هو المسيطر على أجواء السياسة الأوربية ، حيث دارت مكاتبات عدة بين الساسة الأوربيين ، وامتلأت العواصم الأوربية بالمناقشات والحوار الجاد حول ضرورة اعادة النظر في معاهدة بوخارست من عدمه ، غير أنها لم تترجم على أرض الواقع الملموس[٤] .

(1) F. O. 424/248, No. 302 , Mr, Marling to Sir, E. Grey, Constantinople, 8. 8. 1913. p. 181;

جريدة الأهرام عدد ١٠٧٧٤ في ٦ رمضان ١٣٣١هـ .

(2) F. O. 424/248, No. 312 , Mr. C. Barclay to Sir, E. Grey Bucharest, 14. 8. 1913. pp. 191-- 192; F. O. 424/248, Enclosure in, No. 312, Treaty of peace pp. 192-- 195.

(٣) يوسف . ف . البستانى : المرجع السابق ، ص٢٨٨ ، ٢٩١ .

(4) F. O. 424/248, No. 218, Sir, E. Grey to G. Buchanan, F. O, 11. 8. 1913. p. 108;
F. O. 424/248, No. 219, Sir, E. Grey to Mr. Crackan Thorpe, f. O. 11. 8. 1913. p. 108;
F. O. 424/248, No. 264, Sir, G. Buchanan to Sir, E. Grey, St. Peters burgh, 14. 8. 1913. p. 152.

لقد خلقت معاهدة بورخارست مشاكل جديدة لأوربا ، وزادت من مشاعر القلق لديها ، فكل دولة تحاول أن تعدل هذه المعاهدة وفق مصالحها الخاصة وأهدافها المحددة ، الا أن تلك المعاهدة تركت لبلغاريا المرارة والجراح وسلبتها ماكانت تعتقد أنه يخصها ، فهي اذا لاتتوقع أن يكون هناك سلام دائم مادامت تلك المعاهدة باقية ، أما الدولة العثمانية التى لم تشترك في تلك المعاهدة أصلا فانها تشعر بمرارة أكثر لأن تلك المعاهدة سلبت ونهبت أملاك الدولة في أوربا حيث دعت إلى تطبيق معاهدة لندن على الدولة العثمانية وحدها ، أما الدويلات البلقانية الأخرى فقد زادت مكتسباتها مع تلك المعاهدة[١] .

وفي ٢٨ شـوال ١٣٣١هـ الموافق ٢٩ سـبتمبر ١٩١٣م وقـعت الدولة العثمانية مع بلغاريا معاهدة القسطنطينية المعروفة والمشتملة على عشرين مادة وخمسة ملاحق ، استعادت الدولة بمقتضاها جزءاً من منطقة تراقية يشتمل على أدرنة وقرق كليسا وخط أينوس - ميديا ومايليها من ضواحى الأستانة[٢] وليس هناك من شك في أن توقيع الدولة العثمانية لمعاهدة القسطنطينية يعتبر كسبا كبيرا لها ، خاصة ، أنها أنهت تلك الشروط القاسية التى فرضتها عليها معاهدة لندن ، ودعمتها معاهدة بوخارست ، ومهما كان مقدار الكسب المادى الذى حصلت عليه الحكومة العثمانية باسترجاع بعض أراضيها في منطقة تراقية ، فان مكسبها الحقيقى هو ارتفاع مركزها الأدبى لدى الدول الأوربية ، ولدى العثمانيين أنفسهم .

وعندما تسارعت الأحداث على الدولة العثمانية في أجزائها الأوربية الباقية ، وبدأت اليونان تحرشاتها العسكرية[٣] ، دارت مفاوضات في أثينا بين الجانبين في الفترة من ٢ - ١٥ ذى الحجة ١٣٣١هـ الموافق ١ - ١٤ نوفمبر

(1) Stavrianos, op. cit, pp. 540- 541. Taylor, op. cit, p. 498.
(2) Muahede Name, Constantinople, Osmanli, Arsivi Daire Baskanligi, Ist.
(3) F. O. 424/250, Annual, Report, 1913, Mr, Beaumont to Sir, E. Grey, 4. 12. 1914. p.22
جريدة الاصلاح عدد ١٣٦ - ١٥٣١ في ٢٠ ذى القعدة ١٣٣١هـ .

١٩١٣م انتهت بتوقيع معاهدة أثينا بين الدولة العثمانية واليونان وقد التزم الطرفان بموجب المادة الخامسة عشر من هذه المعاهدة بالمحافظة على نصوص معاهدة لندن التى وقعتها الدولة العثمانية مع الحلفاء البلقانيين في حربهم الأولى(١) ، ولعل في ذلك دلالة واضحة على مدى الضعف الذى وصلت إليه الدولة العثمانية التى أصبحت المعاهدات التى توقعها تُمْلَى عليها من أعدائها وهذا مالم يكن في عصر القوة من تاريخ الدولة .

لقد كانت حروب البلقان كارثة عظيمة حلت بالدولة العثمانية حيث فقدت فيها الجزء الأكبر من ممتلكاتها الأوربية ، إذ انسلخت منها ولايات ـ قوصوه ، واشقودره ، ويانينا ، ومناستير ، وسالونيك(٢) ، لتصبح الدولة العثمانية هى الدولة الوحيدة الخاسرة في حروب البلقان ، إذ فقدت من الناحية السكانية ٤٢٣٩٢٠٠ وبقى لها ١٠٨٨٢ ميلا مربعا(٣) ، أي أن نسبة ما فقده العثمانيون من أملاكهم الأوربية وفق التقارير الدولية التي صدرت عن حروب البلقان بلغ ٨٣٪ من الأراضي ، و٦٩٪ من السكان(٤) ، وهكذا اقتصرت أملاك الدولة العثمانية في أوربا على منطقة صغيرة حول العاصمة استانبول بينما بقى لها في آسيا الأناضول وبلاد الشام والعراق والحجاز مع اعتراف اسمى بسيادتها على جنوب وشرق الجزيرة العربية(٥) ، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه هنا من أن بنية الدولة العثمانية بعد حروب البلقان قد تغيرت وأصبحت الأكثرية للولايات العربية .

وعندما حولت حروب البلقان الدولة العثمانية إلى دولة ذات أكثرية عربية كما أوضحنا فإن ذلك يعنى ظهور نتائج عدة من أهمها التركيز على ممتلكات الدولة في المشرق العربى ، وظهور ردود فعل مختلفة لدى العرب للمحافظة على

---

(1)Muah ede Name, Numarasi, 234. osmanli Arsivi Daire Bas, Kanligi, Ist.

(٢) محمد كرد على : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ ؛ محمد رفعت : تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية ، ص ٨٣ .

(3) Marriott, op. cit, P. 466.

(4) Stavrianos, op. cit. P. 540

(٥) عبدالكريم رافق : المرجع السابق ، ص ٥٤٤ .

بلدانهم وعلى ما بقى من الدولة العثمانية وهو ما تمثل في الجمعيات العربية التي تطالب بالاصلاح داخل الدولة وفي الولايات العربية ، وبدأت مطالب العرب الاصلاحية تزداد قوة حتى أن البعض كان يرى وجوب تحول الدولة العثمانية إلى دولة ثنائية « تركية ـ عربية » على غرار دولة النمسا ـ المجر(١) ، والهدف من ذلك بطبيعة الحال هو المحافظة على دولة الخلافة الإسلامية في المشرق العربى ، مع منح العرب نوعا من الاستقلال الذاتي على قاعدة اللامركزية(٢) ، إذ كان أهم ما يخشاه العرب حينذاك هو أن يحل النفوذ الأجنبي الاستعمارى محل الدولة العثمانية(٣) ، التي كانت ترتبط مع العرب برابطة الدين والتاريخ المشترك .

أما العناصر المسيحية التي طالبت بحماية فرنسا ووضع ولاية بيروت تحت المراقبة الفرنسية وما إلى ذلك من المطالب التي تحررهم من سيادة الدولة العثمانية كما يقولون في رسالتهم الموجهة إلى قنصل فرنسا في بيروت(٤) ، فإنهم لا يمثلون الرأى الغالب في المشرق العربى ، الذي لم يهدف في جميع مطالبه الاصلاحية إلى الخروج عن الدولة العثمانية ، والوحدة الإسلامية(٥) ، وإنما كان هدف الغالبية العظمى من العرب هو اصلاح الدولة على قاعدة اللامركزية ، ولاسيما أن العرب أصبحوا هم العنصر الأكثر والفعّال في تكوين الدولة ، بعد انسلاخ الولايات البلقانية من الدولة في حروب البلقان .

وقد لعبت الجمعيات العربية والهيئات الفكرية دوراً بارزاً في اظهار مطالب العرب ، وهو ماستتحدث عنه فى الفصل القادم .

(١) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ١١٠ ؛ محمد جميل بيهم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٥ .

(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٥٥٧ ـ ٥٥٨ ؛ أرنست . أ . رامزور : المرجع السابق ، ص ٢٧ ـ ٢٨ .

(٣) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٥٨ .

(٤) وجيه كوثرانى : بلاد الشام السكان الاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين ، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٣ .

(٥) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ١٧٨ ـ ١٨٣ .

الفصل الثالث

ردود الفعل المباشرة لحروب البلقان

أ ـ جمعية بيروت ، برنامجها .

ب ـ جمعية العربية الفتاة ، باريس ، بيروت ، دعوتها لمؤتمر باريس .

جـ ـ مؤتمر باريس ١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م ؛ اجتماعاته ، برنامجه ، قراراته .

د ـ حركة البصرة .

هـ ـ تزايد أخطار التمزق الداخلي في الدولة والأنشطة المناوئة للدولة الإسلامية .

أ ـ جمعية بيروت ، برنامجها :

كانت آثار حرب البلقان على الدولة العثمانية خطيرة جداً ، إذ أنها أظهرت الخلل والضعف في إدارة الجيش العثماني ، وكشفت للأمة العثمانية أن الانحلال والتفتت في أجزاء الدولة العثمانية بات وشيكا ، مما يعنى كثرة الأطماع الأجنبية في الدولة العثمانية وولاياتها وخاصة أطرافها ، فهى لم تستطع أن تحافظ على الولايات البلقانية التي تعتبر سياجا وخط دفاع أخير لعاصمة الدولة العثمانية من التهديد الأوربى ، فكيف بها والحال هذه ـ تستطيع أن تدافع عن الولايات البعيدة عن العاصمة ـ كالولايات العربية في المشرق العربي العثماني .

وكان دعاة الإصلاح في الولايات العربية قد انتهزوا فرصة انتقال مقاليد الحكم في عاصمة الدولة إلى حزب الحرية والا ئتلاف قبيل حرب البلقان ، وطالبوا باصلاح ولايات الدولة على قاعدة اللامركزية ، لأن ذلك أدعى إلى عمران تلك الولايات واستعدادها للدفاع عن نفسها حين الحاجة[1] ، وكانت اتجاهات الحكومة تؤيد هذه الفكرة وترغب في تطبيقها في جميع ولايات الدولة العثمانية[2] .

وكتب الوالى العثماني في بيروت إلى الصدر الأعظم في شهر محرم ١٣٣١ هـ / ديسمبر ١٩١٢ م كتابا يؤكد فيه تأثر العرب بنتائج حرب البلقان الأولى وهزائم الدولة فيها ، مشيراً إلى أن الأطماع البريطانية والفرنسية أصبحت واضحة تجاه الولايات العربية ، وأن ردود الفعل لحروب البلقان لدى العرب يخشى أن تؤدى بهم إلى الارتماء في أحضان الغرب إن لم تسارع

---

(١) أرنست . أ . رامزور : المرجع السابق ، ص ٣٢ ؛ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٢) عبدالعزيز محمد عوض : المرجع السابق ، ص ٥١ .

الدولة بإجراء الاصلاحات في تلك الولايات على قاعدة اللامركزية ، وكان رد الصدر الأعظم إيجابياً ، حيث طلب من الوالي دعوة مجلس الولاية للاجتماع وتقديم مطالبهم الاصلاحية إلى الحكومة ، وعقد المجلس العام لولاية بيروت جلسته الأولى في ٤ صفر ١٣٣١ هـ الموافق ١٢ يناير ١٩١٣ م ، في مقر بلدية بيروت ، وفي نهاية اجتماعات المجلس تشكلت لجنة عاملة من ٢٥ عضواً ، سميت باسم الجمعية العمومية الاصلاحية ، وتحددت مهمتها في صياغة لائحة المطالب الضرورية لاصلاح الولاية(١) .

وكانت اللجنة العاملة مؤلفة من اثني عشر مندوبا من الطائفة الإسلامية واثني عشر آخرين من الطوائف المسيحية ، ونائب من الطائفة الاسرائيلية ، لوضع لائحة بالاصلاح اللازم للولاية وملاحقة تنفيذها بعد عرضها على الجمعية العمومية(٢) ، ولعل ما يلفت النظر في ذلك هو تساوى عدد الأعضاء المسيحيين مع المسلمين في اللجنة العاملة ووجود عضو اسرائيلي من أعضائها ، وهذا بطبيعة الحال شيء طارىء ودخيل على الدولة وعلى نظمها الإسلامية ، وحدث غريب في المشرق العربي الإسلامي .

استمرت اجتماعات الجمعية العمومية الاصلاحية تلك طوال الفترة من ٦ ـ ٢٠ صفر ١٣٣١هـ ، الموافق ١٤ ـ ٢٨ يناير ١٩١٣، لتضع لائحتها الاصلاحية المطلوبة والمشتملة على خمس عشرة مادة ، ومادة اساسية استهلت بها تلك اللائحة ومؤكدة فيها أن الحكومة العثمانية حكومة دستورية نيابية(٣) .

---

(١) محمد كرد علي : المصدر السابق ، ج٣ ص١٢٧ ؛ مصطفى الشهابي : القومية العربية ـ تاريخها وقوامها ومراميها ـ ، ص٨٢ ؛ زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص٩٨ .

(٢) جريدة الاتحاد العثماني عدد ١٣٠٥ ، ص١ ـ ٢ ، في ٦ صفر ١٣٣١هـ ؛ جريدة الأهرام عدد ١٠٦٠٣ في ٩ صفر ١٣٣١هـ .

(٣) مذكرات سليم علي سلام : المصدر السابق ، ص١٣٨ ؛ جريدة الاتحاد العثماني عدد ١٣٢٤ في ٢٨ صفر ١٣٣١هـ .

وقد قرئت هذه اللائحة على الهيئة العمومية للجمعية الاصلاحية ، وأقرتها وصدقت عليها بالاجماع في اجتماع عام عقد في الثالث والعشرين من شهر صفر ١٣٣١هـ الموافق ٣١ يناير ١٩١٣م[١] ، وكانت مواد هذه اللائحة التى هى عبارة عن البرنامج الكامل لجمعية بيروت تمثل الاتجاهات والمطالب الاصلاحية التى يسعى اليها العرب على قاعدة اللامركزية ، والتى زادت حروب البلقان وانكسارات الدولة فيها من اصرارهم عليها ، والمطالبة بتطبيقها عمليا ، لأنها ستساعد ولايات الدولة على التصدى للأخطار التى تهددها .

وقد نصت المادة الأولى على تقسيم الولاية إلى قسمين ، قسم يتعلق بكيان السلطة وشئونها الأساسية كالخارجية والعسكرية فهذه من مهمة الحكومة المركزية ، أما القسم الثانى وهو مايتعلق بالأعمال المحلية والشئون الداخلية للولاية ، فيكون من مهمة مجلس الولاية العمومى ، أما المادة الثانية فقد تحدثت عن الوالى وحقوقه ووظائفه ، حيث منحت الوالى صفتين قانونيتين هما تمثيل الحكومة المركزية ، وتمثيل حكومة الولاية التى يرأسها ، ومنحته خمسة حقوق من أهمها الاعتراض على قرارات المجلس العمومى وفق شروط محددة وتعيين المتصرفين والقائمقامين والمديرين بعد عرض أسمائهم على الحكومة المركزية .

أما المادة الثالثة فقد نصت على حقوق ووظائف المجلس العمومى للولاية الذى سيؤلف من ثلاثين عضوا ينتخب نصفهم من المسلمين ونصفهم الآخر من غير المسلمين لمدة أربع سنوات على أن ينتخب رئيسهم من بينهم بالاقتراع السرى ، ومن أهم حقوق المجلس العمومى ، تقرير جميع أعمال الولاية الداخلية ، ووضع الأنظمة الداخلية بشرط أن لاتمس شئون السلطنة

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٤ ، ص٢٧٥ .

العامة ، وعقد القروض التى لاتتجاوز قيمتها نصف الواردات المختصة بالولاية ، أما القروض التى تتجاوز هذا فيلزم لها مصادقة الحكومة المركزية ، على أن لايتدخل المجلس العمومى في الشئون السياسية العامة مطلقا .

في حين أعطت المادة الرابعة لقرارات المجلس العمومى حق التنفيذ مالم يعترض عليها الوالى بمصادقة مجلس المفتشين ـ الذى سيجىء ذكره في المادة الثالثة عشرة ـ خلال أسبوع من تاريخ تبليغه اياها ، بينما أعطت المادة السادسة للحكومة المركزية حق تعيين الوالى وحاكم الشرع ورؤساء العدلية من مركز الولاية وقومندان الجندرمة ، وضباطها ، أما بقية الموظفين فقد نصت نفس المادة على أن يكونوا من أهالى البلاد ويتم تعيينهم وفق شروط محددة .

وطالبت المادة السابعة من برنامج الجمعية الاصلاحية في بيروت ، الحكومة المركزية بتعيين مستشارين ومفتشين من الأجانب على شرط معرفتهم احدى اللغات الثلاث العربية أو التركية أو الفرنسية ، وعينت لهم مراكز وادارات خاصة يعملون بها ، على أن يكون لكل لواء من ألوية الولاية مفتش أجنبى يحق له تفتيش أية دائرة في اللواء ، ويكون مرجعه مستشار مركز الولاية ، على أن يلبس هؤلاء المستشارون الشعار العثماني في أوقات العمل ، بينما نصت المادة الثالثة عشرة على تأليف مجلس يسمى مجلس المفتشين يشكل أعضاؤه من رئيس المجلس العمومى وجميع مستشارى الدوائر في مركز الولاية ، وللمجلس أربع وظائف من أهمها : تفسير مواد النظام الذى تضعه الحكومة المركزية ـ بناء على هذه اللائحة ـ كدستور لحكومة الولاية ومجلسها العمومى ، وتفسير القرارات والأنظمة التى يضعها المجلس العمومى .

أما المادة الرابعة عشرة فقد أكدت على أن اللغة المحلية تعتبر اللغة الرسمية في جميع المعاملات داخل الولاية ، وتعتبر اللغة العربية لغة رسمية كاللغة التركية في مجلس النواب والأعيان ، في حين كانت المادة الخامسة عشرة تنص على تخفيض الخدمة العسكرية إلى سنتين ، وتقضى الخدمة في أيام السلم في الولاية[1] .

ومن خلال قراءتنا لبرنامج جمعية بيروت ، يتبين لنا أن اللامركزية هى الأساس الذى ارتكزت عليه مطالب واضعى البرنامج ، وأن الولاء للدولة العثمانية كان هو السمة المميزة لمواد البرنامج ، وأن الانسلاخ عن الدولة لم يراود أعضاء الجمعية المطالبين بالاصلاح ، رغم ماأخذ عليهم من أعطاء ، المستشارين الأجانب كثير من الحقوق التى ستفتح لهم المجال للتدخل في شئون الولاية وتنظيماتها ، وكان السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار والعضو البارز في حزب اللامركزية الادارية في مصر ، أول المنتقدين لبعض بنود برنامج الجمعية الاصلاحية في بيروت خاصة فيما يتعلق باعطاء المستشارين الأجانب بعض الحقوق التى لاتخدم الولايات المطالبة بالاصلاح ، ولاتخدم الدولة العثمانية بأى شكل من الأشكال[2] ، وهذا مالفت نظر القنصل البريطانى في بيروت الذى قال في رسالة بعثها إلى حكومته حينذاك : « أطرف مطلب من مطالب الاصلاح استقدام خبراء ومستشارين ومفتشين من الأجانب »[3] .

---

(١) جريدة الاتحاد العثماني عدد ١٣٢٤ في ٢٨ صفر ١٣٣١هـ ، جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٢٥ في ٢٩ صفر ١٣٣١هـ ، مجلة المنار المجلد ١٦ ، ج٤ ، ص٢٧٥ ـ ٢٧٩ ؛ مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، ص١٣٨ ـ ١٤٤ ؛ محمد عزة دروزة : المصدر السابق ، ص٤٠٠ ـ ٤٠٥ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٤ ، ص٣١٢ ـ ٣١٤ .

(٣) زين الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص٩٨.

والحقيقة التى لاتقبل الجدل أن الحركة التى قامت في بيروت بواسطة ـ الجمعية الاصلاحية ـ كانت شبيهة إلى حد كبير بحزب اللامركزية الادارية العثمانى في القاهرة ، فكلاهما ينشد الاصلاح للولايات العربية على قاعدة اللامركزية ، والدوافع التى حفزتهم إلى ذلك واحدة ، وهى قيام حرب البلقان ، وتقهقر الجيوش العثمانية فيها ، مما زاد خوف رجال الاصلاح العرب ، الذين يعرفون أطماع أوربا في المشرق العربى العثمانى[١] .

وقد شكل الوالى العثمانى لجنة خاصة تحت رئاستة لتضع لائحة اصلاحية للولايات على قاعدة اللامركزية ، ووضعت اللجنة تلك لائحة إصلاحيه مماثلة لتلك اللائحة التى وضعتها اللجنة الاصلاحية في جمعية بيروت ، الا أنها تختلف عنها في بعض البنود ، حيث أنها تتكون من اثنتى عشرة مادة فقط ، تختلف في الألفاظ وبعض المعانى عن برنامج اللجنة الاصلاحية ، إذ أنها حصرت المستشارين الأجانب في رعايا الولايات المتحدة والدول الثانوية التى لامصالح لها في البلاد ، وحدت من صلاحيات البلديات ، وقصرت اللغة الرسمية على اللغة التركية مع اجازتها لاستعمال اللغة المحلية في نفس الولايات ، ولم تتطرق البتة إلى قضية الخدمة العسكرية[٢] .

وموافقة الحكومة العثمانية على برنامج الاصلاح الذى يطالب به العرب يؤكد ماذهبنا إليه من أن ردود الفعل المباشرة لحروب البلقان في المشرق العربى العثمانى لم تعد تقتصر على دعاة الاصلاح من العرب وانما تجاوزت ذلك لتؤثر في الوالى العثمانى نفسه وفى الحكومة العثمانية ذاتها لتتم الاستجابة السريعة لمطالب العرب الاصلاحية على قاعدة اللامركزية ، لأن في

---

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص١٦٢ .

(٢) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣١٢ في ١٤ صفر ١٣٣١هـ ؛ جريدة الأهرام عدد ١٠٦١١ في ١٩ صفر ١٣٣١هـ ؛ مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، ص١٤٤ ـ ١٥٠ .

ذلك حماية لتلك الولايات من الأخطار الأجنبية بعد أن ظهر ضعف الدولة وتأثرها من حروب البلقان .

وقد قام الوالى العثمانى في دمشق بدعوة الأعيان ورجال الاصلاح فيها لانتخاب لجنة تقوم باعداد لائحة مماثلة تحدد المطالب الاصلاحية في تلك الولاية ، وتم تقديم اللائحة التى تضمنت ايجاد مجلس عمومى منتخب له حق الاشراف على جميع أعمال الادارة المحليه ، كما تضمنت فصل البلديات عن الادارة المحلية ، وأن يعين موظفو الولاية من أبناء البلاد تحت مراقبة المجلس العمومى ، ومن لايعرف اللغة العربية وجب عليه تعلمها لأنه لايجوز استعمال غيرها في المحاكم كما نصت اللائحة[١] .

ولكن الاحداث تطورت سريعا في الدولة العثمانية اذ عاد الاتحاديون إلى الحكم في ١٥ صفر ١٣٣١هـ الموافق ٢٣ يناير ١٩١٣م قبيل الانتهاء من اعداد اللوائح الخاصة بولاية بيروت ، مما دفع المعنيين بالأمر إلى الاسراع في اعداد لائحتهم ، وتقديمها إلى الوالى العثمانى الجديد الذى ينتمى إلى جمعية الاتحاد والترقى ، والتى لاتشجع بطبيعتها الاصلاحات على قاعدة اللامركزية ، ولكن الوالى الجديد وعد رجال الاصلاح العرب بدراسة اللوائح التى تعبر في شكلها العام عن ولاء العرب للدولة العثمانية ، وخوفهم من الاحتلال الأجنبى ، كما قال الأعضاء عند مقابلتهم للوالى[٢] .

ومع أن الصحافة البيروتية حينذاك أرسلت إلى المسيو بوانكاريه تهنئتها له بمناسبة تسلمه رئاسة الجمهورية في فرنسا تعبيراً منها لمواقفه من مسألة الاصلاح في لبنان[٣] ، الا أن الأعضاء المسيحيين في الجمعية الاصلاحية في

---

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٤٥٦ ، عبد العزيز محمد عوض : المرجع السابق ، ص٥٠ ـ ٥١ .

(٢) محمد عبد الرحمن برج : المرجع السابق ، ص١٤٥ ، حسان حلاق : المرجع السابق ، ص٢٨١ .

(٣) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣١٢ في ١٤ صفر ١٣٣١هـ .

بيروت كانوا يقومون باتصالات سرية مع فرنسا ، يطلبون فيها فرض سيطرتها على البلاد السورية عامة(1) ، حيث قدم مجموعة منهم خطابا إلى قنصل فرنسا العام في بيروت يظهرون فيه حبهم لفرنسا التى يعتبرونها حامية المسيحيين العثمانيين ووطنهم بالتبنى ، ثم عرضوا على القنصل الفرنسى ماأسموه بوضع المسيحيين العثمانيين ، الذى سيتفاقم بشكل هائل على أثر الحرب البلقانية والهزائم العثمانية فيها والتى ستكون عواقبها المباشرة في نظرهم هى : زيادة الضرائب ، التى ستعمد لها الدولة العثمانية بسبب خسارتها لولاياتها الأوربية ، ومعظم هذه الضرائب ستقع على كاهل المسيحيين ؛ وتشجيع هجرة مسيحيي سورية ، نظرا لقدوم أعداد هائلة من المسلمين في مقدونيا وتراقية منذ إندلاع حرب البلقان ، والدولة العثمانية تشجعهم على الهجرة إلى سورية ، مما سيؤدى إلى اختلال في التوازن بين عدد المسلمين وعدد المسيحيين في سورية ؛ وما أسموه التعصب الاسلامي ولاسيما أن حرب البلقان تعتبر حربا دينية صليبية ، أو أنها حرب المسيحية المتحالفة ضد الاسلام ، لذلك فهم يرون أن الحلول المناسبة تتمثل في ثلاثة بنود هى : اما بسط الحماية الفرنسية على سورية ، وأما الحكم الذاتى لولاية بيروت تحت حماية فرنسا ورقابتها الفعليتين ، واما ضم ولاية بيروت إلى لبنان على أن يوضعا معا تحت الرقابة الحقيقية الفرنسية(2) .

هكذا كانت ردود الفعل لحرب البلقان ظاهرة على المسيحيين العرب وقالوا بها صراحة ، ولكنهم مع الأسف الشديد خرجوا عن اتفاقهم مع العرب المسلمين ، الذين كانوا ينشدون الاصلاح في ظل الدولة العثمانية ، كى يأمنوا

(1) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، ص٢٣ .

(2) وجيه كوثرانى : بلاد الشام .... ، ص٢٦٩ ـ ٢٧٣ ، نقلا من أرشيف الخارجية الفرنسية ، مجلد ١٢٠ ، ص٥٩ ـ ٦٢ .

على بلادهم من التدخل الأجنبى بعد أن ظهر عجز الدولة وضعفها في حرب البلقان ، بينما كان المسيحيون يحثون عن التدخل الأجنبي والخضوع له ، لأنه في نظرهم أفضل من الدولة العثمانية المسلمة ، وهذا الاتجاه لدى المسيحيين عكس ماذهب إليه القنصل الأمريكى في بيروت الذى رأى أن الوحدة بين المسلمين والمسيحيين أمر لم يسبق له مثيل ، وأى رفض لمطالبهم من قبل الدولة العثمانية سيؤدى إلى أزمة خطيرة على حد قوله[1] .

تطورت الدعوة إلى الاصلاح اللامركزى فى سورية وبيروت تطورا سريعا ، ورفض بعض أعيان العرب العمل في الحكومة مالم توافق الدولة على الاصلاح الذى أقر في برنامج الجمعية الاصلاحية[2] ، بينما أوضح لهم الوالى العثمانى أن بنود اللائحة الاصلاحية التى تطالب بالاعتماد على المستشارين الأوربيين ستكون لها نتائج سلبية على الدولة والولايات العربية ، أما المساواة بين المسلمين والمسيحيين في داخل الجمعية الاصلاحية فهو انتهاك لحقوق المسلمين لأن عدد المسلمين أكثر من المسيحيين ، كما أوضح أن انقاص مدة الخدمة العسكرية تضعف سياسة الدولة العثمانية[3] .

وفى يوم الثلاثاء الثاني من جمادى الأولى ١٣٣١هـ الموافق ٨ ابريل ١٩١٣م صدر عن الوالى العثمانى في بيروت بلاغ رسمى بمنع اجتماع الجمعية العمومية الاصلاحية في بيروت واقفال ناديها ، وهذا نصه :

« بما أن الجمعية التى تشكلت منذ شهرين ونصف من بعض الذوات في بيروت باسم الجمعية العمومية الاصلاحية والتى اتفق أن أعطى لها علم وخبر

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص١٦٤ ـ ١٦٥ .
(٢) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٦١ ، ص٢ في ١٣ ربيع الثانى ١٣٣١هـ .
(٣) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، ص٢٤ ؛ مصطفى الشهابى : القومية العربية ـ تاريخها وقوامها ومراميها ، ص٨٤ .

من مقام الولاية ، قد كان تشكيلها مغايراً أساساً للمنوعية الصريحة التى نص عليها قانون الجمعيات فضلا عن أن بعض المطالب التى أخذ هؤلاء يطالبون بها باسم الاصلاحات هى منافية أيضا لأحكام القانون الأساسى وبناء عليه فقد صار من الطبيعى منع دوام واجتماع هذه الجمعية .

هذا وقد شرع بتطبيق قانون ادارة الولايات الذى نظمته الحكومة السنية وفقا لقاعدة توسيع المأنونية وتفريق الوظائف التي نصت عليها المادة الماية والثامنة ـ ١٠٨ ـ من القانون الأساسى وصدرت ارادة الحضرة السلطانية بمراعاة أحكامه فجاء جامعاً للمساعدات الواسعه التى تتطلبها الاصلاحات المطلوبة لبيروت ولسائر الولايات العثمانية ومتضمناً الأحكام المخصوصة التى تؤمن الاحتياجات الخصوصية لكل ولاية .

على أنه من الثابت فعلا بنشر مثل هذا القانون المخصوص المتكفل بحصول الاصلاحات التى تود الحكومة السنية انفاذها بصورة جديدة ، أنه اذا وجدت بعض النواقص عند تطبيق أحكامه الفرعية فلاشك أن الحكومة السنية تتم هذا النقص بالاشتراك مع مجلس المبعوثان الذى سيجتمع قريبا إن شاء الله ، وبناء عليه نعلن أنه قد منع بموجب القانون اجتماع الجمعية المذكورة التى ليس لها ذاتاً ـ كيان قانونى ـ ولم يبق محل وحاجة لدوامها بعد الآن ، واذا تصدى القائمون بها للاجتماع خلافا للمأمول فتضطر الحكومة لاجراء مايقتضيه القانون بحقهم من المعاملات »[١] .

وقد طلب الوالى العثماني مقابلة بعض زعماء الجمعية الاصلاحية في نفس اليوم الذى أصدر فيه البلاغ الرسمى سالف الذكر ، وأبلغهم بقرار الحكومة قفل النادى ومنع اجتماع الجمعية الاصلاحية ، ودار حول ذلك جدال

(١) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٧٧ في ٣ جمادى الأولى ١٣٣١هـ .

طويل ، حسمه الوالى بالتأكيد على مراجعة الآستانة فى أى اعتراض على القرار ، وقد رأت ادارة الجمعية ارسال برقيات احتجاج للسلطان العثماني والصدر الأعظم ، وصدرت الصحف البيروتية في اليوم التالى بيضاء خالية من الأخبار والأفكار ، مكتفية كل واحدة منها بنشر البلاغ المشار إليه على صدر صفحتها الأولى محاطا باطار أسود وبدون أى تعليق أو تعقيب(١) .

وعمت الاضطرابات والاحتجاجات مدينة بيروت والمدن السورية ، وأرسل أعضاء الجمعية الاصلاحية احتجاجا للوالى العثماني يؤكدون فيه ولاءهم للدولة العثمانية ويرفضون مبدأ العنف والقوة في فرض رأى الحكومة على الجمعية التى تعتبر جمعية فكرية في المقام الأول ، بينما أرسلت برقيات احتجاج إلى الصدر الأعظم ونظارة الداخلية وبعض الصحف العثمانية ، وفى اليوم الخامس لبلاغ الوالى المذكور أقفلت المحال التجارية في بيروت أبوابها احتجاجا على الغاء الجمعية الاصلاحية ، ولم تجد تحذيرات الوالى أية استجابة من الأهالى حتى تدخل بعض أعضاء الجمعية الاصلاحية لدى التجار ، وأقنعوهم بفتح محالهم التجارية(٢) .

وقد زاد الأمر سوءاً ورود برقية جوابية لبرقية الأهالى من الصدر الأعظم وناظر الحربية محمود شوكت باشا ، موجهة للوالى العثمانى في بيروت جاء فيها : « أخذنا تلغراف من بيروت محتوياً على كثير من التواقيع بخصوص طلب الترخيص للجمعية الاصلاحية بالاجتماع مجدداً ، اذا كان للأهالي أفكار ومطالبات بحق الاصلاحات فيقتضى طبعاً أن يطلب ذلك المبعوثون في مجلس

---

(١) جريدة الاتحاد العثمانى ١٣٨٥ في ١٢ جمادى الأولى ١٣٣١هـ ؛ توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٤٧٣ .

(٢) حسان حلاق : المرجع السابق ، ص٢٨٢ ؛ وجيه كوثراني : السلطة والمجتمع والعمل السياسى من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام ، ص١٧٧ ـ ١٧٩ .

المبعوثان حتى اذا حاز طلبهم الأكثرية يوضع موضع التطبيق ، ان تشكيل الأهالى جمعيات لهذه الغاية وتصديهم لمثل هذه المطالب مغاير للقانون ومن الضرورى عدم اصغاء الحكومة لذلك قطعيا ... الخ »[١] .

وعندما بلغت هذه الأنباء حزب اللامركزية الادارية العثمانى فى مصر أرسل البرقية التالية إلى الصدر الأعظم العثمانى : « ان مصادرة والى بيروت لجمعيتها الاصلاحية في عملها القانونى استبداد منكر مضيع لآمال الأمة وموجب للتقاطع بين الهيئتين ، فتداركوا سوء العاقبة بعزل الوالى ونقض عمله ، ولاتسنوا للشعب سنة سيئة بمخالفة القوانين »[٢] ، هكذا عَمّ الاضطراب أجزاء الولايات العثمانية في المشرق العربى العثمانى ، وخرج مجموعة من رجال الاصلاح العرب من بيروت في طريقهم إلى القاهرة وباريس ، وربما كانوا سيتوجهون إلى لندن وبعض العواصم الأوربية كما يقول القنصل البريطاني في بيروت[٣] ، وهم بعملهم هذا يتيحون الفرصة وبأسهل الطرق للتدخلات الأجنبية في شئون الدولة ، وهذا ماعبرت عنه احدى الصحف البيروتية التى حملت رجال الحكومة العثمانية في الآستانة مسئولية توجه العرب إلى البلاد الأجنبية حين قاموا بمصادرة الجمعية الاصلاحية في بيروت ، رغم أن العرب يهدفون من انشاء هذه الجمعية صيانة البلاد السورية من الخطر الذى حاق بغيرها من ولايات الدولة والذى أخذ يهددها في عقر دارها[٤] .

---

(١) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، ص١٦٣ .

(٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، هامش ٥٠ ، ص٢١٢ .

(3) F. O. 424/238, Enclosure, in No. 359, Consul.... batch to Sir, E. Grey Beirout, 30. 5. 1913. p. 287.

(٤) جريدة الاصلاح عدد ٢٣ ـ ١٤١٨ في ١ رجب ١٣٣١هـ ، جريدة الاصلاح عدد ٢٧ ـ ١٤٢٢ في ٦ رجب ١٣٣١هـ .

ولقد حاول بعض أعضاء الجمعية الاصلاحية في أحاديث أدلوا بها إلى جريدة ـ الجون تورك ـ العثمانية ، أن يؤكدوا للحكومة العثمانية والشعب العثماني ، أن جميع المنتمين إلى هذه الجمعية شديدو التعلق والاخلاص بالدولة العثمانية وحبهم الشديد واخلاصهم الصادق لايرقى إليه الشك ، وتلك الجمعية التى ينتمون لها لاترتبط سياسيا بأى حزب في عاصمة الدولة ، وانما ستعضد الحزب الذي يسعى لانقاذ الدولة من الأخطار التى تهددها وبرنامج الجمعية خير شاهد لذلك كما قالوا[1] .

ان الغاء الجمعية الاصلاحية في بيروت من قبل حكومة الدولة العثمانية قد ساعد على انتشار حركة الاصلاح التى يطالب بها العرب ، وأصبح المؤيدون لهذه الجمعية يمثلون الغالبية من أبناء العرب في الشام ، والعراق ، وكثير من الجاليات العربية في أوربا وأمريكا ، أما في بيروت فقد أوصلت بعض المصادر عدد المؤيدين إلى مائة وستين ألفا ، وهو عدد يكاد يمثل جميع سكان المدينة[2] .

ومما يؤسف له ان جميعة بيروت التى أعلنت برنامجها كرد فعل مباشر لحروب البلقان ، تهدف من خلاله إلى انقاذ الولايات العربية العثمانية من الاحتلال الأجنبى ، الا أنها اقحمت العنصر الاجنبى في هذا البرنامج من خلال مطالبتها بالمستشارين والمفتشين الأجانب ، واذا قبلنا هذه المطالبة من منطلق الاستعانة بالخبرات المدربة من أوربا ، فان نقطة الضعف الواضحة جاءت مع وجود عملاء لفرنسا اندسوا في أعضاء الجمعية ، وأفسدوا عليها

---

(١) جريدة الاصلاح عدد ٢٧ ـ ١٤٢٢ في ٦ رجب ١٣٣١هـ ، نقلا عن الجون تورك ؛ جريدة الاصلاح عدد ٢٩ ـ ١٤٢٤ في ٨ رجب ١٣٣١هـ ، نقلا عن الجون تورك .

(٢) جريدة الاصلاح عدد ٣٩ ـ ١٤٣٤ في ٢١ رجب ١٣٣١ هـ ، نقلا عن ـ الأمانيته ـ الفرنسية الصادرة في باريس في ٣ يونيو ١٩١٣م .

أهدافـهـا وغـايتـهـا ، وشـوهوا سـمـعـتـهـا وطعنوا زمـلاءهم المسلمين في ظهورهم[1] ، وهذه الدلائل الساطعة تؤكد أن غرض الكثيرين من دعاة القومية العربية المتطرفة هو إضعاف أحكام الاسلام في المجتمع العربى المسلم ، وفصل الدين عن الدولة وغير ذلك من أفكار هدامة يرقص لها الاستعمار طرباً[2] ، ولكن العرب عامة والمسلمين منهم خاصة كانوا حينذاك يهدفون إلى حماية بلدانهم من التدخل الأجنبى ولاسيما أنهم يرون هزائم الدولة العثمانية في البلقان تتوالى . ولكن ردود الفعل المباشرة كانت بطبيعة الحال متباينة لديهم ، والمنهج العملى كان مختلفا أيضا .

---

(٣) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، ص٢٤ .

(٢) الشيخ عبد العزيز بن باز : المرجع السابق ، ص١٠ .

(ب) جمعية العربية الفتاة ، باريس ، بيروت ، دعوتها لمؤتمر باريس .

مهما كانت اتجاهات المؤرخين وآراؤهم في قيام الجمعيات العربية التى ظهرت بعد اعلان الدستور العثمانى سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م ، فان الحقيقة التى لاتقبل الجدل هى أن العرب كانوا يطالبون بالاصلاح على قاعدة اللامركزية ، وتحت سيادة الدولة العثمانية ، ولم تراود أحداً من دعاة الاصلاح العرب ومؤسسى تلك الجمعيات فكرة الانفصال عن الدولة العثمانية ، وجمعية العربية الفتاة واحدة من تلك الجمعيات[١] .

والحديث عن جمعية العربية الفتاة هنا شيء لابد منه ، لأن تلك الجمعية ـ رغم سريتها الكاملة منذ تأسيسها وحتى قيام الحرب العالمية الأولى ـ رغم ذلك فهى قد لعبت دوراً حاسماً في الحركة العربية في المشرق العربى العثمانى ابان فترة البحث ، كما أن تلك الجمعية تأثرت بحروب البلقان وانكسارات الدولة العثمانية فيها ، مما جعلها تغير من سياستها الاصلاحية وتخوض تجربة النقاش السياسى حين ساهمت في انعقاد مؤتمر باريس العربى .

وقد أتاح اعلان الدستور العثمانى فرصاً لظهور النشاط السياسى ، فأرسلت الولايات العربية ممثليها إلى الاستانة للمشاركة في مناقشات مجلس المبعوثان العثماني[٢] للدفاع عن مصالح تلك الولايات والبدء ببرامج الاصلاح فيها لتكون عنصر قوة فعال في كيان الدولة العثمانية .

وكانت المناقشة في مجلس المبعوثان تدور حول جدوى المادة الرابعة من نظام الاجتماعات العامة الذى وضعته حكومة الاتحاد والترقى حينذاك ،

---

(١) مصطفى الشهابى : القومية العربية ـ تاريخها وقوامها ومراميها ، ص٧٧ .

(٢) نجلاء عز الدين : العالم العربى ، ص١٣٢ .

وكان نص المادة هو : « ممنوع قيام الجمعيات ذات الأهداف السياسية والتسمية القومية في الدولة العثمانية »[1] ، حينئذ كان العرب أول من التزم بنص هذه المادة ، ولكن زعماء جمعية الاتحاد والترقى لم يلتزموا بنص هذه المادة حين أنشئوا أحزاب وجمعيات ذات تسميات قومية واضحة ، ليجد العرب أنفسهم وجها لوجه مع الاتحاديين ، وتتحول العلاقات إلى جمعيات عربية صرفة مضادة للطورانية[2] ، ومن أهمها جمعية العربية الفتاة ، التى أسست كرد فعل على تأسيس جمعية تركيا الفتاة[3] ، ولعل هذه العوامل كانت من الأسباب التى جعلت هذه الجمعية من الجمعيات السرية التى حافظت على سريتها فترة من الزمن .

ولقد تعددت الأقوال في أمر تأسيس جمعية العربية الفتاة ، وتاريخ تأسيسها ، إلا أن الرجوع إلى مؤلفات المعاصرين لهذه الجمعية ومن انتسبوا إليها سهل من مهمة البحث للوصول إلى هذه الحقائق .

انبثقت فكرة قيام الجمعية في أذهان مجموعة من شباب العرب كانوا يواصلون دراستهم في الآستانة بُعَيْد اعلان الدستور العثمانى ، وكانت الفكرة في أساسها انشاء جمعية عربية سريّه على غرار جمعية تركيا الفتاة « جون تورك » ، تنهض بواجب الدفاع عن حقوق العرب ، غير أن الأمر بقى في حيز الفكر دون الاقدام على تنفيذه بشكل ملموس ، وعندما تهيأت الفرصة لهؤلاء الشباب ووصلوا إلى باريس لغرض الدراسة أقدموا على تنفيذ تلك الفكرة التى راودتهم في الاستانة ، وأقاموا « جمعية العربية الفتاة » في باريس سنة ١٣٢٩هـ الموافق سنة ١٩١١م ، وجعلوا غايتها « النهضة بالعرب وايصالهم

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٢٥٩ .

(٢) منيرة العريان : المرجع السابق ، ص٦٥ .

(٣) أحمد السقاف : فى العروبة والقومية ، ص٩٠ .

إلى مصاف الأمم الحيـة » ، وسموها « العربية الفتـاة » وبدأوا في الاتصال برفاقهم في السن والدراسة في الاستانة والبلاد العربية ، فانضم اليهم عدد كبير خلال السنتين اللاحقتين[1] .

ويذهب أحد المؤرخين إلى أن تأسيس جمعية العربية الفتاة قد تم في باريس بالفعل ولكنه تم فى الثانى من ذى القعدة سنة ١٣٢٧هـ الموافق ١٤ نوفمبر ١٩٠٩م ، وأن فكرة تأسيس الجمعية نشأت بالفعل في أحاديث بعض الشباب العرب عندما كانوا في الاستانة بُعَيْد اعلان الدستور العثمانى واختمرت الفكرة في بيروت ثم تحققت في باريس[2] ، ومع أن هناك منشورين وبرنامج للجمعية اعتمد عليها المؤرخ لاثبات التاريخ الذى قال به سلفا ، إلا أن أحد مؤسسى الجمعية أكد في مقابلة خاصة معه أن فكرة الجمعية لم تتحقق الا فى باريس سنة ١٣٢٩هـ الموافق سنة ١٩١١م[3] ، كما أن كتاب ـ ايضاحات ـ أورد نص أحد هذين المنشورين معزواً إلى حزب اللامركزية[4] ، وهذا معناه تاكيد على أن الأرجح هو تأسيس جمعية العربية الفتاة في باريس سنة ١٣٢٩هـ الموافق سنة ١٩١١م وهو مانذهب اليه في هذا البحث .

ويرى بعض المؤرخين أن اسم الجمعية كان في بادىء الأمر « جمعية الناطقين بالضاد » ثم أصبح اسمها ـ الجمعية العربية الفتاة ـ ، وكانت الجمعية تهدف إلى النهوض بالأمة العربية داخل اطار الدولة العثمانية[5] ، وقد أخذ العرب المسلمون زمام المبادرة في جمعية العربية الفتاة ، حيث كان

---

(١) محمد عزة دروزة : المصدر السابق ، ص٤٨١ ـ ٤٨٢ .

(٢) مصطفى الشهابى : القومية العربية ... ، ص٧٢ ـ ٧٣ .

(٣) خيرية قاسمية : المرجع السابق ، هامش ٣ ، ص٢٠ .

(٤) محمد عزة دروزة : نفس المصدر ، ص٤٨٣ .

(٥) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص٩١ ؛ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص٢٤٩ ؛ أرنست . أ . رامزور : المرجع السابق ، ص٣٠ .

مؤسسوها الأوائل من الشباب العرب المسلمين الذين كانوا يواصلون دراستهم العالية في العاصمة الفرنسية باريس[١] .

وكان للجمعية تنظيم خاص لاختيار الأعضاء وضمهم اليها ، حيث كانت شديدة الحرص على أن لاتضم إليها الا من عرف بحسن الخلق ، والأمانة وكتمان السر وقوة التحمل والجرأة ، فكان لابد للعضو الجديد أن يمر بفترة اختبار طويلة قبل أن يتم قبوله ، وكل مرشح لابد أن يكون تقديمه للجمعية عن طريق عضو قديم ، ويتم اختباره بالمحادثة ، واذا اقتنع بأهليته للجمعية يحال للمفاتحة ، ومن ثم أداء القسم[٢] ، حيث يقسم العضو الجديد على « بذل كل جهد لايصال الأمة العربية إلى مصاف الأمم الراقية الحرة المستقلة الكبرى ، وعلى التضحية في سبيل هذا المبدأ بالنفس والمال وكتمان أسرار الجمعية ، واطاعة القرارات التى تصدرها هيئتها المركزية »[٣] .

وكان التكتم في هذه الجمعية شديدا ، حتى أن العضو المنضم إليها كان لايعرف الا إسم الجمعية والشخص الذى أدخله الجمعية والذى حلّفه اليمين[٤] ، ومع هذا فقد وصل عدد أعضائها قبل الحرب العالمية الأولى ستين عضوا[٥] .

وقد أورد أحد المؤرخين برنامجا لجمعية العربية الفتاة وفق وثيقتين مختلفتين عثر عليهما في مركز الجمعية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ، وكل منهما يشتمل على عدد من المواد التى تحدد مسار وأهداف الجمعية ، غير أن

---

(1) George E. Kirk, Ashort History of The Middle East, p. 121.

(٢) محمد عزة دروزة : المصدر السابق ، ص٥٠٢ .

(٣) مصطفى الشهابى : القومية العربية ... ، ص٧٣ .

(٤) ابراهيم أحمد العدوى : المرجع السابق ، ص١٠٢ .

(٥) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٢١٩ .

ذلك المؤرخ يشك في هذين البرنامجين ويغلب عليهما الظن في أنهما وضعا من قبل العاملين في الحركة العربية قبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وبعد خروج الدولة العثمانية من المشرق العربى ، لأنه يلمح وجود تداخل وتكرار في مواد هاتين الوثيقتين التى تشتمل أولاهما على أربع وعشرين مادة ، وتشتمل الثانية على ثمانين مادة[1] ، ومن المؤكد أن هاتين الوثيقتين وما اشتملتا عليه من مواد ليستا برنامجا لجمعية العربية الفتاة في نشأتها الأولى ، وحتى قيام الحرب العالميـة الأولى ، لأن المواد في الوثيقتين لم تشر مطلقا للدولة العثمانية ، ولا إلى الإصلاح في ظل الدولة وهو ماكان ينشده العرب حينذاك ، إضافة إلى ذلك فان المادتين الأولى والثانية من الوثيقة الثانية أكدتا ماذهبنا إليه مع ذلك المؤرخ فصياغتهما كانت تختلف تماما عن مطالب العرب التى يبحثون عنها مع الدولة العثمانية ، فالمادة الأولى هى « غاية الجمعية استقلال البلاد العربية استقلالا تاما بجميع معانيه الحقوقية والسياسية وتأييد ذلك الاستقلال بجعل الأمة العربية في مصاف الأمم الحية » ، بينما المادة الثانية هى « تبقى الجمعية سرية الآن نظراً للحالة السياسية العمومية »[2] ، ولا شك أن هاتين المادتين بل وجميع المواد التى تضمنتها الوثيقتان قد صيغت بأسلوب واتجاه مخالف لأهداف ومطالب العرب وفى مقدمتهم أعضاء جمعية العربية الفتاة ، مما يؤكد تأخر صياغة هذا البرنامج ، الذى إن صحت نسبته إلى تلك الجمعية فهو متأخر جدا عن فترة بحثنا هذا ولم يكن من ضمن برامج الجمعية حين نشأتها وحين كانت تتأثر وتؤثر في أحداث الدولة العثمانية في المشرق العربى .

---

(١) محمد عزة دروزة : المصدر السابق ، ص٤٨٥ ـ ٥٠٠ .
(٢) محمد عزة دروزة : المصدر السابق ، ص٤٨٩ .

كانت ردود الفعل المباشرة لحرب البلقان في المشرق العربى العثماني واضحة في الجمعيات العربية وفى رجال الفكر والإصلاح العرب الذين باتوا يخشون من نتائج هذه الحرب على ولاياتهم العربية ، وتأثرت جمعية العربية الفتاة ومؤسسوها بما يجرى على مسرح الأحداث ويهدد بلدانهم العربية التى أقاموا جمعيتهم من أجل صيانتها والمحافظة عليها ، لذا كان من أهم مظاهر نشاط الجمعية دعوتها لعقد مؤتمر عربى فى باريس ، حيث مقر الجمعية هناك ووجود أعضائها وهيئتها المركزية[1] ، وبعدها عن سطوة الدولة العثمانية التى لم تحقق للجمعية الاصلاحية في بيروت مطالبها التى قدمتها في لائحتها الاصلاحية التى أشرنا إليها في صفحات سابقة .

ولان جمعية العربية الفتاة جمعية سرية ، ولاتريد الكشف عن هويتها حينذاك ، فان خير طريقة لعقد هذا المؤتمر هو الاتصال بالجمعيات العلنية ، وكان حزب اللامركزية الادارية العثمانى هو خير من يقوم بهذه المهمة التى ستكون علنية بطبيعة الحال ، فكتبوا فى ٢٧ ربيع الثانى ١٣٣١هـ ، الرابع من ابريل ١٩١٣م إلى لجنة حزب اللامركزية في القاهرة[2] ، كى تشارك في الموتمر وترأس جلساته وتدعو إليه رجال الفكر والاصلاح من العرب[3] .

وقراءتنا لنص الدعوة الموجهة إلى أبناء الأمة العربية من لجنة المؤتمر في باريس قبل انعقاده ، تؤكد ماذهبنا إليه من أن رد الفعل لنتائج حروب البلقان كان من أهم الأسباب التى دعت إلى عقد هذا المؤتمر ، وأن جمعية العربية الفتاة رغم سريتها وعدم تعاملها المباشر مع رجال السياسة في

---

(١) عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربى ١٥١٦ ـ ١٩٢٢م ، ص٤٣٢ .

(٢) لوتسكى : المرجع السابق ، ص٤١٠ ؛ جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص١٩١ .

(٣) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٥ ، ص٣٩٤ .

الحكومة العثمانية حينذاك إلا أنها لاترغب في الانفصال عن الدولة العثمانية ، ومما جاء في تلك الدعوة : « نحن الجالية العربية في باريس قد أوقفتنا مناظرات الجرائد الأوربية ومغامز السياسة في الأندية العمومية على استقراء مايجرى من المخابرات الدولية بشأن البلاد العربية ، وأخصها زهرة الوطن سورية ، ... فجرى البحث عن التدابير الواجب اتخاذها لوقاية الأرض ... واصلاح أمورنا الداخلية على مايتطلبه أهل البلاد من قواعد اللامركزية حتى يشتد بها ساعدنا وتستقيم قناتنا فينقطع بذلك خطر الاحتلال أو الاضمحلال ... ونصارح الدولة العثمانية بأن اللامركزية قاعدة حياتنا وأن حياتنا أقدس حق من حقوقنا وأن العرب شركاء في هذه المملكة ، شركاء في الحزبية ، شركاء في الادارة ، شركاء في السياسة ، وأما في داخلية بلادهم فهم شركاء أنفسهم »[1] .

وقد وضعت الجمعية خطة للمؤتمر والمسائل التى سيدور حولها البحث خلال جلسات المؤتمر وهذه المسائل هى : ضرورة الاصلاح على قاعدة اللامركزية ، وحقوق العرب في المملكة العثمانية ، والحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال ، والمهاجرة من سورية وإلى سورية[2] ، ويدل ذلك على أن جمعية العربية الفتاة حاولت استقطاب المثقفين ورجال الفكر من دعاة الاصلاح العرب ، ولو أن تأثير العناصر المسيحية بدا واضحا من خلال طرح المسائل آنفة الذكر لمناقشتها في المؤتمر الذى دعت إليه في باريس مع أن أحد المؤرخين يؤكد أن معظم أعضاء الجمعية كانوا من المسلمين وقلة قليلة من المسيحيين[3] .

---

(١) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، ملحق رقم ٥ ، ص٢٤٩ .

(٢) مصطفى الشهابى : القومية العربية ... ، ص٨٦ .

(٣) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص١٨٨ .

ولما أنهى مؤسسو الجمعية العربية الفتاة دراستهم في باريس وعادوا إلى بلادهم ، نقلوا مركز الجمعية إلى بيروت سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م بعد أن أمضوا السنتين الأوليتين في باريس وساهموا مساهمة فعالة في الدعوة إلى عقد مؤتمر باريس العربي[١] ، كما تم تأسيس فرع لها في دمشق ، ثم انتقل مقرها العام إلى دمشق بعد اعلان الحرب العالمية الأولى ، نظراً لانتقال معظم أعضائها إلى تلك المدينة ، حيث زاد عددهم ليصل إلى مئتى عضو كما تقول بعض المراجع[٢] .

ومع أن هذه الجمعية كانت من أبرز الجمعيات السياسية العربية ، لما امتازت به من وضوح في الأهداف ، ووعى بين أعضائها ودقة في نظامها ، الا أن أعمالها في بادىء الأمر لم تتعد نشر الدعاية الوطنية في الصحف وغيرها ، والتحرى عن أعضاء جدد كما قال بذلك أحد مؤسسى هذه الجمعية[٣] ، وهذا تأكيد على أن دعوتها لمؤتمر باريس هو دعم لوجهة نظرنا في ماأشرنا إليه في هذا البحث بأن لحروب البلقان ، وانكسار الدولة العثمانية فيها ردود فعل مباشرة عند العرب تمثلت بشكل واضح في أعمال الجمعيات السياسية العربية ، وفى مواقف دعاة الإصلاح العرب حينذاك ، أما فكرة الدعوة لمؤتمر باريس فهى بلاريب فكرة جمعية العربية الفتاة ، حيث اتصل أعضاء الجمعية بآخرين من شباب العرب في باريس وفاتحوهم بالفكرة ، التى لقيت استحساناً منهم وتحققت بانعقاد المؤتمر[٤] .

---

(١) محمد عبد الرحمن برج : المرجع السابق ، ص١٣٧ ؛ عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق ، ص٤٣٢ .

(٢) عبد الكريم رافق : المرجع السابق ، ص٥٣٩ ؛ ابراهيم خليل أحمد : المرجع السابق ، ص٤١٧ .

(٣) أرنست . أ . رامزور : المرجع السابق ، ص٣١ .

(٤) محمد عزة دروزة : المصدر السابق ، ص٤٢١ ــ ٤٢٢ .

من خلال ماتقدم يتبين لنا أن جمعية العربية الفتاة التى تأسست فى باريس ودعت للمؤتمر العربى الأول الذى عقد هناك ، ثم عادت إلى بيروت ثم دمشق ، قد تأثرت بشكل مباشر وواضح بالهزائم التى تعرضت لها الدولة العثمانية في حرب البلقان ، وحاولت حينئذاك أن تلعب دوراً ايجابياً في اجراء الإصلاح الذى يطالب به العرب على قاعدة اللامركزية ، إلا أن وضعها كجمعية سرية حال دون بروزها في هذه الأحداث حيث اتخذت من حزب اللامركزية الادارية العثمانى واجهة لها ليقوم بمهمة الدعوة لعقد مؤتمر باريس ، وفعلا تم لها ذلك ، وبهذه الطريقة شارك معظم أعضائها في أعمال المؤتمر وبرامجه .

جـ - مؤتمر باريس ١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م ،

اجتماعاته ، برنامجه ، قراراته :

لم يكن المؤتمر العربي في باريس تكتلا ضد الدولة العثمانية يقوم به العرب للانفصال عن الدولة ، أو الصدام معها، وإنما كان أثراً واضحاً من آثار حروب البلقان التي أظهرت لرجال الاصلاح العرب ضعف الدولة العثمانية ، ولم يعد أمامهم من حل إلا الإعراب عن مطالبهم في بلد بعيدة عن سلطة الدولة ، لتظهر قضيتهم على الصعيد الدولي ، ولاسيما أن جمعية الاتحاد والترقى التي عادت إلى السلطة في أثناء حرب البلقان ، وقفت ضد مطالب العرب الاصلاحية وأقفلت الجمعية الاصلاحية في بيروت ، ورفضت برنامجها كما تحدثنا عنه فيما سبق .

بدأت فكرة المؤتمر عن طريق أعضاء جمعية العربية الفتاة السرية في باريس ، ولم يلبث أن انضم إليهم مجموعة من العرب الموجودين هناك ، واستقرت فكرة المجتمعين على اسناد أعمال هذا المؤتمر إلى حزب اللامركزية الإدارية العثماني في القاهرة ، باعتبار أنه حزب علنى ، ويمثل جوهر المطالب العربية التي تنطلق من الاصلاح على قاعدة اللامركزية وأغراض المؤتمر هى أغراض الحزب نفسها(١) ، وتألفت لجنة تحضيرية للمؤتمر ، ثم أرسلت كتاباً إلى اللجنة العليا للحزب المذكور في ٢٧ ربيع الثاني ١٣٣١ هـ / ٤ أبريل ١٩١٣ م تعرض عليه أن يكون الحزب قدوة المؤتمر ومصدر عمله وأن يرأس المؤتمر أحد ممثلي الحزب الذين يتم إيفادهم إلى باريس(٢) .

---

(١) مصطفى الشهابى : القومية العربية .... ، ص ٨٥ ـ ٨٦ .

(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٥٠٥ .

أما الجمعية الاصلاحية في بيروت التي تم اقفال ناديها حينذاك ، فقد اتفق أعضاؤها على المشاركة في المؤتمر العربي في باريس وتم ايفاد ممثلين لها من نفس الأعضاء[1] ، وقد أذاعت لجنة المؤتمر بيانا أشارت فيه إلى أنه « بعد المداولة تقرر عقد مؤتمر للعرب يقوم به السوريون فتفد اليه وفود أكابر من البلاد العربية وعقلاء أفاضل من السوريين المهاجرين ... فتتمثل فيه الأمة العربية المنتشرة في أقطار الأرض وتحق كلمة التضامن الاجتماعي والسياسي لهذه الأمة في هذا المؤتمر ... فإننا ندعو كل من يخفق قلبه لأمة العرب صغيراً أو كبيراً أن يلبى داعى الوطن، لا سيما أرباب الزعامات في مقاعد الجمعيات ، فعليهم نعتمد وإليهم نتجه ، فإما أن يتضامنوا إلى وفود المؤتمر وإما أن يبعثوا إليه بالرسائل البرقية أو الكتابية يظهرون فيها ارتياحهم لنيل الغاية واشتراكهم في شريف المقصد حتى يدلى المؤتمر لدى الأمم بحجته ، وتستوثق قوته بقوة أمته ... »[2] ، ولعلنا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا هنا أن أكثر ما قام به القوميون العرب من الدعاية حينذاك هو عقد هذا المؤتمر ، الذي يعتبر من أول المؤتمرات الداعية إلى القومية العربية الصرفة[3] .

وبعد عشرة أيام فقط أجابت اللجنة العليا لحزب اللامركزية بالقبول في المشاركة في المؤتمر ، وقررت إرسال مندوبين من قبلها لحضوره على أن يكون لهم حق المشاركة في موضوعات المؤتمر كى تكون موافقة لمبادىء الحزب وبرنامجه[4] ، وبالفعل مَثَّل اللجنة السيد عبدالحميد الزهراوي مبعوث حماه سابقا ، وصاحب جريدة الحضارة العربية في القسطنطينية ، والذي

(١) حسان حلاق : المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .

(٢) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، الملحق رقم ٥ ، ص ٢٥٩ .

(٣) الشيخ عبدالعزيز بن باز : المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٤) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

تراس المؤتمر بهذه الصفة ، كما مثلها وكيل رئيس لجنة الحزب في القاهرة المحامي اسكندر بك عمون ، الذي شارك في أعمال المؤتمر بخطاب تحت عنوان : الاصلاح على قاعدة اللامركزية[١] .

وقد حاولت حكومة الاتحاد والترقى أن تؤثر على هذا المؤتمر أو تحول دون انعقاده ، إلا أن الحكومة الفرنسية لم تمانع في عقد المؤتمر على أرضها[٢] ، لأن التعاطف مع القوميين العرب ودعم هذه الاتجاهات ينسجم مع الأطماع والأهداف الفرنسية في سورية ولبنان[٣] ، والصحافة العثمانية التي قامت بحملة إعلامية مكثفة ضد هذا المؤتمر وأعضائه الداعين إليه لم تحقق الأهداف المرجوة من حملتها رغم نشرها لكثير من برقيات الاستنكار التي ترسل لها من بعض المدن العربية[٤] ، لأن الصحافة العربية التي تصدر في الشام قامت بدور معاكس لتلك الحملة الإعلامية ، وصارت تقوم بنشر المقالات المتتابعة التي تدافع فيها عن مؤتمر باريس والداعين له ، مشيرة إلى أن القصد من هذا المؤتمر هو المطالبة بالاصلاح على قاعدة اللامركزية الإدارية لأن ذلك يساعد على صيانة البلاد السورية من الخطر الأجنبى الذي بدأ يحيط بغيرها من الولايات العثمانية ، وأن العرب لا يريدون عن الدولة العثمانية بديلا وإنما دعاهم في التوجه إلى باريس مصادرة الجمعية الاصلاحية في بيروت ، وهذا يعنى أن أي اجتماع في أرض الدولة العثمانية يعرضهم للاجراءات القانونية من قبل رجال الحكومة[٥] .

---

(١) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، الملحق رقم ١٤ ، ص ٢٦٣ ؛ وجيه كوثراني : السلطة والمجتمع والعمل السياسي ...، ص ١٨٠؛ جريدة الاصلاح عدد ٥١ ـ ١٤٤٦ في ٥ شعبان ١٣٣١ هـ

(٢) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

(٣) لوتسكى : المرجع السابق ، ص ٤١٠ .

(٤) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص ١٠٧ .

(٥) جريدة الاصلاح عدد ٢٣ ـ ١٤١٨ في ١ رجب ١٣٣١ هـ ؛ جريدة الإصلاح عدد ٢٦ ـ ١٤٢١ في ٥ رجب ١٣٣١ هـ ؛ جريدة الإصلاح عدد ٢٩ ـ ١٤٢٤ في ٨ رجب ١٣٣١ هـ .

وفدت الوفود العربية إلى مكان المؤتمر ، حيث جاء عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية بالقاهرة كل من السيد عبد الحميد الزهراوى واسكندر بك عمون ، وعن الجمعية الاصلاحية العمومية التى تمثل بيروت كل من سليم على سلام ، وأحمد مختار بيهم وخليل زينيه والشيخ أحمد حسن طباره والدكتور أيوب ثابت ، وعن العراق توفيق السويدى وسليمان عنبر ، كما حضر المؤتمر عضوان عن بعلبك وأربعة أعضاء عن مهاجرى الولايات المتحدة والمكسيك وثلاثة أعضاء عن الجالية العربية في باريس ، وقد حصل مندوبو الجمعية الاصلاحية البيروتية على برقيات تأييد من زعماء مختلف الطوائف المسيحية لولاية بيروت ومن الوجهاء والأعيان في مدينة صيدا[١] .

في يوم الأربعاء ١٤ رجب ١٣٣١هـ ، ١٨ يونيو ١٩١٣م افتتح المؤتمر العربى في باريس أولى جلساته في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية بشارع سان جرمان رقم ١٨٤ والتى تم استئجارها بمبلغ قدره أربعمائة فرنك ، حرصا على حيادية المؤتمر وسمعته ، وتم بالانتخاب السرى تشكيل اللجنة الإدارية للمؤتمر على النحو التالى : عبد الحميد الزهراوى رئيسا ، وشكرى غانم نائبا للرئيس ، وكل من : سليم على سلام واسكندر عمون ، وندره مطران ، وأحمد حسن طباره وكلاء للرئيس ، كما تم انتخاب كُتَّاب العربية للمؤتمر وهم عبد الغنى العريسى ، ومحمد المحمصانى ، وعونى عبد الهادى ، وجميل مردم بك ، أما كاتب الفرنسية فهو شارل دباس[٢] ، ويرى بعض

---

(١) مذكرات سليم على سلام ، الملحق رقم ١٤ ، ص٢٦٣ ، والملحق رقم ١٧ ، ص٢٦٩ ، والملحق رقم ٢١ ، ص٢٧٥ .

(٢) جريدة الاصلاح عدد ٤٤ ــ ١٤٣٩ في ٢٧ رجب ١٣٣١هـ ؛ مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، ص١٧٠ ؛ مصطفى الشهابى : القومية العربية ... ، ص٨٧ .

المؤرخين أن عدد الأعضاء المعتمدين الذين يمثلون الهيئات والجمعيات العربية وحضروا جلسات المؤتمر قد بلغ أربعة وعشرين عضوا نصفهم من المسيحيين والنصف الآخر من المسلمين ، كما حضر جلسات المؤتمر مايقارب من مئتى مستمع من أبناء العرب ، ثم فتحت أبواب المؤتمر على مصراعيها لجميع الزائرين في آخر الجلسات(1) .

وقد عقد المؤتمر أربع جلسات فى أربعة أيام بما فيها جلسة الافتتاح ، القى فيها أعضاء المؤتمر خطبا تُبَيّن أهداف المؤتمر ، ومطالب العرب الاصلاحية التى يودون تحقيقها من خلال هذا المؤتمر ، ففى جلسة الافتتاح كان خطاب رئيس المؤتمر السيد عبد الحميد الزهراوى بعنوان ــ تربيتنا السياسية ــ ومما جاء فيه : « أن العرب كانوا قد ألفوا الترك وهؤلاء قد ألفوا العرب وامتزج الفريقان امتزاجا عظيما مضى عليه أكثر من عشرة قرون ، ولكن كما مزجت بينهم السياسة فرقت بينهم السياسة أيضا ولم يبق من ذلك الامتزاج القديم إلا رابطة بين بعض العرب وبعض الترك وهم الترك العثمانيون ، وهذه الرابطة لاتزال تعد ثمينة عند الترك العثمانيين والعرب العثمانيين ، ولكنها مع عزتها في نفوس الفريقين قد أصبحت مهددة بالسياسة أكثر مما كانت مهددة من قبل ، ... تبين واضحا أنه لا العرب انتفعوا ببراءتهم من ذنب اضاعة البلاد ولا الترك انتفعوا بتحملهم وحدهم تبعة ذلك العبء الثقيل . ... وقد وجدنا اللامركزية من خير الوسائل لظهور أثر هذا الاشتراك ... وهكذا نود أن تنمو هذه الفكرة عند كل عثمانى »(2) .

---

(1) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص١٩٢ ؛ ابراهيم أحمد العدوى : مصر والشرق العربى ــ درع الإسلام ــ ص٢٨٥ .

(2) جريدة الاصلاح عدد ٤٤ ــ ١٤٣٩ فى ٢٧ رجب ١٣٣١هـ ، ص١ ــ ٢ .

وفى الجلسة الثانية للمؤتمر تليت على الحضور بعض برقيات التأييد من الجالية السورية في كندا وأميركا ، ثم ألقى عبد الغنى العريسى خطبة بعنوان « حقوق العرب في الدولة العثمانية » ، كما ألقى ندره مطران خطابا بعنوان : الحياة الوطنية في البلاد العربية العثمانية ـ ثم تبعهما مندوب الجالية السورية في نيويورك بخطاب تحت عنوان ـ أمانى السوريين في المهجر ـ ثم ألقى مندوب العراق خطاباً وجيزاً أظهر فيه تأييد العراقيين للمؤتمر والنهضة الاصلاحية فى ظل الدولة العثمانية ، وقد جرت مناقشات حامية اثر كل خطاب من تلك الخطابات[1] .

ومما جاء في خطاب العريسي : « .. فنحن معشر العرب نبلغ ١٣ مليونا ، أعنى أكثر من نصف المملكة وليس لنا سوى خمسة أعضاء في ذلك المجلس ـ مجلس الأعيان والمبعوثان ـ فنحن نطلب تمثيلنا فيه على استحقاق حفظا لكرامتنا ومنزلتنا السياسية ، ... نطلب هذا الحق كشركاء في هذه الدولة شركاء في القوة الاجرائية شركاء في القوة التشريعية شركاء في الادارات العامة ، أما في داخلية بلادنا فنحن شركاء أنفسنا... » ، أما ندره مطران فقد قال : « ان مفكري العرب وأشرافها يريدون حياة الأمة العربية ضمن دائرة المصلحة العثمانية ، ... ان الأمة العربية متضامنة مترابطة في شؤونها تسعى إلى نيل اصلاحات مشروعة وتنبذ أية غاية أجنبية كانت في البلاد العربية »[2] . وقد أكد مندوب الجالية السورية في خطابه « أن أمانى السوريين المهاجرين البقاء في حضن العثمانية على أمل أن تحفظ حقوق

---

(١) جريدة الاصلاح عدد ٤٥ ـ ١٤٤٠ في ٢٨ رجب ١٣٣١هـ ، ساطع الحصرى : محاضرات في نشوء الفكرة القومية ، ص١٣٩ .

(٢) جريدة الاصلاح عدد ٤٨ ـ ١٤٤٣ في ١ شعبان ١٣٣١هـ .

اخوانهـم في الوطن من نصارى ومسلمين ، ... اننـا نوافـق على بروغـرام ـ برنامج ـ هذا المؤتمر والمطالبة باللامركزية وتعيين المستشارين الأجانب في الدوائر الكبرى » ، ثم ختمت الجلسة الثانية للمؤتمر باقتراح للسيد أحمد مختار بيهم تمت الموافقة عليه بالنص التالي « قرر المؤتمر العربى السورى في جلستـه الواقعـة في ٢٠ حزيران ١٩١٣م / ١٦ رجب ١٣٣١هـ ـ بانه لايحق لجميع القائمين بالحركة الاصلاحية قبول أية وظيفة كانت في الحكومة العثمانية قبل أن تقبل الحكومة أساس البروغرام الذى يقرره هذا المؤتمر إلا بقرار من الجمعية التى ينتمى إليها العضو وأن يصير تعميم هذا القرار تلغرافيا إلى سائر البلاد العربية والأمريكية »[1] .

وفى الجلسة الثالثة للمؤتمر والتى عقدت يوم السبت ١٧ رجب ١٣٣١هـ الموافق ٢١ يونيو ١٩١٣م ، قرئت على المجتمعين بعض برقيات التأييد من الجمعيات السوريـة في المهجر ، ثم القى الشيخ أحمد طبـارة خطـابا بعنوان « المهاجرة من سوريا وإلى سوريا » ، وأعقبه اسكندر بك عمون بخطاب تحت عنوان « الاصلاح على قاعدة اللامركزية » ، ومما قاله أحمد طباره في خطابه : « ... فنحن قوم ولدتنا أمهاتنا عثمانيين ، ونشأنا عثمانيين ، ونريد أن نبقى عثمانيين ولانرضى عن دولتنا العثمانية بديلا ... اننا نتجشم الاسفار ونركب الأخطار حبا بصيانة الوطن وحرصا على حياة الدولة ، ولسنا ، نتحول عن هذا العزم مادام فينا عرق ينبض ودم يفور ، ... فالواجب اذن على حكومة المركز أن تبـادر إلى الإصـلاح الجـدى على قـاعدة الاشـتراك بالحكم وعلى طريقـة اللامركزية ، كل ولاية بحسب استعدادها وحاجياتها فهو خير لها وأبقى »[2] .

---

(١) جريدة الإصلاح عدد ٤٩ ـ ١٤٤٤ في ٣ شعبان ١٣٣١هـ .

(٢) جريدة الإصلاح عدد ٥٠ ـ ١٤٤٥ في ٤ شعبان ١٣٣١هـ .

أما اسكندر بك عمون فقد قال في خطابه : « توهم بعض أنصار النظام المركزى أن الغرض من النهضة العربية الانفصال عن الدولة وهو أمر بعيد عن الصحة ، فان الأمة العربية لاتريد الا استبدال شكل الحكم ... بالحكم الذى يرجى وحده الصلاح والنجاح وهو الحكم على قاعدة اللامركزية ، ولو كانت الهيأة الحاكمة اليوم من صميم قريش لكان موقفنا معها نفس موقفنا هذا ، ... ان حاجتنا نحن معشر العثمانيين إلى اللامركزية أشد من حاجة كل أمة أخرى اليها ... »[1] ، وقد أعقب كل من الخطابين اللذين ألقيا في تلك الجلسة مناقشات بين المؤتمرين ، أعطى بعدها رئيس المؤتمر الكلمة للسيد عبد الغني العريسى ، ليعلن القرارات التى توصل اليها المؤتمر وهذا هو نصها :

« اجتمع المؤتمر السورى العربى في باريس في شارع سان جرمين عدد ١٨٤ بتاريخ ٢١ حزيران ١٩١٣م وقرر مايأتى :

أولا : ان الاصلاحات الحقيقية واجبة وضرورية للمملكة العثمانية وأن تنفذ بوجه السرعة .

ثانيا : من المهم أن تكفل للعرب التمتع بحقوقهم السياسية وذلك بأن يشتركوا في ادارة المملكة المركزية اشتراكا فعليا .

ثالثا : يجب أن تنشأ في كل ولاية عربية ادارة لامركزية تنظر في حاجاتها وعاداتها .

رابعا : كانت ولاية بيروت قدمت مطالبها بلائحة خاصة صودق عليها في ٣١ كانون الثانى ١٩١٣م باجماع الآراء وهى قائمة على مبدأين أساسيين وهما توسيع سلطة المجالس العمومية وتعيين مستشارين أجانب فالمؤتمر يطلب تنفيذ وتطبيق هذين الطلبين .

---

(١) جريدة الاصلاح عدد ٥١ ـ ١٤٤٦ في ٥ شعبان ١٣٣١هـ .

خامسا : اللغة العربية يجب أن تكون معتبرة في مجلس النواب العثمانى ويجب أن يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية.

سادسا : تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية الا فى الظروف والأحوال التى تدعو للاستثناء الأقصى .

سابعا : يتمنى المؤتمر من الحكومة السنية العثمانية أن تكفل لمتصرفية لبنان وسائل تحسين ماليتها .

ثامنا : يصادق المؤتمر ويظهر ميله لمطالب الأرمن العثمانيين القائمة على اللامركزية .

تاسعا : سيجرى تبليغ هذه القرارات للحكومة العثمانية السنية .

عاشرا : يصير تبليغها أيضا للحكومات المتحابة مع الدولة العثمانية .

حادى عشر : يشكر المؤتمر الحكومة الفرنسوية شكراً جزيلاً لترحابها الكريم بضيوفها .

ملحق للطلبات السابقة : أولا : اذا لم تنفذ القرارات التى صادق عليها هذا المؤتمر فالأعضاء المنتمون إلى لجان الاصلاح السورية العربية يمتنعون عن قبول أى منصب كان في الحكومة العثمانية إلا بموافقة خاصة من الجمعيات المنتمين اليها .

ثانيا : ستكون هذه القرارات بروغراماً سياسياً للعرب العثمانيين ، ولايمكن مساعدة أى مرشح للانتخابات التشريعية الا اذا تعهد من قبل بتأييد هذا البروغرام وطلب تنفيذه »[1] .

---

(١) جريدة الاصلاح عدد ٥١ ـ ١٤٤٦ في ٥ شعبان ١٣٣١هـ ، ص٢ ؛ مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٩ ، ص٧١٧ ـ ٧١٨ ؛

J. C. Hure Witz: The Middle East and North Africa inworld politics, Adocumentary Record, Vol, I. Document, No. 177, pp. 566-- 567.

وقد اختتم مؤتمر باريس جلساته مساء يوم الاثنين ١٩ رجب ١٣٣١هـ ، ٢٣ يونيو ١٩١٣م ، بكلمة ترحيبية لرئيس المؤتمر ، ترجمت في الحال إلى اللغة الفرنسية ، ثم ألقيت خلاصة الخطب وقرارات الجلسات السابقة باللغة الفرنسية ، وأخيراً القي خطاب الاختتام باللغة الفرنسية لشارل أفندى دباس[١] .

ومع أن البعض قال بوجود تيارات داخل المؤتمر ذات اتجاهات مختلفة ، من أبرزها المسلمون العرب الذين ينشدون المساواة بين العرب والأتراك ، والمسيحيون العرب المناوئون للأتراك[٢] ، الا أن مناقشات المؤتمر اتسمت بالصراحة والاعتدال وهو ماظهر على قرارات المؤتمر التى لم تخرج في جوهرها العام عن مطالب العرب الاصلاحية المبنية على قاعدة اللامركزية ، والتى لم تشر البته إلى الانفصال عن الدولة العثمانية ، بل أكدت صدق وطنية العرب واخلاصهم العظيم للوطن العثمانى واعلاء شأنه والدفاع عنه ، وهذا بطبيعة الحال ترجمة صادقة على أن انعقاد الموتمر وقراراته كانت تعبيراً عن ردود الفعل المباشرة لحرب البلقان التى جعلت العرب يحرصون على مطالبهم الاصلاحية كى تساعدهم على التصدى للأخطار الأجنبية التى تهدد ولاياتهم .

وبعد انتهاء المؤتمر قام وفد من أعضائه بتسليم مقرراته إلى كل من السفير العثمانى في باريس ، وإلى وزير الخارجية الفرنسية ، وأبلغوا مدير الشؤون الشرقية في الوزارة الفرنسية بأن مطالبتهم باللامركزية ، وعقدهم لهذا

---

(١) جريدة الاصلاح عدد ٤٤ ـ ١٤٣٩ في ٢٧ رجب ١٣٣١هـ ، جريدة الاصلاح عدد ٥٣ ـ ١٤٤٨ في ٧ شعبان ١٣٣١هـ ؛ حسان حلاق : المرجع السابق ، ص٢٩١ .

(٢) وميض جمال عمر نظمى : ثورة ١٩٢٠ م ـ الجذور السياسية والفكرية ... ، ص٩٢ ؛ وجيه كوثرانى : السلطة والمجتمع والعمل السياسى ... ، ص١٨٤ .

المؤتمر في فرنسا لايعنى رغبتهم في الانسلاخ عن الدولة العثمانية ، أو طلب الحماية الفرنسية أو التدخل المباشر في البلاد العربية ، وانما ذلك ادراكاً من العرب للعطف الذى تحمله فرنسا للعرب وأمانيهم الاصلاحية ، وكل من أتى إلى المسئولين الفرنسيين طالباً منهم الحاق سورية بفرنسا ، فهو لايمثل أية صفة رسمية ، وانما يبحث عن مكاسب ذاتية وأطماع شخصية ، وهي مرفوضة من العرب أصدقاء فرنسا الذين يحترمونها[١] ، كما أكد رئيس المؤتمر السيد عبد الحميد الزهراوى لمندوب جريدة التان الفرنسية أن هذا المؤتمر ليس له أى صبغة دينية ، ولاتتعدى أعماله دائرتى الاجتماع والسياسة لذا كان عدد المندوبين المسلمين والمسيحيين متساوياً ، أما السبب في اختيار باريس على غيرها من العواصم الأوربيــة فهو وجود جالية عربية كبيرة وذات أهمية فاعلة كما يقول[٢] .

قامت حكومة الاتحاد والترقى في الاستانة بمحاولات توفيقية بين اتجاهات الحكومة العثمانيــة ومطالب العرب الذين يعقدون مؤتمرهم في باريس ، وأجمعت المصادر والمراجع العربية أن ثمة اتفاق عقد بين كل من المركز العام للاتحاد والترقى ممثلا بوزير الداخلية طلعت بك وهيئة الشبيبة العربية في الاستانة ممثلة بعبد الكريم الخليل ، وهو يمثل المرتكزات الأساسية لمطالب العرب ، ولاسيما أن الحكومة العثمانية قد أرسلت مندوبا لها إلى المؤتمرين في باريس ، ومعه لائحة بالاتفاق المبدئى الذى أُعد في الاستانة ، ووافق المندوب العثماني على التعديلات الطفيفة التى أُجريت في باريس ولم

(١) مذكرات سليم على سلام ، ص٣٢ ـ ٣٥ ، ص١٧٣ هامش ٢ ، والملحق ٢٥ ص٢٨٥ ؛ جريدة الاصلاح عدد ٥٦ ـ ١٤٥١ في ١١ شعبان ١٣٣١هـ .

(٢) جريدة الاصلاح عدد ٤٠ ـ ١٤٣٥ في ٢٢ رجب ١٣٣١هـ .

يبق على تنفيذ هذا الاتفاق إلا المصادقة الرسمية من قبل الحكومة ، ومن ثم استدعاء رجال الإصلاح العرب من باريس إلى الاستانة لمباشرة التنفيذ(١) .

ولقد تباطأت حكومة الاتحاديين في المصادقة على الاتفاقية ، ومع هذا لم يخالط الشك نفوس الشبيبة العربية في الاستانة حين ظهرت بينهم وبين الحكومة بوادر صداقة وأخوة ، وأقام الجانبان لبعضهما البعض مآدب فاخرة ، تخللتها الكلمات الحماسية والخطب المعبرة ، ثم قَدِمَ وفد من باريس يمثل بعض أعضاء المؤتمر ليشارك في هذه الاحتفالات والاجتماعات ، التى ظن العرب أنها ستوصلهم إلى المصادقة النهائية على بنود الاتفاق الذى سبق أن وضعت خطوطه الرئيسية مع حكومة الاتحاديين ، لكن صدور الارادة السلطانية في أوائل شهر رمضان ١٣٣١هـ ، أوائل أغسطس ١٩١٣م التى عدلت من بنود الاتفاقية ، أثارت ردة فعل عنيفة لدى العرب ، وزادت من شقة الخلاف بينهم وبين الدولة العثمانية(٢) .

ونحن هنا لانعدو الحقيقة اذا قلنا أن مصاعب الحرب البلقانية وانعكاساتها على الدولة العثمانية ، هى التى دفعت العرب للبحث عن الاصلاح الذى يحمى بلادهم من الخطر الأجنبى ، وقرارات مؤتمر باريس تعبير واضح عن هذه المطالب كما أن حروب البلقان تلك جعلت الدولة العثمانية تتساهل إلى حد ما في مطالب العرب ، وعند انتهاء تلك الحرب بمعاهدة بخارست ، رأت الدولة العثمانية ورجال السياسة فيها أن تحديد مطالب العرب واختزالها خير

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٨ ، ص٦٣٤ ـ ٦٤٠ ؛ يوسف . ف . البستاني : المرجع السابق ، ص٢٥٢ ـ ٢٥٣ ؛ ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص١١٩ ـ ١٢٣ ؛ توفيق علي برو : المرجع السابق ، ص٥٣٣ ـ ٥٣٦ .

(٢) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص١٢١ ـ ١٣١ ؛ جريدة الاصلاح عدد ٩٤ ـ ١٤٨٩ في ٢٥ رمضان ١٣٣١هـ ؛ محمد عزة دروزة : المصدر السابق ، ص٤٤٥ ـ ٤٤٦ .

للدولة وولاياتها لأن التدخل الأجنبى في الحركة العربية والنفوذ المسيحى في النشاط السياسى العربى زاد من مخاوف رجال السياسة في الدولة العثمانية حينذاك .

وقد عبر حزب اللامركزية في القاهرة عن استيائه من موقف الحكومة العثمانية حول الاتفاق مع العرب ، معتبراً أنها قد شوهت مواد الاتفاقية وأدخلت اليأس في نفوس أعضاء الحزب ونفوس الأمة العربية جمعاء[1] ، أما وكيل القنصلية الفرنسية في بيروت فقد عبّر عن استيائه من ذهاب وفد إلى الاستانة من أعيان بيروت ودمشق باعتباره وفداً معادياً للاصلاحيين العرب ولايضم في عضويته أى من المسيحيين العرب[2] ، في حين أعلن العرب في سوريا وولايات عربية أخرى عن رفضهم لمواقف الوفد العربى الذى استجاب لمطالب الحكومة الاتحادية لأن ذلك لايمثل بأى حال من الأحوال مطالب العرب وأمانيهم[3] .

وهكذا وصلت الحال ومجريات الأحداث التى افرزها مؤتمر باريس العربى بالعلاقات العربية التركية إلى هذا المستوى من الصدام والاختلاف ، اذ سارت العلاقات التركية العربية في طرق خطيرة ، حتى أوشكت عراها على الانفصام ، وليس هذا فحسب وانما وصل الأمر إلى اختلاف وجهات النظر لدى المفكرين والمؤرخين العرب في نتائج مؤتمر باريس ، فهذا هو السيد محمد رشيد رضا يدافع عن المؤتمر وأعضائه ، وأنه كان تعبيرا صادقا لأمانى العرب وحقوقهم السياسية والاقتصادية والأدبية ، ولم يترتب عليه أى ضرر للدولة أو الأمة ، بينما وقف شكيب أرسلان ضد هذا المؤتمر وعقده في عاصمة

(١) توفيق علي برو : المرجع السابق ، ص٥٣٧ .
(٢) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، الملحق رقم ٢٧ ، ص٢٨٨ ـ ٢٨٩ .
(٣) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص١٠٦ .

دولة أوربية كفرنسا المعروفة بمطامعها فى سورية ، كما أنه لايجوز للعرب أن يعقدوا مثل هذا المؤتمر والدولة العثمانية مشغولة بالحرب البلقانية ، وقد فقدت قسماً عظيماً من ولاياتها وسقطت أهميتها العسكرية والسياسية ، وهذا السقوط لاينحصر في الاتراك وحدهم وانما يصل إلى جميع المسلمين[1] ، أما المؤرخ العربى المعروف محمد شفيق غربال فقد قال : « فى رأيى أن التوفيق جانب أولئك العرب الذين عقدوا مؤتمراً لبحث قضاياهم في مدينة باريس مع علمهم بموقف فرنسا من العرب والعروبة في الأقطار المغربية ، ومع علمهم بمطامعها المشهورة في سوريا ومع علمهم بأن من زملائهم في المؤتمر من هم ضالعون مع فرنسا في مشروعاتها في سوريا ، في رأيى أن التوفيق جانب فكرة المؤتمر ـ وأن التوفيق أيضا جانب الحكومة الاتحادية في موقف الخداع الذى اتخذته من المؤتمر والمؤتمرين ـ ... أن الطريق الأسهل ليس دائما الطريق الموصل ، وليس دائما الطريق المستقيم »[2] .

هذا هو مؤتمر باريس ، وتلك كانت قراراته واجتماعاته وهو على أية حال تأكيد لما ذهبنا إليه في هذا البحث من أنه كان واحداً من ردود الفعل المباشرة لحروب البلقان ، ومن ناحية أخرى فان هذه الحرب أظهرت صداها لدى العرب من خلال عقدهم لمؤتمر باريس وقراراتهم التى اتخذوها في هذا المؤتمر ، ولكن الفترة الزمنية لتلك الأحداث كانت أضيق من أن تتبلور فيها النتائج التاريخية لتلك الأحداث الجسام التى أثرت على كيان الدولة العثمانية بشكل عام والمشرق العربى العثمانى بشكل خاص .

---

(١) وجيه كوثرانى : السلطة والمجتمع والعمل السياسى من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام ، ص١٨٦ ـ ١٨٧ ، وهامش ٩٢ ص١٨٦ .

(٢) محمد شفيق غربال : المرجع السابق ، ص١١٥ ـ ١١٦ .

د ـ حركة البصرة .

وصلت آثار الحروب البلقانية وانكسارات الجيش العثمانى فيها إلى ولاية البصرة العثمانية ، وتأثرت تلك الولاية بمجريات الأحداث كأية ولاية من ولايات المشرق العربى العثمانى ، وعندما أرادت الصحافة الأوربية أن تثير الفتنة بين حكومة الاتحاديين التى عادت للسلطة ابان حرب البلقان ، وبين أهالى البصرة ، وأطلقت الاشاعات والأخبار الكاذبة عن وجود قلاقل في ولاية البصرة تهدف إلى طرد الوالى العثماني واعلان الاستقلال ، عندئذ تتابعت البرقيات من أعيان وزعماء البصرة يؤكدون فيها ولاءهم واخلاصهم للدولة العثمانية ، ويبدون استعدادهم الكامل للوقوف إلى جانب الدولة في حربها ضد البلقانيين(١) .

لكن هذا لايعنى عدم وجود حركة عربية في البصرة على غرار الحركة العربية التى تحدثنا عنها في صفحات سابقة ، تهدف في مجملها إلى اعطاء ولاية البصرة برامج اصلاحية كالتى يطالب بها العرب في جمعياتهم ونواديهم السياسية ، والتى تنطلق من فكرة الاصلاح على قاعدة اللامركزية ، وقد تقلد السيد طالب النقيب زعامة المعارضين لحكومة الاتحاد والترقى في سياستها المركزية ، واستطاع أن يضم إليه الشيخ خزعل خان حاكم المحمرة ، والشيخ مبارك الصباح شيخ الكويت(٢) ، ليكون الزعماء الثلاثة حركة عربية مناهضة للاتحاديين وسياستهم المركزية .

لقد ظهرت الحركة العربية في البصرة بقوة ونشاط منذ تأسيس فرع حزب الحرية والائتلاف هناك ، فى الحادى عشر من شهر شعبان ١٣٢٩هـ ،

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٢ ، ص١٤٧ ؛ جريدة الأهرام عدد ١٠٦٢٦ في ٧ ربيع الأول ١٣٣١هـ ؛ عبد العزيز المنصور : الكويت وعلاقتها بعربستان والبصرة ١٨٩٦ ـ ١٩١٥م ، ص٦٧ .

(٢) صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربى ، ص١٨٨ ؛ ايمان محمد عامر : سياسة بريطانيا في الخليج العربى ١٩١٤ ـ ١٩٣٩م ، ص٢٦ .

السادس من أغسطس ١٩١١م ، حيث دعا السيد طالب النقيب مايقارب من مئة رجل من أعيان البصرة للاجتماع في داره ، ومعظمهم كانوا أعضاء في جمعية الاتحاد والترقى وفيهم رئيس الفرع في البصرة ونائبه ، وأبلغ الجميع بفكرة تأسيس الحزب الجديد على أساس مستقل وغير مرتبط بالمقر العام في عاصمة الدولة ، فوافق الجميع على الفكرة ووقعوا على نظام تأسيس الحزب ، كما وقعوا على برقيات الاستقالة من جمعية الاتحاد والترقى ، وفى الحال جرى انتخاب الهيئة الادارية المكونة من طالب النقيب رئيسا ، ونائبين للرئيس ومعتمداً للحزب وسكرتير وخمسة أعضاء آخرين اضافة إلى أمين صندوق للحزب ، ثم افتتح الحزب رسمياً بمهرجان عظيم ، حضره الوالى العثماني وقناصل الدول وحشد كبير من الناس ، وتليت في المهرجان الخطب وبرقيات التأييد المرسلة للحزب من داخل الولاية وخارجها(١) .

ومع أن وجود هذا الحزب يوحى برغبة المؤسسين له في الحفاظ على تماسك الدولة العثمانية في ظل نظام اللامركزية وصيانة الولايات العربية من التدخل الأجنبى ، إلا أن بريطانيا حاولت أن تجتذب قادة هذا الحزب إلى جانبها ، حين أبدى القنصل البريطاني في البصرة استعداد حكومته لدعم هذا الحزب ، ودعوة احدى قطع الأسطول البريطانى للرسو في مياه شط العرب خوفاً من أن تتخذ الحكومة العثمانية اجراءات معادية له(٢) ، وكانت مساندة الشيخ خزعل حاكم المحمرة والشيخ مبارك الصباح أمير الكويت لهذا الحزب ومؤسسيه ذات أثر فعال لما يربط هذين الزعيمين من علاقات وطيدة ، ولما يملكانه من ثروات كبيرة تقع غالبيتها في البصرة(٣) .

---

(١) سليمان فيضى : المصدر السابق ، ص٩٦ ـ ٩٧ .

(٢) سليمان فيضى : المصدر السابق ، ص٩٧ ـ ٩٨ ؛ توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٣٠٢ .

(٣) مصطفى عبد القادر النجار : التاريخ السياسى لامارة عربستان العربية ١٨٩٧ ـ ١٩٢٥م ، ص١٣٧ ؛ منيرة العرينان : المرجع السابق ، ص٢١٤ .

ثم أصدر جريدة الدستور ، التى اشترك في تحريرها مجموعة من الأدباء والمثقفين في البصرة ، ولعبت دوراً هاماً في نشر أفكار الحزب واتجاهاته مما جعل نفوذه يصل إلى بغداد والموصل ، ومع أن رئيس الحزب السيد طالب النقيب كان من المعارضين لحكومة الاتحاديين ، فانه كان شديد الولاء والاخلاص للدولة العثمانية ، وهذا ماتمثل في جهوده المخلصة التى بذلها في معاونة الدولة في فترة مابين حربى طرابلس الغرب والبلقان ، حين ساعد على توطيد الأمن الداخلى وتعبئة الشعور الوطنى في ولاية البصرة[1] .

وعندما وافقت الحكومة العثمانية على اجتماع المجالس العمومية في الولايات العثمانية وتقديم لوائحها الاصلاحية سارع أعضاء حزب الحرية والائتلاف في البصرة إلى حل حزبهم وتأسيس الجمعية الاصلاحية في البصرة ، وقدموا منهاجها للحكومة التى جاءت موافقتها سريعا ، لتفتتح الجمعية رسميا في الثانى والعشرين من ربيع الأول ١٣٣١هـ ، الثامن والعشرين من فبراير ١٩١٣م ، وكانت الجمعية الاصلاحية في البصرة قد ربطت نفسها بحزب اللامركزية الادارية العثماني في مصر وعملت وفق منهاجه ودعت إلى تحقيق أهدافه الداعية إلى النظام اللامركزى داخل اطار الدولة العثمانية ، كما أن تأسيسها قام على غرار الجمعية الاصلاحية في بيروت[2] .

وقد استهل السيد طالب النقيب نشاطه بتنظيم مضبطة وقعها عدد كبير من وجهاء مدينة البصرة ، وختموها بأختامهم وأقسموا على تنفيذها ، وتنص على استعدادهم لتكريس الجهود لما فيه خدمة الدولة العثمانية دون الاتجاه مع

---

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٤٨٩ ـ ٤٩٠ .

(٢) سليمان فيضى : المصدر السابق ، ص١٣٠ ؛ وميض جمال عمر نظمى : المرجع السابق ، ص١٠٤ ؛ محمد عصمت شيخو : سورية وقضية فلسطين ١٩٢٠ ـ ١٩٤٩م ، ص٣٧ .

أى حزب كان سواء حزب الاتحاد والترقى أم الأحزاب المعارضة له[1] ، أما برنامج الجمعية الاصلاحية في البصرة والذى وافق عليه البصريون ثم تبعهم في ذلك البغداديون والموصليون فهو يقع في ثمانية وعشرين بنداً تكاد لاتختلف عن لائحة جمعية بيروت الاصلاحية إلا فيما يخص المستشارين الأجانب ، فالمادة الأولى من مواد البرنامج أكدت على أن يكون الوطن العزيز ملكاً عثمانياً خالصاً تحت راية الهلال ، فى حين رفضت المادة الثانية اعطاء أية امتيازات للأجانب في البلاد وصيانتها من الدسائس الأجنبية ، ومنع النفوذ الأجنبى فيها ، وهذا دليل قاطع على أن العرب الاصلاحيين في البصرة كانت تراودهم المخاوف على ولاياتهم بعد هزائم الدولة العثمانية في البلقان وأن الخطر الأوربى بات وشيكا في بلادهم .

وقد قَصَرت المادة الرابعة جميع الأعمال المتعلقة بشؤون الدولة الأساسية على المركز ، بينما أعطت الأعمال المحلية لمجلس الولاية العمومى في حين حددت المادة الخامسة مهام الوالى أما المادة السابعة فكانت عن صلاحيات ومهام المجلس العمومى وكذلك المواد ـ ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ـ ، وقد أعطت المادة الرابعة عشر للمركز حق تعيين الوالى على أن يكون من أهل العراق ، أما بقية الموظفين فالوالى هو الذى يقوم بتعيينهم على أن يكونوا من أهل البلاد ، ويتحدثون اللغة العربية ويُجرى لهم امتحان فيها يتوج بقرار من المجلس العمومى .

كما نصت المادة التاسعة عشر على أن تكون اللغة الرسمية في جميع الدوائر والمحاكم هى العربية ، وتنظم بها كافة المعاملات ، أما المادة

---

(١) خالد حمود السعدون : المرجع السابق ، ص٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

العشرون فقد أشارت إلى صياغة القوانين المدنية والجزائية وفقا للشريعة الإسلامية ، كما حددت المادة الثالثة والعشرون عمل المتطوعين للجيش في ولاياتهم زمن السلم وبالامكان الاستعانة بهم في أى جزء من الدولة زمن الحرب ، أما الضباط العرب فقد حُصِرَ عملهم في بلادهم كما أشارت المادة الرابعة والعشرون من هذا البرنامج ، بينما أكدت المادة الخامسة والعشرون على تدريس كافة العلوم والفنون باللغة العربية ، على أن يكون هناك اهتمام خاص باللغة التركية والعلوم الدينية[1] .

وإشارتنا هنا إلى بعض المواد التى تضمنها برنامج الجمعية الاصلاحية في البصرة ، ليس معناه تقليلاً من أهمية المواد الأخرى ، وانما مرد ذلك هو أن تلك المواد تنسجم إلى حدما مع ماكانت عليه خطة البحث ، التى تذهب في جوهرها إلى أن حركة البصرة العربية لم تكن حركة انفصالية تريد الخروج عن الدولة العثمانية ، وانما تلك الحركة كانت ردة فعل مباشرة لحروب البلقان ، وهزائم الدولة العثمانية فيها ، مما زاد من خوف دعاة الاصلاح العرب وفي مقدمتهم زعماء البصرة ، وعند ذلك سارعوا بانشاء الجمعيات ووضع البرامج الداعية إلى اصلاح الولايات العربية على قاعدة اللامركزية .

ويذهب أحد المؤرخين المعاصرين لتلك الحركة إلى أن العلاقة بين الحكومة العثمانية وزعيم الحركة العربية في البصرة السيد طالب النقيب قد تحسن وضعها وعادت الثقة بين الجانبين إلى وضعها الطبيعى ، مما أدى بالسيد النقيب إلى أن ينشر فى الصحف بيانا يعلن فيه عن اتفاقه مع الحكومة العثمانية حيث قال : « أعلن مع كمال الفخر إلى عموم أهالى الولاية والملحقات

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٥٠٠ ـ ٥٠٢ ؛ حسين هادى الشلاه : المرجع السابق ، ص٢١٢ ـ ٢١٥ .

بأننا قد اتفقنا للاشتراك في الجهود كأننا روح واحدة لأجل اعلاء شأن حكومتنا السنية التى قدرت صداقتنا رسميا فلم يبق بيننا وبين الحكومة السنية خلاف بأى صورة كانت وقد زال ماكان من سوء التفاهم زوالاً قطعياً وصرنا كلنا كتلة واحدة تعمل على سعادة دولتنا الابدية وتسعى إلى محافظة وحدتنا العثمانية بكل قوانا وحتى آخر فرد منا ، وللبيان حررت الكيفية وأعلن »[1] .

وقد أثرت حركة البصرة في المدن العراقية الأخرى حيث أُسِسَ النادى الوطني العلمى في بغداد ومنحت رئاستة الفخرية للسيد طالب النقيب ، ثم أصدر هذا النادى جريدة النهضة لتتحدث باسمه وتنشر أفكاره وأهدافه[2] ، وهذه الحركة في مجملها هى التى لفتت نظر القنصل الأمريكى فى بغداد حين كتب إلى حكومتـه تقريراً في التاسع من ربيع الثانى ١٣٣١هـ /١٧ مارس ١٩١٣م قال فيه : « أن عرب العراق يشتركون في الحركة التى تهدف إلى اقامة حكم ذاتى إن لم يكن الاستقلال التام عن الدولة العثمانية ، وأنهم انضموا إلى جمعية سرية مقرها القاهرة [حزب اللامركزية] ، ولها فروع في ولايات بغداد والبصرة والموصل وهدفها الحصول على الاستقلال لهذه الولايات الثلاث ، وثمة شائعة بأنهم يهدفون إلى اقامة دولة عربية تكون عاصمتها دمشق ، ... الوطنيون في البصرة بعثوا بمذكرة إلى حكومة الاستانة يطالبون باستقلال ذاتى واسع ... والحكومة العثمانية وعدت ببحث ماجاء بهذه المذكرة ، ولكن الوطنيين في البصرة مصممون على نيل الاستقلال ، والسيد طالب النقيب

---

(١) سليمان فيضى : المصدر السابق ، ص١٣١ ـ ١٣٢ .

(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٤٩١ .

يتزعم هذه الحركة ويتجول بين مختلف جهات العراق محاولاً جمع شمل المشايخ والرؤساء »[١] .

وقد أكد المقيم البريطاني في الكويت الكابتن وليام شكسبير Shakespear في خطاب بعث به إلى معتمد بريطانيا في الخليج السير بيرسى كوكس Sir, Percy Cox ـ أكد تلك الأفكار التى قال بها القنصل الأمريكى ولكنه أوضح صراحةً السبب الذى من أجله تقوم تلك الحركة العربية في البصرة ، وهو عدم ثقة العرب هناك في قدرة الدولة العثمانية على حمايتهم بعد أن تلقت هزائم فادحة في حرب البلقان مما أثر على هيبة ومكانة الدولة ، ولاسيما أن الأخبار عن حرب البلقان في أولها كانت تؤكد انتصار الدولة على الحلفاء البلقانيين وهى اشاعات روجتها الحكومة العثمانية لتغطية ضعفها وفشلها كما يقول[٢] .

وقد شارك دعاة الاصلاح العرب في العراق في أعمال مؤتمر باريس حيث تحدث مندوب العراق توفيق السويدى وأعرب عن تأييد العراقيين للمؤتمر وأنهم « ليسوا أقل شعوراً بضرورة الاصلاح ، ولا أقل استعداداً للنهضة من اخوانهم السوريين وأن الغاية واحدة والأمة واحدة والكلمة واحدة لأجل طلب الحياة السعيدة لهذه الأمة الكريمة »[٣] ، كما بعث السيد طالب النقيب برقية للمؤتمر شكر فيها القائمين عليه ، وطلب منهم بذل الجهود لتحقيق مطالب العرب الاصلاحية على قاعدة اللامركزية وفي ظل الدولة العثمانية[٤] .

وقد توجه وفد من حركة البصرة الاصلاحية بعد نهاية مؤتمر باريس إلى الاستانة في محاولة لوضع قواعد الاصلاح التى يطالب بها العرب موضع

---

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص١٦٨ .

(2) F. O. 424/238, Enclosure 2, in No. 458, Captain Shakespear to Lievtenant- Colonel Sir, P. CoX - Coueit, 15. May 1913. pp. 369-- 372.

(٣)توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٥١٩ .

(٤) جريدة الاصلاح عدد ٥٢ ـ ١٤٤٨ في ٧ شعبان ١٣٣١هـ .

التنفيذ ، وبذل هذا الوفد جهوداً كبيرة لتحقيق الوفاق بين العرب وبين الحكومة العثمانية[1] ، وقد أعطى خطاب السفير البريطانى فى الاستانة السيد مارلنغ Marling ، الذى بعثه إلى وزير خارجيته في ٢٤ شوال ١٣٣١هـ ٢٥ سبتمبر ١٩١٣م صورة واضحة وصريحة عن علاقات الحركة العربية في البصرة مع الحكومة العثمانية حين أشار إلى « أن الدوافع الحقيقية التى كانت تحدو جمعية الاصلاح البصروية للوقوف في صف المعارضة كانت كراهيتهم لحكم جمعية الاتحاد والترقى أكثر مما كانت المطالبة بالانفصال عن العثمانيين وحكمهم »[2] .

ومن خلال قراءتنا لبرنامج جمعية البصرة الاصلاحية الذى سبق الاشارة اليه يتبين لنا أن ماذهب إليه المسؤول البريطانى هو الواقع الصحيح ، لأن ذلك البرنامج قد أعطى الحكومة المركزية حق التصرف في الأمور العامة مثل السياسة الخارجية والجيش ، وأن تقوم بتعيين والى الولاية ، ولم يشر مطلقا إلى الانفصال عن الدولة ، كما أن مشاركة الجمعية في مؤتمر باريس وتأييدها لمطالبه تأكيد لذلك أيضا ، غير أن ماهو جدير بالذكر هنا أن ظهور هذه الحركة واستفحالها ، قد زاد من ظهور النشاط القومى العربى المتطرف ، كعامل إتجاه مضاد للحركة الطورانية المتطرفة داخل حكومة الاتحاد والترقى في عاصمة الدولة ، وهو مايدخل في مفهوم نمو القوميتين العربية والتركية في آن واحد ، مما أدى إلى شدة الصدام بينهما ليكوّنا معاً عاملاً من عوامل التمزق الداخلى في الدولة العثمانية ، ويصبحا من الانشطة المناوئة للدولة الإسلامية .

---

(١) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية .... ، ص١٠٦ .

(٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية .... ، ص١٠٤ ـ ١٠٥ ؛ أحمد الشيبانى : حصاد حقبة من تاريخ ، جريدة الرياض عدد ٧٤٣٤ في ٢٠ ربيع الأول ١٤٠٩هـ .

هـ ـ تزايد أخطار التمزق الداخلى في الدولة والأنشطة المناوئة للدولة الإسلامية .

تبين لنا من خلال ماسبق أن ردود الفعل المباشرة لحروب البلقان قد زادت من أخطار التمزق الداخلى في الدولة العثمانية ، وعجلت بظهور الأنشطة المناوئة لها ، والتى كان من أبرزها نمو القوميتين العربية والتركية ، هذا النمو لهاتين القوميتين الذى جاء في وقت واحد زاد من شدة التصادم بينهما ، ليؤدى بالتالى إلى حدوث انعكاسات خطيرة على الدولة العثمانية بوجه عام وعلى المشرق العربى العثمانى بوجه خاص .

وكلمة القومية تعبير غربى تلقته شعوب المشرق الاسلامى من أوربا ، ويقصد بكلمة Nationality في اللغة الانجليزية القطر أو الدولة التى ينتمى اليها الفرد أو المواطن[١] ، ويرى أحد المؤرخين العرب أن معنى كلمة قَوْمِيَّة Nationalism ينبثق من الفكرة المثالية في المصطلح الفرنسى هى مذهب من المذاهب السياسية التى تعبر في مجملها عن حب الأمة التى ينتمى الانسان إليها ، وتفضيل خصائصها على خصائص غيرها[٢]، ونفس الاتجاه نادى به أحد دعاة القومية العربية حين أشار إلى أن القومية من « أهم النزعات الإجتماعية التى تربط الفرد البشرى بالجماعات وتجعله يحبها ويفتخر بها ويعمل من أجلها ويضحى في سبيلها »[٣] .

أما في المجتمع الإسلامى فالمسلم أخ للمسلم مهما كانت لغته وأصله وسلالته وبلاده ، فهو أقرب له من مواطنه الذى قد يتكلم لغته وينحدر من نفس

(١) محمد الخير عبد القادر : نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية ... ، ص١٩ .

(٢) مصطفى الشهابى : القومية العربية ... ، ص٤ ، وهامش ص١٩ .

(٣) ساطع الحصرى : آراء وأحاديث في الوطنية والقومية ، ص٩ .

سلالته ولكنه لايدين بنفس عقيدته[1] قال الله تعالى : { يأأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين }[2] الآية ، وقال سبحانه : { يأأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنَّهُ مِنْهُم إن الله لايهدى القوم الظالمين }[3] الآية .

لقد ألف الاسلام بين شعوب وقبائل مختلفة وجعلها أمة واحدة ، ذات هدف واحد وغاية واحدة ، والدعوة إلى القومية بغرض أن تحل محل الإسلام أو أن تتقدم عليه مرفوضة لدى الأصوليين ، وهم يعتبرونها دعوة هدامة يراد بها هدم أعظم رابطة روحية عرفها التاريخ ، والدعوة إلى القومية العربية في هذا الإطار اساءة للعرب أنفسهم ، وجناية عليهم لأنها تفصلهم عن الإسلام الذى هو مجدهم الأكبر وشرفهم الأعظم ومصدر عزهم وسيادتهم على العالم[4] .

ولم تكن فكرة القومية العلمانية الموجودة في غربى أوربا ذات أثر في الفكر السياسى داخل الدولة العثمانية ، حتى ظهرت أحداث البلقان التى انطلقت من فكر قومى صرف ، حينذاك بدأت محاولة تنمية الوجدان القومى عند الأتراك تقليدا ومحاكاة للحركات القومية في أوربا[5] ، غير أن حروب البلقان وانهزام الجيوش العثمانية فيها أظهرت على مسرح الأحداث بصورة لاتقبل الجدل وجود إتجاه قومى تركى ، كنوع من أنواع الحلول للأزمة التى

---

(١) برنارد لويس : الغرب والشرق الأوسط ، ص٩٥ .

(٢) سورة المائدة : آية ٥٧ .

(٣) سورة المائدة : آية ٥١ .

(٤) الشيخ عبد العزيز بن باز : المرجع السابق ، ص١٨ ـ ١٩ .

(٥) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص١٨٥ هامش ٣٦ .

اعتقد رجال السياسة في الحكومة العثمانية جدواها حينذاك ، ولكنها لم تكن كذلك وانما زادت من مشكلات الدولة وأعبائها .

ولقد كان السلطان عبد الحميد مدركاً لأخطار القومية في جسم الدولة العثمانية لذا كان التزامه بالرابطة الإسلامية علاجا حاسما لهذا الخطر الذى يهدد كيان الدولة[١] ، لأن الحقائق التاريخية أثبتت أن حركة التنظيمات والمشروطية لم تُغيِّر في مواقف العناصر الخاضعة للدولة من غير المسلمين[٢] ، لأن الاسلام كقوة روحية وسياسية يشكل آثراً عميقا يتفوق على أثر القومية العلمانية ، وهذا ماتحقق في علاقة العرب مع حكومة الاتحاد والترقى حين حاولت تاكيد قوميتها التركية وابتعدت عن الإسلام الذى يكّون بينها وبين العرب رابطة قوية من الاخوة والمصير المشترك[٣] .

كانت فكرة القومية العربية قد بدأت عند العرب المسيحيين ، على قاعدة أن جميع الشعوب التى تتكلم العربية أمة واحدة ، لادراكهم أنه ليس هناك أى قاسم مشترك بين المسلمين العرب والمسيحيين العرب سوى العروبة ، فالعروبة عندهم هى العقد الذى يؤلفهم مع المسلمين العرب ، لأنه ليس لهم صلة دينية أو صلة قومية تصلهم بالدولة العثمانية[٤] ، وهو ماجعل البعض منهم يتطلع إلى الانفصال عن الدولة الإسلامية بمساعدة دولة أوربية تطرد العثمانيين من البلاد وتحكمها بدلا منهم[٥] .

---

(١) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، ص٩٧ ؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٥٣ .

(٢) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص٨٢ ـ ٨٣ ؛ البراورطايلى : المرجع السابق ، ص٥٤٤ .

(٣) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص١٣٠ ـ ١٣٢ .

(٤) مجيد خدورى : المرجع السابق ، ص٣٠ ؛ فيليب حتى وآخران : تاريخ العرب ... ، ص٨٥٥ .

(٥) حسان حلاق : المرجع السابق ، ص٢٩١ ؛ جريدة الأهرام عدد ١٠٥٩٦ في ١صفر ١٣٣١هـ .

وقد شهدت عاصمة الدولة العثمانية ظهور احزاب وجمعيات قومية صرفة مثل « ترك أوجاغى ـ أى الوطن التركى » ، « وترك درنكى أى المنتدى التركى » ، « وترك يورتى جمعيتى ـ أى جمعية المملكة التركية » ، وتمخض عن هذا الاتجاه محاولة تخليص الفكر التركى من المؤثرات الثقافية العربية ، وانشاء لغة جديدة وأدب جديد ، وقامت محاولات لترجمة الكتب العلمية إلى اللغة التركية القديمة ، وصاحب ذلك فكرة تغيير أسماء الضباط العثمانيين من أعضاء جمعية الاتحاد والترقى إلى أسماء طورانية بدلا من الأسماء العربية[١] ، ليصل الأمر بأصحاب هذا الاتجاه إلى نشر كتاب في الاستانة تحت عنوان « قوم جديد » يدعو إلى نزع أسماء الخلفاء الراشدين وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المساجد لأنهم عرب ووضع بدلا منها أسماء عظماء الترك[٢] ، وكانت ردة الفعل عند العرب أنهم راحوا يفكرون بالأسلوب ذاته ، وأسفر الأمر عن تأسيس عدد من الجمعيات العربية الصرفة السرية منها والمعلنة[٣] .

وقامت الصحافة التركية والعربية بدور بارز في اثارة النعرات العرقية داخل الدولة[٤] ، لتصبح بذلك من أهم المكونات الضاغطة لايجاد رأى قومى عام ، فهذا حسين جاهد صاحب جريدة طنين التركية وأحد الأعضاء البارزين في حكومة الاتحاد والترقى يقول : « أن الأمة التركية كانت وستظل هى الأمة الحاكمة في السلطنة العثمانية ، وأن الترك يتمتعون بحقوق وامتيازات سامية

(١) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص٢٠١ ـ ٢٠٥ .

(٢) مجلة المنار المجلد ١٧ ، ج٢ ، ص١٦٠ .

(٣) عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ـ الأتراك العثمانيون ، الفرس ، مسلمو الهند ، ص٢٠٩ .

(٤) حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص١٥٩ .

بصفتهم فاتحين ، وأنه لامجال للاعتراف بحقوق مساوية للعناصر الجنسية الأخرى »[١] ، أما عمر الفاخورى أحد الكتاب العرب المدافعين عن القومية العربية فقد كتب في جريدة المفيد العربية حيث قال : « ان المستقبل للشعوب القومية المتمسكة بقوميتها ، فلتكن الجنسية العربية ديانة للعرب جديدة ، ان الجنسيات آلهة العصور الآتية ، فَلِمَ لاتسعى منذ الآن لخلق اله للأمة هو الجنسية العربية »[٢] ، إن هذا هو الغزو الفكرى الذى أرادته أوربا فمقولة الكاتب العربى هذه دليل على مدى الانحراف الذى وصل إليه دعاة القومية ، والذى يعتبر بحق بداية النهاية لرابطة الدين الإسلامى الذى كان يربط العرب والترك بالدولة العثمانية .

لقد بات الصدام بين القوميتين العربية والتركية هو محور الأحداث التاريخية في تلك الفترة ، فهذا كاتب تركى يتحدث في مقال له على صفحات جريدة طنين التركية ويقول : « لايزال العرب يلهجون بلغتهم وهم يجهلون اللغة التركية جهلاً تاماً كأنهم ليسوا تحت حكم الترك ، فمن واجبات الباب العالى في هذه الحال أن ينسيهم لغتهم ويجبرهم على تعلم لغة الأمة التي تحكمهم ، ... لأن العرب إن لم ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم فانهم سيعملون عاجلاً أو آجلاً على استرجاع مجدهم الضائع وتشييد دولة عربية جديدة على أنقاض دولة الترك »[٣] ، اما صحيفة الاجبشيان جازيت Egyptian Gazette التي تصدر في القاهرة فقد رآت في مقال لها بتاريخ ٩ جمادى الأولى ١٣٣١هـ / ١٥ ابريل ١٩٣١م أن موقف العرب داخل الدولة العثمانية شبيه بموقف الصقالبة

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص١٢٥ .
(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٥٩٢ ـ ٥٩٣ .
(٣) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص٢٣١ ـ ٢٣٢ ..

داخل امبراطورية النمسا ، وذهبت إلى القول أن رابطة الآلام هى التى ربطت الترك بالعرب منذ زمن بعيد ، وأن هذه الرابطة لابد أن تنتهى أو يشب بينهما صراع عنيف(١) ، وهى بطبيعة الحال في مقالها هذا تتنكر للحقائق التاريخية ، وتأتى بمغالطات صريحة للواقع ، لأن الرابطة التى كانت تربط بين العرب والأتراك هى رابطة الدين الاسلامى ، لكن هذه هى لغة القومية الدخيلة على المسلمين ، ولغة دعاتها .

لقد دفعت حروب البلقان ونتائجها بالقوميتين العربية والتركية إلى التصادم السريع ، لتصبح القومية وصراعاتها من أشد الأخطار التى زادت في التمزق الداخلى للدولة العثمانية ، فالحركة العربية التى قامت في بيروت أو في البصرة لم تصل إلى النتائج المقبولة والمعقولة التى طالب بها دعاة الاصلاح العرب ، وهو الاصلاح على قاعدة اللامركزية ، كما أن جمعية بيروت الاصلاحية قد أدخلت ضمن أعضائها العنصر الاسرائيلى تحت ستار القومية العربية ، وعندما سئل أحد الأعضاء المسيحيين البارزين في تلك الجمعية عن قضية مهاجرة اليهود إلى سوريا وفلسطين أبدى رضاه الكامل عن تلك المهاجرة واتهم من يقف في سبيلها أو يقوم بمعاكستها بأنه خائن لوطنه كما يقول(٢) ، أما رئيس المؤتمر العربى في باريس فقد أعلنها قومية صريحة حين أشار في مقابلة أجريت معه قبل انعقاد المؤتمر حيث قال : « فنحن لانتمسك بالوحدة السياسية لأجل الرابطة الدينية بل رغبة منا في ايجاد مجموع عثمانى يرتقى فيه مجموعنا العربى بدون حائل يقف في طريقه »(٣) ، وقد هاجمت

---

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص١٦٥ .

(٢) جريدة الاصلاح عدد ٢٧ ـ ١٤٢٢ في ٦ رجب ١٣٣١هـ ، نقلا عن جريدة الجون تورك في مقابلة لها مع : رزق الله بك أرقش .

(٣) توفيق علي برو : المرجع السابق ، ص٥١٣ .

الصحف التركية العرب قبل عقد مؤتمرهم في باريس حيث قالت : « بأن الفئة التى تتظاهر تارة في سورية وتارة في مصر وفي العراق وباريس ، بالغيرة على مصالح العرب وعشق العربية ، هى فئة ليست من العربية في شيء ، وما هى الا آلة للفساد ، وعبارة عن طائفة عجيبة في أطوارها ... »[1] .

ومع أن العرب والترك كانوا أكثر شعوب الدولة العثمانية حفاظاً على كيان الدولة وآخر من تأثر بتلك التيارات التى سعت إلى تفكيك الوحدة الإسلامية ، فان المؤتمر العربى في باريس كان أول صدام علنى بين العرب والترك[2] ، فهذا عبد الغنى العريسى صاحب جريدة المفيد البيروتية يتحدث في ذلك المؤتمر ويقول : « .... فنحن عرب قبل كل صبغة سياسية ، حافظنا على خصائصنا وميزاتنا وذاتنا منذ قرون عديدة رغما مما كان ينتابنا من حكومة الاستانة من أنواع الادارات كالامتصاص السياسى أو التسخير الاستعمارى أو الذوبان العنصرى .. »[3] ، ثم هو بعد ذلك ببضع سنوات يترك وصية يعلن فيها قوميته المتطرفة حيث قال : « ... فاليوم لامسيحى ولا مسلم ولايهودى ولادرزى ولاوثنى ، بل الجميع عرب وفى العرب وللعرب ، ... انى لعلى ثقة مما أقول فلاتشكُّوا ، وحدوا جمعياتكم ، وحدوا أفكاركم ، وحدوا آراءكم ، وفقوا بين مشاربكم وأنواقكم ومساعيكم ... »[4] ، وهذا الاتجاه هو ماظهر واضحا في احدى جلسات المجلس العمومى لولاية بغداد بعد انتهاء مؤتمر

---

(١) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص١١١ .

(٢) عبد العزيز محمد عوض : المرجع السابق ، ص٥٣ .

(٣) توفيق علي برو : المرجع السابق ، ص٥١٥ .

(٤) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص٣٥٣ .

باريس حيث وقف أحد الأعضاء العرب « وأعلن أن العراق كان ويجب أن يكون ملكا للعراقيين »[1] ، ولعل فيصل ابن الحسين قد تأثر بأصحاب تلك الآراء والاتجاهات عند قوله « الدين لله والوطن للجميع »[2] ، بيد أن الحقيقة تؤكد تنامي فكرة القومية العربية المتطرفة التى لاتخدم في اتجاهها على هذا النحو الا أعداء العرب والاسلام ونعنى بها أوربا في المقام الأول .

أما في الجانب التركى فكان دعاة القومية اشد خطراً من دعاة القومية العرب ، فهذا يوسف آقجورا المفكر التركى الشهير يعلن أن « الدولة العثمانية لايمكن ان تعيش لأنها مؤلفة من عناصر وقوميات مختلفة . أنها ستموت وستنقرض حتما ولكن بعد موتها ستقوم دولة تركية لاتضم غير الاتراك »[3] ، ثم يكتب مرة أخرى في أوائل ربيع الثانى ١٣٣٢هـ أوائل مارس ١٩١٤م ويقول : « يجب أن نعمد إلى الحقائق فنقررها ، ماالعثمانية ؟ ولماذا لانقول التركية ؟ أليست العثمانية نسبة إلى عثمان التركى ؟ ان الحقيقة تغلب الخيال ومن المحال العقلى أن تظل هذه العناصر المتباينة مرتبطاً بعضها ببعض وراء ستار وهمى[4] !!» ، وغير ذلك من الآراء التى تعبر عن القومية المتطرفة التى أضحت وبالاً على الدولة العثمانية وعلى الاسلام .

واذا كان تأسيس الجمعيات السرية العربية يعد مظهراً خطيراً من مظاهر القومية العربية[5] ، فان الاتجاه القومى عامة لدى العنصرين التركى والعربى كان بفعل التأثير الأوربى والاحتكاك المباشر مع الغرب ، ولكن حرب

---

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص١٧٢ .

(٢) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص٢١ .

(٣) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص١١٠ .

(٤) مجلة المنار ، المجلد ١٧ ، ج٨ ، ص٦١٥ .

(٥) عبد العزيز رفاعى وعبد العال ابراهيم : دراسات في الشرق الأوسط ... ، ص٣٢ .

البلقان زادت من انتشار تلك القوميات واحتكاكها مع بعضها البعض ، ولاسيما أن الترك والعرب قد شعروا بتفاقم الخطر الأجنبى في بلادهم وهذا ماعبر عنه رجل الحكومة الاتحادية جمال باشا حيث قال في احدى اجتماعاته بأهالى سوريا بعد أن اصبح حاكما لها : « يجب أن تثقوا بأن حركة الجامعة التركية التى شهدتموها في الاستانة ... لاتتضارب بشكل ما والأمانى العربية ، ... إن حركة القومية التركية قد أنشئت خوفا على الشعب التركى من أن يتلاشى نهائيا »[1] .

هكذا اذاً كان الصدام بين القوميتين عنيفا ، وأدى بالتالى إلى قطع الطريق على دعاة الاصلاح ودعاة الوفاق ، وأخرج دعاة القومية من كلا الجانبين عن الطريق الصحيح الذى سارت عليه الدولة العثمانية ومعها العرب عدة قرون ، فالعرب لم ترفعهم القومية العربية الصرفة ، وانما اعزهم الاسلام الذى بَشّروا به في مشارق الأرض ومغاربها ، وبدون الاسلام لن يكون للعرب أهمية تذكر ، كما أنه بدون الإسلام لم يكن للترك أية أهمية ، والدولة العثمانية ونشأتها ، وجهاد سلاطينها العظام خير دليل على ذلك .

وقد أثبت التاريخ صدق ذلك ، فلم يستفد العرب من دعوة القومية المتطرفة التى سهلت الطريق للتدخل الأجنبى في أوطانهم ، ولم يستفد الترك من قوميتهم التى قضت على الدولة العثمانية التي كان اسمها يزلزل أساطين السياسة الأوربية ، ولكن هاتين القوميتين أصبحتا عنصراً فعّالاً في التطورات التاريخية اللاحقة بالنسبة للتاريخ الاسلامى الحديث والمعاصر .

---

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٥٩٦ ـ ٥٩٧ .

الفصل الرابع

موقف بريطانيا

أ ـ بريطانيا والساحل الشرقى والجنوبى للجزيرة العربية .

ب ـ سياسة بريطانيا نحو الخليج العربى .

جـ ـ المعاهدة الانجليزية العثمانية ١٣٣١هـ / ١٩١٣م .

د ـ سياسة بريطانيا لإضعاف دولة الخلافة ، أطماعها في البصرة .

أ ـ بريطانيا والساحل الشرقى والجنوبى للجزيرة العربية .

عندما وصلت آثار حروب البلقان إلى المشرق العربى العثمانى ، أحدثت ردود فعل متباينة لدى العرب ، وهو ماتحدثنا عنه في الفصل السابق ، ولكن بعض أجزاء الوطن العربى وبالتحديد الساحل الشرقى والجنوبى من الجزيرة العربية كانت في وضع مختلف عن بقية المشرق العربى العثمانى ، وهذا الوضع سببه الوجود الاستعمارى البريطانى المسيطر على تلك الأجزاء من الجزيرة العربية ، وهو ماحَتَّم أن نتحدث عن الموقف البريطانى في الساحل الشرقى والجنوبى للجزيرة العربية .

لم تكن الحكومة البريطانية تحبذ سياسة التدخل في شئون وسط الجزيرة العربية ، لقناعتها أن الدخول في وسط الصحراء يعتبر من المغامرات غير المحمودة العواقب[١] ، وأهم ماكان يشغل السياسة البريطانية هو المحافظة على طريق الهند ، لذا استمر النفوذ البريطانى على الشواطىء الجنوبية والشرقية من شبه الجزيرة العربية ، بمقتضى عدة معاهدات بين بريطانيا وبعض الأمراء والمشايخ العرب من حكام تلك الجهات ، بينما أخضعت منطقة عدن والمحميات التابعة لها للنفوذ البريطاني المباشر[٢] .

ولقد كان اهتمام البريطانيين يتركز في النقاط الاستراتيجية في تلك المناطق دون التوغل إلى الداخل ، لذا كانت المعاهدات مع شيوخ الساحل المهادن هي السمة البارزة للسياسة البريطانية في تلك الفترة ، وكانت معاهدة السلام الدائم التى وقعت بواسطة المقيم البريطانى في الخليج في أواخر سنة

---

(١) سنت جون فيلبى : تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ، ص٣٠٤ .

(٢) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص٢٠٠ .

١٢٦٩هـ / منتصف سنة ١٨٥٣م والتزم بها شيوخ رأس الخيمة وأبو ظبى ودبى وعجمان وأم القيوين من أبرز تلك المعاهدات ، حيث وافق الموقعون على تلك المعاهدة وعلى أن تقوم الحكومة البريطانية بالاشراف على استمرار السلم وتقوم باتخاذ الخطوات اللازمة لمراعاة تنفيذ مواد هذه الاتفاقية في جميع الأوقات[١] ، وهذا بطبيعة الحال مكسب استعمارى كبير تحققه بريطانيا على ساحل الخليج العربى في تلك الفترة .

وفى سنة ١٣٠٥ ـ ١٣٠٦هـ / ١٨٨٧ ـ ١٨٨٨م اقترح المقيم السامى في الخليج عقد اتفاق مع شيوخ الساحل المهادن كى لايقيموا علاقات الا مع الحكومة البريطانية . ولايسمحوا لأحد بالسكن في مناطقهم الا بموافقتها[٢] ، ولم تكتف بريطانيا بذلك بل ربطت شيوخ الساحل باتفاقية جديدة تم التوقيع عليها في سنة ١٣٠٨هـ / ١٨٩١م ، عرفت باسم الاتفاقية المانعة ، أضافت فيها إلى بنود المعاهدة السابقة قيوداً جديدة منها : أن لايتنازل الشيوخ بأى صورة من الصور عن أى قطعة من أرضهم لأى أجنبى الا بموافقة الحكومة البريطانية ، وأن يكون هذا الإتفاق ملزماً لهم ولورثتهم ومن يخلفهم[٣] ، أى وضع بلادهم تحت الحماية البريطانية .

ونتيجة للتنافس الدولى على اقامة السكك الحديدية وتزايد النشاط الروسى في سواحل الخليج ، وكذلك النشاط الألمانى الذى بدأ يخطط لاقامة مشروع سكة حديد يمتد للخليج العربى ، حينذاك سارعت بريطانيا لابرام معاهدة مع الشيخ مبارك الصباح شيخ الكويت في العاشر من رمضان سنة

---

(١) سيد نوفل : المرجع السابق ، ص٧٥ ؛ جمال زكريا قاسم : دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠ ـ ١٩١٤م ص١٣٤ .

(٢) منيرة العرينان : المرجع السابق ، ص١٨ ـ ١٩ .

(٣) مصطفى النجار وآخرون : تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر ، ص١٠٨ .

١٣١٦هـ / ٢٣ من يناير سنة ١٨٩٩م ، تعهدت بريطانيا بموجبها بحماية الكويت من كل اعتداء خارجي من البحر وليس من البر ، فلا تتدخل في شؤون العشائر ورؤسائها ، أما شيخ الكويت فقد التزم من جانبه بعدم اقامة أية علاقات سياسية مع أية حكومة أجنبية غير بريطانيا(١) .

وقبل ذلك كانت بريطانيا قد وقعت معاهدة مع سلطان مسقط سنة ١٣٠٨ ـ ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م ، وفي العام التالى وقعت مع البحرين ماعرف بالاتفاقية الاستثنائية النهائية والتى تعهد بموجبها شيخ البحرين أن لايؤجر ولا ينقل بأى شكل من الأشكال ملكية أية قطعة من أراضيه لأى دولة عدا بريطانيا(٢) ، أما الموقف البريطاني من الشيخ خزعل خان حاكم المحمرة فقد كان شبيهاً بموقفها من الكويت إلا أن الضمانات التى أعطتها بريطانيا له كانت لاترقى لمستوى الضمانات التى أُعطيت للكويت وأهمها كان ضرورة التزامه بتعليمات حكومة بريطانيا(٣) .

لقد استطاعت بريطانيا أن تنتزع من فرنسا وفارس سنة ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م اعترافا صريحا بأن شئون امارات الساحل المهادن وشيوخه هي من اختصاص الحكومة البريطانية وحدها(٤) ، وهذا يعنى أن دفاع بريطانيا عن حدود مشيخات الساحل العمانى أصبح ضرورياً ، لتحافظ على مصالحها في تلك المنطقة ولتقف دون ضم منطقة الساحل العمانى لأى قوة تستحوذ على وسط وأطراف الجزيرة العربية ، وتقف فوق مياه الخليج العربى لتحمى امارات

---

(1) Muahede Name, Numarasi, 242/8, Osmanli Arsivi Daire Baskanligi. Ist;

أمين الريحانى : ملوك العرب ، ج٢ ، ص١٧٨ .

(٢) لوتسكى : المرجع السابق ، ص٤٢٠ .

(٣) منيرة العرينان : المرجع السابق ، ص١٤١ .

(٤) جمال زكريا قاسم : دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠ ـ ١٩١٤م ، ص١٤٣ .

الساحل العماني من التهديد الفارسي الذى استحدثته بريطانيا ذاتها حين انتزعت من العرب لصالح فارس أراضيهم على الساحل الشرقى للخليج[1] .

وكانت زيارة اللورد كيرزون Curzon نائب الملك في الهند إلى الخليج العربى في أواخر سنة ١٣٢١هـ ، أواخر سنة ١٩٠٣م تأكيداً على حرص بريطانيا في المحافظة على مصالحها في الساحل المهادن ، ولاسيما أن الدولة العثمانية كانت تملك من النفوذ على أمراء الخليج مايثير رعب الساسة البريطانيين وفى مقدمتهم اللورد كيرزون الذى كان « يرى أن استمرار بريطانيا في الاعتراف بالسيادة العثمانية سيؤدى حتما إلى اضرار بالمصالح البريطانية في الخليج ، وايجاد متاعب بالغة الخطورة »[2] وكذلك كان اللورد هاردنج Hardinge حاكم الهند الذى أشار إلى أنه على بريطانيا أن لاتعترف بأية سيادة للعثمانيين في الخليج ، لأن ذلك سيكون بمثابة عامل مشجع لمد سيطرتهم إلى باقى أجزاء الساحل العمانى ، وحينئذ يفقد شيوخ المنطقة كل ثقتهم في الحماية البريطانية التى لن يكون لها أى جدوى أمام التقدم العثمانى[3] ، وأكدت بريطانيا ذلك حين أعلن شيخ الكويت أن حدود امارته تمتد إلى الفاو شمالا ، لتسارع بريطانيا وتعلن مساندتها له فى مطالبه ، كما احتج المعتمد البريطاني في الخليج السير بيرسى كوكس Persy CoX على مساعدة العثمانيين لابن رشيد سنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م لأن ذلك يعتبر تهديداً للكويت ، وبالتالى إضعافاً لمركز بريطانيا على ساحل الخليج[4] .

---

(١) عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ـ دراسة وثائقية ـ ص٣٦٥ ـ ٣٦٦ .

(٢) جمال زكريا قاسم : دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠ ـ ١٩١٤ ، ص٢٦٥ .

(٣) فؤاد سعيد العابد : المرجع السابق ، ص٢٥٦ ـ ٢٥٧ .

(٤) منيرة العرينان : المرجع السابق ، ص١٨٢ ، ٢٢٠ .

وقد أصاب الذعر والخوف السلطات البريطانية عندما علمت بنجاح الامام عبد العزيز بن سعود في وسط نجد ، وبدأت بعثاتهم تصل إلى داخل الجزيرة لتقدم لهم التقارير عن الأحوال السياسية والعلاقات الداخلية(١) ، وبدأت تدخلاتها في شئون الساحل أمام منطقة الأحساء ، لاعتقادها أن أى تحرك يقوم به ابن سعود نحو الساحل الشرقى سيهدد مصالحها ويؤثر على نفوذها في الساحل العماني ، وعندئذ انقسم الساسة البريطانيون على أنفسهم ، فحكومة الهند البريطانية كانت ترى أهمية مساندة ابن سعود لأنه سيحافظ على الأمن والاستقرار هناك أما حكومة لندن فكانت ترى أن مصالح بريطانيا لاتتعدى الخليج العربي أما الخليج العربى وسواحله ، فهي بالتالى لم تر ضرورة للتعامل معه(٢) .

أما في سواحل جنوب الجزيرة العربية فقد زاد تمركز القوات البريطانية فيها منذ إستيلاء البريطانيين على ميناء عدن في ٤ ذى القعدة ١٢٥٤هـ / ١٩ يناير ١٨٣٩م ، حيث بدأوا في مد نفوذهم شرقا وشمالا ، وأسسوالهم محمية كبيرة ، سرعان ماقسمت إلى قسمين رئيسيين هما :

١ ـ محمية عدن الغربية وضمت بالاضافة إلى عدن ثمان سلطنات وامارتين وثمان مشيخات .

٢ ـ محمية عدن الشرقية وتتألف من خمس سلطنات ومشيختين(٣) .

وهكذا انطلق البريطانيون من عدن في السيطرة على بقية أجزاء جنوب الجزيرة العربية .

---

(1) F. O. 424/222, Enclosure in, No. 85, Government of India to Viscount Morley, 19. 3.1910. p. 143.

(٢) تركى بن محمد بن سعود الكبير : علاقة بريطانيا بالملك عبد العزيز آل سعود ١٩٠٢ ـ ١٩٢٥ ، ص٢ .

(٣) سيد مصطفى سالم : المرجع السابق ، ص٥٧ ؛ عبد الكريم محمد غرايبة : المرجع السابق ، ص٢٢٠ ـ ٢٢١ .

ولم تكن السياسة البريطانية في الساحل الجنوبى للجزيرة العربية تختلف عن سياستها في الساحل الشرقى فكانت صياغة المعاهدات مع الأمراء المحليين وشيوخ المناطق ذات مدلول واحد هو : « لايحق للأمير أو السلطان أو الشيخ أن يفاوض أو يراسل دولة أخرى أو يعاهدها أو يقبل مساعدات مالية منها بدون معرفة بريطانيا العظمى واجازتها كما لايحق لهذا المتعاقد معهم أو ذاك أن يبيع أو يؤجر أو يهب أو يرهن شيئا من ارضه أو ملكه لغير الحكومة البريطانية »(١) ، وبهذا التقييد في نصوص تلك المعاهدات استطاعت بريطانيا أن تفرض سيطرتها التامة وحمايتها على جنوب الجزيرة العربية ، وأن تتصدى للدولة العثمانية هناك ، بل وحتى لجميع المنافسين الأوربيين ، لتحقق بذلك أطماعها وأهدافها الاستعمارية .

تطور الموقف البريطانى على سواحل الجزيرة العربية تبعا لتطور الأحداث التاريخية حيث بدأت السياسة البريطانية في اتخاذ مواقف أكثر حزما تجاه شيوخ الساحل الخليجى وتجاه الدولة العثمانية قبيل حروب البلقان ، وتمثل ذلك في انزعاج السلطات البريطانية تجاه التحركات العثمانية التى ظهرت فوق الساحل القطرى في طريقها إلى الساحل العمانى ، حينئذ كان توجيه وزير خارجية بريطانيا يقضى بالموافقة على تحرك قطع من الأسطول البريطانى إلى تلك الجهات لتحول دون وصول العثمانيين إليها ، على أن تتحول تلك القطع إلى رأس الخليج بعد ذلك وتبقى هناك أطول وقت ممكن(٢) ، بينما كان يرى بعض الساسة البريطانيين أن إعلان الاتفاقية التى تمت مع شيخ

---

(١) فاروق عثمان أباظة : الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ ـ ١٩١٨م ، ص٣٣٢ .
(2) F. O. 424/225, No. 129, foreign office to Admiralty, F. O, 14. 12. 1910. p. 144.

الكويت سيؤدى إلى ايقاف التحركات العثمانية التى تتجه إلى سواحل الخليج العربى[١] ، لكن قيام الحرب الطرابلسية ، وتدهور الأوضاع في شبه جزيرة البلقان جعل الدولة العثمانية تغير من سياستها وتطلب إلى الوالى العثمانى في بغداد عدم اثارة مسائل الخليج العربى مع البريطانيين ، ومحاولة الاحتفاظ معهم بعلاقات ودية[٢] ، لأن الأوضاع السياسية والعسكرية فى الدولة لاتشجع على فتح جبهة حربية جديدة ، ومع ذلك فان آراء وزير خارجية بريطانيا والمعتمد البريطانى في الخليج كانت متفقة على أهمية إحكام القبضة البريطانية على مشائخ الساحل العمانى ، والسيطرة على مصائد اللؤلؤ في تلك المناطق لابعاد الخطر عن المصالح البريطانية من أية قوى كانت[٣] .

وقد أدرك البريطانيون أن سيطرة العثمانيين على قطر أمر لايمكن التغاضى عنه ، لأن ذلك سيمكنهم من التحرك السياسى النشط في الجزيرة العربية وعلى مياه الخليج العربى ، وستحل الكارثة لو تمكن العثمانيون من الخليج العربى وسواحله الغربية ، وانتهى الرأى إلى أن الوضع يمكن حسمه بعمل عسكري وذلك باحتلال الدوحة والفاو واذا دعت الضرورة فيمكن احتلال البصرة بصفة مؤقتة ، واذا أدى هذا العمل العسكرى المحدود إلى تصاعد الحرب مع العثمانيين فتجب السيطرة على شط العرب[٤] .

---

(1) F. O. 424/226, No. 57, Mr. Marling to Sir, E. Grey, Constantinople, 17. 1. 1911. p. 47 .

(2) F. O. 424/229, No. 152, Sir, G. Lowther to Sir, E. Grey, Pera, 22. 12. 1911. pp. 176 -- 178.

(3) F. O. 424/231, No. 25, Foreign office to India office F. O, 15. 4. 1912. pp. . 20-21.

(٤) عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم : السلام البريطاني في الخليج العربى ١٨٩٩ ــ ١٩٤٧م ، ص١٥٣ ــ ١٥٤

وقد استطاعت بريطانيا الحصول على تعهد من شيخ البحرين فى ٥ رجب ١٣٣٠هـ / ١٩ يونيو ١٩١٢م باعطائها حق الامتياز في تأسيس محطة للتلغراف اللاسلكى في البحرين[١] ، كما منح شيخ الكويت امتيازاً آخر للحكومة البريطانية يسمح لها بمد خط تلغرافى من العراق إلى الكويت وذلك بتاريخ ١٢ شعبان ١٣٣٠هـ / ٢٦ يوليو ١٩١٢م[٢] ، وهذا دون شك يعطينا تفسيراً واضحاً لما كان يعنيه وزير خارجية بريطانيا السير ادوارد غراى حين قال : « نحن الانكليز ليس لنا اهداف سياسية فى آسيا الصغرى ، ان جُلُّ مانتمناه أن يظل الوضع هناك وضعا نرضى عنه ، ويؤمن الاستقرار فى منطقة الخليج الفارسى [العربى] وسواحله ويقيها شرّ القلاقل والاضطرابات »[٣] .

وعندما تسارعت الأحداث على الدولة العثمانية وتتابعت انكساراتها في حروب البلقان أصبح الموقف البريطاني على سواحل الجزيرة العربية متأثراً بصورة مباشرة بتلك الأحداث ، ففى مذكرة قدمتها لجنة الدفاع عن الامبراطورية في ٩ صفر ١٣٣١هـ ١٧يناير ١٩١٣م عن الاستراتيجية البريطانية في الخليج العربى ، اشارة إلى أن أي عمليات حربية عند مدخل الخليج يجب أن تكون على الساحل الغربى للخليج[٤]، بينما أوصى المقيم البريطاني في الخليج بيرسى كوكس Persy Cox بعقد معاهدة مع شيخ قطر تمنحه الاستقلال الذاتى ، على أن تتعهد له بريطانيا بالحماية من جهة البحر وتقدم له الضمانات بمنع أى هجوم عليه من جهة البر[٥] ، وقد أعطت الحكومة

(١) سعيد خليل هاشم : تاريخ البحرين من الحماية إلى الاستقلال من ١٨٦١ ـ ١٩٧١م ، ص٢٤٦ .

(٢) أحمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ الكويت الحديث ١٧٥٠ ـ ١٩٦٥م ، ص٣٣١ .

(٣) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص١١١ .

(٤) عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم : سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربى ، ص٣٧ .

(٥) فتوح عبد المحسن الخترش ، وعبد العزيز محمد المنصور : مصادر تاريخ قطر ١٨٦٨ ـ ١٩١٦م ، ص٤٧ .

البريطانية على لسان وزير خارجيتها تعهداً بعدم السماح لشيخ البحرين بالتدخل في شئون قطر الداخلية[1] .

كما وقف الساسة البريطانيون موقف الحياد الحذر مع الامام عبد العزيز ابن سعود الذى استطاع أن يستعيد ملك آبائه في اقليم الأحساء ، مع ايمانهم بأن عدم التعامل معه سيكون مضرا بمصالحهم على طول المنطقة الساحلية للخليج العربى[2] .

لقد كانت الحكومة البريطانية مدركة أن الحروب البلقانية كانت مؤثرة جدا على الدولة العثمانية والمشرق العربى ، ولكن الساسة البريطانيين كانوا شديدى الحذر في التعامل السياسى سواء مع رجال الحكومة العثمانية أو مع غيرها كى لايثيروا الشك حول حقيقة موقفهم الذى بدأ يتحول إلى الرغبة في تفكك سلطة الدولة العثمانية في المشرق العربى العثمانى[3] ، وحاول هؤلاء الساسة أن يسترجعوا المواقف السياسية البريطانية في منطقة الجزيرة العربية منذ أوائل القرن العشرين كى يقف عليها الوكلاء والمعتمدون البريطانيون في الخليج ويسيروا وفق منهجها حتى يتضح الموقف النهائى للحكومتين العثمانية والبريطانية[4] .

---

(1) F. O. 424/239, No. 25, Foreign office to India office, F. O, 3. 7. 1913. p. 16 .

(2) F. O. 424/238, No. 335, Foreign office to India office,
F. O. 424/239, No. 16, Foreignoffice to India office, F. O, 2. 7. 1913. pp. 8-- 9 ;
F. O. 424/238, Enclosure 2, in No. 458, Shakes Pear to P. Cox, Koueit, 15. 5. 1913. pp. 369 -- 372.

(3) F. O. 424/239, No. 83, India office, to Foreign office F. O, 9. 7 1913 . pp. 63-- 64

(4) F. O. 424/238, No. 314, India office, to Foreign office F. O, 4, 6. 1913. p. 240;
F. O. 424/239, No. 26, Memorandum by Mr. Parkeson British Policy of Non-Intcrgerencein The Affairs of Nejd, Foreign office, 3. 7. 1913. pp. 16-- 17.

لقد عبرت احدى الصحف البريطانية عن الموقف البريطاني في الجزيرة العربية حينذاك حين قالت : « ان اهتمام انكلترة بما يحدث في البلاد العربية لهو أعظم أهمية مما يتصوره الناس ، فقد استولينا على عدن ولنا حق الحماية على كثير من الزعماء والقبائل في الداخلية ، ولنا فوق ذلك نفوذ الحماية على ساحل البلاد العربية الجنوبي إلى عمان ، ومصالحنا أعظم من مصالح سوانا وهي مؤيدة بالمعاهدات ، وبذلك نجد أن نصف السواحل العربية كائن فعلا ومباشرة تحت نفوذ انكلتره ولذلك قد تكون الأحوال هناك أحيانا ذات أهمية خاصة لانكلترة »[1] ، هذا المقال الذى بعث به مكاتب جريدة التايمز البريطانية في الاستانة أثناء حروب البلقان يعطى الدليل الواضح على مدى تأثير تلك الحرب على مواقف بريطانيا في سواحل الجزيرة العربية سواء كان ذلك على المستوى الرسمي أو على مستوى الرأى العام .

وبعد مناقشات حادة في مجلس العموم البريطاني حول حاجة بريطانيا للنفط في الخليج العربى ، حصلت بريطانيا على تعهد من شيخ الكويت فى ٢٧ ذو القعدة ١٣٣١هـ / ٢٧ أكتوبر ١٩١٣م بعدم منح امتياز استخراج البترول لأى شخص دون الرجوع إلى الحكومة البريطانية[2] ، وفى نفس العام عمدت الحكومة البريطانية إلى تطبيق القانون المدنى والجنائى الصادر في الهند عام ١٣٠٧هـ ـ ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م على امارة البحرين باعتبارها احدى مناطق النفوذ البريطاني[3] ، كما حرصت السياسة البريطانية على اعطاء امارة المحمرة

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٦ ، ص٤٧٢ .

(٢) بدر الدين عباس الخصوصي : التنافس الدولى حول الكويت في الفترة مابين ١٨٩٩ ـ ١٩٤٥ م ، ص١٠٢ ـ ١٠٣ ؛ عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم : السلام البريطاني في الخليج العربى ، ص١٤٧ ؛ فؤاد سعيد العابد : المرجع السابق ، ص١٩٥ .

(٣) سعيد خليل هاشم : المرجع السابق ، ص٢٤٦ .

الواقعة ضمن الممتلكات العثمانية نوعا من الاستقلال السياسى بدرجة تكفى لحماية المصالح البريطانية في شط العرب[1] ، أما في الساحل الجنوبى للجزيرة العربية فقد رأى البريطانيون أن يمدوا حدود محمية عدن من ناحية الشمال الشرقى عبر الصحراء بحيث يقابل خط الحدود المرسوم جنوب خليج العقير[2] .

وفى المعاهدة التى وقعها وزير خارجية بريطانيا اللورد ادوارد جراى Edward Grey ، ومندوب الدولة العثمانية حقى باشا في لندن بتاريخ ٢٥ شعبان ١٣٣١هـ / ٢٩ يوليو ١٩١٣م ، والتى سيتطرق اليها البحث في صفحات لاحقه في تلك المعاهدة أعطت المادة السادسة عشر للحكومة البريطانية الحق في القيام باجراءات بوليسية بحرية بصفة مستمرة في مياه الخليج وعلى طول الساحل العمانى من جنوب قطر وحتى المحيط الهندى[3] ، وفى ذلك تاكيد على عمق القلق الذى كان يعيشه رجال السياسة في الحكومة البريطانية فيما يتعلق بالساحل الشرقى للجزيرة العربية ، بعد هزائم الدولة العثمانية في البلقان واهتزاز مركزها في المشرق العربى .

ورغم أن سياسة الحكومة البريطانية شبه الثابتة هى عدم التدخل في الشئون الداخلية لشيوخ الساحل العماني ، إلا أن الأحداث التاريخية في هذه الفترة أحدثت تغيراً جذرياً في تلك السياسة ، فبينما توافق وزارة الخارجية على رأى يدعو باستخدام القوة ضد أى تدخل في شئون قطر ، كان نائب الملك

---

(١) مصطفى عبد القادر النجار : امارة المحمرة ـ دراسة لتاريخها العربى ١٨١٢ ـ ١٩٢٥م ، ص٣٢ ـ ٣٣ .

(٢) فاروق عثمان أباظة : مستقبل الجانب الشرقى من الدولة العثمانية في نظر حكومة الهند البريطانية ... ، ص٥٩ .

(3) Muahede Name, Numarasi, 242/8. Osmanli Arsivi Daire Baskanligi. Ist.

في الهند يوصى بتوجيه النصح لرؤساء الساحل العماني كى لايقوموا بأى عمل استفزازى ضد ابن سعود ، لأن ذلك سيضطره لاتخاذ موقف عدائى دائم وهذا بطبيعة الحال سيشكل ضرراً بالمصالح البريطانية ، أما المقيم البريطاني في الخليج بيرسى كوكس فقد افصح عن ذلك في برقية له إلى سلطنة نجد برقم ٣٣٨، وتاريخ ١٠ شوال ١٣٣١هـ / ١١ سبتمبر ١٩١٣م ، مشيراً فيها إلى أن الحكومة البريطانية لاتريد اثارة القلاقل والمتاعب بين الامارات العربية في الخليج التى يرتبط حكامها بعلاقات ومعاهدات مع الحكومة البريطانية(١) .

وفي الساحل الجنوبى للجزيرة العربية تبلور الموقف البريطانى ، فى استغلال بريطانيا لهزائم الدولة العثمانية في حرب البلقان لتحقق أهدافها الاستعمارية ومصالحها الاستراتيجية في ظل الأوضاع التى تمر بها الدولة العثمانية لتوقع معها في الثانى عشر من ربيع الثانى ١٣٣٢هـ / ٩ مارس ١٩١٤م اتفاقية لتحديد الحدود بين منطقتى النفوذ البريطانية والعثمانية في جنوب الجزيرة العربية وقد تضمنت هذه الاتفاقية تثبيت البروتوكولات التي وقعها المبعوثون العثمانيون والبريطانيون في سنوات سابقة ، والموافقة على تعيين الحدود بين ولاية اليمن وبين عدن والنواحى المحمية ، كما وافق الطرفان على بقاء منطقة جبل نعمان ـ حصن مراد ـ التى تبلغ مساحتها نحو ٥٥٠ ميلا مربعا داخل حدود السيادة العثمانية ، على أن لاتتنازل الدولة العثمانية عنها لأى دولة أخرى ، ثم حددت الاتفاقية حدود الأراضى العثمانية وفق خط مستقيم يبدأ من أكمة الشوب متجها للشمال الشرقى نحو صحراء الربع الخالى بانحراف ٤٥ْ ، ويلتقى عند خط العرض ٢٠ْ مع الخط المستقيم المتجه مباشرة نحو الجنوب ، والمبتدىء من نقطة واقعة على الشاطىء الجنوبى لخليج

---

(١) فتوح الخترش وعبد العزيز المنصور : المرجع السابق ، ص٤٨ ، ٥٠ ، ٧٠ ـ ٧١ .

العقير ، فاصلا الأراضى العثمانية من سنجق نجد وأرض قطر وفقا للاتفاقية الانجليزية العثمانية المؤرخة في ٢٩ يوليو ١٩١٣م ، وقد تخلت الدولة العثمانية في هذه الاتفاقية عن كل ماكان لها من حقوق ومطالب في حضرموت ، ثم تم التصديق على هذه الاتفاقيـة في العاشر من رجب ١٣٣٢هـ ، الثالث من يونيو ١٩١٤م[١] ، والتى اعترفت الدولة العثمانية بموجبها للحكومة البريطانية بالسيطرة الكاملة على الساحل الجنوبى للجزيرة العربية ، وهذا يؤكد ماذهبنا إليه من أن حروب البلقان قد ساعدت بريطانيا على تحقيق كثير من أهدافها وأطماعها الاستعمارية في الساحل الشرقى والجنوبى للجزيرة العربية ، وأصبح الموقف السياسى البريطاني في المنطقة يتأثر ايجابيا بالمتغيرات السياسية والعسكرية ، أو بمعنى آخر بتطورات الحرب البلقانية وبنتائجها .

(١) فاروق عثمان أباظة : الحكم العثمانى في اليمن .... ، ص٣٣٩ ـ ٣٤٠ ؛ فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩ ـ ١٩١٨م ، ص٥٥٤ ـ ٥٥٥ ؛ جاد طه : المرجع السابق ، ص٣٣٧ ـ ٣٣٨ .

ب ـ سياسة بريطانيا نحو الخليج العربى .

تعتبر سياسة بريطانيا في الخليج العربى من الأحداث التاريخية الهامة التى تشكل منعطفاً خطيراً في تاريخ المنطقة ، لأن الحكومة البريطانية كانت ترى أن وجود أى تهديد لمياه الخليج العربى ، أو سيطرة أية دولة أوربية عليه بمثابة تهديد مباشر لدرة التاج البريطانى (الهند) فالخليج العربى يقع فى اطار القشرة الواقية للهند التى تمثلها الجزيرة العربية إن لم يكن الخليج العربى هو مرتكز تلك النظرية التى عملت بها السياسة البريطانية فترة زمنية طويلة .

وتمكنت السياسة البريطانية من التصدى للأطماع الفرنسية والروسية والألمانية في الخليج العربى ، ثم تمكنت من اخراج معظم مناطق الخليج تدريجياً من أيدى الدولة العثمانية[١] ، ولا شك في أن الضعف الذى عاشته الدولة العثمانية وانغماسها في مشكلات سياسية وعسكرية بسبب حروب البلقان ، كل ذلك أعطى الفرصة لبريطانيا كى تنظم علاقاتها بامارات الخليج العربى وتدعم نفوذها فوق مياهه[٢] .

لقد استطاعت الحكومة البريطانية أن تظل صاحبة السيادة في منطقة الخليج العربى ، وأن تتغلب على جميع منافسيها بالتهديد حينا ، وبالدبلوماسية حينا آخر[٣] ، وكان الوكلاء السياسيون لبريطانيا في الخليج يرصدون كل التحركات العسكرية والسياسية التى تدور في الخليج العربى ، وينقلونها إلى

---

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص٢٠٣ ـ ٢٠٦ ، ٢١٢ ـ ٢١٣ .

(٢) جمال زكريا قاسم : النزاع البريطاني العثمانى في الخليج ... ، المجلة التاريخية المغربية ، السنة العاشرة ، العدد ٢٩ ـ ٣٠ ، ص٣٥٥ ؛ عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : السلام البريطانى في الخليج العربى ١٨٩٩ ـ ١٩٤٧م ، ص١١٧ .

(٣) منيرة العرينان : المرجع السابق ، ص١٤٦ .

السفارة البريطانية في الآستانة التى تقوم بمتابعة مستمرة للأوضاع السائدة في الخليج والتى تمس المصالح البريطانية هناك ، حيث تقوم بدورها باعطاء التعليمات الموجهة لها من حكومة لندن[١] .

ورغم أن استعمال البرق قد أدى إلى متغيرات في السياسة البريطانية ، حيث زاد الارتباط بين حكومة لندن وحكومة كلكتا وضعفت سيطرة حكومة بومباى[٢] ، فان سياسة بريطانيا في الخليج العربى كانت من اختصاص حكومة الهند من جهة ووزراء الخارجية ووزراء المستعمرات من جهة ثانية وذلك من خلال المقيم السياسى العام فى بوشهر ، الذى أصبح فى كثير من الأحيان يرسم السياسة التى لم تلبث أن توافقه عليها كلكتا ثم لندن ، وكان للمقيم وكلاء سياسيون في كل من الكويت والبحرين ومسقط وبندر عباس برتبة قنصل ، أما فى المحمرة فمساعد وكيل برتبة نائب قنصل ، ووكلاء وطنيون في ساحل عمان متصلون بوكيل سياسى بريطانى في الشارقة[٣] .

وعندما حاولت حكومة الاتحاد والترقى اخضاع شيخ الكويت وبعض أمراء الخليج العربى ، كانت السفارة البريطانية في الآستانة ترفع التقارير إلى وزير الخارجية ادوارد جراى وتبيّن فيها مدى المخاطر التى أصبحت تهدد النفوذ البريطاني في الخليج نتيجة للتحركات العثمانية ، التى سيكون تأثيرها على عرب الخليج قوياً ، سيما وأن الروابط الدينية هى التى يحاول العثمانيون

---

(1) F. O. 424/223, Enclosure, in No. 33, Consul Crow to Sir, G. Lowther, Bussorah, 26. 3. 1910. p. 66;
F. O. 424/222, No. 72, Foreign office to India office
F. O. 10. 3. 1910. p. 112.

(٢) عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم : سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربى ، ص٢٠٨ .
(٣) منيرة العرينان : المرجع السابق ، ص٢٤ .

الدخول من خلالها ، والحكومة العثمانية لم ولن ترضى بالحماية البريطانية على شيوخ الكويت والمحمرة كما تقول تلك التقارير[١] .

وقد حاول حقى باشا أن يكسب ود الحكومة البريطانية حينما قال : « إن الدولة العثمانية لاتعارض المطالب البريطانية بخصوص القسم الجنوبى من خط حديد بغداد ، ولكنها تتألم لتشجيع الكويت على الانفصال وترى فى ذلك مقدمة لاستيلاء بريطانيا عليها ، بل وبسط نفوذها في جنوب العراق »[٢] ، بيد أن اللورد كيرزون Curzon ، نائب الملك في الهند أعلنها صريحة في مجلس اللوردات البريطانى سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م حين أشار إلى أنه من الخطأ الاعتقاد بأن مصالح بريطانيا السياسية مقصورة على الخليج العربى أو فى المنطقة الواقعة بين البصرة وبغداد ، ولكنها تمتد إلى بغداد نفسها[٣] .

وكانت البحرين تمثل أهمية خاصة لدى الساسة البريطانيين ، حيث اتخذت منها بريطانيا قاعدة حربية في وسط مياه الخليج العربى ، وأعلنت رفضها الكامل لتدخل الوالى العثمانى في البصرة في شئون البحرين ، واعتبرت أن أى عمل يقوم به العثمانيون ضد البحرين سيكون موجها للحكومة البريطانية ذاتها ، وقد كتب وزير الخارجية البريطاني إلى سفير حكومته في عاصمة الدولة العثمانية كي ينقل للمسئولين العثمانيين انزعاج حكومة بريطانيا من تدخلات والى البصرة العثمانى في شؤون البحرين وأن ذلك يعتبر خرقا صارخا للمصالح البريطانية ، وسيؤثر بالتالي على العلاقات السياسية بين

(1) F. O. 424/226, No. 57, Mr, Marling to Sir, E. Grey, Constantinople, 17. 1. 1911. p. 47;
F. O. 424/250, Annual, Report, 1910, No. 103, G. Lowther to E. Grey, 14. 2. 1911. p. 8.

(٢) صلاح العقاد : المرجع السابق ، ص٢١٩ .

(٣) عبد الرحمن البزاز : العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، ص٦ .

الدولة العثمانية وبريطانيا مالم يقم المسؤولون العثمانيون بتدارك الوضع والحد من تصرفات الوالي[١] .

وقد استمالت الحكومة البريطانية شيخ البحرين إلى جانبها لتوقع معه اتفاقية سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م لاستغلال مصائد اللؤلؤ والاسفنج ، وان لايمنح أى امتياز في أرض البحرين دون موافقة بريطانيا[٢] ، وعلى نفس النهج السياسى هذا وفى نفس العام وقّعت الحكومة البريطانية مع الشيخ خزعل خان شيخ المحمرة اتفاقا يقضى بألا يمنح امتيازات باستخراج اللؤلؤ أو الاسفنج إلا برخصة من بريطانيا[٣] ، لكن تفجر البترول في أراضى عربستان جعل بريطانيا تسعى لتطوير علاقاتها مع شيخ المحمرة وفرض سيطرتها عليه ، خوفا على نفوذها ومصالحها فى الخليج العربى الذى أصبح منفذا مهما للبترول[٤] .

وعند قيام الحرب الطرابلسية ، وحينما طلبت الدولة العثمانية على لسان سفيرها في لندن توفيق باشا إلى الدول الأوربية وفى مقدمتها بريطانيا أن تسعى لاعادة سيادة الدولة على ولاية طرابلس الغرب ، لم ينس وزير خارجية بريطانيا إلى أن يشير إلى ضرورة حل مسألة خط حديد بغداد ووصله بالخليج العربى بما يتفق ومصلحة بريطانيا، وذلك كشرط أساسى للمشاركة في تلك الجهود التى تطلبها الدولة العثمانية[٥] ، ولاحظ السفير البريطانى في الاستانة فيما بعد أن موقف حكومته من مسألة الجزء الأخير من سكة حديد بغداد قد

(1) F. O. 424/226, No. 144, Sir, E. Grey to Sir G. Lowther, F. O, 27. 3. 1191. p. 142.
(2) Kirk, op. cit, pp. 96-- 97;

محمد عرابى نخلة : المرجع السابق ، ص٢٢٥ .

(٣) مصطفى عبد القادر النجار : امارة المحمرة دراسة لتاريخها العربى ١٨١٢ ـ ١٩٢٥م ، ص٣٢ .

(٤) منيرة العرينان : المرجع السابق ، ص١٦٨ .

(٥) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٣٦٦ ـ ٣٦٧ .

أثار الصحافة العثمانية في عاصمة الدولة ، على ضوء التقارير الواردة والتى تنبىء بوجود تقارب المانى مع بريطانيا فيما يخص الأوضاع في المشرق العربى العثمانى ، وهو يتمنى على حكومته أن تكون سياستها في الخليج العربى متفقة مع مصالح بريطانيا الاستراتيجية[١] .

وقد تأثرت سياسة بريطانيا في الخليج العربى بالأزمات التى عاشتها الدولة العثمانية في شبه جزيرة البلقان ، وهزائم الدولة في حروبها البلقانية ، فوزير الخارجية البريطاني في لندن لم تعد تثيره محاولات الوالى العثمانى في البصرة تجاه البحرين ، وهو لايرى ضرورة لتقديم احتجاج لحكومة العاصمة العثمانية في الوقت الحاضر ، حتى تظهر التطورات المستقبلية مايوجب ذلك على حد تعبيره[٢] ، أما حكومة الهند البريطانية فقد كانت ترى أن السيطرة البحرية على الخليج العربى أمر لابد منه للحفاظ على المصالح البريطانية ، وأن احتلال مواقع استراتيجية في الخليج لاقامة قواعد عسكرية بحرية سيدعم سيطرة الحكومة البريطانية على مياه الخليج العربى ، الذى تعتبره حكومة الهند شبيها بميناء عدن وجبل طارق في أهميته الاستراتيجية لمصالح بريطانيا[٣] ، وقد حاولت حكومة الهند أن تشير من طرف خفى إلى تلك الظروف التى تعيشها الدولة العثمانية وفي مقدمتها هزائم حرب البلقان كى تقوم الحكومة العثمانية بتسوية مسألة الخليج العربى مع الحكومة البريطانية من خلال المفاوضات الجارية في لندن[٤] ، والتى انتهت بطبيعة الحال بتوقيع

(1) F. O. 424/245, No. 378, Sir, G. Lowther to Sir, E. Grey, Constantinople, 17. 5. 1913. p. 211 .

(2) F. O. 424/232, No. 153, Foreign office to India office F. o, 22, 8, 1912. p. 122 .

(3) F. O. 424/237, Enclosure in No. 20, Government of India to Crewe, 8. 1. 1913. pp. 18-- 19.

(4) F. O. 424/238, Enclosure in No. 314, Government of India to Crewe, 31. 5. 1913. p. 241.

المعاهدة الانجليزية العثمانية التى سنتحدث عنها في هذا الفصل ، ولكن الايحاء البريطانى هذا تأكيد على ماذهبنا اليه من أن سياسة بريطانيا في الخليج العربى قد استفادت من حروب البلقان وتأثرت بها ايجابياً الاستراتيجية الاستعمارية البريطانية في المنطقة .

وعندما استطاع الامام عبد العزيز آل سعود الاستيلاء على الاحساء ، أدركت الحكومة البريطانية أن الدولة العثمانية أعجز من أن تستعيد مكانتها في اقليم الأحساء ، وآثار هزائمها في حرب البلقان لاتزال قائمة ، لذا كان المقيم البريطاني في الخليج يرى أن أى تحرك تقوم به القوات العثمانية من البحر ضد القوات السعودية سيؤثر بالتالى على المصالح البريطانية في الخليج ، لأن ابن سعود أصبح قوة فعالة على الساحل الخليجى ، وليس من الحكمة كما يرى المقيم البريطاني احداث مواجهة مع الدولة السعودية الفتية بل من الأفضل للسياسة البريطانية التعايش مع الواقع العملى والتعامل مع ابن سعود كقوة مؤثرة ذات مستقبل كبير ، ولاسيما أن القوة البحرية العثمانية الموجودة في البحرين لن تستطيع تحقيق أهدافها في المناطق التى استعادها ابن سعود(١) وقد شاركت حكومة الهند البريطانية المقيم البريطاني في توجهاته ورأت أن خير وسيلة للمحافظة على مصالحها في منطقة الخليج العربى فى هذه الفترة هي اقامة علاقات ودية مع الإمام عبد العزيز آل سعود ودولته الناشئة(٢) .

---

(1) F. O. 424/238, Enclosure 1in No. 458, P. Cox to Government of India, 26. 5. 1913. pp. 368-- 369;
F. O. 424/239, Enclosure 2in No. 109, P. Cox to Government of India, 30. 5. 1913. p. 85.

(٢) مديحة أحمد درويش : تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ، ص٨٣ .

ولأن الصورة السياسية حيال العلاقات مع ابن سعود لم تتضح بعد في دهاليز السياسة البريطانية فقد رأى المقيم البريطاني في الخليج أن تحذير الدولة العثمانية كي لاتتخذ من البحرين قاعدة لعملياتها ضد ابن سعود هو خير علاج للحفاظ على المصالح البريطانية ، وهو لايرى مانعا من أن تتخذ القوات العثمانية موقعا آخر لها لمهاجمة ابن سعود كالبصرة مثلا أو ماشابهها من الأراضي التى لاتمس أمن الخليج العربى بسوء ، ولاسيما أن شيخ البحرين بدأ يشعر بأن ذلك الاجراء العثماني سيدخله في نزاع مع ابن سعود وهو لايرغب في ذلك كما يقول المقيم البريطاني(١) .

وقد عبر السير ادوارد غراى Edward Grey وزير الخارجية البريطانى عن موقف حكومته من الأهداف العثمانية في شبه جزيرة قطر وتدخلها في الأمور الداخلية والخارجية للكويت ، حين أشار إلى أن الحكومة العثمانية لم يعد لها أى نفوذ في تلك الجهات ، وأى تحرك عثماني يعتبر مخالفا لبنود الاتفاقية التى سيتم التصديق على بنودها قريبا ، وطلب الوزير البريطاني من السير برسى كوكس Persy Cox المقيم البريطانى في الخليج أن ينقل إلى شيخ الكويت حقيقة هذه الاعتبارات ، ويوعز له بأن لايستقبل أى وكيل عثمانى في امارته حتى يتم اشعاره ببنود الاتفاقية بعد تصديقها ، ورأى الوزير البريطانى أن من الحكمة منح شيخ الكويت وساماً جديداً اذا قبل تلك الاتفاقية(٢) ، ويرى أحد المؤرخين أن بريطانيا كانت تخشى على نفوذها في الخليج العربى اذا بقى

(1) F. O. 424/239, Enclosure 3in No. 109, P. Cox to Government of India, Bushire, 5. 6. 1913 . p. 85.

(2) F. O. 424/238, No. 313, Foreign office to India office F. O, 4. 6. 1913. p. 240;

رأفت غنيمى الشيخ : امارة قطر قبيل الحرب العالمية الأولى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٢٧ ، سنة ١٩٨١م ، ص١٦٩ .

الشريط الساحلى الممتد من الكويت إلى قطر تحت السيطرة الفعلية للدولة العثمانية ، لأن ذلك سيزيد من نفوذ العثمانيين ومن ورائهم الألمان في مياه الخليج(١) .

لقد كانت نهاية حرب البلقان وانكسار الدولة العثمانية فيها تشكل مسألة حاسمة في العلاقات الدولية ، فالبريطانيون كانوا على استعداد لعمل أى شيء يؤدى إلى تحقيق الأمن الكامل في الخليج العربى من أجل حماية المصالح البريطانية الاستعمارية في المنطقة ، ولعل التحرك البريطاني في إتجاه عقد إتفاقية مع ألمانيا بشأن سكة حديد بغداد مظهر بارز من مظاهر السياسة البريطانية في الخليج ، لأن المانيا يمكنها أن تكون حاجزاً أكثر فعالية من الدولة العثمانية المنهكة ضد الخطر الروسى في شمال الخليج(٢) .

وكان اللورد كتشنر Lord, Kitchener المعتمد البريطانى في القاهرة يرى أن اقتطاع جزء من سورية الجنوبية يمتد على وجه التقريب من خليج حيفا ـ عكا على البحر المتوسط إلى خليج العقبة على البحر الأحمر ، ووضعه تحت الحماية البريطانية ، سيكفل للنفوذ البريطانى الامتداد من مصر حتى الخليج العربى دون انقطاع ، وبالتالى المحافظة على مركز بريطانيا العظمى في الخليج العربى والهند أمام التهديدات الأوربية المحتملة(٣) .

ويرى أحد المؤرخين أن أبعاد الدبلوماسية البريطانية في الخليج العربى قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى كانت تتلخص في أربع نقاط رئيسية هى :

أولا : نجاح بريطانيا في مواجهة التحديات الفعلية والمفترضة من جانب فرنسا وروسيا والمانيا والدولة العثمانية .

---

(١) فوزى أسعد نقيطى : المرجع السابق ، ص٤٢ .

(2) Taylor, op. cit, pp. 504-- 505.

(٣) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص٢٠٨ .

ثانياً : الارتباط الكامل للدبلوماسية البريطانية في الخليج العربى بالأزمات التى حدثت قبل الحرب العالمية الأولى ومنها الاتفاقيات التى تبرمها مع الدول الأوربية أو الدولة العثمانية ، ومنها الأزمات العسكرية التى تشهدها الساحة الدولية كالحرب الطرابلسية وحروب البلقان .

ثالثاً : نظرت الدبلوماسية البريطانية إلى الخليج العربى باعتباره كياناً سياسياً واحداً ، حيث اقتضت دواعى الأمن والتحديات المتعددة ، الربط بين كل أجزاء الخليج كى تتحقق السيطرة البريطانية الفعالة عليه .

رابعاً : تأثر الوضع البريطاني في الخليج العربى بالاحتكاك بين وزارة الخارجية في لندن وحكومة الهند فبينما كانت الحكومة البريطانية ترى أن بعض المشكلات في الخليج هي من اختصاص وزارة الخارجية كانت حكومة الهند ترى أن ذلك من اختصاصها في المقام الأول ولكن الحرب العالمية الأولى وضعت كل من حكومة الهند ووزارة الخارجية أمام مشكلات عاجلة تتعلق بالمصالح البريطانية في الخليج العربى(١) .

لقد أدركت الحكومة البريطانية الآثار السيئة التى خلفتها حروب البلقان على أوضاع الدولة العثمانية السياسية والعسكرية ، فانتهزت الفرصة واستفادت بالتالى من نتائج هذه الحروب فوائد لم تحصل عليها الدول البلقانية ذاتها(٢) ، حيث بدأت بريطانيا في تدعيم سيطرتها المطلقة في الخليج العربى ، ففى ١٠ شوال ١٣٣١هـ / ١١سبتمبر ١٩١٢م كتب المقيم البريطاني في الخليج بأمر من حكومتى لندن والهند إلى الإمام عبد العزيز آل سعود يدعوه

---

(١) ايمان محمد عبد المنعم عامر : المرجع السابق ، ص١٨ .

(٢) جريدة الاصلاح عدد ٥٦ ـ ١٤٥١ فى ١١ شعبان ١٣٣١هـ .

إلى المحافظة على الأمن في المشيخات العربية التى تخضع للحماية البريطانية ، وضمان استقلال شيخ قطر كى تحافظ بريطانيا من جانبها على علاقات الصداقة معه[١] ، وفي ٢٧ ذو القعدة ١٣٣١هـ / ٢٧ اكتوبر ١٩١٣م حصلت بريطانيا من شيخ الكويت على تعهد يعطيها حق الامتياز في التنقيب عن البترول في أرض الكويت ، وأن لايسمح لأى شخص في الحصول على هذا الامتياز إلا من تعينه الحكومة البريطانية[٢] ، وأخيراً حصلت الحكومة البريطانية من شيخ البحرين في التاسع عشر من جمادى الثانية ١٣٣٢هـ / ١٤ مايو ١٩١٤م على تعهد بألا يسمح باستغلال البترول لأى شخص ولا حتى يقوم باستغلاله بنفسه إلا بعد الحصول على موافقة الوكيل السياسى في البحرين[٣] .

هكذا اذا أصبحت بريطانيا سيدة الموقف في الخليج العربى من وسطه إلى شماله ، ففى السابق كانت تخشى الاتصال بالأمير السعودى كي لايؤثر ذلك على علاقاتها مع الدولة العثمانية ، أما الآن فهى تؤمن بالأمر الواقع وتتخاطب مع سيد الجزيرة العربية صاحب القوة المستقبلية الذى فرض نفسه على ساحة الأحداث التاريخية ، أما امارات الخليج الأخرى فالسياسة البريطانية فيها أصبحت واضحة ، وهى فرض السيطرة الكاملة باسم المعاهدات والاتفاقيات التى تمليها الحكومة البريطانية وفق مصالحها واستراتيجيتها في الخليج .

---

(١) عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : السلام البريطاني في الخليج العربى ١٨٩٩ ـ ١٩٤٧م ، ص١٧٤ .
(٢) حسن على الابراهيم : المرجع السابق ، ص٦٤ .
(٣) سعيد خليل هاشم : المرجع السابق ، ص٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

وأخيراً توصلت الحكومة البريطانية إلى اتفاق مع المانيا في أواخر شهر شعبان ١٣٣٢هـ / منتصف يوليو ١٩١٤م ، يقضى بأن تكون البصرة نهاية للسكة الحديد وعلى أن لايصل الخط إلى الخليج إلا بموافقة بريطانيا ، وأن يتم انتخاب عضوين بريطانيين في هيئة ادارة شركة سكة حديد بغداد ، ولكن قيام الحرب العالمية الأولى واعلان بريطانيا الحماية على الكويت وزحف قواتها على العراق حال دون تنفيذ هذه الاتفاقية[١] .

ولقد كانت السياسة البريطانية في الخليج العربى تسير على قاعدة التدرج الطبيعى في ضفته الغربية ، لتتجنب بقدر الامكان اثارة المشاكل والبعد عن كل مايبعث القلق ويؤثر على المصالح البريطانية[٢] ، لكن حكومة لندن بدأت فى ارسال القوات العسكرية لترابط في البحرين ، وبالتالي حولت تلك الجزر إلى قاعدة حربية بريطانية منذ شهر ذى القعدة ١٣٣٢هـ اكتوبر ١٩١٤م ، رغم أن الدولة العثمانية لم تكن قد أعلنت الحرب بعد[٣] ، الا أن هذا يؤكد الحرص البريطاني الشديد على حماية مصالحها الاستراتيجية في الخليج العربى ، وهو ماأعلنه صراحة رئيس الوزراء البريطاني اسكويث Asquith من أن الهدف من ارسال تلك القوات هو حماية المصالح البريطانية في الخليج ، والمحافظة على هيبة بريطانيا في الشرق[٤] .

هكذا كانت سياسة بريطانيا نحو الخليج العربى في تلك الفترة التى سبقت حروب البلقان ، وفى أثناء تلك الحرب وبعد انتهائها ، ونحن هنا نؤكد أن

---

(١) بدر الدين عباس الخصوصى : المرجع السابق ، ص١٢٨ .
(٢) أمين سعيد : الخليج العربى في تاريخه السياسى ونهضته الحديثة ، ص٧٧ .
(٣) صلاح العقاد : المرجع السابق ، ص٢٢١ .
(٤) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص٢٦١ .

حروب البلقان وهزائم الدولة العثمانية فيها كانت عاملاً فعالا لمصلحة السياسة البريطانية في الخليج ، حيث تمكنت بريطانيا من تحقيق أهدافها وغاياتها الاستعمارية في مياه الخليج العربى وضمنت بالتالي سلامة مواصلاتها إلى الهند ، ومهما كانت المواقف السياسية للحكومة البريطانية في الخليج ، فان الاستفادة المثلى التى حصلت عليها الدبلوماسية البريطانية من حروب البلقان مكنت بريطانيا من تحويل الخليج العربى إلى مايشبه بحيرة بريطانية .

ج ـ المعاهدة الإنجليزية العثمانية ١٣٣١هـ / ١٩١٣م .

ظهرت بوادر الضعف على الدولة العثمانية بعد هزائمها في شبه جزيرة البلقان ، ووضح أنها لم تعد تستطيع أن تواصل سياستها المعروفة ضد بريطانيا في منطقة الخليج العربى ، لتسارع الحكومة البريطانية حينذاك إلى العمل بكل جهد لتطويق العثمانيين في الخليج توطئة لاخراجهم منه ، مما يعنى أن ردود الفعل المباشرة لحروب البلقان في السياسة البريطانية هو سير بريطانيا على سياستها التقليدية تجاه الدولة العثمانية ، التى كانت تهدف إلى المحافظة على كيان الدولة العثمانية في أوربا لمواجهة الاطماع الروسية ، وسياسة عكسية لها فى المشرق العربى تهدف إلى تحقيق أطماع بريطانيا وحماية نفوذها ومصالحها في المنطقة .

لقد اضطرت الدولة العثمانية تحت وطأة الظروف الداخلية والخارجية إلى فتح باب المفاوضات مع بريطانيا لانهاء المشاكل المعلقة بينهما في الخليج العربى ، وبدأت المفاوضات بين الدولتين في مؤتمر لندن الذى عقد لانهاء حرب البلقان الأولى في أواخر سنة ١٣٣٠هـ / أواخر ١٩١٢م(١) ، ومع تأزم الموقف العسكرى والسياسى في البلقان ، واستئناف الحرب مع الحكومات البلقانية ، اضافة إلى المواقف البريطانية في هذه المفاوضات التى تحاول أن تحقق من خلالها بعض الميزات والمكتسبات التى تخدم مصالحها الاستراتيجية ، كل ذلك أدى إلى تعثر المفاوضات ومرورها بمراحل كثيرة زادت من تعقيدات الموقف وتأخير الاتفاق على بنود المعاهدة(٢) .

---

(1) J. C. Hurewitz: Diplomacy in The Near and Middle East, Vol. 1, p. 108.

(٢) جمال زكريا قاسم : النزاع البريطانى العثمانى في الخليج العربى ... ، المجلة التاريخية المغربية ، السنة العاشرة ، عدد ٢٩ ـ ٣٠ ، ص٣٦٦ .

وحاولت حكومة الهند البريطانية أن يكون لها رأى مؤثر في المفاوضات الجارية في لندن بين الدولة العثمانية وبريطانيا ، حين كتبت إلى وزارة الخارجية البريطانية في ١١ جمادى الأولى ١٣٣١هـ / ١٧ ابريل ١٩١٣م رسالة تعبّر فيها عن وجهة نظرها فيما يتعلق بتمسك العثمانيين بجزيرة الزخنونية وساحل الاحساء مما يلى خليج العقير ، وأن ذلك قد يؤدى إلى بعض الخلاف أو الاحتكاك في المستقبل بين البريطانين والعثمانيين(١) ، أما الحكومة الروسية فقد كانت شديدة القلق من تلك المحادثات التى تجرى فى لندن والتى ستحرمها كثيراً من الامتيازات التى تطمع في الحصول عليها في ممتلكات الدولة العثمانية في آسيا ، وأشار وزير خارجية روسيا إلى أن هذه المحادثات يجب أن لاتُفْقِد الدول الأوربية الأخرى مكانتها في الدولة العثمانية وبالتالى ضياع مكتسباتها وأطماعها التى تحققت من خلال حروب البلقان كما كان يعتقد(٢) ، لكن وزير خارجية بريطانيا وضع النقاط على الحروف فيما يتعلق بسير هذه المفاوضات وأهدافها ، حين بعث ببرقية عاجلة إلى سفير حكومته في العاصمة الروسية بطرسبورج Peters burgh في الرابع عشر من جمادى الثانى ١٣٣١هـ / ٢٠ مايو ١٩١٣م ، وأبلغه أن يشرح لوزير خارجية روسيا موقف بريطانيا في هذه المفاوضات التى تبحث مسائل عدة كزيادة رسوم الجمارك العثمانية ، وقضية خط سكة حديد بغداد ، وأشار الوزير البريطانى إلى أن المباحثات السياسية لاتتضمن سوى اعتراف الدولة

---

(١) رأفت غنيمى الشيخ : امارة قطر قبيل الحرب العالمية الأولى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٢٧ ، سنة ١٩٨١م ، ص١٦٩ .

(2) F. O. 424/245, No. 315, Mr, O, Beirne to Sir, E. Grey, St. petersburgh, 17. 5. 1913. p. 172.

العثمانية بالوضع الراهن في الخليج العربى الذى كان سائداً لمدة قرن من الزمان ، أما المباحثات الأخرى فهى تدار لتأمين مصالح بريطانيا الاقتصادية نظراً للنجاح المضطرد والمنافسة غير المشكوك فيها لسكة حديد بغداد ، ولكن استمرار موافقة بريطانيا على زيادة الرسوم الجمركية سوف يتوقف على موافقة جميع الحكومات الأخرى على هذا الاجراء ، وأضاف الوزير البريطاني إلى أنه سبق له أن أبلغ سفير روسيا في لندن بنجاح المباحثات حول خط سكة حديد بغداد ، وأرسل مسودة من الاتفاق حول مسألة شط العرب للحكومة الروسية ، مع أن بعض التعديلات البسيطة وغير الهامة قد أجريت على هذا الاتفاق فيما بعد ، وختم وزير خارجية بريطانيا برقيته تلك بالتأكيد على أن حكومته لاتسعى بأى حال من الأحوال في هذه المباحثات إلى استغلال الأوضاع السيئة التى تمر بها الدولة العثمانية لمصلحتها الذاتية ، ولكنها فقط تهدف إلى تأمين مصالحها الهامة في منطقة الشرق العربى وبشكل خاص في منطقة الخليج العربى(١) .

ولقد أدى التنافس بين بريطانيا والمانيا على سكة حديد بغداد ومعارضة الحكومة البريطانية في ايصاله إلى شط العرب إلى جعل السياسة البريطانية تبدو موالية لروسيا فى أطماعها الاستعمارية في أملاك الدولة العثمانية في آسيا(٢) ، بيد أن وزير خارجية بريطانيا تحدث بصراحة أكثر عن السياسة الألمانية تجاه الدولة العثمانية وممتلكاتها في آسيا بعد هزائمها في حرب البلقان حيث ذكر أن المانيا تبدو مترددة بين سياستين تجاه تركيا الآسيوية

---

(1) F. O. 424/245, No. 364, Sir, E. Grey to Mr. O, Beirne, F. O, 20. 5. 1913. p. 202.

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٦ ، ص٤٧١ .

هما سلامة تركيا الآسيوية ، ومجالات المصالح في تركيا الآسيوية ، والسياسة الثانية في نظر الوزير البريطاني ستؤدى إلى تقسيم تركيا الآسيوية والاضمحلال التام للدولة العثمانية[1] ، وفي هذا تأكيد إلى أن الحكومة البريطانية لاتتجه سياسيا ولاتميل الا باتجاه تحقيق مصالحها الاستراتيجية ، وأهدافها الاستعمارية ، وهو ماتحقق بالفعل حين وقعت اتفاقاً مع المانيا بشأن سكة حديد بغداد كما أشرنا إليه في صفحات سابقة من هذا البحث .

أما حكومة الهند البريطانية فان موقفها من شروط الاتفاقية التى تدور مباحثاتها في لندن بين بريطانيا والدولة العثمانية قد زاد من تعقيد المفاوضات وتأخيرها ، ففى الوقت الذى كانت الحكومة البريطانية في لندن ترى أن ميناء العقير هو حد النفوذ العثمانى ، كان نائب الملك في الهند يرى أن الخطورة تكمن في بقاء العثمانيين في أى جزء من الخليج العربى ، ولاسيما أن شعار الجامعة الاسلامية تجعل لهم تأثيرا معنويا لدى الحكام العرب ، وهذا ماجعله يطالب باسقاط السيادة العثمانية على الكويت رغم تنازلهم عن قطر والبحرين[2] ، ليس هذا فحسب وانما بدأ القلق يراودها من وجود الدولة السعودية الناشئة التى استعادت اقليم الاحساء ، لذا رأت حكومة الهند أن من الخطأ التعامل مع ابن سعود ودولته في الوقت الحاضر لكى لايؤثر ذلك على المحادثات البريطانية العثمانية ، رغم أنها لم تكن غير مبالية لوجود هذه القوة الفتية في المنطقة الداخلية للجزيرة العربية ، وطلبت حكومة الهند في رسالة بعثت بها إلى وزارة الخارجية البريطانة في ٢٩ جمادى الثانية ١٣٣١هـ /

---

(1) F. O. 424/246, No. 346, Sir, E. Grey to Mr. Carnegie,
F. O, 26. 6. 1913. pp. 196-- 197.

(٢) صلاح العقاد : المرجع السابق ، ص١٩٤ ـ ١٩٥ .

٤ يونيو ١٩١٣م ، معرفة موقف الدولة العثمانية تجاه طموحات الامام عبد العزيز آل سعود في شرق الجزيرة العربية ، وذلك بسؤال المفاوض العثمانى بشكل غير رسمى(١) ، ولم تكتف حكومة الهند بذلك بل أرسلت رسالة أخرى إلى وزارة الخارجية البريطانية في ٥ شعبان ١٣٣١هـ / ٩ يوليو ١٩١٣م تطلب فيها توجيه انتباه الضباط البريطانيين المكلفين بمهمات استطلاعية أمثال الكابتن وليام شيكسبير William H. I. Shakaspear بأن لايتجاوزوا في رحلاتهم تلك الحدود التى حددتها المعاهدة البريطانية ـ العثمانية المقترحة(٢) ، وفى هذا دليل على أن الهدف النهائى لسياسة الحكومة البريطانية وسياسة حكومة الهند هو هدف واحد ، وهو تحقيق المصالح البريطانية في الخليج العربى ، وحمايتها من أى خطر قد يهددها ، وبالتالى يهدد طرق مواصلاتها إلى الهند .

وفى سبيل تحقيق المصالح البريطانية تلك كان الساسة البريطانيون يسعون إلى كسب ولاء الهنود المسلمين ، باظهار صداقة بريطانيا للدولة العثمانية وعطفها على دولة الخلافة التى هزمت في البلقان على أيدى المسيحيين ، وكان الحوار في دهاليز السياسة البريطانية يدور حول تلك الافكار ، وحتى أثناء المفاوضات التى تدور في لندن بين الحكومتين كان الاتجاه السائد هو اظهار الحكومة البريطانية بمظهر صاحبة الرغبة الصادقة في المحافظة على تكامل الدولة العثمانية في آسيا ، حتى لاتؤثر تلك الأنباء على مشاعر المسلمين في شبه القارة الهندية ، وهزائم البلقان وانكسارات الجيوش العثمانية فيها لم تزل عالقة في الأذهان(٣) .

(1) F. O. 424/238, No. 315, India office to Foreign office, 4. 6. 1913. pp. 241-- 242.

(2)F. O. 424/239, No. 83, India office to Foreign office, 9. 7. 1913. pp. 63-- 64;
F. O. 424/239, Enclosure in, No. 83, Draft Despatch to The Government of India, p. 64.

(3) F. O. 424/239, No, 84, Memorandum Communicated by Sir, V. Chird, 10. 7. 1913. pp. 64-- 65.

ولقد سبق التوقيع على المعاهدة العثمانية ـ البريطانية الكثير من المباحثات والمناقشات ، وطرأ عليها بعض التعديلات والاضافات عن طريق المسئولين البريطانيين[1] ، وفي نفس اليوم الذى وُقّعت فيه تلك المعاهدة ، بعث وزير الخارجية البريطانى بمذكرة إلى سفير الدولة العثمانية في لندن أشار فيها إلى توقيعه على تلك المعاهدة التى منحت الدولة العثمانية زيادة في الرسوم الجمركية وبعض الامتيازات الأخرى ، الا أن تلك الاجراءات يلزمها اصدار فرمان سلطاني ، والتزام من الحكومة العثمانية ببنود التسوية الخاصة بامتياز استخراج البترول في العراق ، ولم ينس الوزير البريطانى أن يذكّر السفير العثمانى أن الاجراءات المتخذة للتوقيع على تلك الاتفاقيات يجب أن تتم بطريقة سرية جدا[2] .

ولقد اشار كثير من المؤرخين إلى هذه المعاهدة تحت مسميات مختلفة ، فمنهم من قال إنها اتفاقية ، ومنهم من قال أنها ميثاق ، أو مسودة اتفاقية ، بينما سماها البعض بمشروع اتفاق ، وجميع هؤلاء المؤرخين إعتمدوا في الحديث عن هذه المعاهدة على مصدرين انجليزيين هما :

(1) Gooch and Temperley: British Documents on The origins of the War, Vol. 10.

(2) Hure Witz, J.C: Diplomacy in the Near and Middle East. Vol. 1.

علماً أن المصدر الثانى من هذين المصدرين كان يعتمد في معلوماته الوثائقية على المصدر الأول[3] .

---

(1) F. O. 424/239, No. 15, Sir, L. Mallet to Hakki Pasha, F. O, 2. 7. 1913. p. 8.

(2) F. O. 424/239, No. 164, Sir, E. Grey to Tewfik Pasha, F. O, 29. 7. 1913. pp. 139-- 140.

(٣) جى . بى . كيلى : الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، ص١٦٦ ـ ١٦٧ ؛ جمال زكريا قاسم : دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠ ـ ١٩١٤م ، ص٤٨٨ ـ ٤٩٢ ؛ فؤاد سعيد العابد : المرجع السابق ، ص٢٥٨ ـ ٢٦١ ؛ توفيق علي برو : المرجع السابق ، ص٤١ ـ ٤٢ ؛

J. C. Hure Witz: The Middle East and North Africa, in World, Politics, Vol. 1. pp. 567-- 570.

ولكننا استطعنا هنا وفي هذا البحث أن نحصل على صورة من المعاهدة الأصلية المحفوظة في الأرشيف العثمانى في اسطنبول ، تحت اسم ورقم :

Muahede Name, Numarasi, 242/8. Osmanli, Arsivi Daire, Baskanligi. Ist.

وتحمل المعاهدة تلك توقيع وزير خارجية بريطانيا ادوارد جراى Edward Grey ، ومندوب الحكومة العثمانية حقى باشا Altesse Hakki Pasha، ومختومة بالشمع الأحمر على تلك التواقيع ، وتقع هذه المعاهدة في ثمان عشرة مادة في خمسة أقسام ، وأربعة ملاحق ، وتصريح سرى على لسان المفاوِضَيْن العثمانى والبريطانى ، اضافة إلى ملاحق الخرائط التى تبين الحدود التى أُتفق عليها في هذه المعاهدة ، وقد وقعت هذه المعاهدة في لندن في ٢٩ يوليو ١٩١٣م الموافق ٢٥ شعبان ١٣٣١هـ[١] .

والقسم الأول من هذه المعاهدة عن الكويت ويقع في عشر مواد ، اعترفت الدولة العثمانية في المادة الأولى منها باستقلال الكويت الادارى وبالكف عن التدخل في شؤونه الداخلية ، وحددت حدود الكويت بموجب المادتين الخامسة والسابعة من تلك المعاهدة ، حيث يمارس شيخ الكويت نفوذه وسيادته المستقلين على الأراضى التى تشكل حدودها نصف دائرة مركزها مدينة الكويت وحدّها الشمالي خور الزبير والقرين في الحد الجنوبى ، وهذا الحد موضح باللون الأحمر على الخريطة المرفقة مع الاتفاقية الحالية « المادة الخامسة » ، ويبدأ خط الحدود على الساحل عند مصب خور الزبير في الشمال الغربى ويمر مباشرة بجنوب أم قصر وصفوان ثم جبل سنام بحيث تُتْرَك هذه الأماكن وأبيارها لولاية البصرة ، ثم يتجه للجنوب الغربى حتى حفر الباطن ، ثم يتجه نحو الجنوب الشرقى لينتهى إلى البحر بالقرب من جبل

---

(1) Muahede Name, Numarasi, 242/8. Osmanli, Arsivi Daire, Baskanligi. Ist .

منيفة ، وهذا الحد مشار إليه باللون الأخضر في الخريطة المرفقة بالمعاهدة الحالية « المادة السابعه » .

أما المادة الثانية فقد أعطت لشيخ الكويت الحق في أن يرفع العلم العثمانى مع اضافة كلمة الكويت محاطة بدائرة في أحد الأركان ، على أن يتمتع باستقلال ذاتي كامل في المنطقة المحددة في المادة الخامسة من هذه المعاهدة ، على أن لاتتدخل الدولة العثمانية في شئون الكويت سياسياً وعسكرياً ، وللدولة العثمانية الحق في تعيين قائمقام بفرمان سلطاني في حالة خلو منصب شيخ الكويت ، ولها الحق في تعيين مفوض لدى شيخ الكويت لحماية مصالح وأهالى باقى أجزاء الدولة العثمانية .

وقد اعترفت الدولة العثمانية بشرعية الاتفاقيات التى أبرمها من قبل شيخ الكويت مع الحكومة البريطانية ، والمؤرخة في ٢٣ يناير ١٨٩٩م ، وفى ٢٤ مايو ١٩٠٠م ، وفي ٢٨ فبراير ١٩٠٤م ، وتعترف بسريان امتيازات الأرض التى تنازل عنها شيخ الكويت لبريطانيا وفق مذكرة وزارة الخارجية البريطانية إلى سفير الدولة العثمانية في لندن بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٩١١م ـ الملاحق ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ـ « المادة الثالثة » ، بينما وافقت بريطانيا من جانبها على أن لاتغير شيئا في طبيعة علاقاتها مع حكومة الكويت ولن تعمل على اقامة وصاية أو حماية على الأراضى المخصصة لها ، « المادة الرابعة » .

ونصت المادة السادسة على بقاء القبائل المتواجدة داخل الحدود الموضحة في المادة ـ ٧ ـ كتابعين لشيخ الكويت الذى سيقوم بتحصيل العشور منهم كما كان يفعل في الماضى ، وله أن يمارس الاختصاصات الادارية التى يتمتع بها بصفته قائمقام عثمانى ، ولايجوز للحكومة العثمانية أن

تمارس في هذه المناطق أى عمل ادارى مستقل عن شيخ الكويت ، وتمتنع عن اقامة حاميات أو ممارسة أى عمل عسكرى مهما كان نوعه دون التفاهم مسبقا مع الدولة البريطانية .

أما فيما يتعلق بمد وصلة سكة حديد بغداد البصرة فقد نصت المادة الثامنة من تلك الاتفاقية على أنه في حالة اتفاق الدولة العثمانية مع حكومة بريطانيا على تمديد خط حديد بغداد ـ البصرة حتى الكويت أو إلى أي حد آخر ضمن المنطقة المستقلة ، تتفق الحكومتان على التدابير التى يجب اتخاذها فيما يختص بحماية هذا الخط والمحطات التى تقام عليه ، واقامة الدوائر الجمركية ومستودعات البضائع أو أية مؤسسات أخرى لها علاقة به .

ومنحت المادة التاسعة شيخ الكويت الحرية الكاملة في ممارسة حقوقه في ممتلكاته الخاصة التى يمتلكها في مقاطعة ولاية البصرة ، على أن يخضع للقانون العثمانى في دفع الضرائب والرسوم المقررة بالقوانين العثمانية .

أما مجرمو المقاطعات المجاورة للكويت فلايتم قبولهم في الكويت وتجب اعادتهم من حيث أتوا ، كذلك فان مجرمى الكويت لايقبلون في المقاطعات المجاورة ويتم طردهم منها واعادتهم من حيث قدموا ، ولايجوز للدولة العثمانية أن تستغل هذا الاجراء للتدخل في شئون الكويت ، كما لايجوز لشيخ الكويت أن يستغله للتدخل في شئون الولايات المجاورة ، ـ المادة العاشرة ـ .

أما القسم الثانى من المعاهدة فكان مخصصا لشبه جزيرة قطر ويشتمل على المادتين ١١ ، ١٢ وقد تخلت الدولة العثمانية بمقتضى ذلك عن كل مطالبها الخاصة بشبه جزيرة قطر ، والتزمت بريطانيا بعدم السماح لشيخ البحرين في التدخل في الشئون الداخلية لقطر أو النيل من استقلالها أو

سيادتها ، كما خصص القسم الثالث من المعاهدة لشئون البحرين واشتمل على المواد ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، وتنازلت بموجب ذلك الدولة العثمانية عن كل مطالبها في جزر البحرين ، وأقرت باستقلالها ، فى حين أعلنت بريطانيا عدم وجود أية أطماع لديها فى ضم جزر البحرين لأراضيها ، أما رعايا شيخ البحرين في الممتلكات العثمانية فقد تم اعتبارهم من الأجانب ، ويقوم على حماية مصالحهم قناصل الحكومة البريطانية وتتم هذه الحماية وفق القواعد العامة للقانون الدولى الأوربى .

وخصص القسم الرابع للخليج العربى « الفارسي » ، واشتمل على المادة السادسة عشر ، والتى أعطت لبريطانيا حق حماية مصالحها الخاصة في الخليج في كل وقت ، على أن تقوم باتخاذ اجراءات البوليس البحرى في المياه الحرة في الخليج وفى الحدود التابعة للشيوخ المستقلين من جنوب قطر إلى المحيط الهندى ، ولن تعترض الدولة العثمانية على ممارسة الحكومة البريطانية للاجراءات الآتية :

١ ـ انارة المنارات ، قياعة البحر « أى سبر قاع البحر واختباره » ، ارشاد السفن ،

٢ ـ الحراسة البحرية « البوليس البحرى » ،

٣ ـ اجراءات الحجر الصحى ، وتحتفظ الدولة العثمانية بكل الحقوق التى تعود إليها مثل السيادة والسيطرة البرية على السواحل وكذا على المياه الاقليمية العثمانية .

وقد تضمن القسم الخامس والأخير من هذه المعاهدة المادتين ١٧ ، ١٨ ونصت المادة السابعة عشر على موافقة الحكومتين على تعيين مفوضين

بأسرع مايمكن ، ليقوموا بتحديد الحدود المحددة في المواد ٥ ، ٧ ، ١٠ ، على الطبيعة ورفع خريطة تفصيلية لها وعمل مذكرة تفسيرية لذلك ، ومن ثم تعتبر كل من الخريطة والمذكرة التفسيرية جزءاً مكملاً لهذه الاتفاقية ، بمجرد رسمها وتوقيعها من المفوضين المعتمدين ، أما المادة الثامنة عشر فقد أشارت إلى أن هذه الاتفاقية سيتم توقيعها والتصديق عليها في لندن خلال ثلاثة أشهر على أقصى تقدير من تاريخ توقيع المفَوّضَيْنْ العثمانى والبريطانى عليها في ٢٩ يوليو ١٩١٣م الموافق ٢٥ شعبان ١٣٣١هـ ، وختمت تلك المعاهدة بتصريح سرى من المفاوضَيْن العثمانى والبريطانى ووقع في نفس اليوم الذى وقعت فيه المعاهدة ، وقد أشار هذا التصريح إلى أنه لايحق لشيخ الكويت تحت أى ظرف أن يعقد أية اتفاقية تتعارض مع هذه المعاهدة ، كما أعلنت الدولة العثمانية في هذا التصريح إلى أنها أصدرت الأوامر اللازمة لكى يقوم الموظفون المدنيون والعسكريون ، وكذا القوات المسلحة النظامية المتواجدة داخل حدود الأراضى التى منحت الاستقلال وفق بنود هذه المعاهدة في كل من قطر والكويت ، أن يقوموا بتركها ومغادرتها في أقرب مهلة ممكنة كما أشار التصريح إلى التعويض المالى الذى دفعته الدولة العثمانية لشيخ البحرين كى يتنازل عن جزيرة الزخنونية ، واستعداد الحكومة البريطانية لتقديم المساعى الحميدة للحصول على تنازل كتابى من شيخ البحرين يعطى للدولة العثمانية[١] .

هكذا كانت بنود المعاهدة البريطانية العثمانية التى تعكس الوضع الحقيقى لما وصلت اليه الحكومة العثمانية من ضعف وتخاذل بعد هزائمها في حروب البلقان ، وبقراءة نصوص هذه المعاهدة يتبين أن فيها من الثغرات

---

(1) Muahede Name, Numarasi, 242/8, op. cit.

والتناقضات الشيء الكثير ، والذى عبر عن الوضع السياسى للدولة ومفاوضيها حين صيغت بنود تلك المعاهدة ، فبينما تعتبر الكويت تحت السيادة العثمانية ، فان الحكومة العثمانية لاتملك التدخل في أى شأن من شئون الكويت ، وفى الوقت نفسه اعترفت بالاتفاقيات التى ربطت الكويت ببريطانيا ربطا محكما[1] ، يضاف إلى ذلك أن صياغة هذه المعاهدة والتوقيع عليها بالأحرف الأولى تم بعد أن ضم الإمام عبد العزيز آل سعود اقليم الاحساء إلى دولته وأنهى الوجود العثمانى ، ومع هذا لم تُشرِ تلك المعاهدة إلى هذا الوضع الجديد ، وبصرف النظر عن الدسائس البريطانية فربما أن العثمانيين كانوا يتمنون استعادة الاحساء بمساعدة البريطانيين وموافقتهم[2] ، وهذا ماتنبه له الامام عبد العزيز آل سعود وحال دون تحقيقه سياسياً وعسكرياً .

وتُجْمِع المراجع التاريخية على أن هذه المعاهدة لم يصادق عليها من قبل الجهات العليا في الحكومتين العثمانية والبريطانية ، لكنها لم تتفق في السبب الذى حال دون التصديق عليها ، فمنهم من يرى أن استمرار الخلاف حول تمديد خط سكة حديد بغداد هو الذى أجّل التصديق على هذه المعاهدة وأن المفاوضات أعيدت بعد ذلك وعدلت بالتالي الفقرة المتعلقة بسكة الحديد على أن تمنح احدى الشركات الانجليزية امتياز تنفيذ الجزء الممتد من البصرة إلى ميناء الكويت[3] ، بينما يرى آخرون أن بوادر الحرب العالمية الأولى ومن ثم قيامها كان هو السبب الرئيسى فى عدم التصديق على المعاهدة[4] ، بينما

---

(١) محمود صالح منسي : المرجع السابق ، ص٢٠٨ .

(٢) محمد عرابى نخلة : المرجع السابق ، ص٢٢٦ .

(٣) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٤١ ـ ٤٢ ؛ بدر الدين عباس الخصوصي : المرجع السابق ، ص١٠٥ ـ ١٠٦ .

(٤) عبد العزيز محمد المنصور : التطور السياسى لقطر في الفترة مابين ١٨٦٨ ـ ١٩١٦م ، ص١١٥؛ فتوح عبد المحسن الخترش : تاريخ العلاقات السياسية البريطانية الكويتية ١٨٩٠ ـ ١٩٢١م ، ص٨٣ ؛ فؤاد سعيد العابد : المرجع السابق ، ص٢٦٢ .

يذهب أحد المؤرخين إلى القول أن التصديق على المعاهدة البريطانية العثمانية أُجِّلَ لسبب ما ، وحتى قامت الحرب العالمية الأولى ليأتى ماهو أسوأ من تلك المعاهدة[1] ، ونحن نتفق معه أنَّ السبب في عدم التصديق غير معروف حتى الآن لأن تلك المعاهدة نصت في احدى موادها على وجوب التصديق عليها خلال ثلاثة أشهر على أقصى تقدير ، والفترة الزمنية بين توقيع هذه المعاهدة وقيام الحرب العالمية الأولى زادت عن سنة كاملة وليست ثلاثة أشهر ، إذاً هناك عقبات حالت دون التصديق النهائى على هذه المعاهدة لم يكشفها المؤرخون حتى الآن .

لكن هذه المعاهدة أشير لها فى المعاهدة الموقعة بين بريطانيا والدولة العثمانية في ١٢ ربيع الثانى ١٣٣٢هـ الموافق ٩ مارس ١٩١٤م والمصدق عليها في ١٠ رجب ١٣٣٢هـ / ٣ يونيو ١٩١٤م الخاصة بالنفوذ البريطاني في جنوب الجزيرة العربية ، مما يعطى تلك الاتفاقية وضعاً قانونياً وتاريخياً ، وقد أشير حينئذ إلى الخط الأزرق الذى يبدأ من الحافة الجنوبية لخليج الزخنونية ويتجه إلى الجنوب رأسا حتى الربع الخالى ، ليلتقى عند خط العرض ٢٠ْ شمالاً ، مما يعنى أن كل ماهو شمال هذا الخط يعود للدولة العثمانية بما في ذلك نجد نفسها ، وكل ماهو جنوب الخط يخضع لبريطانيا[2] ، غير أن هذا النهج الذى سلكته بريطانيا في اتفاقياتها مع الدولة العثمانية ، والمتمثل في التنازل للدولة العثمانية عن أجزاء لاتملكها بريطانيا ولا الدولة العثمانية ، كمنطقة نجد وساحل الاحساء الذى يسيطر عليهما الامام عبد العزيز آل سعود

---

(١) سنت جون فيلبى : المرجع السابق ، ص٣١٦ .

(٢) فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩ ـ ١٩١٨م ، ص٥٥٤ ـ ٥٥٥ ؛ جاد طه : المرجع السابق ، ص٣٣٧ ـ ٣٣٨ ؛ جى . بى كيلى : المرجع السابق ، ص١٧٢ ؛ محمد عرابى نخلة : المرجع السابق ، ص٢٢٦ .

ودولته الفتية ، هذا المنهج يعطينا دليلاً واضحاً تجاه موقف بريطانيا من الدولة العثمانية ومن الحركة العربية النشطة وهو ماأسميناه في هذا الفصل بالسياسة البريطانية لاضعاف دولة الخلافة وسنتحدث عنه فيما بعد .

ولقد كان الامام عبد العزيز آل سعود أول من أدرك ضعف الدولة العثمانية في الجزيرة العربية ، لذا كان سبّاقاً لحماية ممتلكات آبائه وأجداده في نجد والساحل الشرقى للجزيرة العربية ، وحالت مواقفه تلك دون وقوع هذه الاجزاء من الجزيرة العربية في أيدى المستعمر البريطانى ، كما أنه استطاع أن يواجه الموقف الناشىء عن حروب البلقان ونتائجها باستعادته الأحساء ، وبذلك لم تستطع بريطانيا أن تلتهم هذا الجزء في وقت طغيان نفوذها في الخليج وعلى شواطئه ، نتيجة ماآلت اليه الدولة العثمانية في أعقاب حروب البلقان .

د ـ سياسة بريطانيا لإضعاف دولة الخلافة ، أطماعها في البصرة .

لقد كان الموقف السياسى للحكومة البريطانية تجاه الحركة العربية في المشرق العربى العثماني ينطلق من قاعدة المحافظة على المصالح البريطانية في المنطقة ضد أى تهديد استعمارى أوربى ، وكانت السياسة البريطانية ترى قبل حروب البلقان أن الدفاع عن وحدة الدولة العثمانية في الشرق الاسلامى سيكون حاجزاً مفيداً في وجه المطامع الروسية والفرنسية ، وحين كانت سياسة التكامل البريطانية تجاه ممتلكات الدولة الأوربية هي السياسة المنظورة لدى الساسة البريطانيين ، بعكس سياستهم بالنسبة لممتلكاتها الآسيوية كان الاتجاه لدى سكرتير المعتمدية البريطانية في مصر رونالد ستورز Ronald Stors ، لايوحى بذلك حيث صرح في جمادى الأولى ١٣٣٠هـ / مايو ١٩١٢م : « نحرص على ألا نرى تجزئة مفاجئة للممتلكات العثمانية بل نتمنى في اللحظة الراهنة أن نرى الباب العالى من القوة بحيث يستطيع أن يحتفظ بسورية وآسيا الصغرى والأناضول »[١] .

والملاحظ أن وجود أكثر من هيئة بريطانية تخطط للسياسة البريطانية في الشرق العربى قد أوجد شيئا من انعدام التنسيق بين تلك الهيئات ومخططاتها وبالتالى ظهور عدة اتجاهات متناقضة في السياسة البريطانية[٢] ، لكن الأحداث التاريخية المتلاحقة اثبتت أن اختلاف الأطراف المنفذة للسياسة البريطانية هى التي ساعدت بريطانيا في تحقيق أهدافها ، والوصول إلى الاستراتيجية الاستعمارية التى تهدف اليها .

---

(١) وجيه كوثرانى : السلطة والمجتمع والعمل السياسى .... ، ص١٩٤ .

(٢) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص٤٠٧ .

وبعد هزائم الدولة العثمانية في حرب البلقان تراءت الفرصة للبريطانيين لتحقيق أطماعهم الاستعمارية في ممتلكات الدولة الاسيوية وهذا ماعبر عنه السفير الالماني في لندن الامير لشنوفسكى Lichnowsky ، الـذى رأى أن المباحثات مع وزير الخارجية البريطانية حول قضية سكة حديد بغداد تهدف في نهاية الأمر إلى توزيع المستعمرات وتقسيم آسيا الصغرى إلى مناطق نفوذ[1] ، وحين شرح القنصل البريطاني في دمشق ديفى Devey ، للسفير البريطانى في الآستانة الأوضاع التى تشهدها سوريا ، والمطالب العربية التى يسعى إليها العرب لتحقيق الاصلاح على قاعدة اللامركزية ، اعتبر السفير المذكور أن ذلك مفيد للاستراتيجية البريطانية ، ونو أهمية خاصة للجنة الدفاع في الحكومة البريطانية[2] ، غير أن السفير ذاته كان شديد الانزعاج حين اطلع على كتاب في عاصمة الدولة العثمانية يتحدث عن الجهاد الاسلامى ضد الكفار ، فكتب إلى وزير خارجيته رسالة عاجلة برقم ١٥٣ وتاريخ ١٨ ربيع الأول ١٣٣١هـ / ٢٤ فبراير ١٩١٣م ، ذكر فيها أن نسخاً من هذا الكتاب وزعت على المحاربين العثمانيين في جبهات القتال ، وأرسلت نسخا كثيرة منه إلى الهند ومصر ، وصدور مثل هذا الكتاب في مثل هذا الوقت كما يقول السفير البريطاني سيوحد صفوف المسلمين ضد مسيحى البلقان تحت زعامة الحكومة العثمانية وبالتالى سوف يؤثر على المصالح البريطانية في المشرق العربى والهند[3] .

---

(١) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ..... ، ص١١١ .

(2) F. O. 424/236, No. 249, G. Lowther to. E. Grey, Constantinople, 7. 12. 1912. p. 156;
F. O. 424/236, Enclosure, in No. 249, Consul Devey to Sir, G. Lowther, Damascus, 14. 11. 1912. pp. 156-- 157.

(3) F. O. 424/243, No. 3, G. Lowther to E. Grey, Constantinople, 24. 2. 1913. p. 3.

وكان السير ادوارد جراى وزير خارجية بريطانيا قد بدأ يلوح فى أحاديثه ومكاتباته إلى أن توزيع ممتلكات الدولة العثمانية في آسيا ، سيعطى لفرنسا الحق في أخذ سوريا ، ولكن ذلك ليس هو كل الموقف البريطانى في المنطقة ، فالحكومة البريطانية لن تطلق يدى فرنسا لتعمل مايحلو لها كما يقول الوزير البريطانى(١) ، لكن موقف المعتمد البريطاني في مصر اللورد كتشنر Lord, Kitchiner ، كان أكثر وضوحا في مايتعلق بحماية المصالح البريطانية في المشرق العربى ، اذ يرى أن من الحلول التى يجب الأخذ بها « تشجيع الولايات العربية التابعة للامبراطورية [الدولة] العثمانية على تكوين دولة واحدة ، أو مجموعة من الدول مستقلة استقلالا داخليا ، وترتبط ببريطانية العظمى برباط الصداقة ، وتشمل المنطقة الممتدة من شواطىء البحر الأبيض المتوسط غربا ، إلى حدود ايران شرقا »(٢) ، هكذا اذاً يريد الساسة البريطانيون مساندة الاتجاهات الانفصالية في المشرق العربى ، على حساب اضعاف دولة الخلافة ، ومحاولة استغلال الحركة القومية في المنطقة لمصلحة الحكومة البريطانية .

لقد جاءت أولى النصائح البريطانية لدعاة الاصلاح العرب في أوائل جمادى الأولى ١٣٣١هـ / النصف الأول من ابريل ١٩١٣م عندما أمر الوالى العثمانى في بيروت بحل جمعية بيروت الاصلاحية واقفال ناديها ، وحينما ذهب بعض اعضائها إلى القنصلية البريطانية ومن ثم الفرنسية لاظهار احتجاجهم على الوالى ، قيل لهم في القنصلية البريطانية أنهم يستطيعون أن يعقدوا اجتماعاتهم فى قاعة الكلية السورية الانجيلية [وهى الآن الجامعة الأمريكية

(1) F. O. 424/235, No. 756, Sir, Edward Grey to Sir, F. Bertie, F. o, 26. 11. 1912. p. 347;
F. O. 424/242, No. 21, Sir, Edward Grey to Sir, R. Rodd, F. o, 1. 2. 1913. p. 13.

(٢) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص٢٠٨ .

في بيروت] لأنهم بذلك يعتبرون مجتمعين على أرض أجنبية ، ويكون لهم ملء الحرية بعقد أى اجتماع من اجتماعات الجمعية هناك[1] .

وقد أشار السيد كولوندر Coulondre مدير القنصلية العامة الفرنسية في بيروت إلى اتجاه زعماء الاصلاح العرب في بيروت إلى بريطانيا ، وأن بعض الشخصيات البارزة منهم قامت بمقابلة القنصل البريطانى في بيروت وطلبت منه دعم مطالبهم لدى حكومته ، وهم يهدفون إلى ضم سورية إلى مصر كما يقول القنصل المذكور ، بيد أنه ذكر أن المسيحيين العرب يتعاطفون مع فرنسا ويرغبون في الانضمام لها في الوقت الذى يرغب العرب المسلمون في التوجه إلى بريطانيا ، وقد أكد هذا الاتجاه القنصل الفرنسى في مصر ، أ . دوفرانس A. Defrance في خطابه السرى الذى بعثه إلى وزير خارجيته في ٢٢ جمادى الثانى ١٣٣١هـ / ٢٨مايو ١٩١٣م[2] ، ويرى أحد المؤرخين أن دعاة الاصلاح العرب في العراق اتجهوا أيضا إلى بريطانيا ، وأيد بعضهم اقامة اشراف بريطاني على برامج الاصلاح بل وحتى إلى بسط الحماية البريطانية على البلاد[3] .

لقد أصبحت السياسة البريطانية تجاه المشرق العربى ، شبه واضحة ومعروفة بعد انتهاء حرب البلقان وهزيمة الدولة العثمانية ، وهذا ماتنبه له السياسي الفرنسي أندريه ديبوسك Andre Duboseq ، وأشار إليه في تقريره المرفوع لوزير خارجية فرنسا في ٢٦ رجب ١٣٣١هـ / ٣٠ يونيو ١٩١٣م ، حيث قال : « ان مصلحة انكلترا في الاستيلاء على أراض واسعة شرقى

---

(١) مذكرات سليم علي سلام : المصدر السابق ، ص٢٦ ؛ زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية .... ، هامش ٤٩ ، ص٢١١ .

(٢) وجيه كوثرانى : بلاد الشام السكان والاقتصاد والسياسة الفرنسية ... ، ص٢٥٥ ـ ٢٥٨ ، ٢٩٤ ـ ٢٩٥ .

(٣) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص٢٤٩ .

السويس وغربيه لأمر بديهى لايحتاج إلى الوقوف عنده ، ثم يبدو أن الجهد المادى والمعنوى الذى تقوم به حاليا في مصر انما يوازيه جهد مماثل في الضفة الأخرى من القنال ، وفي سورية نشتم جهداً مماثلا لما يجري في مصر ، ولقد أكد لى بعضهم أن قنصل انكلترا في القدس يراسل غزة بصورة مستمرة ، وتسرى أخبار مفادها أنه في حال تقسيم تركيا الآسيوية فان فلسطين قد لاتكون من نصيب فرنسا كما هى الحال مع سورية بل انها ستبقى على الأقل محايدة بسبب الود الذى يكنه السكان للانكليز »[1] ، لكن وزير الخارجية البريطانى كان شديد الحرص على أن لاتؤدى تلك الاتجاهات في السياسة البريطانية إلى آثار عكسية في نفوس المسلمين الخاضعين للحكم البريطاني ، خاصة لدى مسلمى الهند ، رغم أنه كان على ثقة تامة من أن تقسيم تركيا الآسيوية إلى مناطق نفوذ ، سيؤدى إلى تقسيم الدولة العثمانية وزوالها من الوجود تماما ، حيث أكد ذلك في رسالة بعثها إلى السير أ . جوشن E. Goschen السفير البريطانى في برلين بتاريخ ٢٣ رجب ١٣٣١هـ / ٢٧ يونيو ١٩١٣م[2] .

وقد كان الساسة البريطانيون في الخليج العربى يدركون كنه السياسة البريطانية تجاه المشرق العربى في تلك الفترة لذا كانت مواقفهم تدعوا صراحة إلى الاحتفاظ بالمكتسبات التى حققتها بريطانيا في بلاد مابين النهرين وعند رأس الخليج العربى[3] ، وهو ماتحقق عندما استدعى القنصل

---

(١) وجيه كوثراني : بلاد الشام ـ السكان الاقتصاد والسياسة الفرنسية فى مطلع القرن العشرين ، ص٣٠٦ ـ ٣٠٧ ، نقلا عن أرشيف الخارجية الفرنسية ، مجلد ١٢٢ ، ص١٣٧ ـ ١٧٠ .

(٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص١١١ ـ ١١٢ .

(٣) محمد خليفة النبهانى : التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، ص٤٦٦ ـ ٤٦٧ ؛ عبد الرحمن البزاز : المرجع السابق ، ص٨ .

البريطانى سفينة حربية لحماية المصالح البريطانية في ميناء البصرة[١] ، ولا سيما أن أنهيار الدولة العثمانية في المشرق العربى كان من الأمانى التى يتطلع لها هؤلاء الساسة ، بيد أنهم لايحبذون اعلان ذلك صراحة كى لايثيروا حول أهدافهم زوابع سياسية ربما تؤثر على سرعة الوصول إلى تلك الأهداف[٢] .

لم تعد بريطانيا تخشى الدولة العثمانية عسكريا وانما كانت تخشى قوتها الروحية ، بصفتها الدولة الإسلامية الأولى التى تستطيع أن تؤلب على بريطانيا الشعور الدينى والتبرم السياسى ، وتثير بالتالى القلاقل في وجهها ، وهو ماتنبه له السكرتير السياسى لحكومة الهند السير آرثر هرتزل-A. Hirt-zel ، حين أشار إلى أن الخطر العسكرى من جانب الدولة العثمانية قد لايعبأ به ، وانما الخوف يأتى من مكانتها الاسلامية التى سوف تستغل سياسيا للتأثير على مسلمى الهند ، وبالتالى فان الخطورة في نظر الساسة البريطانيين ستأتى من التعاون بين العرب والترك نتيجة اعلان الجهاد وامتداده إلى المشرق العربى ومن ثم إلى الشرق الاسلامي كله[٣] لذا كانت بريطانيا تسعى جاهدة لاحداث نوع من عدم الثقة بين رجال الحكومة العثمانية والأمراء العرب ، وزعماء الاصلاح ، وكانت لاتخفى سعادتها حين ترى وجود الاختلاف بين الفريقين ، لأن ذلك يعود بالمصلحة الأكيدة على المصالح البريطانية في المنطقة[٤] ، وبذلك وجدت أن تزكية روح العداء بين العرب والدولة العثمانية ،

---

(١) منيره والعرينان ، المرجع السابق ، ص٢٩٠ .

(2) F. O.424/239, Enclosure, in No. 54, The Marquess of Grewe to The Government of India, 3. 7. 1913. p. 40.

(٣) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص٢٣١ .

(٤) جريدة الاصلاح عدد ٥٧ ـ ١٤٥٢ في ١٢ شعبان ١٣٣١هـ .

خير وسيلة لذلك ، ووجدت أن تأييد الحركة العربية باعتبارها حركة قومية لااسلامية ، مفيد لتحقيق أهداف الاستراتيجية الاستعمارية البريطانية ، بيد أن الامام عبد العزيز آل سعود استطاع بذكائه السياسى ، وصفاء عقيدته الاسلامية أن يوجد لدولته الناشئة مكانه خاصة نأت بها عن تلك الحركة العربية التى تغذيها السياسة البريطانية وهذا ماجعل الساسة البريطانيين يحسبون لهذه الدولة ألف حساب ، ويبدأون في تغيير سياستهم تجاه ابن سعود ودولته الفتية .

ولقد كانت السيطرة على ولاية البصرة من أولويات السياسة البريطانية في الخليج في الفترة التى سبقت قيام الحرب العالمية الأولى ، لأن في ذلك تأمينا للوجود البريطانى في شمال الخليج العربى وجنوب فارس(١) ، وكانت آراء القيادة السياسية والعسكرية في حكومة الهند البريطانية متفقة على ضرورة توجيه حملة عسكرية لاحتلال البصرة ، لأنه من الخطورة بمكان ترك شمال الخليج دون تأكيد السيطرة البريطانية العسكرية عليه ، ولأن تلك الحملة في نظرهم تشجع العرب وتدفع بهم للوقوف إلى جانب بريطانيا(٢) ، ولاغرابة في ذلك اذ أن السفير البريطاني في الآستانة قد أعلن في الرابع عشر من شهر شوال ١٣٣٢هـ / ٤ سبتمبر ١٩١٤م تأييد حكومته لتنظيم حركة عربية ضد الدولة العثمانية إن هى اتخذت موقفا عدائيا من بريطانيا وأصبح حربها أمر لامفر منه ، مشيرا إلى أن التأييد البريطانى للعرب لابد من وجوده سواء بطريق مباشر أم غير مباشر(٣) .

---

(١) جمال زكريا قاسم : الخليج العربى ـ دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤ ـ ١٩٤٥م ، ص٧ .

(٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص١١٤ .

(٣) عمر عبد العزيز عمر : دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص٥٥٦ .

وحين خشيت بريطانيا على نفوذها في الخليج العربى وجدت أن خير وسيلة هى ابعاد شيوخ الخليج العربى عن ولائهم المعروف للدولة العثمانية ، لذا بدأت في مراقبة الحركة العربية الجديدة ، التى أصبحت تتغذى عن طريق السياسة البريطانية حيث طرحت فكرة الخلافة العربية كشعار سياسى جديد عوضاً عن الخلافة العثمانية ، وتهدف تلك الفكرة إلى الاعتماد على القومية العربية الصرفة بدلاً من الخلافة الاسلامية التى تقض مضاجع الساسة الأوربيين بشكل عام والبريطانيين بشكل خاص ، ولقد عبر وزير خارجية بريطانيا السير ادوارد جراى عن هذه الفكرة ، ولكنه التزم في ذلك جانب الحذر لأن الأمور لازالت فى بداياتها ، اذ قال : « ان حكومة جلالة الملك تشعر بأن مسألة الخلافة أمر يبت فيه المسلمون دون أى تدخل من الدول غير الاسلامية ، فاذا ماقرر المسلمون انشاء خلافة عربية فان حكومة جلالة الملك بالطبع ستحترم هذا القرار ، ولكن المسألة تخص المسلمين وحدهم ليقرروا مايرونه »[١] ، انه أسلوب سياسى جديد طرحته بريطانيا واستمرت في دعمه ومساندته لتحقق من خلال ذلك أهدافها الاستعمارية ، وتؤكد سيطرتها على الولايات العربية ، التى تضمن لها بالتالى نجاح خطتها الرامية إلى تحويل الخليج العربى إلى بحيرة بريطانية ، وهذا ماأدركه السياسى الفرنسى أندريه ديبوسك حين أشار في تقريره الذى رفعه إلى حكومته ، من أن بريطانيا تتمنى ظهور قوة روحية جديدة في شبه الجزيرة العربية تتفق معها على تقويض سلطة السلطان الدينية وحقوق السيادة[٢] ، هكذا اذاً كانت محاولات بريطانيا لاضعاف دولة الخلافة العثمانية باستقطاب الحركة العربية وتغذيتها لتقف في

---

(١) موفق بنى المرجة : المرجع السابق ، ص٣٦٥ .

(٢) وجيه كوثرانى : بلاد الشام ـ السكان الاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين ، ص٢٠٧ .

وجه الدولة العثمانية ، ليس هذا فحسب وانما كانت تسعى في محاولات حثيثة لأخذ أجزاء من الوطن العربى ، وزيادة تأزم العلاقات بين العرب والدولة العثمانية ، فهى اذاً تقف موقفاً عدائياً من العرب ومن الدولة العثمانية ولكنها تبدو بمظهر الصديق للطرفين ، وحققت في ذلك نجاحاً كبيراً .

وعندما أعلنت بريطانيا الحرب على الدولة العثمانية ، بدأ الساسة البريطانيون في التفكير عملياً في الحصول على تأييد من الأمراء العرب في الجزيرة العربية[١] ، وبدأت تساؤلات كثيرة بين هؤلاء حول امكانية تزعم ابن سعود للقيام بحركة ضد الدولة العثمانية ، للامكانيات السياسية والعسكرية التى أظهرها في بناء دولته على أرض الجزيرة العربية[٢] ، لكن عبد العزيز آل سعود كان على قدر كبير من الذكاء ، بحيث أدرك خطط البريطانيين السياسية ومكائدهم وأهدافهم الاستعمارية ، فاحتفظ بحياده ، ولم يعترض القوات العثمانية في اليمن وفي عسير بل ترك رسلها وأموالها تمر عبر بلاده بين اليمن والشام ، وفي الوقت نفسه لم يصطدم مع البريطانيين ولم يحاول أن يظهر عداوته لهم[٣] ، مع العلم أنه قال عنهم لأمين الريحانى : « تراهم يدسّون الدسائس عليَّ ، أحاطونى بالأعداء ، أقاموا دويلات حولى ، ونصّبوا من أعدائى ملوكاً وهم يمدونهم دائما بالمساعدات المالية والسياسية »[٤] .

وفى الخامس عشر من ذى الحجة ١٣٣٢هـ / ٣ نوفمبر ١٩١٤م أعلنت الحكومة البريطانية أن الكويت أصبحت امارة مستقلة ، ووجه المقيم السياسى

---

(١) أمين الريحانى : نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز آل سعود ... ، ص٢٢٩ .

(٢) تركى بن محمد بن سعود الكبير : المرجع السابق ، ص٧ .

(٣) خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، ج١ ، ص٢١٦ ؛ خير الدين الزركلى : الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، ص٦٠ .

(٤) أمين الريحانى : ملوك العرب ، ج٢ ، ص٥٨ .

في الخليج السير برسى كوكس إلى شيخ الكويت التبليغ الآتى : « يجب على الرؤساء العرب التعاون مع الحملة البريطانية لتحرير البصرة من العثمانيين ، ومهمة الشيخ مبارك هي القيام بمهاجمة المراكز العثمانية في أم القصر وصفوان وجزيرة بوبيان ، وتتعهد بريطانيا بحماية الكويت بحدودها الجديدة بعد ضم هذه المواقع ، ومنع جميع الامدادات عن القوات التركية وعرقلة مواصلاتها والتعهد بحماية طرق المواصلات البريطانية ، وفي مقابل ذلك توجه السلطات البريطانية الشكر إلى حاكم الكويت ، وتتعهد بعدم رد البصرة إلى العثمانيين وبحماية أملاكه في شط العرب له ولورثته مع اعفائها من جميع الضرائب والاعتراف باستقلال الكويت تحت الحماية البريطانية »(١) ، كما وجه المقيم البريطانى إلى شيخ المحمرة تبليغاً آخر على نفس السياق وطلب منه التعاون مع شيوخ العرب الموالين لبريطانيا للهجوم على البصرة وتحريرها من العثمانيين ، واذا تعذر ذلك فيكفى الوقوف في منع الامدادات العثمانية من الوصول إلى البصرة(٢) .

أما في ولاية البصرة ذاتها فقد غادر القنصل البريطانى مدينة البصرة إلى المحمرة ومن هناك بدأ في مفاوضة السيد طالب النقيب حيث عرض عليه عدة بنود تمثل الوعود البريطانية التى تتعهد حكومة بريطانيا بتنفيذها اذا قدم طالب النقيب جميع المساعدات لبريطانيا كى تقوم باحتلال البصرة ، وتتلخص الوعود البريطانية تلك فى ستة بنود هى :

١ ـ تنصيب السيد طالب حاكماً عاماً على ولاية البصرة ولوائى الناصرية والعمارة .

---

(١) صلاح العقاد : المرجع السابق ، ص٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

(٢) جمال زكريا قاسم : الخليج العربى ـ دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤ ـ ١٩٤٥م ، ص٩ .

٢ ـ جعل اللغة العربية لغة رسمية في الدوائر الحكومية والمدارس .

٣ ـ تعيين موظفين عراقيين في جميع مناصب القضاء وفى الدوائر الرسمية .

٤ ـ جعل ادارة الأوقاف أهلية تحت اشراف الحكومة .

٥ ـ اعفاء أملاك السيد طالب وأملاك أسرته من الرسوم الأميرية .

٦ ـ تعنى الحكومة البريطانية بأمر المصارف والشئون الاقتصادية والزراعية عناية خاصة لغرض تقدم البلاد ورقيها[١] .

وقراءة هذه البنود التى صاغتها السياسة البريطانية ، يعطى دليلا على أن بريطانيا كانت تتتبع الحركة العربية منذ نشأتها وتعرف المطالب العربية التى كان يطالب بها رجال الاصلاح العرب في ظل الدولة العثمانية وعلى قاعدة اللامركزية وهى تدرك أن حروب البلقان أثرت عسكرياً وسياسياً على الدولة العثمانية ، وهى تريد أن تستقطب الحركة العربية لتحقق أهدافها الاستعمارية في البصرة ، والحرب العالمية الأولى اتاحت لها تحقيق أطماعها كاملة .

وقد رفض السيد طالب النقيب هذه الوعود البريطانية وأكد أن البلاد العربية لاتريد الخروج عن الدولة العثمانية لتقع تحت الاستعمار البريطانى ، بيد أنه تعهد بثورة ضد الدولة يقودها ضباط وجنود عرب ودون تدخل من الجيش البريطانى على أن تمده بريطانيا بالسلاح والمال وأن تبقى بواخرها وقطعها البحرية في الخليج خارج شط العرب ، ولاتدخل القوات البريطانية أرض العراق الا اذا تدخلت الجيوش الألمانية ضد العرب ، وبعد خروج العثمانيين تؤسس دولة عربية مستقلة تحت حماية بريطانيا ، على أن يُمنح للبريطانيين امتيازات خاصة ، وجميع خسائر الحرب التى تتحملها بريطانيا

---

(١) سليمان فيضى : المصدر السابق ، ص١٨٨ ـ ١٨٩ .

في مساندة الثورة تعتبر قرضا يسدد على أقساط تنتهى الحماية بنهايتها ، وتبقى الامتيازات الاقتصادية على أن تكون هذه المطالب أساساً لمعاهدة دولية يوقع عليها مندوب رسمى عن الحكومة البريطانية ، لكن هذه المقترحات قوبلت بالرفض من الحكومة البريطانية[1] ، غير أن هذا يعطينا دليلاً على أن بريطانيا قد أوجدت نوعاً من التقارب بينها وبين الرؤساء العرب في كل من المحمرة والكويت والبصرة الذين لم يكونوا في معزل عن الحركة العربية في الشام ، ولعل لويد جورج Lioyd George رئيس وزراء بريطانيا كان يشير إلى شيء من ذلك حين قال : « ان عملاءنا لدى العرب ومن بينهم أناس من ذوي الاختبار المشهود لهم بمهارتهم في فنون الدبلوماسية الشرقية راحوا يعملون على اثارة روح الثورة ويتعهدون بتقديم الأسلحة والذخائر .... »[2] .

ويورد أحد المعاصرين لتلك الأحداث رواية مفادها أن القنصل البريطانى في المحمرة أرسل رسالة إلى السيد طالب النقيب الذى كان يستعد للرحيل إلى نجد ، وفيها بعض التعديل للمقترحات البريطانية على النحو التالى : أن يلتزم السيد طالب جانب الحياد أثناء الحرب مقابل وعد من بريطانيا بجعله حاكماً عاماً مدى الحياة على العراق من الفاو إلى آخر نقطة يصل إليها الاحتلال ، ولكن رد السيد طالب النقيب كان حازماً ومعبراً حيث قال : « انى أرفض كل اقتراح من هذا القبيل ، وقد عزمت على السفر إلى نجد فابحثوا عن من يعينكم على استعمار بلاده ، واعلموا أن الذى لايرضى بحكم الأتراك اخوانه في الدين حرى به أن يأبى حكم الانجليز »[3] ، وهذا دليل واضح على

---

(١) سليمان فيضى : المصدر السابق ، ص١٨٩ ـ ١٩٠ .

(٢) زين نور الدين زين : الصراع الدولى في الشرق الأوسط وولادة دولتى سوريا ولبنان ، ص٦١ .

(٣) سليمان فيضى : المصدر السابق ، ص١٩٢ .

أن زعماء الحركة العربية من أمثال طالب النقيب ودعاة الاصلاح على قاعدة اللامركزية ، لم ينظروا إلى الدولة العثمانية كدولة استعمارية ، وانما كانت لهم توجهات استقلالية تطورت تبعا لتطور الأحداث ، وقد رأت السلطات البريطانية في مصر شيئاً من هذا القبيل ، حين حاولت أن تتصل ببعض الزعماء العرب مثل عزيز المصرى والسيد رشيد رضا ، ليقوموا بالتحالف مع بريطانيا لضمان مستقبل البلاد العربية ، الا أن الزعماء العرب أصروا على ضرورة الحصول على ضمانات لاستقلال البلاد العربية(١) ، فالسياسة البريطانية اذاً كانت تحاول توثيق صلتها بالعرب مستغلة سوء التفاهم الحاصل بين حكومة الاتحاد والترقى وأقطاب الحركة العربية ، لتصل من خلال ذلك إلى تفكيك عرى الدولة العثمانية ، وفصل الولايات العربية عنها ، وبالتالى تحقيق أطماعها في البصرة وهو ماذهبنا إليه في هذا البحث وأثبتته الأحداث التاريخية .

ويذهب أحد المؤرخين إلى أن الفترة التى أعقبت حرب البلقان وسبقت الحرب العالمية الأولى شهدت تدهوراً في « العلاقات بين العرب والترك نتيجة لسياسة التتريك التى سارت عليها حكومة الاتحاديين ، وفشلت الجهود التى بذلت لاقناع الاتحاديين بمنح العرب حقوقهم المشروعة في الحكم اللامركزى ، على أن العرب كانوا يخشون أن يثوروا على الترك فتتخطفهم أطماع الدول الأوربية »(٢) ، ولقد سارعدت الحركة العربية الممزقة توجهات السياسة البريطانية ، لتحقق أطماعها في المشرق العربى ، لتحتل مدينة البصرة في الخامس من محرم ١٣٣٣هـ / ٢٢ نوفمبر ١٩١٤م(٣) ، وتصل إلى غايتها

---

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص٢٩٠ .

(٢) أحمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث ص٤٣٧ .

(٣) محمد خليفة النبهانى : المرجع السابق ، ص٣٤٤ ؛ عبد العزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر ـ مصر والعراق ـ ، ص٤٥٧ .

المنشودة ، وهى تفكيك دولة الخلافة واضعافها ، وبالتالى تمت لها السيطرة على المشرق العربى العثمانى ، والخليج العربى بشكل خاص .

ونحن هنا نستطيع أن نقول أن الموقف الأمثل الذى كان العرب في حاجة إلى الاقتداء به هو موقف الامام عبد العزيز آل سعود الذى أشرنا إليه فيما سبق ، لأن الحركة العربية حينذاك كان يجب أن تعتمد على الوحدة أولاً ، وعلى نفسها في نطاق الاسلام ، دون عداء صريح من البعض للدولة العثمانية ، أو انحياز صارخ من البعض الآخر للسياسة البريطانية ، لكن ذلك لم يحدث لتلك الحركة التى اضعفتها القومية العربية المتطرفة وأخرجتها عن الطريق الصحيح ، وحققت للاستعمار الأوربى كل أهدافه وتطلعاته في المشرق العربى ، باستثناء تلك الدولة الاسلامية الناشئة التى أقامها الامام عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل سعود على أسس اسلامية عربية راسخة ، مما جعلها تقف حصناً منيعاً في طريق استعمار أوربى شامل للمشرق العربى .

الفصل الخامس

الحركة العربية عند قيام الحرب العالمية الأولى

أ ـ نشر قانون الولايات : المركزية .

ب ـ اشتداد المعارضة العربية للمركزية والتتريك .

ج ـ الدعوة لمؤتمر الجزيرة العربية .

د ـ ضم الأحساء ، وقيام سلطنة نجد وتوابعها .

هـ ـ أثر موقف سلطنة نجد بالنسبة للمشرق العربى .

و ـ قيام الحرب العالمية الأولى ، تغير ميزان القوى .

أ ـ نشر قانون الولايات = المركزية .

تسارعت الأحداث على الدولة العثمانية ، وانعكست آثار هزائمها في حروب البلقان على أوضاعها السياسية والعسكرية وبالتالى أصبح المشرق العربى هو قطب الرحى في معظم الأحداث التاريخية التى تمر بها الدولة ، لأن بنية الدولة العثمانية قد تغيرت بعد حروب البلقان ، وأصبح العرب أكثرية في الدولة ، لذا كانت الحركة العربية مؤثرة تأثيراً ملموسا في النهج السياسى للحكومة العثمانية ، بيد أن الفترة الزمنية التى انحصرت فيها أحداث المشرق العربى العثمانى منذ حروب البلقان حتى قيام الحرب العالمية الأولى كانت فترة قصيرة جداً قياساً لتاريخ الأمم والشعوب ، لكنها مع ذلك شهدت أحداثا سريعة ومؤثرة أدت في آخر المطاف إلى تغيير الخريطة السياسية في المشرق العربى ، وأعطت للحركة العربية صورة سياسية دولية أصبحت من خلالها محوراً للأحداث السياسية الدولية طوال فترة الحرب العالمية الأولى .

وقد كان قانون الولايات الذى أعلنته الحكومة العثمانية ابان اشتعال حروب البلقان ذا أثر فعال على الحركة العربية في المشرق العربى العثمانى ، لأنه أعطى انطباعا واضحا عن المركزية التى تنوى حكومة الاتحاد والترقى فى نشرها في ولايات الدولة ، ولاسيما أن الجزء الأوربى من الدولة الذى تمثله الولايات البلقانية قد خرج عن الدولة العثمانية ، والولايات العربية التى باتت تمثل أكثرية في الدولة تطالب بالاصلاح على قاعدة اللامركزية الادارية .

ويعتبر قانون الولايات الذى سنته الدولة العثمانية سنة ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م بمثابة تنظيم للسياسة المتبعة في الولايات العثمانية ، ويرى البعض أن هذا القانون منقول نقلاً أميناً عن النظم الادارية الفرنسية من حيث تقسيم

السلطنة إلى ولايات ، تتألف من متصرفيات ، وهذه تتألف من قائمقاميات يتبع كل منها عدد من النواحى ، وقد استمرت تصرفات الولاة وفق هذا القانون قاصرة على تطبيق أوامر الاستانة ، وتعزيز قاعدة المركزية في النظام الادارى المعمول به في الولايات[١] .

وكانت الدولة العثمانية تنقسم إلى ولايات ، والولايات تنقسم بدورها إلى ألوية « سناجق » والألوية تنقسم إلى أقضية ـ جمع قضاء ـ ، والاقضية تنقسم إلى نواح ، وكانت الادارة في كل لواء تسند إلى ـ متصرف ـ ، وفى كل قضاء إلى ـ قائمقام ـ وفى كل ناحية إلى ـ مدير الناحية ـ ، وفى نهاية كل عام كانت الدولة العثمانية تنشر كتاباً سنوياً « حولية رسمية ـ تسمى « سالنامة دولت عليه عثمانية » ، تبين فيها كامل التفصيلات عن التقسيمات الادارية ، وتذكر أسماء رؤساء الموظفين في جميع الأقضية والألوية والولايات فضلا عن العاصمة[٢] .

وقد كانت « السالنامة » تورد لفظ ايالة ، حتى صدور قانون الولايات المشار إليه بعاليه ، حيث اختفى لفظ ايالة وساد استعمال لفظ ولاية حتى نهاية العهد العثمانى ، مما يعنى أن لفظ ايالة في التقسيم الادارى عند العثمانيين قد سبق لفظ ولاية ، وهو لايعنى عدم استعمال لفظ ولاية ولكنه يعنى أسبقية لفظ ايالة على لفظ ولاية ، وقد قسمت ولاية سورية إلى ألوية « سناجق » ، والألوية قسمت بدورها إلى اقضية والأقضية إلى نواح وقرى ومحلات ومزارع وذلك وفق نظام ادارة الولايات العمومية الذى صدر في سنة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧١م[٣] .

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص١٠ .

(٢) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ص١٣٨ .

(٣) عبد العزيز محمد عوض : المرجع السابق ، ص٧٠ ـ ٧١ ، وهامش ٢ ص٧٠ .

ويذكر أحد المؤرخين أن البلاد العربية التابعة للدولة العثمانية كانت في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى / أوائل القرن العشرين الميلادى - أى فى الفترة التى سبقت فترة بحثنا هذا والفترة المعاصرة له - كانت تنقسم إلى تسع ولايات ، وأربع متصرفيات مستقلة - بمعنى غير مرتبطة بولاية من الولايات - وأيالتين ممتازتين ، وهذه الولايات التسع هى :

ولاية الحجاز ، ولاية اليمن ، ولاية البصرة ، ولاية بغداد ، ولاية الموصل ، ولاية حلب ، ولاية سوريا « دمشق » ، ولاية بيروت ، ولاية طرابلس الغرب .

أما المتصرفيات الأربع فهى : متصرفية قدسى الشريف ، وتضم أربعة أقضية ، ومتصرفية بنغازى وتتبعها ثلاثة أقضية ، ومتصرفية الزور وتضم أربعة أقضية ، ومتصرفية جبل لبنان وتضم ثمانية أقضية ، أما الأيالتان الممتازتان فهما ايالة مصر ، وايالة تونس[١] ، ولم يتم تطبيق قانون الولايات تطبيقا تاماً في ولايتى الحجاز واليمن ، كما أنه لم يطبق فى الولايات العربية بصورة متساوية[٢] .

وفي أوائل شهر رمضان ١٣٢٧هـ / أواخر سبتمبر ١٩٠٩م نشرت جمعية الاتحاد والترقى برنامجها السياسى ، الذى أظهرت استعدادها فيه لادارة الولايات على قاعدة توسيع دائرة المأذونية - أى الصلاحيات - التى نصت عليها المادة ١٠٨ من القانون الأساسى العثمانى « الدستور »[٣] ، الذى

---

(١) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص١٣٨ - ١٤٥ .
(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص١٢ .
(٣) ابراهيم خليل أحمد : المرجع السابق ، ص٤٠٥ .

أعلن فى بداية عهد السلطان عبد الحميد الثانى سنة ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م ، وهو ماعرف بالمشروطية الأولى ، ثم أعيد العمل به بعد ثورة الاتحاديين سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م ، وهو ماعرف بالمشروطية الثانية ، والتى استمر العمل بها حتى سقوط الدولة العثمانية وقيام جمهورية تركيا الحديثة[١] .

وبعد الحرب الطرابلسية ، وحروب البلقان شددت حكومة الاتحاد والترقى من قبضتها على السلطة ، واتخذت المركزية في الحكم منهجا لها ، بحجة أن الدولة العثمانية أصبحت تواجه مشكلات ضخمة ، تتطلب نوعاً من القيادة القوية ، وأن عاصمة الدولة لابد أن تكون هى مصدر القرارات التى تسير عليها ولايات الدولة[٢] ، وهذا الاتجاه في سياسة الحكومة العثمانية حينذاك تاكيد لما ذهب إليه البحث من أن آثار حرب البلقان قد أخلّت كثيراً بأوضاع الدولة العثمانية السياسية منها والعسكرية .

وكان دعاة الاصلاح العرب في النصف الأول من عام ١٣٣١هـ . أوائل ١٩١٣م ، يضعون البرامج الاصلاحية على قاعدة اللامركزية ، ويسعون للحصول على منح أكبر قدر من الاصلاحات للولايات العربية ، وهو ماتمثل في اللائحة التى وضعتها جمعية بيروت الاصلاحية وقدمتها للوالى العثمانى في بيروت ، لكنه حاول أن يقنع الجمعية بتأجيل البت في هذه اللائحة وعدم ارسالها للاستانة حتى صدور قانون الولايات الذى تعتزم الحكومة اصداره ، والذى سيتضمن أسس الاصلاح التى يطالب بها العرب ، غير أن الجمعية البيروتية رأت أن الأفضل هو ارسال تلك اللائحة إلى عاصمة الدولة ، على أن يكون للحكومة الحق في مناقشة الجمعية حول بنود اللائحة اذا رأت ذلك[٣] .

(١) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص٦٢ ـ ٦٣ ، ١٧١ .
(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٨٥ .
(٣) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، ص٢٤ ، ١٥٥ .

وقد ظل الوالى العثمانى في بيروت أبو بكر حازم بك يدارى الاصلاحيين العرب ، ويدلى لهم بالتصريحات المطمئنة ، ويعدهم بقرب صدور قانون الولايات الذى سيحقق لهم الاصلاحات المطلوبة على قاعدة اللامركزية ، والتى ستكون أكثر مما يتصوره العرب ويطالبون به ، وقد عبّر له العرب عن شكرهم وولائهم للدولة ، مؤكدين له أن حركتهم الاصلاحية تلك لاترمى الا لغاية واحدة ، هى صيانة البلاد من الخطر الأجنبى وابقائها في ظل الدولة العثمانية(١) ، لكن هذا التعامل الودى بين الوالى العثمانى والاصلاحيين العرب لم يستمر طويلاً ، اذ أقدم الوالى في اليوم الثانى من جمادى الأولى ١٣٣١هـ / ٨ أبريل ١٩١٣م على اصدار بلاغ رسمى منع بموجبه اجتماع الجمعية العمومية الاصلاحية في بيروت وأمر باقفال ناديها ، وجاء فى البلاغ أنه قد « شرع بتطبيق قانون ادارة الولايات الذى نظمته الحكومة السنية وفقا لقاعدة توسيع المأنونية وتفريق الوظائف التى نصت عليها المادة المانية والثامنة من القانون الأساسى ، وصدرت ارادة الحضرة السلطانية بمراعاة أحكامه فجاء جامعا للمساعدات الواسعة التى تتطلبها الاصلاحات المطلوبة لبيروت ولسائر الولايات العثمانية ومتضمنا الأحكام المخصوصة التى تؤمن الاحتياجات الخصوصية لكل ولاية »(٢) ، هكذا اذاً أصدرت حكومة الاتحاد والترقى قانون الولايات الجديد في وقت كان الإصلاحيون العرب في المشرق العربي العثمانى قد انكبوا على اعداد اللوائح الاصلاحية ، ووضع المطالب العربية على قاعدة اللامركزية موضع التنفيذ ، غير أن هذا القانون الداعى إلى المركزية أضاع كثيراً من المطالب التى يتطلع إليها العرب بعد أن تغيرت بِنْيَة الدولة العثمانية ، وأصبحت الأكثرية عربية .

---

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٤٦٧ ، ٤٧٢ .

(٢) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٧٧ في ٣ جمادى الأولى ١٣٣١هـ .

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن قانون الولايات الجديد قد صدر في ٢٩ جمادى الأولى ١٣٣١هـ / ٥ مايو ١٩١٣[١]م ، غير أن البلاغ الرسمى الذى أصدره الوالى العثمانى في بيروت ، والذى أشار إلى ذلك القانون ، قد صدر قبل هذا التاريخ بما يقارب شهراً كاملاً ، أضف إلى ذلك أن الصحف العربية في المشرق العربى والتى نشرت قانون الولايات الجديد فى اعداد متتالية ، قد بدأت في نشره عقب البلاغ الذى أعلنه الوالى العثمانى في بيروت والذى سبق أن أشرنا إليه ، وهو سابق بطبيعة الحال على التاريخ الذى ذهب إليه المؤرخون ، وقد استطعنا أن نحصل على بعض أعداد من صحيفة الاتحاد العثمانى التى تصدر في بيروت ، وتعود ملكيتها للسيد أحمد حسن طباره ، وهو واحد من زعماء الاصلاح العرب ومن الأعضاء المؤسسين لجمعية بيروت الاصلاحية ، مما يجعل منها مصدراً معاصراً لتلك الأحداث ، حيث بدأت في نشر قانون الولايات الجديد في أعداد متتالية بدءاً بالعدد رقم ١٣٨٢ في ٩ جمادى الأولى ١٣٣١هـ / ١٥ ابريل ١٩١٣م [٢]، مما يؤكد أن نشر قانون الولايات الجديد قد سبق التاريخ الذى ذهب إليه المؤرخون المشار اليهم سلفاً ، ويذهب مؤرخ آخر إلى أن قانون الولايات الجديد قد صدر في شهر رجب ١٣٣١هـ / يونيو ١٩١٣م[٣] ، بينما يرى أحد المؤرخين أن قانون

---

(١) جورج انطونيس : المرجع السابق ، ص١٩٠ ؛ محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص١٦٥ ؛ لوتسكى : المرجع السابق ، ص٤١٠ .

(٢) جريدة الاتحاد العثماني عدد ١٣٨٢ في ٩ جمادى الأولى ١٣٣١هـ ؛ جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٩٤ في٢٣ جمادى الأولى ١٣٣١هـ .

(٣) وجيه كوثرانى : السلطة والمجتمع والعمل السياسى من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام ، ص٢٠٩ .

الولايات الجديد الذى أصدرته الحكومة العثمانية امتداداً لنظام الولايات الصادر سنة ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م ، قد صدر في السابع عشر من ربيع الثانى ١٣٣١هـ / الخامس والعشرين من مارس ١٩١٣م[1] ، وهذا التاريخ بطبيعة الحال هو الأقرب للواقع ، ونحن نميل إلى الأخذ بنفس الرأى ، والقرائن التاريخية تؤيد هى الأخرى هذا الرأى ، لأن الفترة الزمنية بين صدور القانون الجديد ونشره في الصحف ترجح هذا الرأى ، كذلك الفترة الزمنية بين صدوره واشارة الوالى العثمانى في بيروت اليه في بلاغه الموجه لجمعية بيروت الاصلاحية سالف الذكر ترجح هى الأخرى ذلك الرأى .

وقد صيغ قانون الولايات الجديد في مقدمة وعدد كبير من المواد ، ونصت المقدمة على « أن أصول ادارة الولايات هى بموجب المادة ١٠٨ من القانون الأساسى ، مؤسسة على قاعدة توسيع المأذونية وتفريق الوظائف ، وكل مأمور مكلف أن يؤدى وظيفته في دائرة الصلاحية الحائز عليها قانوناً ومسئول عن جميع الأفعال المتعلقة بمأموريته » ، كما نصت المادة الأولى على أن « الولايات منقسمة إلى ألوية ، والألوية إلى اقضية ، والاقضية إلى نواحٍ ، والنواحى إلى قرى ؛ الوالى هو رئيس ومرجع ادارة الولاية العمومية ، ورئيس ادارة اللواء المسئول عنه هو المتصرف ، ورئيس ادارة القضاء المسئول عنه هو القائمقام ، يشكل أيضا في مراكز الولاية مركز قضاء آخر ويعين له قائمقام ، رئيس ادارة الناحية المسئول عنها هو المدير »[2] .

وبموجب القانون الجديد للولايات فقد تمتع الوالى بصلاحيات واسعة اذ اعتبر اكبر مأمورى السلطة التنفيذية فى الولاية ووكيل وممثل كل نظارة

---

(١) عبد العزيز محمد عوض : المرجع السابق ، ص٥١ .

(٢) جريدة الاتحاد العثماني عدد ١٣٨٢ في ٩ جمادى الأولى ١٣٣١هـ ، ص٢ .

ومسئول عن ادارة الولاية العمومية ، ومن وظائفه نشر واعلان القوانين والنظامات فى داخل الولاية وتأمين تنفيذها تماماً والقيام بالوظائف التى تخوله اياها تلك القوانين والنظامات ، واستعمال صلاحيته بها ووقاية حقوق الدولة والأهالى واجراء أوامر وتعليمات النظارات « المادة ٢٠ »[١] .

ومن الأحكام العامة التى تضمنها قانون الولايات الجديد ماتضمنته المادتان الثامنة والتاسعة " « يعين الولاة ومعاونوهم ، والمتصرفون والمكتوبيون « أمناء سر الولاة » ، والقائمقامون ، ورؤساء الادارة في مركز الولاية ـ قائد الدرك ، مدير البوليس ، مدير النفوس ، مدير الأمور الخارجية ، ترجمان الولاية ـ ومديرو تحريرات اللواء ومحاسبو اللواء ومفتشو المعارف ومديرو ومعلمو المكاتب السلطانية ـ التجهيز ـ وأطباء الحكومة ، ومهندس النافعة ، من قبل مركز السلطة »[٢] .

ومن أهم صلاحيات الوالى في هذا القانون مانصت عليه المادة ١٢ والتى تقول : « اذا رأى الولاة لزوما لعزل المأمورين المعينين بارادة سنية أو من قبل النظار يكتبون بذلك للاستانة ، فاذا لم تجد النظارات الأسباب التي بينها الولاة كافية للعزل ترسل الأوراق إلى شورى الدولة خلال شهر على الأكثر من تاريخ وصولها على أن يعطى النظار معلومات عن ذلك حالاً إلى الولاة بالتلغراف ، وأما شورى الدولة فانها تجرى التدقيقات فيها خلال شهرين على الأكثر ثم تعيدها ، فاذا لم يعط الجواب في مدة شهر فالولاة مأذونون بأن يأخذوا العهدة على عاتقهم ويعزلوهم ، وأن يكفوا أيدى المأمورين الذين يرون في بقائهم اخلالاً بالراحة والانضباط بشرط اخبار المركز »[٣] .

---

(١) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٨٥ في ١٢ جمادى الأولى ١٣٣١هـ .

(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٤٨٠ ـ ٤٨١ .

(٣) جريدة الاتحاد العثماني عدد ١٣٨٤ في ١١ جمادى الأولى ١٣٣١هـ .

أما المادة ١٢٥ من قانون الولايات الجديد فقد كانت على النقيض مما دعت إليه اللوائح الاصلاحية التى يطالب بها العرب ، حيث منحت الوالى الحق في تأخير مذكرات المجلس العمومى اسبوعاً واحداً على أن يبلغ نظارة الداخلية بذلك ، وله الحق في فسخ المجلس العمومى على أن يبين الأسباب الداعية لذلك ويستأذن نظارة الداخلية في ذلك ويلتزم بتوجيهاتها المبنية على قرار مجلس النظار ، وفي حالة الموافقة على الفسخ تؤخذ ارادة سنية من السلطان العثمانى[١] .

واذا كانت حكومة الاتحاد والترقى ترى أن اصدار هذا القانون قد جاء نتيجة لحالة الحرب التى تعيشها الدولة العثمانية في البلقان ، مما يحتم عليها احكام المركزية وتقوية قبضة العاصمة على الولايات العربية التى أصبحت أكثرية في الدولة ، فان دعاة الاصلاح العرب قد رأوا أن قانون الولايات الجديد جاء على النقيض تماماً مما هدفت اليه اللائحة الاصلاحية لجمعية بيروت ومايطالب به حزب اللامركزية الادارية العثماني في مصر ، ونشرت الصحف في بغداد مقالات تندد فيها بهذا القانون ، وعقدت الاجتماعات وأرسلت البرقيات من الولايات العربية إلى عاصمة الدولة تطالب بعدم تطبيق هذا القانون باعتباره غير كاف لاصلاح ولاياتهم[٢] .

وقد عبر رفيق العظم رئيس حزب اللا مركزية في القاهرة عن آرائه في قانون الولايات الجديد حيث قال : « هو توسيع سلطة الولاة بدلاً من توسيع سلطة المجالس العمومية ، فمن مقتضى هذا القانون يتوقف كل عمل سواء كان

(١) عبد العزيز محمد عوض : المرجع السابق ، ص٥٢ .

(٢) ابراهيم خليل أحمد : المرجع السابق ، ص٤١٣ ـ ٤١٤ ؛ لوتسكى : المرجع السابق ، ص٤١٠ .

حسناً أو قبيحاً على ارادة الوالي فهو يعين ويعزل من تلقاء ارادته الموظفين وهو الذى يحق له حل كل المسائل وقد انحصر عمل المجالس العمومية بالاستشارة فقط ، لأن قراراتها لاتنفذ الا اذا كانت موافقة لرغائب الوالي ، نعم القانون الجديد أبان بأنه اذا حدث خلاف بين الولاة والمجالس العمومية فمرجع الحل عائد إلى مجلس شورى الدولة ولكنه يقتضي في مثل هذه الحال الانتظار الشهور الطويلة لحل المسائل المهمة التى أوجبت الخلاف بين الولاة والمجالس العمومية ، وبذلك نعود إلى عادة التأخير القديمة ونرجع إلى المعاكسات السابقة »[١] .

أما في الحجاز ، فقد ساءت علاقات الشريف حسين بحكومة الاتحاد والترقى بسبب قانون الولايات الذى سلبه اختصاصات الشرافة التى كان يتمتع بها ، خاصة بعد تعيين وهيب باشا والياً على الحجاز ومنحه صلاحيات كبيرة يجمع من خلالها في يده كامل السلطة في ولاية الحجاز[٢] ، فى حين كان الشيخ أحمد حسن طباره أحد أعضاء جمعية بيروت الاصلاحية يرى أن قانون الولايات الجديد لايحقق للعرب أى شيء من مطالبهم الاصلاحية ، لأنه يرمى لتوسيع سلطة الولاة ، وليس توسيع سلطة المجالس العمومية التى يطالب بها العرب ، وهذا من وجهة نظره يزيد من استئثار الولاة بالسلطة والاستمرار في المظالم والاستبداد وخير ضمانات يمكن تقديمها للعرب هى توسيع سلطة المجالس العمومية[٣] ، ونفس الاتجاه قال به السيد عبد الحميد الزهراوى رئيس المؤتمر العربى فى باريس ، مشيراً إلى أن هذا القانون

(١) جريدة الاصلاح عدد ٢٤ ـ ١٤١٩ في ٢ رجب ١٣٣١هـ نقلا عن الجون تورك العثمانية .
(٢) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص١٩٢ .
(٣) جريدة الاصلاح عدد ٢٩ ـ ١٤٢٤ في ٨ رجب ١٣٣١هـ .

ومانتج عنه من حصر السلطة في مركز الدولة وتوسيع سلطة الولاة فقط سيؤدى إلى تجزئة الوحدة العثمانية وهو أمر لايريده العرب ولايتمنون حدوثه[1]

وقد أعقب صدور قانون الولايات الجديد صدور بعض البلاغات الرسمية من الصدر الأعظم العثماني ومن نظارة الداخلية العثمانية ، وتهدف في مجملها إلى اجراء الاصلاح العاجل في الولايات العثمانية ، وفى مقدمتها بطبيعة الحال الولايات العربية[2] ، وهذا ماأشار إليه السلطان العثماني في مقابلة أجرتها معه جريدة الطان Le Temps الفرنسية حينذاك[3] .

وفى محاولة من الحكومة العثمانية لاستقطاب العرب إلى جانبها أشار وزير الداخلية العثماني إلى أن موقف الحكومة من نظام اللامركزية كان مبنياً على الأوضاع في الشعوب البلقانية التى كانت تنزع إلى الانفصال ، أما وقد أنهت حروب البلقان تلك المشكلة فلم يعد أمام الحكومة العثمانية أى مانع من الأخذ بنظام اللامركزية في الولايات العربية ، لأن اتجاهات العرب ونزعاتهم وولاءهم للدولة العثمانية لايرقى اليها الشك في أية حال من الأحوال[4] ، وبالفعل نشرت صحف الاستانة في الرابع عشر من شهر رمضان ١٣٣١هـ / ١٦ أغسطس ١٩١٣م الارادة السلطانية الصادرة بتنفيذ ماقرره مجلس الوكلاء من التغيير الادارى في البلاد العربية وفق البنود التالية :

١ ـ أن يعهد إلى مجالس الطوائف المحلية بادارة أملاك ومعاهد الأوقاف المشروط صرف ريعها على الجهات الخيرية مع مراعاة شروط الواقفين والتزام نصوص القانون الخاص الذى باشرت الحكومة وضعه .

---

(١) جريدة الاصلاح عدد ٤٠ ـ ١٤٣٥ فى ٢٢ رجب ١٣٣١هـ

(٢) جريدة الاصلاح عدد ٥٦ ـ ١٤٥١ فى ١١ شعبان ١٣٣١هـ ؛ مجلة المنار ، مجلد ١٦ ، ج٩ ، ص٧١٨ ـ ٧١٩ .

(٣) جريدة الأهرام عدد ١٠٧٥٤ في ١٢ شعبان ١٣٣١هـ .

(٤) ساطع الحصرى : محاضرات في نشوء الفكرة القومية ، ص١٤٨ .

٢ ـ أن يؤدى الجنود خدمتهم الجندية في زمان السلم والأمن داخل دائرة التفتيش التى هم تابعون لها ، واذا رأت الدولة أن الحال تقتضى بزيادة عدد الجنود المحتشدة على جهة من جهات الحدود فللحكومة أن تحشد وتسوق كل صنف من أصناف العساكر من غير قيد ولاشرط ، وأما العساكر الذين تمس الحاجة الآن الى ارسالهم إلى الحجاز واليمن وعسير ونجد وأمثال هذه الاقطار فيؤخذون من كل البلاد العثمانية بنسبة صحيحة .

٣ ـ لأجل الاطمئنان على حصول ماتحتاج اليه البلاد العربية بوجه خاص من وسائل الحضارة والعمران في الحاضر والمستقبل فان من المفيد لذلك أن تكون لغة التعليم في مدارس تلك البلاد هى اللغة العربية ويبادر من الآن إلى التعليم بهذه اللغة في المدارس الابتدائية والثانوية مع جعل تعليم اللغة التركية اجبارياً ، وينظر من الآن في أسباب جعل التعليم العالى في المستقبل بالعربية في البلاد العربية ، ولكن لأجل تعميم اللسان الرسمى ينبغى أن يبقى التعليم بالتركية في المدارس الثانوية التى في مراكز الولايات .

٤ ـ يجب أن يلاحظ في تعيين الموظفين للبلاد العربية أن يكونوا عارفين اللغة العربية عدا اللغة الرسمية ، أما الموظفون الذين من الدرجة الثالثة فتعينهم الحكومة المحلية في الولايات على النهج المنصوص عليه في القوانين الخاصة بذلك ، وأما الذين يتوقف تعيينهم على صدور ارادة سنية فيناط تعيينهم بالحكومة المركزية في الاستانة »[١] .

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٩ ، ص٧٢٠ .

ثم صدرت ارادة سنية في السابع من شهر صفر ١٣٣٢هـ /٤ يناير ١٩١٤م تقضى بتعيين سبعة من العرب أعضاء في مجلس الاعيان[1] ، وهذا تعبير عن اتجاه الحكومة العثمانية لاستقطاب الحركة العربية في المشرق العربي ، ولاسيما أن قانون الولايات الجديد لم يصل إلى الغاية التى يهدف إلى تحقيقها دعاة الاصلاح العرب .

واذا كان اتجاه الحكومة العثمانية بتوسيع سلطة الوالى من خلال قانون الولايات سالف الذكر ، يرمى إلى بسط سياسة المركزية في الولايات العربية ، فان الاهتمام بالمؤسسات الادارية المحلية ، ومحاولة استقطاب الحركة العربية التى أشرنا اليها ، تعنى التسليم المحدود بنظام اللامركزية الذى يطالب به العرب ، أما قانون الولايات الجديد فقد زاد من اشتداد المعارضة العربية للمركزية التى كانت سمةً بارزةً في بنود ذلك القانون ، الى جانب معارضتهم الشديدة لفكرة التتريك التى أضحت من المعالم الواضحة في سياسة حكومة الاتحاد والترقى حينذاك ، وهذا ماسوف نتناوله بالدراسة في المبحث التالى .

---

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٥٤٨ .

ب ــ اشتداد المعارضة العربية للمركزية والتتريك .

كانت الحكومة العثمانية بعد انتهاء حروب البلقان تقف على مايمكن أن نسميه بمفترق الطرق ، فهى في حيرة من أمرها ولاتدرى أى سياسة يمكن لها أن تسلكها لتساعدها على اخراج الدولة العثمانية من الأوضاع المتردية التى تعيشها ، لذا كان قانون الولايات في نظر جمعية الاتحاد والترقى التى تسيطر على الحكم في الدولة هو الوسيلة الفعالة والسريعة للمحافظة على الأجزاء الباقية من الدولة ، فى حين كانت هزائم الدولة في حرب البلقان وما أعقب ذلك من أحداث تاريخية متلاحقة ، قد أوجدت لدى الاتحاديين ماعرف بالاتجاه الطورانى ، وتفجر الروح القومية التركية المتطرفة .

حينئذ كان العرب الذين باتوا يشكلون أكثرية في الدولة شديدى الحرص في المحافظة على بلادهم وأنفسهم ، أمام الانهيار الذى بدأ يظهر على الدولة العثمانية بعد فقدها لاجزاء كبيره من ممتلكاتها في حروب البلقان ، وبعد أن أصبحت ظاهرة التتريك هى السمة البارزة في سياسة الحكومة العثمانية حينذاك ، وقد لانعدو الحقيقة اذا قلنا أن موالاة نفر من العرب لفكرة القومية هى رد فعل لسياسة التتريك والأوضاع المتردية في الدولة .

ولئن كان تمسك الحكومة العثمانية بنظام المركزية قد أضر بالولايات العربية كما يقول دعاة الاصلاح العرب ، فان قضية المركزية واللامركزية قد لعبت دوراً هاماً في سياسة الدولة العثمانية في المشرق العربى ، وفى سير الحركة العربية ، واستمر تأثير هذه القضية حتى نشوب الحرب العالمية الأولى[1].

(١) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص٨١ .

ورغم تمسك حكومة الاتحاد والترقى بنظام المركزية ، وتشددها في أمر اللغة الرسمية ، اضافة إلى وجود قانون الولايات الجديد الذى جعل العرب يشعرون أن هناك تفضيلاً للولايات التركية على حساب الولايات العربية وأن سياسة التتريك التى تنتهجها الدولة هى المسيطرة على أوضاع المنطقة[١] ، رغم ذلك كله فان الحركة العربية وزعماءها المسلمين خاصة لم يفكروا فى الانفصال عن الدولة العثمانية وكان ولاءهم للرابطة العثمانية والوحدة الاسلامية هو الصورة البارزة على مسرح الأحداث ، وكان الاتجاه السائد حينذاك هو المطالبة بنظام اللامركزية مع الحفاظ على الرابطة العثمانية[٢] .

ومع أن الطبقة الحاكمة في عاصمة الدولة كانت تقتصر في غالبيتها على العنصر التركى ، الا أن محاولة حكومة الاتحاد والترقى جعل اللغة التركية هى اللغة الرسمية الوحيدة في البلاد زاد من شقة الخلاف مع العرب[٣] ، ولم يكن ناظر الداخلية العثمانى عادل بك موفقاً في تصريحاته الصحفية التى أدلى بها لمراسل جريدة الديلى تلغراف البريطانية في الاستانة حيث أشار إلى أن لغة الدولة الرسمية هى التركية ، فهل يريد منا العرب أن نقسم لساننا إلى قسمين ؟! وكان رد الفعل سريعاً لدى العرب ، حيث بعث حزب اللامركزية في مصر ببرقية عاجلة إلى الصدارة العظمى في الدولة يحتج فيها على تصريحات وزير الداخلية ، فى الوقت الذى تصدت فيه الصحافة العربية لذلك التصريح ، مؤكدة في مقالاتها على أن اللغة العربية هى اللغة الدينية للدولة العثمانية ، وهى الآن

---

(١) عبد الله بن الحسين : الأمالى السياسية ، ص٥ .

(٢) عبد العزيز محمد عوض : المرجع السابق ، ص٥٢ ؛ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص٣٤٢ ـ ٣٤٣ .

(٣) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية ، ص٩٥ .

لغة الأكثرية في الدولة بعد خسائر حروب البلقان ، وغير هذا وذاك فاللغة العربية من أمهات اللغات العظمى في التاريخ[1] .

أما قانون الولايات الجديد الذى يدعو إلى المركزية فقد رأى فيه صاحب مجلة المنار ، وأحد أعضاء حزب اللامركزية الادارية العثماني في مصر أنه وضع لاشغال العرب عن المطالبة بالاستقلال الداخلى المعبر عنه باللامركزية ، ولن ترضى بهذا القانون أى ولاية من الولايات بطوعها واختيارها[2] ، مشيراً إلى أن « مايسمونه توسيع المأنونية ليس الا توسيعاً لنطاق الاستبداد ، فهو شر من عدمه ، لأنه عبارة عن اذن المركز العام للولاة وغيرهم من الحكام الاداريين بأن يتصرفوا في بعض الأمور بدون اذن من نظارة الداخلية ، فهو يستلزم قلة المسئولية والتجزئة على الأستبداد ونحن في طور يجب أن تكون المسئوليه فيه شديدة على الحكام »[3] .

وقد عبر رئيس اللجنة العليا لحزب اللامركزية الادارية العثمانية رفيق بك العظم عن موقف الحزب من قانون الولايات الجديد ، ومعارضة العرب لسياسة المركزية والتتريك ، حين قال : « ان قانون الولايات الجديد لايرضى قط حزب اللامركزية ولايفى بشىء من الأشياء لرغائب العرب ، أما الأمر الصادر بجعل اللغة العربية الزامية في التعليم والادارة فانه يرضى نوعا ما ، لاريب بأن الحكومة باتخاذها هذه الوسائل قد أظهرت معرفتها وجوب تعديل ادارة الولايات على الشكل اللامركزى غير أنها لم تعتمد بعد على سلوك هذا السبيل وهو أضمن الطرق وأسلمها لوطننا المكلوم بالجراح الدامية ، أما محاولتها تعديل ادارة الولايات على الشكل الذى ارتأته بوضعها هذا القانون الجديد فهو

---

(١) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٦١ في ١٣ ربيع الثانى ١٣٣١هـ ، ص١ ـ ٢ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٤ ، ص٣٢٠ .

(٣) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج٥ ، ص٣٥٠ .

بعيد بعداً شاسعاً عن معنى اللامركزية على مايفهمونها في البلاد المتمدنة الراقية ، ولسنا نريد تطبيق اللامركزية الا لصالح وطننا العزيز ، ان في قانون الولايات الجديد دليلاً ساطعاً على رغبة الحكومة في سلوك سبيل اللامركزية ولكنها ليست اللامركزية الحقيقية الحرة القوية التى لايمكن أن ينفع سواها لأنها هى الوسيلة الوحيدة لانقاذ المملكة من التجزئة »(١) .

وقامت فى سورية ومعظم البلاد العربية احتجاجات ومعارضات لقانون الولايات الجديد ، وأرسلت البرقيات إلى عاصمة الدولة تحتج على هذا القانون وتطالب بتوسيع سلطة المجالس العمومية ، والموافقة على بنود اللوائح الاصلاحية التى وضعتها الجمعيات العربية ، ففى أوائل جمادى الأولى ١٣٣١هـ / أوائل ابريل ١٩١٣م ، دعا السيد طالب النقيب إلى اجتماع عام أسفر عن ارسال برقيات إلى الصدارة العظمى ونظارة الداخلية تطالب بتعديل قانون الولايات الجديد الذى سلب منهم رغبتهم في اللامركزية(٢) ، وتعارض مع برنامج جمعية البصرة الاصلاحية الذى كان يعطى للمجلس العمومى في الولاية كامل الصلاحيات في الأعمال المحلية للولاية ، ويمنحه استقلالية في جميع أعماله ، وله سلطة على الوالى والمأمورين ، بينما ترك للوالى تنفيذ قرارات العاصمة وتنفيذ قرارات المجلس العمومى(٣) ، غير أن قانون الولايات الجديد ألغى ذلك ومنحه للوالى العثمانى ، تحت مسمى توسيع سلطة المأذونية للولاة ، واحتج طالب النقيب ومؤيدوه على اعطاء الوالى حق اعلان الأحكام العرفية ، وعلى رئاسته للجمعية التى أرادوا لها أن تكون مستقلة وتتمتع بحق استدعاء الوالى والموظفين لاعطاء أى معلومات تتعلق بشئون الولاية(٤) .

---

(١) جريدة الاصلاح عدد ٢٤ ـ ١٤١٩ في ٢ رجب ١٣٣١هـ .

(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٤٩٣ .

(٣) حسين هادى الشلاه : المرجع السابق ، ص٢١٢ ـ ٢١٣ .

(٤) خالد حمود السعدون : المرجع السابق ، ص٢٥٨ .

وتصدت جريدة الدستور التى تصدرها جمعية البصرة الاصلاحية لقانون الولايات الجديد بالانتقاد والمعارضة الشديدة التى تعبر عن شعور العرب في العراق حيث قالت : « .... كأن الحكومة أصلحها الله نظرت بغير العين التى يجب أن تنظر بها ، فرمتنا بقانون الولايات الجديد الذى يكفى تعريفه أنه وضع لمصلحة الوالى لالمصلحة الشعب ، اذ أنه يخول الوالى استلام زمام الأمور ، أما المجلس العمومى فلا يخرج عن كونه ألعوبة بيده ، وأما الأمور التى لاتوافق مشرب الوالى فليس في وسعه اقرارها ، واذا حاول ذلك فليس له من جزاء غير الفض والتشتيت » ، وعند ذلك عطلت الحكومة العثمانية جريدة الدستور لكن السيد طالب النقيب تحداها وأصدر بدلا منها جريدة صدى الدستور التى كانت مقالاتها أشد لهجة وعنفا(١) .

وفى بيروت عبر أحد زعماء الجمعية الاصلاحية في بيروت عن معارضة الجمعية لقانون الولايات الجديد الذى يدعو إلى المركزية ، ويضر بالولايات العثمانية دون نفعها ، وأنه لابد للحكومة من معالجة النقص الواضح في مواد القانون مما يحقق للعرب مطالبهم الاصلاحية على قاعدة اللامركزية(٢) ، ونحن من خلال ماسبق نستطيع أن نؤكد على أن الحركة العربية التى قاومت حينذاك المركزية والتتريك كانت تهدف إلى نهضة العرب في ظل دولة الخلافة العثمانيـة .

ان مؤتمر باريس الذى عقد في الفترة من ١٤ ــ ١٩ رجب ١٣٣١هـ / ــ ١٨ ــ ٢٣ يونيو ١٩١٣م ، يهدف في مجمله إلى معارضة العرب للمركزية والتتريك دون التفكير في الانفصال عن الدولة العثمانية ، وانما كان حديث

---

(١) توفيق علي برو : المرجع السابق ، ص٤٩٤ ــ ٤٩٥ .

(٢) جريدة الاصلاح عدد ٢٩ ــ ١٤٢٤ في ٨ رجب ١٣٣١هـ .

المؤتمرين عن نظرية اللامركزية ، والاستقلال الادارى وجعل اللغة العربية لغة رسمية يتعلمها أبناء العرب في مدارسهم على اختلاف مراحل التعليم(١) ، وقد عبر عن ذلك الاتجاه رفيق العظم رئيس حزب اللامركزية الادارية العثمانى حين قال : « ان الأمة العربية التى تعادل اليوم نصف المجموع العثمانى معرضة للمخاطر ، تباع وتشرى وتبرم الأمور دونها في الاستانة من غير أن يكون لها رأى حتى في مصلحة بلادها ومصيرها ، حتى تعطى الامتيازات في سورية ، وتوهب بلاد نجد والكويت ، ويعطى خليج البصرة كله ، ... حيث يصير هذا كله والعرب مغلولو الأيدى بالمركز منوط شأنهم وشأن حياتهم الاجتماعية والسياسية ببضعة أفراد في المركز ، ... على أن كل مطالبنا التى نطلبها اذا فحصها العقلاء المنصفون يجدونها لخير العرب والترك ولخير الدولة وكل مايتقوله أعداء الاصلاح على طلابه ويتأثر به البعض باطل لم يبن على شيء من الحق بل يبنى على المنفعة الشخصية والغرض »(٢) .

أما في الحجاز فقد زاد اشتداد المعارضة لقانون الولايات الجديد لأنه أضعف الامتيازات التى تمنح للشريف حسين وجعل نظام الادارة في الحجاز متمشيا مع نظام سائر الولايات على أساس الحكم المركزى(٣) ، وقد دفعت هذه الأحداث بالأمير عبد الله بن الحسين أن يلتقي في القاهرة بسكرتير المعتمدية البريطانية في مصر رونالد ستورز Ronald stors ، في شهر جمادى الأولى ١٣٣٢هـ / ابريل ١٩١٤م في طريق عودته من الاستانة(٤) لتشكل هذه

(١) محمد كمال الدسوقى : المرجع السابق ، ص٣٣٢ .
(٢) رفيق العظم : ماذا نطلب من الاصلاح ، جريدة الاصلاح البيروتية عدد ٤١ ـ ١٤٣٦ في ٢٣ رجب ١٣٣١هـ ، ص١ ـ ٢ .
(٣) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص٢٠٢ .
(٤) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص٢٧٠ .

المقابلة بداية الحوار العربى البريطانى الذى أوصل الحركة العربية إلى منعطفها الخطير المتمثل فيما عرف بالثورة العربية ضد الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى .

لقد كانت سياسة حكومة الاتحاد والترقى بعد هزائم حرب البلقان تتسم بالرعونة وعدم الاتزان ، حيث بدأت في صبغ ولايات الدولة العثمانية بالصبغة التركية ، وفرض اللغة التركية لغة رسمية في المدارس والمحاكم ، وغير ذلك من التصرفات التى لم تكن مألوفة طوال تاريخ الدولة العثمانية[١] وهذا بطبيعة الحال ناتج عن أوضاع الدولة التى تعيشها ، وتعبير واضح عن ردة الفعل التى أحدثتها هزائم البلقان ، بيد أن اللجوء إلى المركزية والتتريك أثار ردة فعل قوية فى الولايات العربية التى أصبحت صاحبة الأكثرية في الدولة ، مما زاد شقة الخلاف بين العرب والترك وأثر بالتالي على أوضاع الدولة العثمانية في المشرق العربى ، حيث أصبح العرب يدركون أن انهيار الدولة بات وشيكاً ان لم تتخل حكومة الاتحاد والترقى عن سياستها المتطرفة تلك ، وهذا ماعبر عنه أحد أعيان العرب على صفحات جريدة الأهرام حين أكد أن حياة الدولة العثمانية مع العرب وحياة العرب مع الدولة وأن هذا الرأى هو ماوجده سائداً في الولايات العربية التى زارها[٢] .

وقد تنبهت السياسة البريطانية لتلك الأحداث التاريخية التى يعيشها المشرق العربى بين العرب والدولة العثمانية ، وعملت عندئذ على توثيق صلتها بالعرب لتستعين بهم ضد الدولة عند الحاجة ، وساعدها في ذلك وجود تلك التيارات السياسية التى تعصف بالدولة[٣] ، ومن أهمها ظاهرة المركزية

---

(١) محمد أنيس : المرجع السابق ، ص٢٥٩ ؛ عبد العزيز محمد الشناوى : المرجع السابق ، ج١ ، هامش ٢ ، ص٧٣ .

(٢) جريدة الأهرام عدد ١٠٧٧٨ في ١٣ أغسطس ١٩١٣م .

(٣) أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ، ص٤٣٧ .

والتتريك التى تتجاذب العرب والحكومة العثمانية في دوامتها ، مما جعل الزعماء العرب يتدبرون أمر مصيرهم الذى سيصلون إليه حتما .

ولقد كان لسياسة التتريك التى اتبعتها الحكومة العثمانية في الولايات العربية وسياسة المركزية ، أثر فعال في تغيير اتجاه الحركة العربية ، وزاد من تفاعلها ولاسيما أن الدولة العثمانية شهدت هزات عنيفة في تلك الفترة من أبرزها حروب البلقان والهزائم التى الحقتها بالدولة العثمانية ، وأياً كان موقف حكومة الاتحاد والترقى من تلك الأحداث التاريخية فإن من المؤرخين من رأى « أن فئة الاتحاديين لم تكن خالية من كل وطنية ، ..... كان همهم الاحتفاظ بسلطتهم السياسية ودعمها كحزب سياسى واجبار مختلف عناصر الدولة للخضوع التام المباشر لسلطة الحكومة المركزية ، وبما أنهم كانوا متمسكين بالتعصب القومى في سياستهم الخارجية فقد أظهروا التصلب والتزمت وتعاموا عن كل متطلبات الموقف العملية »(١) ، الا أن الاتهام وجه للاتحاديين بأنهم على صلة باليهود والماسونية ، اضافة إلى تشبثهم بالسياسة الطورانية التى حاولوا من خلالها تتريك العرب وغيرهم من الجنسيات التى كانت تدخل في نطاق الدولة العثمانية(٢) ، لكن القول الفصل في قضية التتريك تلك ومانتج عنها من رد فعل لدى العرب في موالاتهم للقومية العربية ، التى اضحت قومية صرفة مع تتابع الأحداث ، هو ماذهب اليه احد العلماء الافاضل حيث رأى « أن الدعوة إلى القومية تدعو إلى البغى والفخر لأن القومية ليست ديناً سماوياً يمنع أهله من البغى والفخر ، وانما هى فكرة جاهلية تحمل أهلها على الفخر بها والتعصب لها على من نالها بشىء وان كانت هى الظالمة وغيرها المظلوم »(٣)

---

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص٢٢٣ .

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٧٤ .

(٣) الشيخ عبد العزيز بن باز : المرجع السابق ، ص٢٢ .

وقد أثبتت الأحداث التاريخية أن ظهور قضية التتريك في الدولة العثمانية ، ومعارضة العرب لها بالقومية العربية زاد من عوامل الانهيار والتفكك في الدولة العثمانية من ناحية ، ولم يزد الحركة العربية الا تمزقاً وتطرفاً من ناحية أخرى ، والنتائج التى وصل اليها المشرق العربى في الحرب العالمية الأولى خير دليل على ذلك ، حيث سيطر الاستعمار الأوربى على مقدرات المنطقة مستغلاً الفراغ الروحى والسياسى الذى تركته الدولة العثمانية ، واستغل في نفس الوقت التمزق الذى وصلت اليه الحركة العربية .

ج - الدعوة لمؤتمر الجزيرة العربية .

وصلت الحركة العربية في المشرق العربي العثمانى إلى المرحلة الحاسمة من تاريخها بعد انتهاء حروب البلقان وقبيل قيام الحرب العالمية الأولى ، مما جعل زعماء هذه الحركة يقفون مواقف متباينة فى محاولة منهم للوصول بهذه الحركة إلى نتيجة حاسمة تحقق لهم مايهدفون إليه ويأملون في تحقيقه لمصلحة البلاد العربية .

وكان هناك فريق من العرب يرون أن الاتجاه للعمل العسكرى على غرار ماقامت به شعوب البلقان هو الطريق الذى يحقق لهم مطالبهم ، وقد تبين ذلك من خلال تأسيس جمعية العهد في الاستانة في الثامن والعشرين من ذى العقد ١٣٣١هـ / ٢٨ اكتوبر ١٩١٣م ، التى تأسست كجمعية سرية عسكرية صرفة ، غالبية أعضائها من الضباط العرب الذين يعملون في الجيش العثمانى ، وقارب عدد أعضائها أربعة آلاف شخص ، وكان لها فروع في بغداد والموصل وحلب ودمشق[1] ، وقد أورد أحد المؤرخين المعاصرين لتلك الفترة منهاج هذه الجمعية المتمثل في « السعى وراء الاستقلال الداخلى للبلاد العربية ، على أن تكون متحدة مع حكومة استانبول على غرار اتحاد النمسا والمجر ، وأن الجمعية ترى ضرورة بقاء الخلافة الاسلامية وديعة مقدسة بيد آل عثمان ، وتهتم الجمعية بأمر سلامة استانبول من مطامع الدول الأجنبية اهتماما خاصا ، لاعتقادها أن استانبول رأس الشرق لايمكنه أن يعيش بدونها وعلى رجال « العهد » أن يبذلوا قصارى جهدهم في انماء الخصال المحمودة وبث الدعوة للتمسك بالأخلاق الفاضلة ، لأن الأمة لاتستطيع الاحتفاظ بكيانها

---

(١) محمد عزة دروزة : المصدر السابق ، ص٤٧٣ ـ ٤٧٤ ؛ علي حسنى الخربوطلى : القومية العربية من الفجر إلى الظهر ، ص١٧٣ ؛ نجيب صالح : تاريخ العرب السياسى ١٨٥٦ ـ ١٩٥٦م ، ص١٣٣ ؛ Kirk, op. cit, p.122.

السياسى والقومى مالم تكن مجهزة بالأخلاق الصالحة ، ويجب على الأمة العربية أن تسعى للحصول على مايؤهلها لأن تكون القوة الاحتياطية الرئيسية لحصن الشرق أمام الاستعمار الغربى»[1] ، بينما يذهب مؤرخ آخر استطاع أن يقابل مؤسس هذه الجمعية عزيز على المصرى[2] ، إلى أن صفة الارتجال كانت هى طابع الجمعية ، بينما قال عنها مؤسسها أنها شبيهة بأحزاب اللامركزية التى ألفها العرب[3] ، أما نورى السعيد أحد الضباط العرب الذين انضموا إلى جمعية العهد فكان يؤكد أن هدف الجمعية هو اصلاح البلاد العربية على قاعدة اللامركزية ، ولم يفكر أحد من أعضاء الجمعية فى الانفصال عن الدولة العثمانية ، وانما كان تفكير أعضائها منحصراً في الحصول على إدارة عربية محلية ولغة عربية رسمية على أن يشترك العرب والترك في ادارة سياسة الدولة العامة[4] .

---

(١) سليمان فيضى : المصدر السابق ، ص١٣٦ .

(٢) عزيز علي بك المصرى : من مواليد القاهرة ، درس في المدرسة الحربية فى الاستانة وتخرج من كلية الأركان سنة ١٩٠٤م ، ثم التحق بالجيش الثالث العثماني في مقدونيا ، وانضم إلى جمعية الاتحاد والترقى ، حيث شارك في ثورة ١٩٠٨م ، كما شارك في الزحف على العاصمة ضد ماعرف بالثورة المضادة في العام التالى .

استطاع عزيز المصرى أن يلعب دورا ايجابيا في اتمام الصلح بين الدولة العثمانية وإمام اليمن سنة ١٩١١م ، كما شارك في الجيش العثمانى الذى حارب ضد الايطاليين في الحرب الطرابلسية ، وفي يناير ١٩١٤م استعفى عزيز المصرى من العمل في الجيش العثمانى ، ولكن حكومة الاتحاد والترقى ادخلته السجن بعد استعفائه بأقل من شهر ، وقدم للمحاكمة ، وكاد أن يعدم لولا تدخل الحكومة البريطانية ، حيث صدر العفو عنه في ٢١ ابريل ١٩١٤م ، وغادر إلى مصر .

وقد شارك عزيز المصرى في ماعرف بالثورة العربية ضد الدولة العثمانية ابان الحرب العالمية الأولى ، لكنه لم يستمر طويلا ، حيث عاد إلى مصر وأسندت له بعض الأعمال المختلفة ، وتوفى بالقاهرة سنة ١٩٦٥م .

انظر : خير الدين الزركلى : الأعلام ، ج٤ ، ص٢٣١ ؛ وانظر أيضا : د . جلال يحيى : العالم العربى الحديث ـ المدخل ـ ، ص٤٧٤ .

(٣) توفيق علي برو : المرجع السابق ، ص٥٥٩ ـ ٥٦٠ .

(٤) ابراهيم خليل أحمد : المرجع السابق ، ص٤١٦ .

ويزعم البعض أن جمعية العهد اتجهت نحو الانجليز ، وأن كثيراً من اعضائها بزعامة عزيز المصرى كانوا على صلة بالمخابرات الانجليزية ، وأن تلك الجمعية دعت إلى اسقاط سلطة الدولة العثمانية على البلاد العربية بالقوة المسلحة واتخذت من العراق قاعدة لها للقيام بتلك الحركة[1] ، أما السيد عبد الحميد الزهراوى الذى كان رئيسا للمؤتمر العربى في باريس فقد كتب إلى صديقه محمد رشيد رضا في تلك الفترة خطابا خاصا أهم ماجاء فيه اتهامه لعزيز المصرى بمناوأة الحكومة العثمانية ، لأنه ناقم عليها ويريد نسفها وهو بالتالى غير راض عن ائتلاف العرب مع الدولة العثمانية[2] ، ويقال أن جمعية العهد شكلت مع حزب اللامركزية بعد وصول عزيز المصري إلى القاهرة جمعية الثورة العربية سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م[3] ، وفى ذلك أخذ للرأى القائل بأن بعض العرب العاملين في حقل الحركة العربية كان لديهم اتجاه للعمل العسكرى ضد الدولة العثمانية كما سبق أن أشرنا .

وقد شهدت بلاد العراق عقد أول مؤتمر عربي دعا اليه الزعماء العرب في شمال الخليج العربي ، حيث عقد في مدينة المحمرة ، في شهر ربيع الثاني ١٣٣١ هـ / مارس ١٩١٣ م ، وقد حضره كل من الشيخ مبارك الصباح شيخ الكويت ، والشيخ خزعل خان حاكم المحمرة والسيد طالب النقيب أحد زعماء البصرة ورئيس الجمعية الإصلاحية فيها ، وقد دار البحث في المؤتمر حول مستقبل العراق والمطالبة باستقلاله ، وقرر المؤتمرون الاتفاق فيما بينهم وتنسيق سياستهم ، ويمكن اعتبار هذه الاجتماعات الأولى من نوعها على أساس اللامركزية رغم أنها لم تكن ذات صبغة رسمية ، وقد هاجمت الصحافة

---

(١) لوتسكي : المرجع السابق ، ص٤١٣ .

(٢) توفيق علي برو : المرجع السابق ، ص٥٥٤ .

(٣) حسين هادى الشلاه : المرجع السابق ، ص١٦٧ .

العثمانية هذا المؤتمر والمشتركين فيه ، متهمة اياهم بمحاولة اضعاف نفوذ الدولة العثمانية في المنطقة ، مما جعل السيد طالب النقيب يطلب من الوالي العثماني في بغداد ايقاف تلك الحملات الصحفية[1] ، ويذهب البعض الى أن هدف هذا المؤتمر هو محاولة من أولئك الزعماء في أن يتولى أحدهم حكم العراق ، وأن الحكومة البريطانية كانت تعلم بذلك المؤتمر ان لم يكن ذلك تم تحت إشرافها وبتشجيع منها[2] .

وقد أوردت بعض المراجع التاريخية روايات عن انعقاد مؤتمر آخر بعد مؤتمر المحمرة ، وكان الداعي اليه هو السيد طالب النقيب ، وعقد المؤتمر على مقربة من الأحساء ، حيث عرف بمؤتمر جزيرة العرب ، وقد تباحث مندوبو الزعماء العرب الذين حضروا هذا المؤتمر في الوسائل الكفيلة بالمحافظة على الامارات العربية العثمانية وتدعيم حقوقها والمطالبة بالاصلاح على نظام اللامركزية ، وكان من أهداف المؤتمر حفظ الجزيرة العربية من الخطر الأجنبي والمطالبة بالاستقلال الاداري للامارات العربية وحل الخلافات الداخلية بين القبائل العربية ، وابطال عادة الغزو المتبعة بين تلك القبائل[3] .

وفي شهر ذي الحجة ١٣٣١ هـ / نوفمبر ١٩١٣ م ، وفي أثناء اشتداد الأزمة السياسية بين حكومة الاتحاد والترقي وزعماء الحركة العربية اقترح

---

(١) مصطفى عبد القادر النجار : التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية ١٨٩٧ ـ ١٩٢٥ م ، ص ١٤٠ ـ ١٤١ ؛

محمد عمارة : العروبة في العصر الحديث ، ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

(٢) جمال زكريا قاسم : الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤ ـ ١٩٤٥ م ، ص ٤ .

(٣) جمال زكريا قاسم : دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠ ـ ١٩١٤ م ، ص ٢٩١ ؛

حسين هادي الشلاه : المرجع السابق ، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ ؛

جمال زكريا قاسم : النزاع البريطاني العثماني في الخليج العربي ... ، المجلة التاريخية المغربية ، السنة العاشرة ، عدد ٢٩ـ٣٠ ، ص ٣٧٠ .

طالب النقيب عقد مؤتمر عربي آخر في الكويت للنظر في مستقبل الحركة العربية ، والوصول بها الى الهدف المنشود ولو أدى ذلك الى اعلان الثورة المسلحة ، وقد وجهت الدعوات الى عدد من حكام الجزيرة العربية(١) ، واتصل المؤتمرون بالامام عبد العزيز آل سعود ، طالبين منه قيادة الحركة العربية ضد الحكومة العثمانية ، لما له من مكانة قوية في الجزيرة العربية ، ولما عرف عنه من حنكة سياسية وبعد نظر في مثل هذه المواقف ، فأبدى تأييده الأدبي لهذه الحركة ، ولكنه اعتذر عن حضور المؤتمر وعن تزعم هذه الحركة لعدم استعداده حينذاك لمثل تلك القضايا(٢) ، ونحن لانعدو الحقيقة اذا قلنا أن عبد العزيز آل سعود ، كان الزعيم العربي الوحيد المدرك لاتجاهات الحركة العربية حينذاك ، لأن موقفه الاستراتيجي ، وعقيدته السلفية الخالصة اضافة الى مهارته السياسية وشجاعته الصادقة جعلته يقف هذا الموقف المتميز .

أما عن المؤتمر فقد أخذت الأقوال تتردد عن قرب انعقاده فى الكويت ، وبدأت الصحف في بغداد تتحدث عن هذا المؤتمر وعن جدول أعماله التى ستتم مناقشتها ، والاصلاحات التى سيطلبها المؤتمرون من الدولة العثمانية في الولايات العربية ، لكن السفير البريطانى في الاستانة استبعد امكانية عقد مثل هذا المؤتمر ، لأنه على علم بما وصلت إليه الحركة العربية من تشتت وانقسام ، وفعلاً لم يكتب لهذا المؤتمر النجاح ولم يتم عقده ، بل انتهى قبل أن يبدأ(٣) ، لأن الانقسام الفكرى بين زعماء الحركة العربية ، وعدم ثقه جميع الأطراف

(١) مصطفى عبد القادر النجار : التاريخ السياسى لامارة عربستان العربية ١٨٩٧ ـ ١٩٢٥م ، ص١٤٢ ـ ١٤٣ .

(٢) محمد عمارة : المرجع السابق ، ص٢٧٤ ؛

Kirk, op. cit, p. 121.

(٣) خالد حمود السعدون : المرجع السابق ، ص٢٨٤ ـ ٢٨٥ ، حسين هادى الشلاه : المرجع السابق ، ص٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

العربية بعضها في بعض كانت هى الصورة السائدة التى كان عليها العرب حينذاك .

وقد حاول الامام عبد العزيز آل سعود أن تكون المؤتمرات العربية على مستوى الأحداث ، وان تكون نتائجها لصالح البلاد العربية وحمايتها من التهديد الأجنبى فعلا ، حيث سارع بارسال الرسائل إلى أمراء العرب المجاورين له فى الجزيرة العربية عند نشوب الحرب العالمية الأولى ، واقترح عليهم الاجتماع للمذاكرة ، علهّم يتفقون على ماينقذ العرب من أهوال الحرب القائمة ويوحّد جهودهم لرفع شأن البلاد العربية ، وابعاد التدخل الأجنبى عن مقدراتها السياسية والاقتصادية ، ولكن أحداً من هؤلاء الأمراء لم يسمع نداءه[1] ، ووقفوا مواقف سلبية تجاه دعوته الصادقة ، التى تعبر عن بعد نظر وفهم واعٍ للأحداث والمتغيرات الدولية ، وقد ترجم ذلك على الواقع حين أرسل الانكليز الكابتن شكسبير في بداية الحرب إلى عبد العزيز آل سعود لتحريضه بالوقوف ضد الدولة العثمانية ، فلم يقبل بحربها ، ووقف على الحياد تجاهها ، وسمح للقوة العثمانية أن تسير في بلاده من الشمال إلى الجنوب لنقل الأموال والعتاد للقوة العثمانية في اليمن[2] .

وعندما حاولت بريطانيا أن تهتم بأمراء العرب ، وتدعو إلى المؤتمر الأول فى الكويت تحت رئاسة اللورد هاردنج Hardinge ، نائب الملك في الهند فى شهر صفر ١٣٣٢هـ / يناير ١٩١٥م ، كان موقف عبد العزيز آل سعود هو

---

(١) أمين الريحاني : تاريخ نجد الحديث ... ، ص٢١٨ ؛ أحمد طربين : الملك عبد العزيز والوحدة العربية – بحث مقدم للمؤتمر العالمى عن تاريخ الملك عبد العزيز – ، ص٢ ؛ ابراهيم عبده : انسان الجزيرة – عرض جديد لسيرة الملك عبد العزيز آل سعود ، ص٩٧ .

(٢) فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ، ص٣٨٠ .

موقف السياسى الخبير ، حيث اعتذر عن حضور هذا المؤتمر رغم المحاولات الجادة التى بذلها شيخ الكويت كى يحضر ابن سعود هذا المؤتمر[1] ، ولكن عبد العزيز آل سعود كان العارف والمدرك لمثل هذه المؤتمرات ، ولاسيما أن الحركة العربية التى تعج بها ساحة الأحداث لم تزل حاضرة أمام عينيه ، وهو العارف الخبير باتجاهات ونوايا هؤلاء القوم .

أما الرواية التي تذهب إلى أن ابن سعود قد حضر مؤتمراً في الكويت في شهر نوفمبر ١٩١٥م / الموافق لشهر محرم ١٣٣٤هـ والقى فيه خطاباً بليغاً حث فيه المجتمعين على تأييد الثورة العربية ، وتقديم التأييد والدعم لها ، لما في ذلك من المصلحة المشتركة لبريطانيا والعرب[2] ، فهى رواية لاتتفق مع الواقع ولايقوم عليها دليل مادى ، وهى لاتتفق البتة مع سياسة عبد العزيز آل سعود واتجاهاته الفكرية التى تنطلق من العقيدة الإسلامية الصادقة والتى سهر على دعمها وترسيخها في دولته السلفية .

(١) جمال زكريا قاسم : الخليج العربي ـ دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤ ـ ١٩٤٥م ، ص١٦ ـ ١٧ .

(٢) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص٢٠٢ ـ ٢٠٣ ؛ محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص٢٥٣ .

د ـ ضم الاحساء ، وقيام سلطنة نجد وتوابعها .

في خضم الأحداث التاريخية المتتابعة التى كانت تعيشها الدولة العثمانية ، وفي مرحلة التفكك التى بدأت معالمها تبرز في أجزاء مختلفة من ولايات الدولة ، سطع في وسط الجزيرة العربية نجم الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، الذى استعاد عاصمة آبائه الرياض وانطلق منها يحقق الانتصارات المتتابعة ، حتى دانت له نجد ، طائعة مختارة ، ليصبح حينذاك هو سيد نجد وصاحب الكلمة الأولى فيها .

لقد أصبح عبد العزيز آل سعود هو حاكم نجد القوى بعد انتصاره في معركة الشنانة ، فى الثامن عشر من شهر رجب ١٣٢٢هـ/٢٩ سبتمبر ١٩٠٤م ، وانتصاره في معركة روضة مهنا في الثامن عشر من صفر ١٣٢٤هـ/١٤ ابريل ١٩٠٦م(١) ، وزاد عدد أنصاره ومؤيديه ، وانضمت اليه القبائل ، وأصبح شيوخ الجزيرة العربية وحكامها يدركون مكانته السياسية والعسكرية ، وأصبح هو يتطلع إلى بسط كامل نفوذه على مابقى له من ممتلكات في شرق الجزيرة العربية ، والمتمثلة في مقاطعة الأحساء ، لأنها كانت تخضع لآل سعود فيما مضى ، وهي تمثل المنفذ الوحيد لدولته الناشئة على الخليج العربى ، اضافة لخصوبتها وأهميتها الاقتصادية ، وفيها من الموانىء البحرية مايشكل موارد مالية جيدة لحكومه نجد ومواطنيها(٢) .

---

(١) أمين الريحانى : نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل ... ، ص١٤١ ، ١٥٧ ؛ خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، ج١ ، ص١٦٤ ، ١٧٠ .

(2) F. O. 424/238, Enclosure, 2, in No. 458, Shakespear to P. Cox, Koucit, 15. 5. 1913. pp. 369-- 372;

موضى بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود : المرجع السابق ، ص٢٣ .

وكانت الأحوال في اقليم الاحساء قد ساءت ، وأفلت زمام الأمن من أيدى السلطات العثمانية التى لم تستطع اقراره في المدن الكبيرة ومراكز حامياتها ، وغدت المنطقة مسرحا لعصابات السلب والنهب ، فى الوقت الذى خُفِّضت الحاميات العثمانية في المدن الرئيسية واستُدْعِي القسم الأكبر منها إلى البصرة لينقل بالتالى إلى جبهات القتال في الحرب البلقانية(١) ، أما المتصرف العثمانى في الأحساء الذى يتبع ولاية البصرة فقد وصل به الأمر سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م الى الانزواء مع حاميته الضعيفة خلف الأسوار تاركين المنطقة وطرقها لقطاع الطرق والمفسدين يعيثون فيها فسادا(٢) ، مما حدا بأهل الاقليم أن يرسلوا للإمام عبد العزيز آل سعود حاكم نجد القوى كى يساعدهم في ايقاف السلب والنهب الذى يتعرضون له ، ووعدوه بالنصر والمؤازرة(٣) .

وقد اعتمد الإمام عبد العزيز آل سعود في استراتيجيته لضم اقليم الأحساء على التوقيت المناسب ، حيث كان يرقب عن كثب المشكلات والهزائم التى تعصف بالدولة العثمانية فى حروب البلقان(٤) ، وقد أشار إلى ذلك الاتجاه الكابتن وليام شكسبير في تقريره المرفوع إلى السير برسى كوكس ، المقيم البريطاني في الخليج والذى بعثه من الكويت في التاسع من شهر جمادى الثانى سنة ١٣٣١هـ ، الموافق للخامس عشر من مايو سنة ١٩١٣م ، قبل أن تصله أنباء استيلاء عبد العزيز على الأحساء ، حيث أشار إلى أنه قد لاحظ في

(١) بنواميشان : عبد العزيز آل سعود ـ سيرة بطل ومولد مملكة ، ص١١٢ .

(٢) خير الدين الزركلى : الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، ص٥٦ .

(٣) خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، ج١ ، ص٢٠٧ ؛ عبد المنعم الغلامى : الملك الراشد ـ جلالة المغفور له عبد العزيز آل سعود ـ ، ص٢٨ .

(٤) تركى بن محمد بن سعود الكبير : علاقة بريطانيا بالملك عبد العزيز آل سعود ١٩٠٢ ـ ١٩٢٥م ، بحث قدم في المؤتمر العالمى عن تاريخ الملك عبد العزيز ، ص٤ .

رحلته الأخيرة التى التقى فيها بالامام عبد العزيز بن سعود ، أن الامام كان حريصا على معرفة حقائق الأخبار عن حرب الدولة العثمانية ضد حكومات البلقان ، لأن التقارير التى وصلته من المصادر العثمانية أو الصحف المصرية غير دقيقة ، ولأن الوصف الذى تحتويه تلك المصادر يعطى الانطباع عن تقهقر الجيش العثمانى وأنه سمع من الكويت والبحرين أن الجيش العثمانى يسيطر على العاصمة فقط وعلى عدة حصون على مسيرة يوم واحد من العاصمة وبعض المدن القليلة المعزولة ، وأن بقية أملاك الدولة في البلقان قد سقطت في أيدى الحلفاء البلقانيين ، وعندما أبلغه المسؤول البريطانى عن وجود أنباء تفيد بسقوط أدرنة أوضح الإمام عبد العزيز أن الدولة العثمانية أظهرت في حربى طرابلس الغرب ، والبلقان عدم مقدرتها العسكرية على حفظ ممتلكاتها ، ورعاياها العرب في العراق وسوريا يطالبون كلهم بالاصلاحات والحكم الذاتى ، مما يجعل موقفها في المشرق العربى حرج جداً ، وألمح المسؤول البريطانى إلى وجود بعض التذمر في معسكر ابن سعود من الموقف السلبى للحاميات العثمانية في اقليم الأحساء ، مؤكداً على أن أول تحرك سيقوم به عبد العزيز بن سعود سيكون نحو الأحساء والقطيف ، وسيقوم ان عاجلاً أو آجلاً بانهاء الاحتلال العثمانى في ذلك الاقليم[1] ، غير أن الحنكة السياسية عند الامام عبد العزيز بن سعود ، والسرية التامة التى كان ينتهجها في تحركاته وأهدافه لم تمكن المسؤول البريطانى من معرفة مايدور بخلد عبد العزيز أو مايخطط له .

وكان الإمام عبد العزيز بن سعود يعلم أن لبريطانيا دوراً كبيراً بالنسبة للأوضاع السياسية في منطقة الخليج العربى ، لأنه يعتبر حلقة الوصل مع شبه

(1) F. O. 424/238, Enclosure, 2, in No. 458, dated, 15. 5. 1913. pp. 369-- 372.

القارة الهندية التى كانت تمثل درة التاج البريطاني ، ولكنهم لايرغبون في اقامة علاقات قوية معه طالما أنه لايملك أى موقع على ساحل الخليج العربى ، وعند نجاحه في ضم اقليم الاحساء سوف يكون البريطانيون مرغمون للتعامل معه ، سواء كان ذلك رغبة منهم أو خوفاً على مصالحهم هناك لأنه سوف يكون حاكماً لمنطقة مهمة تطل على الخليج العربى ، وهذا بالفعل ماكان يشير إليه المقيم البريطانى في الخليج بيرسى كوكس ، فى مراسلاته مع حكومته في لندن[١] .

ولقد رأى الامام عبد العزيز أن الدولة العثمانية قد أخذت فى التصدع والانهيار بعد هزائمها في حرب البلقان ، ورأى المطامع الأجنبية تكتنفها من كل ناحية[٢] ، ثم نمى إلى علمه أن مباحثات تدور بين حكومة الاتحاد والترقى وبريطانيا لتحديد مناطق النفوذ في شرقى الجزيرة العربية ، وربما تُقَرِّر شيئاً بالنسبة لاقليم الأحساء يقطع عليه آماله وطموحاته[٣] التى يهدف من خلالها إلى ضم هذا الاقليم واقامة دولته الفتية .

وكانت الحامية العثمانية في مدينة الهفوف عاصمة اقليم الأحساء تتكون من عدد من الجنود يبلغ حوالى الف ومائتى جندى ، اضافة إلى بعض الوحدات والفصائل الصغيرة الموزعة في نواحى الاقليم المتفرقة كالقطيف والعقير[٤] ، عندئذ أيقن صقر الجزيرة الامام عبد العزيز أن الفرصة المناسبة لاسترداد اقليم الأحساء قد حانت ولايجب التفريط فيها أو تأخيرها .

---

(١) تركى بن محمد بن سعود الكبير : المرجع السابق ، ص١ ، ٣ .

(٢) حافظ وهبة : المرجع السابق ، ص٢٥١ .

(٣) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها ، ج٢ ، ص١٥٨ ؛ صلاح العقاد : المرجع السابق ، ص١٩٢ .

(4) F. O. 424/237, No. 121, Consul Crow to Sir, E.Grey, Bussarah, 5. 3. 1913. p. 93; محمد المانع : توحيد المملكة العربية السعودية ، ص٧٢ .

وفى شهر ربيع الأول ١٣٣١هـ/فبراير ١٩١٣م زحف الامام عبد العزيز بجيوشه حتى بلغ ماء « الخَفس » ، خفس العرمة في شمالى الرياض[١] ، وحين سمع متصرف الأحساء العثمانى بهذه الأخبار بعث رسولاً إلى الامام يسأله عما يريد من وصوله إلى هذه الجهات ، فلم يصرح بما في نفسه وانما اقنع المندوب العثماني بأنه يريد أن يغزو بعض القبائل المناوئة له في جهة الكويت ، ويريد شراء الطعام وبعض المتاع لجنوده من الاحساء ، وبالفعل أرسل قافلة للاحساء لتؤمن له الطعام ، واستنفر بعض قبائل العجمان المجاورة للاحساء وضرب موعداً لهم في جهة الشمال ليبعدهم عن مكان هدفه الحقيقى[٢] .

ويورد البعض أن عبد العزيز عاد بنفسه إلى الرياض وترك جيشه في الخفس ليوهم العثمانيين أنه لايريد بهم سوءاً ووصل في تلك الفترة إلى عاصمة بلاده رجل انكليزى يدعى جيرارد ليتشمان Gerard Leachman يَدّعِي أنه رجل جغرافى ويريد المساعدة من ابن سعود ليجتاز الربع الخالي إلى عُمَان وأوجس الامام عبد العزيز منه خيفة ، وأراد أن يستفيد منه لازالة الريبة والخوف من نفوس الحامية العثمانية في الاحساء ليصل إلى آماله في استعادة الاقليم ، فقال للانكليزى : ان خير من يعينك على مبتغاك هو متصرف الأحساء ، ثم كتب له توصية إلى المتصرف العثمانى جاء فيها : « ان هذا الرجل مجهول لدينا وهو واصل اليكم فلكم فيما يبتغي الرأى الموفق ان شاء الله[٣] » . بينما

(١) سنت جون فلبى : المرجع السابق ، ص٣١١ ؛ خير الدين الزركلي : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، ج١ ، ص٥٧ .

(٢) محمد بن عبد الله الاحسائى : تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ، ص٢٠٧ ـ ٢٠٨ ؛ أمين الريحانى : نجد وملحقاته ... ، ص٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

(٣) أحمد عبد الغفور عطار : صقر الجزيرة ، ج١ ، ص٢٥٣ ـ ٢٥٤ ؛ صلاح الدين المختار : المرجع السابق ، ص١٣٧ ـ ١٣٨ .

ذهب أحد المؤرخين إلى أن الامام عبد العزيز غادر الخفس نهاراً متظاهراً بالرجوع إلى الرياض ، وفى المساء عاد إلى جيشه ليبدأ في تنفيذ خطته المحكمة التى قَدِمَ من أجلها(١) .

تقدم الامام عبد العزيز حتى نزل على ماء أو موضع يقال له « السيفة » يبعد عن الهفوف ميلاً واحداً ، وفى الهزيع الأول من الليل يوم ٥ جمادى الأولى ١٣٣١هـ/١١ ابريل ١٩١٣م ، خرج من المعسكر بنحو ستمائة رجل من شجعان جيشه وقيل أن عددهم وصل إلى تسعمائة رجل ، واجتمع بهم ، وحثهم على الالتزام بالهدوء ، وعدم الاعتداء على البيوت ، أو القرب من النساء وأن يحاربوا من حاربهم داخل القلعة ويسالموا من سالمهم ، ثم سار وهم وراءه مشيا على الأقدام وهم يحملون جذوع النخل والحبال حتى وصلوا إلى سور الكوت(٢) ، حيث قسمهم إلى ثلاث فرق تسير الفرقة الأولى إلى الباب الجنوبى فتقبض على الحرس وتتسلم الباب ، وتسير الفرقة الثانية إلى القصر لعل المتصرف فيه فتأسره ، وتتفرق الفرقة الثالثة في أبراج السور ، وكانت عملية بطولية خارقة سيطر فيها رجال عبد العزيز على الأماكن الحصينة في حين كان معظم جنود الحامية يغطون في نوم عميق ، ثم نادى المنادى : الملك لله ثم لعبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، ومن أراد العافية يلزم مكانه ، فاستيقظ الناس وأقبلوا مرحبين ومبايعين له على السمع والطاعة ، بينما لجأ الجنود العثمانيون إلى الحصون وبدأوا مع الصباح في اطلاق المدافع والبنادق

---

(١) أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ، ج٢ ، ص٥٦ .

(٢) الكوت « القلعة » كلمة برتغالية كثر استعمالها في الخليج العربى بعد وصول البرتغاليين هناك ، وكانت مقرا للحامية العثمانية في مدينة الهفوف ، وهى محاطة بسور عظيم يبلغ ارتفاعه ٢٤ قدما ، مشيدا عليه أبراج عديدة .
انظر : حافظ وهبة : المرجع السابق ، ص٧٠ مع الهامش .

على غير هدى ، لكن عبد العزيز أرسل لهم أن يسلّموا فيؤمنهم ويرحلهم إلى بلادهم ، والا هاجمهم في حصونهم ، فسلم المتصرف وجنده أنفسهم وترك لهم عبد العزيز سلاحهم الشخصى وقال كلمته المعروفة ـ لاننزع من الجندى العثماني سلاحه ، اما المدافع والذخائر فتبقى مكانها في الحصون ـ ، ثم جهزهم ورحلهم وعائلاتهم من الهفوف إلى العقير ومنها إلى البحرين ، ثم أرسل سرية إلى القطيف وأخذها(١) .

وقد أبدى الكابتن شكسبير دهشته من سرعة هجوم الإمام عبد العزيز ابن سعود على الاحساء ، وكان يعتقد أن ابن سعود لابد أن يتريث ليعرف موقف الحكومات المختلفة حول وضع الولايات العثمانية في المشرق العربى ، وأشار المسئول البريطاني في رسالة بعثها إلى المقيم البريطانى في الخليج برسى كوكس بتاريخ ١٤ جمادى الثانية ١٣٣١هـ/٢٠ مايو ١٩١٣م إلى أن ابن سعود قد اختار أفضل وقت لتحقيق هدفه ، وأدى المهمة ببراعة فائقة حيث ضمن ولاء أهل الاحساء واخلاصهم ، ونفذ خطة عسكرية محكمة لم يفقد فيها من جنوده إلا أربعة فقط بينما غنم حوالى أربعين ألف دولار ، واثني عشر مدفعاً من عيارات مختلفة ، اضافة إلى كميات كبيرة من البنادق والذخيرة الاحتياطية ، ورغم أن المسؤل البريطاني كان ينقل أخبار تلك الأحداث التى جرت في الأحساء عمن أسماهم مبعوثين مخصوصين من ابن سعود لأمير الكويت ، الا أنه قد خالف المراجع التاريخية التى اعتمدنا عليها سلفاً ، فى تاريخ ضم الأحساء اذ يشير المسؤول البريطانى إلى أن دخول الإمام

---

(١) أمين الريحاني : نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز آل سعود ... ، ص٢٠٨ ـ ٢١٠ ؛ خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، ج١ ، ص٢٠٣ ـ ٢٠٦ ؛ صلاح الدين المختار : المرجع السابق ، ص١٣٩ ـ ١٤١ .

عبـد العـزيز إلى الاحـسـاء تم فى ٢٧ جـمـادى الأولى ١٣٣١هـ/٤ مـايو ١٩١٣م[١] ، ولكننا في هذا البحث اعتمدنا على المراجع التاريخية سالفة الذكر لأن معظم مؤلفيها عاصروا الإمام عبد العزيز وأخذوا عنه مباشرة .

وفى ظهور تلك الوثيقة التى أشرنا اليها والتى تعبر عن دهشة المسؤولين البريطانيين من اقدام الإمام عبد العزيز على ضم اقليم الاحساء إلى دولته في ذلك الوقت ، تأكيد على خطأ ماذهب إليه البعض من أن البريطانيين كانوا وراء تحركات ابن سعود في الأحساء وأنهم الذين حرضوه كي يقوم بالاستيلاء على الاحساء[٢] ، وفى تلك الوثيقة تأكيد على استقلالية الامام عبد العزيز بن سعود في اتخاذ قراراته وتحقيق طموحاته .

ولقد برهن الامام عبد العزيز في حديث لمندوب جريدة الدستور العراقية أجرى معه في شهر ذى القعدة ١٣٣١هـ/أكتوبر ١٩١٣م برهن على سلامة سريرتـه ونبل غايته في جهوده التى كان يبذلها لبناء دولته الحديثة حيث قال : « ان الدولة العلية حفظها الله غصبت آبائى هذا اللواء ـ الاحساء ـ بدون أمر مشروع بحجة دعوة عبد الله السعود شقيق والدى ، ومن بعد أن أخذته لم تحسن صنعا ، ... وليت الدولة احتلت مايدانى الاحساء من البلاد كَعُمَان وغيرها التى تركتها هملا ، ومكنت الدول الأجنبية من أن تقذف فيها نار الفتن لتحصل على ماتنويه ، .... وكان الأهلون يرفعون ظلامتهم إلى مقام الولاية ويذكرون عجز أصحاب الأمر في ذلك الموطن فما كان يُسمع صدى لأصواتهم المتكررة ، فراجعونى مراراً ، فضربت عنهم صفحا اذعانا لدولتى ، وان كان

---

(1) F. O. 424/238, Enclosure, 3, in No. 458, Shakespear to p. Cox, Koweit, 20. 5. 1913. pp. 372-- 373.

(٢) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص١٧٠ .

يسوؤنى نظرى اياهم فى تلك الحالة ، ... ثم جاءتنى محاضر فيها تواقيع كثيرة من العلماء والوجوه قائلين : ان لم تسعفنا نضطر إلى مالاتحمد عقباه ، وفي تلك المطاوى سمعت أن الدولة تنازلت عن حقوقها في الخليج وسواحله ، فاستندت حينئذ إلى مالى من الحقوق الشرعية في هذا القطر بمنزلة أساس ، فبادرت إلى تلبية طلب الأهالى ، ليكونوا في حرز حريز من فتك أرباب الفساد فيهم ، وابعاد الأجانب عن ديارهم ، فهذه هى الأمور التى ساقتنى إلى مأأتيت ، فقدمت الأهم على المُهِمّ ، وسرحت موظفى الامارة محافظا على حياتهم بدون أن ينالهم أذى ، وعليه اذا أنعم النظر رجال الدولة المخلصون في هذه المسائل ، وفكروا فى مآلها أحسن التفكير ، وأعطوا لكل ذى حق حقه ، ولاحظوا الأمن الضارب أطنابه في البلاد ، وتثبتوا ماانتشر من مرافق العمران بين العباد ، حبذوا عملى هذا ، لاسيما اذا علموا أنى قطعت دابر الأشقياء والمفسدين وحقنت دماء الأهلين ، وبسطت أروقة الراحة بين العالمين »[1] .

لقد كان عبد العزيز بن سعود مخلصا في توجهاته ، صادقا في أقواله ، حيث أنه أنقذ الجزيرة العربية من شبح السيطرة الأجنبية ، التى أحاطت بالمشرق العربى فى ظل التدهور السياسى والعسكرى الذى تعيشه الدولة العثمانية ، ولعلنا لانعدو الحقيقة اذا قلنا أن حركة عبد العزيز هى الحركة العربية الاسلامية الصحيحة ، لأنها أقامت الدولة على الأسس الاسلامية السلفية الراسخة ، ولم تنجرف مع الحركة العربية المزقة التى تاهت في متاهات عدة أوصلتها في نهاية المطاف إلى الخضوع تحت السيطرة الاجنبية ، ولو أن عبد العزيز يرحمه الله دخل في معمعة الحركة العربية تلك لما أقام

(١) خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، ج١ ، ص٢٠٩ ـ ٢١٠ ؛ محيى الدين القابسى : المصحف والسيف ، ص١٦٢ ـ ١٦٣ .

مملكة حديثة ، فهو رجل دولة ودعوة ، وهذا ماجعله يستقل عن تلك الحركة غير المتوازنة التي بدأ التخبط وعدم الاتزان يشوب الكثير من مواقف رجالها .

حاول العساكر العثمانيون الذين وصلوا إلى البحرين أن يعاودوا الهجوم علي الاحساء وحصلوا على بعض المدافع والجنود من شبه جزيرة قطر ، وانضم اليهم مايقرب من خمسمائة جندى عثمانى من البحرين حيث تم نقلهم على سفن شراعية أنزلتهم في العقير حيث تمكنوا من الاستيلاء على برج صغير هناك ، لكن الامام عبد العزيز الذى كان حينذاك في الاحساء ، سارع في التوجه إلى هذه القوة الغازية ، التى كانت الحامية السعودية في العقير قد تصدت لها وأرغمتها على الفرار بعد أن أسرت منها خمسين جنديا ، وعند وصول الامام عبد العزيز أمر باطلاق سراح الأسرى بعد أن أخذ منهم قَسَماً بأن لايعودوا للقتال ضده مرة أخرى ، وحينئذ عادت القوة العثمانية إلى البحرين ومنها توجهت إلى البصرة بعد أن أدركت أن عبد العزيز بن سعود أصبح الحاكم الفعلى للاقليم ومن الصعوبة بمكان مجابهته عسكريا ، أو محاولة الاشتباك معه[1] .

وثارت ثائرة الامام عبد العزيز بن سعود ضد البريطانيين الذين سمحوا للجنود العثمانيين أن يتخذوا من البحرين مركزاً لتجمع قواتهم وحركاتهم الهجومية ضده ، فكتب إلى السير برسى كوكس يحتج على ذلك العمل ، ويطلب من المسؤول البريطانى اخباره بصراحة عن موقف البريطانيين حتى يعرف هو موقفه منهم ، ويتخير بالتالى الطريق الأحسن لحماية مصالحه[2] ، ولاغرابة في

---

(1) F. O. 424/239, Enclosure, 3, in No. 109. p. 55.
Telegraphic, dated, 5. 6. 1913;
F. O. 424/239, Enclosure, 1, in No. 109. p. 84.
letter, No. 37. dated, 14. 6. 1913.

(٢) حافظ وهبة : المرجع السابق ، ص٢٥٦ .

ذلك ، اذ أن الامام عبد العزيز حين استعادته لاقليم الاحساء قد اعلن أنه سيحكم هذا الاقليم مباشرة بعد ذلك التاريخ ، وقال : هانحن استولينا اليوم على بلاد آبائنا وأجدادنا في الاحساء والقطيف ، وملحقاتهما ثم أعطى المقيم البريطاني في الخليج صورة من هذا الاعلان[١] ، كي يكون على علم بحقائق الأمور ، لأن الامام عبد العزيز كان يعرف مكر الساسة البريطانيين وتوجهاتهم .

وقد أثبتت الوثائق البريطانية صدق توقعات الامام عبد العزيز حيث أن السياسة البريطانية حينذاك كانت غير متزنة وغير متوافقة لما يجرى من أحداث تاريخية في شرق الجزيرة العربية ، فبينما يشك وزير خارجية بريطانيا في انتصارات ابن سعود ، ويخشى التعامل معه كحاكم مستقل ، كان المندوبون البريطانيون في الخليج والقريبون من موقع الاحداث يؤمنون بقوة ابن سعود ، كحاكم قوي في الجزيرة ، والمستقبل السياسى لمصالح بريطانيا لن يكون الا بالتعامل معه[٢] ، وهذا ماتمثل في الاعتذار البريطاني الذى بعثه المندوب البريطاني في الخليج إلى الامام عبد العزيز بن سعود ، المتضمن انكار السلطات البريطانية مساعدة الجنود العثمانيين ، وأنها ملتزمة بالحياد بين الدولة العثمانية والأمير السعودى ، الذى تكن له مشاعر الصداقة والاحترام[٣] .

لقد فاجأ ضم عبد العزيز لاقليم الاحساء الساسة البريطانيين في الخليج ، وماتعاونهم مع القوات العثمانية في البحرين رغم انكارهم لذلك الا

---

(١) جي . بي . كيلي : المرجع السابق ، ص١٦٧ .

(2) F. O. 424/238, No. 335, foreign office to India office, F. O. 7. 6. 1913. pp. 255--256; F. O. 424/238, Enclosure, in No. 315, Government of India to The Marquess of Crewe, 31. 5. 1913. p. 242.

(3) F. O. 424/239, Enclosure, in No. 54, The Marquess of Crewe to The Government of India office, 3. 7. 1913. p. 40.

دليل على مدى ماوصل اليه خوفهم من امتداد سلطة ابن سعود على سواحل الخليج العربى وقد رأت حكومة الهند البريطانية أن توجه شيخ دبى كى يتعامل مع ابن سعود من منطلق الصداقة وحسن الجوار وأن لايثير معه أى مشكلات قد تدفعه إلى التقدم ، ويبسط نفوذه على أجزاء أخرى من سواحل الخليج(١) .

ومكث الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في الاحساء أياماً يرتب شئونها الادارية والعسكرية ، حيث ولى عبد الرحمن بن سويلم على القطيف ، واقام ابن عمه عبد الله ابن جلوي أميراً على الاحساء ، ثم عاد إلى عاصمة دولته(٢) ، التى أصبحت ممتدة من الكويت شمالاً إلى قطر جنوباً ، ومن الخليج العربى شرقاً إلى الحجاز غرباً (٣)، ليصبح بذلك سلطان نجد وتوابعها ، وصاحب القول الفصل فى شئونها ، بل ويصبح قائد الجزيرة العربية المنتظر الذى ترنوا إليه العيون ، وتتطلع إليه الآمال .

لقد أدركت الحكومة العثمانية أن صقر الجزيرة أصبح الحاكم الفعلى لمقاطعة الاحساء ، وهو سلطان نجد ونفوذه في الجزيرة العربية لايجارى ، فرضيت حينئذ بالأمر الواقع ، وأرسلت من قبلها وفداً لمفاوضته على الولاء للدولة ، وهو يكفى الحكومة العثمانية من شخصية بارزة كعبد العزيز بن سعود ، ووصل الوفد الذى رأسه طالب النقيب واجتمع مع ابن سعود على ماء الصبيحية على مقربة من الكويت في جمادى الأولى ١٣٣٢هـ/ ابريل ١٩١٤م ، وطلب الوفد أن يكون للدولة معتمدون في القطيف والاحساء ، فرفض ابن سعود

---

(1)F. O. 424/238, Enclosure, 1, in No. 429, Government of India to The Marquess of Crewe, 18. 6. 1913. p. 345;

أمين الريحانى : تاريخ نجد الحديث ، ص٢١١ .

(٢) محمد بن عبد الله الاحسائى : المرجع السابق ، ص٢٠٩ .

(٣) فؤاد حمزة : المرجع السابق ، ص٢٧٧ .

ذلك ، وطلب أن تكون العلاقات بينه وبين الدولة ولائية فقط ، على أن تساعده الدولة لقاء هذا الولاء بالأسلحة والذخيرة والمال ، وبعد التداول والمناقشة قبل الوفد ذلك على أن يبقى الأمر سراً حتى يقره الباب العالى ، ولم يلبث أن أقبل طالب النقيب ليؤكد أن والى البصرة تلقى برقية من الاستانة تتضمن الموافقة على ماتقرر في مؤتمر ـ الصبيحية ـ مع الشكر للإمام عبد العزيز بن سعود ، وتسميته والياً لنجد ومتصرفا للاحساء واهدائه النيشان العثمانى الأول ، ورتبة الوزارة[1] ، وكان الامام عبد العزيز في اقدامه على عقد الاتفاق مع الدولة العثمانية يرمي إلى قطع أى أمل للبريطانيين يهدفون من ورائه إلى السيطرة على سواحل الخليج العربى مما يلى اقليم الاحساء ، لأنه خبير بالسياسة البريطانية وغاياتها[2] .

ولقد كان الساسة البريطانيون في الخليج يدركون الدور الحاسم الذى سيلعبه حاكم سلطنة نجد وتوابعها في المنطقة ، وخاصة على سواحل الخليج العربى بعد أن صار جاراً لهم بضمه اقليم الاحساء ، وبعد أن أقام سلطنة نجد وتوابعها ، التى زادت أهميتها بضم الاحساء ، لذا قام هؤلاء الساسة باجراء محاولات حثيثة لعقد اجتماع بين المقيم السياسى البريطاني وسلطان نجد وملحقاتها الامام عبد العزيز آل سعود ، وفى ١٧ ، ١٨ محرم ١٣٣٢هـ/ ١٥ ، ١٦ ديسمبر ١٩١٣م جرى لقاء بين ابن سعود والمعتمد البريطانى في الكويت شكسبير ، والمعتمد البريطانى في البحرين تريفور Trevor[3] ، وقد

---

(١) أمين الريحاني : نجد وملحقاته ... ، ص٢١٣ ـ ٢١٦ ؛ خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، ج١ ، ص٢١٣ ـ ٢١٤ ؛ أحمد عسه : معجزة فوق الرمال ، ص٦٦ .

(٢) صلاح الدين المختار : المرجع السابق ، ص١٥٩ ؛ جمال زكريا قاسم : موقف الكويت من التوسع السعودى في نجد وسواحل الاحساء ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السابع عشر ، سنة ١٩٧٠م ، ص١١٠ .

(٣) فتوح الخترش ، وعبد العزيز المنصور : نشوء قطر وتطورها ـ دراسة تاريخية ص٧٠ ، منيرة العرينان : المرجع السابق ، ص٢٦٩ .

أشار الامام عبد العزيز إلى أن بريطانيا يجب أن تتركه وشأنه ليعيش بسلام ، وهو مستعد لحفظ السلام والأمن في اقليم الاحساء اذا حافظت بريطانيا على السلام في الجزء الباقى من ساحل الخليج ويجب عليها أن تعترف به كحاكم بالفعل لهذا الاقليم ، واذا كان الحال غير ذلك فانه يثق بسيفه البتار[1] .

هكذا أصبحت سلطنة نجد بعد ضم الاحساء ، قوة أساسية فى المنطقة لها وزنها السياسى والاستراتيجى على ساحة الأحداث ، ولاسيما أنها تطل الآن على الخليج العربى ، وتجاور الكويت وقطر والبحرين ، وغير هذا وذاك فهى تجاور بريطانيا العظمى ، وهذا بطبيعة الحال تأكيد لما ذهب اليه البحث من أن ضم الاحساء ، وبروز سلطنة نجد وتوابعها أعطى للحركة العربية الاتجاه الصحيح الذى فقدته في جهات أخرى .

(١) أمين سعيد : المرجع السابق ، ص٦٦ ؛ فتوح الخترش وعبد العزيز المنصور : مصادر تاريخ قطر ١٨٦٨ ـ ١٩١٦م ، ص٧٣ .

هـ ـ أثر موقف سلطنة نجد بالنسبة للمشرق العربي .

لقد كان لوصول الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود إلى ساحل الخليج العربى ، أثر فعال فى التصدى للأطماع البريطانية التي كانت تخطط للاستيلاء على مساحات شاسعة من ذلك الساحل ، لكن ضم اقليم الاحساء إلى سلطنة نجد أضاع على بريطانيا فرصتها الاستعمارية التى كانت تخطط لتنفيذها ، فى ظل الأزمات التى تعصف بالدولة العثمانية ، وكان عبد العزيز من الرجال القلائل الذين يعرفون ماتعانيه الدولة العثمانية من داء عضال ، ويعرفون الدواء الذى يمكن معالجتها به ، فبالاضافة إلى هزائم الدولة المتكررة فى حروبها التى تعتبر حروب البلقان آخرها وأشدها عنفاً ، فانه كان يدرك أن الدولة العثمانية تعاني من سوء الحكم الناتج عن بعدها عن الأصول التي قامت عليها ، وعن وجود التدخلات الأوربية في شؤونها ، فلو عادت الحكومة العثمانية إلى أصولها الاسلامية الأولى ، والى تحكيم كتاب الله في شئونها ، لأصبحت قوية ومنصورة على أعدائها ، واستطاعت أن تحافظ على مكانتها بين الأمم(١) .

وكان خير موقف لمواجهة هذه النهاية الحتمية للدولة العثمانية التى تمثل الخلافة الاسلامية هو قيام دولة سلفية في الجزيرة العربية ، لاتخضع للحركة العربية المليئة بالمتناقضات العقائدية ، وهذا ماأدركه الامام عبد العزيز وسعى إلى تحقيقه ، مما جعل موقف سلطنة نجد ازاء الحركة العربية في المشرق العربى ذا أثر فعال ومؤثر ، جعل الرياض بيت العرب الكبير الذى يلجأون له أمام الأخطار التى تحيط بهم من كل جانب .

---

(1)F. O. 424/238, Enclosure, 2, in No. 458, pp. 369-- 372.

لقد أدرك المعتمد البريطاني في الكويت الكابتن شكسبير ، مواهب الامام عبد العزيز بن سعود ، وبدأ في التنبؤ بما ينتظره من مستقبل مشرق ، حين أشار في تقريره إلى المعتمد البريطانى في الخليج بيرسى كوكس بتاريخ ٩ جمادى الثاني ١٣٣١هـ/١٥ مايو ١٩١٣م إلى أنه يأمل أن يتم اعطاء اهتمام جدى لابن سعود وشئون الجزيرة العربية التى باتت تنتظر قيادته ، فالرجل حاكم من أفضل الحكام العرب ، وشخصيته من الشخصيات التى يحتمل أن تقود الجزيرة العربية وهو حدث يبدو أنه سيظهر في المستقبل القريب(١) .

أما الحكومة العثمانية فقد اعترفت بالأمر الواقع وأقرت بكيان سلطنة نجد ونموها ، ومنحت رتبة الوزارة السامية بفرمان سلطانى للامام عبد العزيز ، كما اعترفت به والياً لنجد وقائداً لها ، على أن تنتقل الامارة بالارث إلى أولاده من بعده(٢) ، وهذا الاعتراف دليل على أن الحكومة العثمانية أدركت ذلك النمو المتزايد لسلطنة نجد ودورها البارز الذى ستلعبه فى الجزيرة العربية ، ولاسيما أنها أضحت بمثابة قشرة واقية للأماكن المقدسة من الخطر البريطاني المتربص في الخليج العربى(٣) .

كان موقف الامام عبد العزيز من الأحداث التاريخية الجارية موقفاً مميزاً ، يتسم بالاستقلالية في الرأى ، وعدم الخضوع لأية قوة تحاول التأثير عليه ، فقد رفض طلب الحكومة العثمانية محاربة الأدريسي في عسير(٤) ، وعبر

---

(1)F. O. 424/238, Enclosure, 2, in No. 458, pp. 369-- 372.

(٢) بلاد العرب في مذكرات سليمان شفيق كمال باشا ، مجلة العرب ، الجزء التاسع ، السنة الخامسة ربيع الأول ١٣٩١هـ ، ص٨٥٨ .

(٣) منيرة عبد الله العرينان : المرجع السابق ، ص٢٤٦ .

(٤) أمين الريحانى : نجد وملحقاته ... ، ص٢٠١ ـ ٢٠٢ .

بصراحته المعهودة للوالى العثمانى في البصرة عن الموقف الذى يجب أن تتخذه الحكومة العثمانية تجاه العرب حين قال : « انكم المسؤولون عما في العرب من شقاق ، فقد اكتفيتم بأن تحكموا وما تمكنتم حتى من ذلك ، قد فاتكم أن الراعى مسؤول عن رعيته ، وفاتكم أن صاحب السيادة لايستقيم أمره إلا بالعدل والاحسان ، وفاتكم أن العرب لاينامون على الضيم ولايبالون اذا خسروا كل مالديهم وسلمت كرامتهم ، ... أنتم اليوم في حاجة إلى راحة البال ، لتتمكنوا من النظر الصائب في أموركم الجوهرية ، أما مايختص بالعرب فاليكم رأيى فيه : انى أرى أن تدعو رؤساء العرب كلهم ، كبيرهم وصغيرهم إلى مؤتمر يعقد في بلد لاسيادة ولانفوذ فيه للحكومة العثمانية ، لتكون لهم حرية المذاكرة ، والغرض من هذا المؤتمر التعارف والتآلف ، ثم تقرير أحد أمرين : اما أن تكون البلاد العربية كتلة سياسية واحدة ، يرأسها حاكم واحد ، واما أن تقسموها إلى ولايات تحددون حدودها ، وتقيمون على رأس كل ولاية رجلاً كفوًا من كل الوجوه ، وتربطونها بعضها ببعض بما هو عام مشترك من المصالح والمؤسسات ، وينبغى أن تكون هذه الولايات مستقلة استقلالاً ادارياً وتكونوا أنتم المشرفين عليها ... »(1) ، انها أطروحة سياسية راقية ، وضعت النقاط على الحروف وحددت للحكومة العثمانية الاتجاه الأمثل الواجب الأخذ به في ظل المتغيرات التاريخية السريعة التي تعيشها الدولة ولاسيما أن العرب قد أصبحوا أكثرية في الدولة العثمانية بعد هزائمها في حرب البلقان ، لكن الحكومة العثمانية لم تدرك أهمية هذا الرأى السياسى الرفيع في الوقت المناسب .

---

(1) خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، ج1 ، ص197 ـ 198 ؛ أمين الريحانى : تاريخ نجد الحديث ، ص202 ـ 203 ؛ صلاح الدين المختار : المرجع السابق ، ص132 ـ 134 ؛ ابراهيم عبده : المرجع السابق ، ص93 ـ 94 .

لقد تميز عبد العزيز بن سعود منذ ظهوره على المسرح السياسى ، بنضج سياسى ، وقد أشار ذات مرة في حديث له إلى تلك المرتكزات التى قامت عليها عبقريته والتى يعتز بها حين قال :

« أنا عربى ومن خيار الأسر العربية ، ولست متطفلاً على الرئاسة والملك وإن آبائى معروفون منذ القدم بالرئاسة والملك ، ولست ممن يتكىء على سواعد الغير في النهوض والقيام وانما اتكالي على الله ، ثم على سواعدنا يتكىء الآخرون ويستندون ... أنا قوى بالله تعالى ثم بشعبى ، وشعبى كلهم ، كتاب الله في رقابهم ، وسيوفهم بأيديهم ، يناضلون ويكافحون في سبيل الله ، ... اذا كان المسلمون والعرب في منعة من التعاضد والتكاتف فليست هناك قوة فى مقدورها مهاجمتهم واذلالهم[١] » ، وهذا ماعبر عنه الكابتن شكسبير بعد مقابلته للامام عبد العزيز بن سعود ، حين أكد أن العرب قد وجدوا القائد الذى يستطيع أن يقف وهو مرفوع الرأس فوق كل زعيم[٢] .

ونحن لانعدو الحقيقة اذا قلنا أن ضم الاحساء إلى نجد تحت زعامة الامام عبد العزيز آل سعود ، قد حال دون تجزئة شرق الجزيرة العربية وتحويلها إلى دويلات صغيرة وهو ماكانت تطمح إليه السياسة البريطانية التى لم يهدأ لها بال تجاه الانتصارات المتواليه التى حققها ابن سعود ، لذا كان اقتراح وزارة الخارجية البريطانية لحكومة الهند في شهر ذى القعدة ١٣٣١هـ/ أكتوبر ١٩١٣م هو اشعار ابن سعود بالاتفاقية التى وقعتها بريطانيا مع الحكومة العثمانية ، وأنها ستُنَفّذ حال التصديق عليها ، بيد أن الامام عبد العزيز ، لم يلق بالاً لذلك لأنه وقد ضم الاحساء إلى دولته قبل توقيع تلك

---

(١) خير الدين الزركلى : الوجيز فى سيرة الملك عبد العزيز ، ص١٨٦ .
(٢) تركى بن محمد بن سعود الكبير : المرجع السابق ، ص٨ .

الاتفاقيات ، أصبح هو الحاكم الفعلي لذلك الاقليم ، ومايليه من المناطق التى جاء ذكرها في تلك الاتفاقية[١] .

وجاءت الحرب العالمية الأولى ، لتبرز معها شخصية عبد العزيز آل سعود سلطان نجد القوى ، الذى أصبحت الدولة العثمانية تطلب وده ومساندته ، فى الوقت الذى سلكت معه بريطانيا نفس الاتجاه ، لكن عبد العزيز تعامل مع الجانبين تعاملاً يرقى إلى مستوى الحدث نفسه ، والمكانة التى يحتلها ابن سعود ودولته الناشئة ، فوعد الوفد العثمانى بأن لايمنع المساعدة عن الجيش العثمانى والتى تأتيه من تجار نجد[٢] ، منبها الموفد العثمانى إلى أهمية موقعة بالنسبة لهذه الحرب ، وحرصه على مصلحة بلاده وشعبه ، وأنه سيلتزم الحياد في هذا الصراع[٣] ، أما مع البريطانيين فان موقفه كان أكثر صراحة ، اذ رفض أن يشارك في أى عمل حربى لاحتلال البصرة ، مهما كانت الامتيازات التى يحاول أن يقدمها له البريطانيون[٤] كما رفض أن يشارك العرب في تحفزهم للثورة ضد الدولة العثمانية وقال كلمته المشهورة « لن يقول الناس ثار عبد العزيز على دولة تتسمى بدولة الخلافة في عهد محنتها » ، وهذه الكلمة أشار لها الساسة البريطانيون بعد ذلك ضمنا ، حين قالوا : فشل برسى كوكس في الرياض ونجح لورنس بمكة[٥] .

ان ذلك هو فكر الامام عبد العزيز آل سعود الذى سعى إلى قيام مملكة سلفية موحدة في الجزيرة العربية ، تبعد النفوذ الأجنبى عنها ، وتبنى قواعدها

(١) جى . بى . كيلى : المرجع السابق ، ص١٦٩ ، وهامش ٢ ص١٧٣ ـ ١٧٤ .

(٢) خير الدين الزركلى : الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، ص٦٠ .

(٣) أمين سعيد : الخليج العربى في تاريخه السياسى ونهضته الحديثة ، ص٨٤ .

(٤) تركى بن محمد بن سعود الكبير : المرجع السابق ، ص٦ .

(٥) خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، ج١ ، ص٢٧ .

على العقيدة الاسلامية الصحيحة ، ولقد حلل الأديب والمؤرخ أمين الريحاني شخصية ابن سعود حيث قال عنه : « انه رجل قبل كل شيء ، رجل كبير القلب والنفس والوجدان ، عربي تجسمت فيه فضائل العرب ، رجل صافى الذهن والوجدان ، خلو من الادعاء والتصلف ، خلو من التظاهر الكاذب »(١) ، فمن كانت هذه صفاته وسجاياه فلاغرو من أن يقود الجزيرة العربية إلى بر الأمان ، وأن تكون حركته هى الحركة العربية الأصيلة التى تنطلق من العقيدة الاسلامية كمنهج دولة وأسلوب حياة ، البعيدة عن أى استقطاب أجنبى ، ليس هذا فحسب وانما تصبح هى الحصن الحصين للمشرق العربى ضد تكالب القوى الأجنبية عليه .

كان عبد العزيز صادقا مع نفسه ومع ربه ، فهو يرفض فكرة الخلافة التي عرضها عليه المقيم البريطانى فى الخليج برسى كوكس في حالة زوال الخلافة العثمانية ، لأنه لايرغب في أن يتزعم إلا أصحاب العقيدة السلفية(٢) ، فى الوقت الذى كان قد استقبل مندوب لجنة المنتدى الأدبى في الاستانة ، وأبدى تعاطفه مع مطالب العرب الاصلاحية الهادفة إلي المحافظة على البلاد العربية ضد التدخل الأجنبى والسعى إلى نهضتها وتطورها ، وقام بأداء واجبه كاملا تجاه الشعوب العربية ، سواء عن طريق دعمها سياسيا أو ماديا بعد ذلك(٣) .

ويذهب أحد المؤرخين إلى أن بعض رجال الحركة العربية حاول استقطاب عبد العزيز بن سعود كي يتولى زعامة الحركة ضد الدولة العثمانية ،

---

(١) أمين الريحاني : ملوك العرب ، ج٢ ، ص٥٤ .

(٢) منيرة عبد الله العرينان : المرجع السابق ، ص٢٤٣ .

(٣) أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ، ج٢ ، ص٦٨ ـ ٦٩ ؛ حافظ وهبة : خمسون عاما في جزيرة العرب ، ص١٧١ .

وأصغى لهم ابن سعود بانتباه وبالتالى حكم على ذلك المشروع بأنه غير قابل للتحقيق فى ذلك الوقت ، لقد كان هدفه مختلفاً جداً ، فهو يطمع في انتزاع الجزيرة العربية من نزعتها الفردية ، واعادة تجميع أوصالها ، ووضع حد للفوضى التى تعيشها ، أو بكلمة مختصرة اعادة وحدتها ، فاذا تحقق له ذلك فان ابن سعود سيكون مصدر موجة اسلامية جديدة ، بعد أن يوحد دولته ويعيد تنظيمها ، ويشير ذلك المؤرخ إلى أن ابن سعود استطاع أن يصرف أولئك القوم بلباقة ولياقة(١) .

والحقيقة أن عبد العزيز كان يتطلع إلى بناء وحدة عربية ناضجة تضم أقطاراً عربية لاتخضع للنفوذ الاجنبى ، لأنه يعلم أن اتحاد العرب في وجه الازمات والحروب شيء لاغنى لهم عنه(٢) ، وهذا ماأكده بنفسه حين قال في حديث له مع أمين الريحانى : « أتعرف ياأستاذ أننا أول من دعا أمراء العرب إلى الاجتماع والائتلاف ، ... اننا اقربهم إلى الألفة والاتحاد حنا [نحن] أهل نجد لانبغى المحافظة الا على أمرين : ديننا وشرفنا »(٣) .

ولقد جرت مداولات مع الامام عبد العزز بن سعود للدفاع عن البصرة عند تقدم البريطانيين إلى احتلالها ، وكان عازما على الدفاع عنها وعن الاقطار العربية التى تهددها القوى الأجنبية ، لكن عبد العزيز كان من أولئك الرجال الذين لاينساقون خلف الشعارات البراقة والأحلام الخادعة ، فقد أدرك أن الحكومة العثمانية تخوض مع بريطانيا حرب مصالح لن تستفيد الدولة العثمانية منها شيئاً وكذلك المشرق العربى ، والبريطانيون قد حسموا الأمر

(١) بنوا ميشان : المرجع السابق ، ص١١٥ ـ ١١٦ .
(٢) أحمد طربين : المرجع السابق ، ص١ .
(٣) أمين الريحانى : ملوك العرب ، ج٢ ، ص٤٠ .

واحتلوا البصرة[١] ، والحركة العربية على الأطراف ممزقة ، وغير موحدة الأهداف ، اذاً فسلطنة نجد وتوابعها لا ولن تستطيع هذه الحركات ومعها القوى الأجنبية اخضاعها ، وهى بالتالى لن تنضم لها .

وهكذا كان حياد الامام عبد العزيز بن سعود في تلك الحرب مفيداً له ولدولته ، ومفيداً للحكومة العثمانية التى كانت تدعم جنودها في اليمن بالمال والسلاح وترسل لهم تلك الامدادات عبر أراضى ابن سعود دون مضايقة أو خوف ، ولم يحارب بريطانيا التى كانت أساطيلها تجوب الخليج العربى ، فحفظ لبلاده ومواطنيه الأمن والاستقرار ، فى وقت كان العالم يصطلى بنار الحرب الضروس[٢] ، لقد أدرك عبد العزيز أن السياسة البريطانية لاتتجه إلى دعم الحركة العربية ، ولاترغب في وحدة الأمراء العرب ، وأن أى محاولة بريطانية من هذا النوع لاتزيد الخرق الا اتساعاً كما يقول[٣] ، ولأنه مفعم بالوطنية الصادقة والايمان العميق ، ولديه رغبة عارمة لأن يقدم كل مالديه لمصلحة شعبه ودولته[٤] ، كان عليه أن ينهج الطريق الأمثل لبناء دولة موحدة في الجزيرة العربية ، لأن ماحوله من امارات وقوى عربية لم تكن مكتملة السيادة والاستقلال ، وانما تخضع بدرجات متفاوتة للسيطرة الأجنبية[٥] .

هنا ظهرت قيمة سلطنة نجد وتوابعها ، بل وتَجلّى فكر الامام عبد العزيز آل سعود ، الذى جعل الاسلام مرتكزاً لدولته وتبنى العقيدة السلفية الصافية ،

---

(١) سليمان فيضى : المصدر السابق ، ص١٩٤ ـ ١٩٥ ؛ عبد المنعم الغلامى : المرجع السابق ، ص٣٠

(٢) أمين الريحانى : نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز ... ، ص٢٢٠ ؛ محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص٤٤٩ ـ ٤٥٠ .

(٣) أمين الريحانى : ملوك العرب ، ج٢ ، ص٦١ .

(٤) فاروق عثمان أباظة : مستقبل الجانب الشرقى من الدولة العثمانية في نظر حكومة الهند البريطانية في بداية الحرب العالمية الأولى ، ص٦٢ .

(٥) أحمد طربين : المرجع السابق ، ص١٦ .

لتتبلور بالتالى شخصيته ومكانة دولته ، التى قدم الغالى والنفيس من أجل بنائها فقد قال يرحمه الله : « ان خطتى التى سرت ولا أزال أسير عليها هى اقامة الشريعة السمحة ، كما اننى أرى من واجبى ترقية جزيرة العرب والأخذ بالاسباب التى تجعلها في مصاف البلاد الناهضة مع الاعتصام بحبل الدين الاسلامى الحنيف ، وقال : أنا مبشر أدعو لدين الإسلام ولنشره بين الأقوام ، أنا داعية لعقيدة السلف الصالح ، وعقيدة السلف الصالح هى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وماجاء عن الخلفاء الراشدين ... أنا مسلم وأحب جمع كلمة الاسلام والمسلمين ، وليس أحب عندى من أن تجتمع كلمة المسلمين ، ... واننى لاأتأخر عن تقديم نفسى وأسرتى ضحية فى سبيل ذلك أنا عربى ، وأحب قومى والتآلف بينهم وتوحيد كلمتهم ، وأبذل في ذلك مجهوداتى ولا أتأخر عن القيام بكل مافيه المصلحة للعرب وما يوحد أشتاتهم ويجمع كلمتهم »[١] .

لقد نجح الامام عبد العزيز آل سعود بعصاميته في بناء دولته الفتية ، وحفظ للعرب تراثاً مجيداً في البلاد المقدسة وأقام الأمن والنظام على أرض الجزيرة العربية ، وكان يمثل رمزاً للحركة العربية الصادقة التى كان يتطلع لها العرب ، والتى تتفق مع منظور عبد العزيز الذى يرى أنه لاعز إلا بالاسلام ولاقوة إلا بالتمسك به ، فمن حفظه حفظ عزه وقوته ، ومن أضاعه ضيع نفسه وباء بغضب من الله[٢] .

ولقد كان عبد العزيز آل سعود حريصاً على الوحدة العربية ، التى تجمع شمل العرب ، وتحفظ حقوقهم وتقيهم شرور التدخلات الأجنبية ، وكان مستعداً

---

(١) خير الدين الزركلى : الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، ص٢١٥ ـ ٢١٦ .

(٢) محيى الدين القابسى : المرجع السابق ، ص٧٠ .

للمساهمة في مايحفظ لهم استقلالهم وحريتهم[1] ، لأنه أقام دولته على دعائم قوية وبجهود ذاتية ، دون أن تستقطبه أى قوة من القوى المتصارعة ، يقول السير آرنولد ويلسون Sir Arnoldwilson ، بعد زيارة قام بها للبصرة بدعوة من السير برسى كوكس المقيم البريطاني في الخليج سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٦م عن ابن سعود « هاهنا رجل غير حديث عهد بالملك ، لايعتمد على أسلحة البريطانيين في سلامته ، ولا على الذهب البريطاني في مركزه »[2] .

هكذا كانت سلطنة نجد ومؤسسها التي مثلت دعامةً قوية للمشرق العربى وحالت بينه وبين السقوط الكامل في أيدى القوى الأجنبية ، حيث أمست حصناً منيعاً يلجأ اليه من ينشد الاستقلال من ابناء العرب ، وكان لموقف عبد العزيز آل سعود ودولته الفتية دوراً بارزاً في المحافظة على الأماكن المقدسة بوجه خاص والجزيرة العربية بوجه عام ، والتى لم يستطع النفوذ الأجنبى أن يصل إليها ، لأنها باتت تشكل كياناً واحداً ينطلق من معتقد واحد ، وهي القاعدة التى انطلق منها الامام عبد العزيز حيث قال يرحمه الله : « ماكنا عرباً إلاّ بعد ماكنا مسلمين ، كنا عبيداً للعجم ، ولكن الاسلام جعلنا سادة ، ليس لنا فضيلة الا بالله وطاعته واتّباع محمد ، ويجب أن نعرف حقيقة ديننا وعربيتنا ، ولاننساهما »[3] ، من هذا المنطلق حافظ عبد العزيز آل سعود على دولته الفتية وحفظ للمشرق العربى الاسلامى مكانته أمام الصراعات الدولية التى كانت تتكالب على المنطقة في تلك الفترة .

---

(١) أمين الريحاني : ملوك العرب ، ج٢ ، ص١٠٢ .
(٢) أحمد طربين : المرجع السابق ، ص٤ .
(٣) خير الدين الزركلى : الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، ص٢١٧ .

و ـ قيام الحرب العالمية الأولى ، تغيّر ميزان القوى .

شهد المشرق العربي العثماني قبيل وأثناء حروب البلقان حركات سياسية مؤثرة ، برزت خلالها الحركة العربية على مسرح الأحداث التاريخية ، وزاد من ظهورها اقتطاع شبه جزيرة البلقان من أملاك الدولة العثمانية ، حيث أصبح العرب يشكلون في الدولة العثمانية أكثرية كما اشرنا ، غير أن مطالب العرب يمكن تحديدها في الاصلاح للولايات العربية على قاعدة اللامركزية الادارية ، وهو الاتجاه الغالب لدى زعماء العرب حينذاك ، لكن هذه الحركة العربية عاشت بعض المواقف التاريخية بعد الانتهاء من حروب البلقان ، وبدأت الحركة في اتخاذ بعض الاجراءات المميزة ضد الحكومة العثمانية ، كمعارضتها للمركزية والتتريك ، ومحاولاتها عقد مؤتمر في الجزيرة العربية يحقق للعرب آمالهم وطموحاتهم ، وكان ضم الاحساء والموقف المتميز الذى وقفته سلطنة نجد في تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ الحركة العربية هو مايمكن اعتباره ذا فائدة ملموسة حصلت عليها الحركة العربية في المشرق العربى العثمانى حينذاك ، وحفظت الجزء الشرقى من الجزيرة العربية من التهديد والنفوذ الأجنبى الذى بدأ يتغلغل في البلاد العربية .

لكن حروب البلقان التى كان تأثيرها واضحاً على الدولة العثمانية بشكل عام وفي المشرق العربى بشكل خاص ، كان لها دور بارز في تفجير الحرب العالمية الأولى[1] تلك الحرب التى تعتبر أول حرب عالمية في التاريخ تعرفها البشرية ، وصحبها من المآسى والكوارث ماصحبها ، وكان انعكاسها على الحركة العربية كبيراً ومؤثراً ، حيث كان قيام الحرب العالمية الأولى ، ايذاناً

(١) هارولد تمبرلى و . أ . ج . جرانت : المرجع السابق ، ج٢ ، ص١٤٥ .

بتوقف ماكان يدور على الساحة العربية من أحداث تاريخية بارزة ، ومن أهمها بطبيعة الحال الحركة العربية ، والمطالب الاصلاحية التى ينشدها العرب من الحكومة العثمانية .

ونحن لانعدو الحقيقة اذا قلنا ان حربى البلقان الأولى والثانية كانت هي البداية الحقيقية لانفجار الحرب العالمية الأولى ، ولاسيما أن معاهدة بوخارست التى أعقبت حرب البلقان والتى تحدثنا عنها فيما سبق ، قد تركت لأوربا مشاكل خطيرة لم تستطع حلها وقتئذ ، وتطورت تلك المشاكل تبعا لتطور الأحداث ، حتى جاءت ساعة اعلان الحرب العالمية الأولى التى تجاوزت في مدلولها وشموليتها نطاق شبه جزيرة البلقان لتشمل أوربا قاطبة ، ثم تتجاوزها إلى أصقاع مختلفة من العالم تأثرت من تلك الحرب الضروس .

ثم كان السبب المباشر لقيام الحرب العالمية الأولى هو قتل الارشيدوق فرانز فرديناند Archduke Franz Ferdinand ولي عهد النمسا ـ المجر ، على يد أحد أعضاء المنظمات السرية الصربية في ساراجيفو Sarajevo ، فى الخامس من شعبان ١٣٣٢هـ/٢٨ يونيو ١٩١٤م[١] ، وقد أعلنت النمسا ـ المجر الحرب على الصرب أملاً في القضاء عليها فى ٦ رمضان ١٣٣٢هـ/ ٢٨ يوليو ١٩١٤م[٢] ، بيد أن الحماية الروسية للعنصر السلافي فى شبه جزيرة البلقان ، جعلت روسيا تعلن مساندتها لحكومة الصرب ضد أى عدوان قد تتعرض له من قبل النمسا ـ المجر ، ولأن روسيا حليفة لفرنسا ، والمانيا حليفة للنمسا ، فقد أقحمت هذه الدول نفسها في تكتلات سياسية متناحرة

(١) محمد قاسم وأحمد نجيب هاشم : المرجع السابق ، ص٢٥٦ ؛ مذكرات لورد غراى : المصدر السابق ، ص١١٤ ـ ١١٥ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٧ ، ج١١ ، ص٨٨٠ .

جعلتها تحتكم إلى السلاح[1] ، حيث أعلنت المانيا الحرب على روسيا في العاشر من رمضان ١٣٣٢هـ/ اليوم الأول من أغسطس ١٩١٤م ، ثم أعلنتها على فرنسا وبلجيكا بعد ذلك بثلاثة أيام ، وفى الرابع عشر من رمضان ١٣٣٢هـ/٥ أغسطس ١٩١٤م دخلت بريطانيا الحرب إلى جانب روسيا وفرنسا ، ثم تتابعت الدول الأوربية في دخول الحرب العالمية الأولى[2] ، حيث شكلت مجموعة دول الوسط من النمسا ـ المجر ، وألمانيا ومن سينضم اليهما في الحرب ، ومجموعة دول الحلفاء وتتكون من فرنسا وبريطانيا وروسيا ومن سينضم لها من الدول[3] .

ولأن ميزان القوى الأوربية سيتأثر بموقف الدولة العثمانية فى هذه الحرب ، لأن وراء الأسباب المباشرة للحرب أسباب أخرى تتمثل في المصالح الاستراتيجية ، وفرض السيادة الاستعمارية لكل دولة من تلك الدول التى تخوض الحرب ، والدولة العثمانية تعتبر حينذاك محور الارتكاز لتلك المصالح ، ولاسيما أنها صاحبة نفوذ فعال في المشرق العربى ، يقول لويد جورجLloyd George : « ان الامبراطورية التركية تقع جغرافيا عبر قطعة من الأرض أو جسم من الماء بيننا وبين ممتلكاتنا الكبيرة في الشرق ... فكان من الأمور الحيوية بالنسبة إلى مواصلاتنا ، ومن الأمور الجوهرية بالنسبة إلى نفوذنا وهيبتنا في الشرق أنه عندما تعلن تركيا الحرب علينا أن نوقع بها الهزيمة وأن نشوه سمعتها دون ضياع الوقت[4] » .

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٨٣ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٧ ، ج١١ ، ص٨٨٠ .

(٣) محمد كمال الدسوقى : المرجع السابق ، ص٣٦٣ .

(٤) زين نور الدين زين : الصراع الدولى في الشرق الأوسط وولادة دولتى سوريا ولبنان ، ص٥٧ .

وكانت رغبة الحلفاء ـ بريطانيا وفرنسا وروسيا ـ هى بقاء الدولة العثمانية على الحياد ، لأن ذلك سيكفل احترام واستقلالية أراض الدولة أثناء الحرب ، وسينص على ذلك في معاهدات الصلح ، وقد رغب بعض رجال الدولة العثمانية في الانضمام إلى دول الحلفاء ضد دول الوسط ، لكن وجود العدو التقليدى للدولة ـ روسيا مع الحلفاء ، حال دون التفكير في هذه الرغبة[1] ، وظلت الحكومة العثمانية على الحياد مايقرب من ثلاثة أشهر ، ولكن العلاقات العثمانية البريطانية بدأت تسير من سيء إلى أسوأ ، وعجل في تدهورها مصادرة الحكومة البريطانية للبارجتين الحربيتين اللتين كانت تقوم بانشائهما لحساب الدولة العثمانية[2] ، مما رجح كفة الساسة العثمانيين المؤيدين للتحالف مع دول الوسط ـ المانيا وحلفائها ـ واغتنمت المانيا الفرصة لتعلن بيعها لسفينتين حربيتين ألمانيتين للدولة العثمانية ، لتنضم إلى الأسطول العثمانى في البحر الأسود[3] .

وقد كانت الحكومة العثمانية تخشى في واقع الأمر من ازدياد الأطماع الاستعمارية البريطانية والفرنسية في المشرق العربى العثمانى ، ولاسيما أن النفوذ البريطاني في الخليج العربى كان مؤثراً ، والأطماع الفرنسية في سوريا لم تعد سراً لايعرفه أحد ، ولو أن الحكومة العثمانية كانت واثقة من نزاهة الحلفاء ، لبقيت على الحياد ، ولكنها كانت تعلم أن ليس لهذه الدول وفاء في وعد ولاصدق في عهد ، وكانت تخشى أن يكون في وقوفها على الحياد فرصة

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٨٤ ؛ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص٥١ ـ ٥٢ .

(٢) زكى صالح : مجمل تاريخ العراق الدولى في العهد العثماني ، ص٩٣ .

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

للحلفاء كي يتفقوا من وراء ظهرها على اقتسام ممتلكاتها الآسيوية ، ولكى تستفيد من تلك الحرب وتعرف مواقف تلك الدول على حقيقتها ، بادرت الحكومة العثمانية إلى الغاء الامتيازات الأجنبية ، وألغت نظام جبل لبنان المستقل وأدمجته في الدولة العثمانية كباقى الولايات[١] .

وتسارعت الأحداث مع وقوع صدام بحرى بين الأسطول العثمانى وبعض الموانىء الروسية في البحر الأسود في أوائل شهر ذى الحجة ١٣٣٢هـ/ أواخر شهر اكتوبر ١٩١٤م[٢] ، لتدخل الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول الوسط وضد الحلفاء في السابع عشر من ذى الحجة ١٣٣٢هـ/ الخامس من نوفمبر ١٩١٤م[٣] ، ولتبدأ بذلك مرحلة تاريخية جديدة عاشها المشرق العربى مع تلك الحرب المدمرة .

لقد ترتب على دخول الدولة العثمانية للحرب اتساع جبهات القتال لما تمثله الدولة العثمانية من موقع جغرافى واستراتيجى فريد مما يحتم على دول الحلفاء أن تحارب في جهات عدة غير ميادين الحرب في أوربا[٤] ، وكانت المشكلة الاساسية التى ستواجهها بريطانيا حينئذ هى الدفاع عن مصالحها الاستراتيجية في المشرق العربى بوجه عام والخليج العربى والجزيرة العربية بوجه خاص[٥] ، التى تعتبر قشرة واقية لدرة التاج البريطانى ـ الهند ـ .

---

(١) توفيق علي برو : المرجع السابق ، ص٦١٤ ـ ٦١٥ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٧ ، ج١٢ ، ص٩٥٨ ـ ٩٥٩ ؛ محمد قاسم وأحمد نجيب هاشم : المرجع السابق ، ص٢٦٠ .

(٣) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص١١٥ ؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٩٠ .

(٤) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص٢٢٣ .

(٥) قدرى قلعجى : الخليج العربى ، ص٤٨٦ ـ ٤٨٧ .

وكان الامام عبد العزيز آل سعود يعتبر أقوى حاكم فى الجزيرة العربية ، وزاد من أهميته الاستراتيجية تمكنه من ضم الاحساء والوصول إلى سواحل الخليج الغربية[١] ، لكن نشوب الحرب العالمية الأولى ، ومحاولات بريطانيا لاستقطابه إلى جانبها لم تغيّر من موقف ابن سعود في التزام الحياد وايقاف أى نشاط سياسى أو عسكرى ضد الدولة العثمانية ، وبالتالى الامتناع عن تقديم أى مساعدة لبريطانيا فى هذه الحرب[٢] ، وهذا الموقف كان على العكس تماماً من موقف شيخ الكويت الذى آزر بريطانيا في الحرب العالمية الأولى ضد الدولة العثمانية ، واتفق معها على القيام بالهجوم على بعض المواقع العثمانية في الخليج[٣] ، وكذلك موقف شيخ المحمرة الذى وقف نفس موقف شيخ الكويت إلى جانب بريطانيا[٤] .

وقد كان العراق يمثل أهمية سياسية وعسكرية واقتصادية بالنسبة للموقف البريطانى في الخليج العربى ، وهذا ماأشار إليه رئيس الوزراء البريطانى اسكويث Asquith في خطاب له بمجلس العموم البريطاني ، حين قال : « أن الهدف من ارسال قوة إلى العراق هو ضمان حياد العرب وحماية مصالحنا في الخليج وحماية حقول النفط ، وعلى العموم المحافظة على هيبة بريطانيا في الشرق »[٥] ، وأصدرت القيادة البريطانية أوامرها لقائد القوات المتمركزة في البحرين بمباشرة عملياتها الحربية ضد العثمانيين ، وزحفت تلك

---

(١) مكى الطيب شبيكة : العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى ، ص٣٢ ؛ تركى بن محمد بن سعود الكبير : المرجع السابق ، ص٥ .

(٢) عبد المنعم الغلامى : المرجع السابق ، ص٢٩ ـ ٣٠ .

(٣) بدر الدين عباس الخصوصى : المرجع السابق ، هامش ١ ، ص١٠٥ ؛ حسن علي الابراهيم : المرجع السابق ، ص٦٦ .

(٤) مصطفى عبد القادر النجار : التاريخ السياسى لامارة عربستان العربية ١٨٩٧ ـ ١٩٢٥م ، ص١٢٩ .

(٥) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص٢٦١ .

القوة على الفور نحو الشمال واحتلت مدينة الفاو عند مصب شط العرب في الخليج[1] ، في الثامن عشر من ذى الحجة ١٣٣٢هـ/ السادس من نوفمبر ١٩١٤م ، واحتلت مدينة البصرة في الخامس من محرم ١٣٣٣هـ/ الثانى والعشرين من نوفمبر ١٩١٤م[2] ، وهكذا هيمنت بريطانيا على جنوب العراق ، لينتهى بها الأمر في أواخر الحرب إلى أخذ العراق من الدولة العثمانية ووضعه تحت السيطرة الاستعمارية البريطانية[3] ، مما ثبّت أقدام بريطانيا فى رأس الخليج العربى ، الذى تحول إلى بحيرة بريطانية من شماله إلى جنوبه ، ولتصبح الكلمة في شئون الخليج العربى هى كلمة بريطانيا العظمى .

أما المكتب العربى « البريطانى » فى القاهرة ، فقد لعب دوراً بارزاً لاستقطاب الشريف حسين في الحجاز إلى جانب الحكومة البريطانية في هذه الحرب ضد الدولة العثمانية ، ووجد كل من الطرفين ضالته لدى الطرف الآخر ، فبريطانيا تتلهف للتحالف مع الحسين لتأمن عدم تأثر العرب بالدعوة إلى الجهاد التى أعلنها السلطان العثمانى ، لأن المكانة الدينية لاقليم الحجاز تعطي للشريف حسين ثقلاً كبيراً فى مواقفه من تلك الحرب ، بينما كان الحسين يتطلع إلى زعامة العرب واقامة خلافة عربية تحل محل الخلافة العثمانية[4] ، ولعل قصر النظرة السياسية التي سادت حين ذاك هي التى دفعت العرب بزعامة الحسين إلى القيام بما سُمِيَ الثورة العربية ، التى قَدَّمَتْ لبريطانيا وحلفائها مالم تكن تتوقعه ، وبالتالى رجحت كفتها في تلك الحرب لأنها قدمت لها دعما سياسيا ومعنوياً اضافة إلى الدعم العسكرى على جبهات

---

(١) خالد حمود السعدون : المرجع السابق ، ص٣٦٠ ـ ٣٦١ .

(٢) محمد بن خليفة النبهانى : المرجع السابق ، ص٣٤٤ ؛ زكى صالح : المرجع السابق ، ص٩٥ .

(٣) محمد شفيق غربال : المرجع السابق ، ص٢٣ .

(٤) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص٢٦٥ ـ ٢٨٣ .

القتال ، لأن السياسة البريطانية كانت تدرك أن مهاجمة الدولة العثمانية عن طريق رعاياها العرب سيحقق لها هدفين هامين هما : تحطيم الوحدة العثمانية ، فيسهل بالتالى انهيار الدولة العثمانية من الداخل ، وخلق ظروف حرب أهلية داخل الدولة تجبر الحكومة العثمانية على توجيه قواتها العسكرية لايقاف هذه الحرب الداخلية ، مما يسهل على الحلفاء هزيمة الدولة في جبهات القتال الأخرى ، وهذا بطبيعة الحال هو ماحققته تلك الثورة التى سميت بالثورة العربية[1] .

وقامت بريطانيا باحتلال الحديدة لتضمن سيطرتها على ميناء عدن الاستراتيجي ، ثم قامت بتسليمها للادريسى بصفته أحد أتباعها على أن يبقى تحت الحماية البريطانية ، وأمدته بكميات كبيرة من الأسلحة والمال ، وألقت على عاتقه مهمة حفظ الموانىء اليمنية لمصلحة بريطانيا طيلة أيام الحرب[2] ، بينما بقى الامام يحى في موقف الحياد ، المصحوب بشىء من الميل الحذر للحكومة العثمانية ، وهذا الموقف ساعده على أن يعلن استقلاله باليمن بعد انتهاء الحرب مباشرة[3] .

لقد أوقفت الحرب العالمية الأولى كل أنشطة الحركة العربية التى كان يعج بها الشرق العربى العثماني ، وقام زعماء الاصلاح العرب المطالبين باللامركزية في الولايات العربية بالكف عن جميع مطالبهم الاصلاحية ، لأنهم يدركون أن مصلحة دولة الخلافة العامة فوق أى اعتبار ، واندفع أبناء العرب لخدمة الجيش العثماني في جميع جبهات القتال ، وأوقفت الأحزاب السياسية ،

---

(٤) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص٢٦٥ ـ ٢٨٣ .

(١) خيرية قاسمية : المرجع السابق ، ص٢٥ .

(٢) أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين ... ص٢٨٠ ـ ٢٨١ .

(٣) سيد مصطفى سالم : المرجع السابق ، ص٢٣٢ ؛ عبد الكريم محمود غرايبة : المرجع

وتركت الاختلافات الداخلية وظهر التوجه لخدمة الدولة والاخلاص لها في هذه الحرب[١] ، وأصدر عزيز على المصرى تحذيراً لأعضاء جمعية العهد السرية كى لايقوموا بأى عمل عدائى ضد الدولة العثمانية ، لأن دخول الدولة للحرب سيعرض الولايات العربية للغزو الأجنبى ، لذا عليهم الوقوف بجانبها إلى أن يحصلوا على ضمانات تحميهم من المآرب الأوربية[٢] .

وأرسل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاسلامية فى مصر ، وأحد الأعضاء البارزين في حزب اللامركزية الادارية العثمانى ، خطاباً إلى مسلمى سوريا قال فيه : « ... ثم أشكر لكم ماأظهرتموه من النجدة والهمة في الاخلاص والطاعة للدولة وبذل الأنفس والأموال والثمرات لها ، والكف عن طلب الاصلاح منها ، وتقديركم الحال الحاضرة حق قدرها حتى أنكم ساهمتم في هذا أرقى أمم الأرض التي سكتت عن جميع مطالبها ومنازعاتها الداخلية ... »[٣] ، أما الضابط العربى في الجيش العثماني سليم الجزائرى فقد قال : « على هذه الحرب يتوقف كيان الدولة ، ومصير الشرق الأدنى ، وسيكون اتحاد العرب قلباً وقالباً مع اخوانهم الترك فى هذا الحين العصيب ، أكبر ضمان للمستقبل المجيد الذى ينتظرنا ، والذى هو مكفول لنا باخلاص كل فرد منا ، وتفانيه في سبيل الوطن المشترك »[٤] .

لكن الآراء عند العرب لم تكن مستقرة ، والموقف لايحتمل أكثر مما تعيشه المنطقة ، والأطروحات السياسية عند دعاة الاصلاح العرب متعددة ،

السابق ، ص٢٢٠ .

(١) محمد كرد على : المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٣٢ ؛ توفيق علي برو : المرجع السابق ، ص٦١٠ .

(2) Kirk, op. cit, pp. 124-- 125;

جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص٢٤٠ ـ ٢٤١ .

(٣) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص١٩٧ .

فمنها ماهو ذو نزعة عثمانية تتمحور حول اللامركزية الادارية ، ومنها ماهو ذو نزعة استقلالية تحاول أن تعبر عن ذاتها القومية فى ظل الصراع الدولى الذى أوجدته الحرب العالمية الأولى ، وهو ماتمثل في قرار اللجنة العليا لجمعية العربية الفتاة الذى يقول : « نتيجة لأشتراك تركية في الحرب أصبح مصير الولايات العربية في الدولة العثمانية معرضاً لمخاطر شديدة ، ويجب بذل جميع الجهود لضمان حريتها واستقلالها ، كما تقرر أنه إذا تحقق أن للدول الأوربية مطامع في هذه البلاد فان الجمعية ملزمة بأن تعمل إلى جانب تركية كى تقاوم التدخل الأجنبى مهما تكن صورته »(١) .

ولم تبق الأحوال في المشرق العربى العثمانى على ماكان متوقعا ، رغم أن الحركة العربية توقفت بسبب قيام الحرب العالمية الأولى عند حد يمكن القول عنه أنه مفترق الطرق لتلك الحركة ، التى بدأ الحلفاء يسعون حثيثاً لاستقطابها ، وتحقق لهم الهدف المنشود عندما أصبح تيار القومية العربية الصرفه هو المسيطر على اتجاه تلك الحركة التى انتهت بما سُمِّيَ الثورة العربية ضد الدولة العثمانية ، وانحيازها الكامل ضد أعداء الدولة العثمانية ، الذين وعدوا الحسين بدولة عربية في المشرق ، ووعدوا الصهيونيين بوطن قومى لليهود في فلسطين(٢) ، لكن بريطانيا التى كانت قد أعلنت الحماية على مصر في الأول من صفر ١٣٣٣هـ/الثامن عشر من ديسمبر ١٩١٤م(٣) ، لم تف بوعودها للعرب ، بل اقتسمت مع فرنسا الولايات العربية التى سلخت من الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ، حيث وضعت العراق تحت الانتداب

---

(١) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص٢٣٧ .

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٩٢ .

(٣) عبد الكريم رافق : المرجع السابق ، ص٥٠٩ ـ ٥١٠ ؛ ابراهيم خليل أحمد : المرجع السابق ، ص٣٣٤ .

البريطاني وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ، بينما وضعت الأردن وفلسطين تحت الانتداب البريطانى[1] .

ويعتبر نظام الانتداب هذا حلاً بارعاً أخذت به الدول الاستعمارية المنتصرة في الحرب ، وهو بدون شك استعمار جديد باسم جديد ، تمت صياغته في المجلس الأعلى للحلفاء الذى عقد في سان ريمو San Remo ، في الفترة من ١ ـ ٧ شعبان ١٣٣٨هـ/١٩ ـ ٢٥ ابريل ١٩٢٠م ، الذى حول اتفاقية سيكس ـ بيكو Sykes - Picot ، الموقعة بين بريطانيا وفرنسا في ١٤ رجب ١٣٣٤هـ/١٦ مايو ١٩١٦م إلى نظام للانتداب الاستعمارى[2] ، يقول السير آرنولد ويلسون في رسالة بعثها إلى حكومة الهند في ١٠ ديسمبر ١٩١٨م : « وقد استطعنا باحتلال العراق أن ندق أسفيناً في العالم الاسلامى ، وبذلك منعنا تجمع المسلمين ضدنا في الشرق الأوسط ويجب أن تكون سياستنا بعد الحرب قائمة على الاحتفاظ ببلاد العراق وعدم ادماجها سياسياً في أى من بلاد العالم العربى أو العالم الإسلامى »[3] .

هكذا اذاً خرجت البلاد العربية عن الحكم العثمانى الاسلامى ، وتمزقت الجامعة الاسلامية ، وأصبحت البلاد العربية تُشكّل كيانات سياسية متفرقة ، وكأنها كانت على موعد مع الحرب العالمية الأولى ، لتغيّر خريطتها السياسية ، وتجعلها موزعة القوى بين القوى الأوربية ، ولم يشذ عن تلك القاعدة إلا الدولة السعودية التى أقامها الامام عبد العزيز آل سعود وأوجد لها كياناً قوياً ذا عقيدة راسخة وأهداف بارزة ، بعيدة عن التيارات والأطماع الدولية المتصارعة .

ص٣٣٤ .

(١) أحمد مصطفى أبو حاكمة : المرجع السابق ، ص٣٣٢ .

(٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص١٤٠ .

الخاتمة والنتائج

الخاتمة والنتائج

تعتبر الخاتمة والنتائج التى ينتهي بها البحث العلمى مقياساً دقيقاً لمكانة ذلك البحث ، وتعبيراً عن أصالته وجدته وما حققه من اضافات جديدة وجيدة للمسيرة العلمية التى يندرج تحت مظلتها ، والمدرسة التاريخية الحديثة التي ننهج منهجها ترى أن أهمية البحث تنضوى في خاتمته ونتائجه ، وهى حقيقة علمية سار عليها كثير من رواد التاريخ الحديث في العالم العربى والاسلامى ، وتحقق ذلك عندى في هذا البحث الذى يتحدث عن فترة من الفترات الحاسمة فى تاريخ المشرق العربى ، رغم أن المدى الزمني لها لايتجاوز الثلاث سنوات ، الا أنها مليئة بالقضايا الفكرية والمشكلات السياسية التى أثرت على المسيرة التاريخية في المنطقة قبيل قيام الحرب العالمية الأولى .

إن الحركة العربية التى عاشها المشرق العربى العثمانى في الفترة الزمنية لهذا البحث تمثل واحدة من هذه القضايا الفكرية التى تحتاج إلى شىء من المعالجة التاريخية التى ترتكز على المنهج التاريخى الصحيح ، لأن تلك الحركة تبلورت بصورة واضحة مع وبعد حروب البلقان التى قامت ضد الدولة العثمانية ، ومن منطلقات فكرية أثرت في المشرق العربى بصورة لم تكن متوقعة ، فالقومية التى كانت منطلقاً للحرب البلقانية ، وجمعت الشعوب البلقانية حولها ضد العثمانيين ، كانت تمثل الحركة التى تسلطت على الفكر السياسى فى أوربا طوال القرن التاسع عشر الميلادى ، وفى نصفه الثانى بوجه خاص ، والتى باتت تمثل حلاً حتمياً لأوربا للخروج من أزماتها الناتجة عن الخلافات بين الخريطة السياسية الطبيعية وبين التنظيمات السياسية في

تلك الدول وقد أصابت العدوى الشعوب الشرقية بمبدأ القومية الذى لم تكن تعرفه من قبل[1] فبينما كان الاقطاع هو الحل الحتمى للمشكلات الأوربية في العصور الوسطى أصبحت القومية والعلمانية هي الحل الحتمى لأوربا في العصور الحديثة ، بينما أخذ البعض في الشرق الاسلامى بالقومية والعلمانية تقليدا لأوربا ، ويندرج ذلك تحت مظلة الغزو الفكري الذى لجأت اليه أوربا لازابة الحد الفاصل في العالم الاسلامى ، وهو الدين الاسلامى ، الذى كان يُمثّل ذلك الحد بين المسلمين وغير المسلمين ، وأوربا لم تستطع عسكرياً أن تتصدى للقوة الاسلامية المتمثلة في الدولة العثمانية التى كرست جهودها منذ تأسيسها لرفع راية الاسلام وحمايته ضد أى اعتداء خارجي ولاسيما الخطر القادم من الغرب المسيحى ، فالحل الذى استنتجته أوربا هو الغزو الفكرى ، لا العسكرى ، والعلمانية والقومية جزء من ذلك الغزو ، يقول أحد المؤرخين الغربيين : « ... فادخال هر طقة القومية العلمانية أو عبادة الذات الجماعية كان أرسخ المظالم التى أوقعها الغرب على الشرق الأسط »[2] .

وقد كان للسلفيين من العلماء المسلمين موقف واضح تجاه القومية المجردة ، التى تتعارض مع الروح الاسلامية الصحيحة حيث يرون أن من الظلم ايجاد مقارنة بين الاسلام وبين القومية العربية ، التي لاتملك من المزايا مايجعلها في صف الاسلام ، ومحاولة مثل هذه تعتبر هَضْمٌ للاسلام وتَنكُّر لمبادئه السمحة وتعاليمه الرشيدة ، ولأن الاسلام وحده هو الذى يخلّد العروبة لغة وأدباً وخلقاً ، والتنكر له معناه القضاء على العروبة نفسها في لغتها وأدبها وأخلاقياتها[3] .

---

(١) هـ . ج . ولز : معالم تاريخ الانسانية ، المجلد ٤ ، ص١٣١٩ ـ ١٣٢١ .

(٢) برنارد لويس : الغرب والشرق الأوسط ، ص٩٣ .

(٣) الشيخ عبد العزيز بن باز : نقد القومية العربية على ضوء الاسلام والواقع ، ص٦٦ ، ٧٦ .

ورغم أن الولاء العربى قبل الإسلام كان قبلياً صرفاً ، إلا أن الاسلام انتزع هذه العصبية الضيقة وغيرها من تلك العصبيات العرقية والجغرافية ، وهذا ماجعل العرب المسلمين يفخرون بعظمة الدولة العثمانية طوال تاريخها ، وينظرون لها نظرة تقدير واحترام باعتبارها دولة الخلافة الاسلامية ، وحين ظهرت مبادىء القومية والعلمانية في المشرق العربى أصبح المسيحيون العرب يجاهرون بعدائهم للدولة العثمانية التي لاتربطهم بها صلة دينية أو قومية ، ويتجهون إلى المدارس الاجنبية التي كانت تبعدهم عن التاريخ العربى والعثمانى[1] ، لأنه تاريخ اسلامى يمثل عظمة المسلمين وهو مايتنافى مع المبادىء الجديدة التى تدعمها المدارس الأجنبية ومن ورائها أوربا ونعنى بها ـ القومية والعلمانية ـ هكذا بدأ الخوف من الدولة العثمانية يزول من نفوس أوربا ، وزادت الآمال الأوربية في تحقيق أهدافها الاستعمارية ، ولكن ماهو الدافع إلى ذلك التحول التاريخى في الموقف الأوربى تجاه الدولة العثمانية وممتلكاتها الأوربية والآسيوية على حد سواء ؟!

إن هزائم الدولة العثمانية في الحروب التي كانت تخوضها حينذاك لعبت دوراً في ازالة الخوف من نفوس الأوربيين ومؤيديهم ، وجعلت من أوربا عدواً يتربص بالدولة العثمانية الدوائر ، كى تتحقق المطامع الاستعمارية التى تنشدها أوربا في ممتلكات تلك الدولة ، وحروب البلقان ومانتج عنها من هزائم للدولة تمثل واحدة من تلك الأحداث التى أوجدت تحولاً خطيراً في تاريخ الدولة العثمانية ، خاصة في المشرق العربى الذى أصبح سكانه يمثلون الغالبية في الدولة ، فى الوقت الذى كانت الحركة العربية في هذا الجزء من الدولة قد بلغت مرحلة النضج السياسى ، وأصبح زعماؤها يطالبون بالاصلاح للولايات العربية بصورة علنية وعلى مختلف المستويات .

---

(١) مصطفى الشهابى : القومية العربية ـ تاريخها وقوامها ومراميها ـ ص٤٣ .

لقد تصاعد الغزو الأوربي في العالم العربي منذ القرن التاسع عشر الميلادي ، وأخذ يزداد خطورة في الفترة التي سبقت فترة البحث حتى أصبح الوطن العربي داخل نطاق النفوذ الاستعماري عدا أجزاء من الجزيرة العربية والشام والعراق التي تخضع للدولة العثمانية ، بيد أن الحالة السياسية في الدولـــة العثمانيـــة كانت في غايـــة الاضطراب فعصر السلطان العثماني عبد الحميد الثاني أصبح في مراحله الأخيرة يتعرض لضغط خارجي من مختلف القوى الأوربية التي تتربص بالسلطان عبد الحميد ، صاحب الاتجاه الاسلامي ، والذي كان يرى أن الجامعة الاسلامية هي السياج الذي يمكن أن يحمي الدولة العثمانية من الأخطار المحيطة بها من كل جانب ، لأنه يدرك أن الدولة العثمانية التي تضم أجناساً متعددة ، ولغات وديانات مختلفة لن تستمر طويلاً الا اذا تمسكت بالاسلام ، الذي أتاح لها التصدي لجميع مشكلاتها العرقية والعقائدية في عصرها الأول وجعل منها دولة قوية ذات وحدة واحدة .

وكادت جهود السلطان عبد الحميد الثاني وتوجهاته تحقق أهدافها وتصل بالدولة إلى بر الأمان ولكن الخلل الداخلي في الدولة وفي مؤسساتها العسكرية والسياسية زاد من اتساع الهوة التي يسعى السلطان إلى اغلاقها ، لتكون اعادة الدستور ـ المشروطية الثانية ـ في ٢٥ جمادى الثانية ١٣٢٦هـ/٢٤ يوليو ١٩٠٨م هي قاصمة الظهر التي أخرجت الدولة العثمانية عن نظمها الاسلامية وزادت من الاضطراب الفكري والسياسي داخل الدولة ، وهو جُلُّ ماتريده أوربا ، التي أضحت مواقفها السياسية تجاه سياسة الدولة العثمانية ، تعرف بسياسة الرجل المريض ، الذي يُرَادُ له أن يَبْقَى مريضاً لايتمتع بصحة جيدة كي لايهدد من حوله ، ولايموت فيحدث مشاكل في توزيع أملاكه لمن

يرثونه ، والتي أصبحت تسمى سياسة التكامل الدولى تجاه الدولة ، وعدم اختلال ميزان القوى ، ورغم أن السلطان عبد الحميد حاول أن يتصدى لتلك الأخطار ويحمى الدولة منها ، إلا أنها كانت أكبر من أن يقف لها بمفرده ، وقد أدى ذلك الموقف الذى وقفه السلطان عبد الحميد تجاه السياسة الأوربية ومن شايعها إلى خلعه من السلطة واخراجه من عاصمة الدولة ، ومن ثم محاولة تشويه سيرته التاريخية والصاق مختلف التهم والافتراءات بشخصيته الذاتية ومنهجه السياسى .

بهذا الوضع الذى تعيشه الدولة العثمانية ، ومن الأخطار التى تهدد المشرق العربى العثمانى ، كان هناك رد فعل واضح لدى العرب تمثل في اصلاح الولايات العربية التى تخضع للدولة العثمانية ، لكن هذا الاصلاح أخذ اتجاهات عدة ومعان مختلفة فالعرب المسلمون يرون أن الاصلاح يجب أن يتم داخل الاطار العام للدولة العثمانية ومنح نوع من الاستقلال الادارى للولايات العربية فى ظل دولة الخلافة ، على أن يحصل العرب على كامل الامتيازات والحقوق التى تمنح لسواهم من رعايا الدولة العثمانية ، بينما تطرّف العرب المسيحيون كثيراً عن هذا الاتجاه ، وطالبوا بالاستقلال الكامل عن الدولة وبدأوا يتطلعون إلى الدول الأوربية التي تربطهم معها رابطة الدين ، وهذا ماأتاح الفرصه مستقبلاً لتلك الدول كى تحقق أهدافها الاستعمارية في المشرق العربى .

وقد أصبحت الدولة العثمانية حينذاك مسرحاً للافكار والتيارات الدينية والسياسية التى أثّرت على مجريات الأحداث التاريخية في تلك الفترة ، اذ برزت جمعية الاتحاد والترقى كعنصر فعال في الأحداث السياسية والمواقف

الرسمية للحكومة العثمانية ، ثم بدأت مواقفها تتأثر بالاتجاه إلى الطورانية العرقية التى أصبح دعاتها من نوى النفوذ في الدولة ، وظهرت لهم صحف ونواد وأحزاب سياسية معروفة ، لكن ذلك لم يؤثر على الاتجاه السائد في الدولة العثمانية الذى ينطلق من الاسلام كعقيدة ومنهج حياة ، لأنه صالح لكل زمان ومكان ، والاسلام دين ودولة ، وعزة الدولة العثمانية وهيبتها كانت محفوظة بحفظها للاسلام ، وتحكيم شرائعه في جميع شئونها وعلى مختلف شعوبها ، وهذا ماكان يراه ويذهب اليه أعضاء الاتحاد الاسلامى الذين يسعون إلى مقاومة العلمانية في الدولة العثمانية والابقاء على نظمها الاسلامية ، بيد أن تمكن الاتحاد والترقى واتجاههم إلى الحركة الطورانية فتح المجال لانطلاق الحركة العلمانية في الدولة ، وأتاح الفرصة لظهور أحزاب وجمعيات سياسية في الدولة صبغت تلك المرحلة من مراحل الدولة العثمانية بما يمكن أن نسميه فترة اختلاط سياسى وعقائدى أثر سلبياً على كيان الدولة وتاريخها .

وكانت حرب طرابلس الغرب التي خاضتها الدولة العثمانية ضد ايطاليا والتى انتهت بمعاهدة لوزان الموقعة في ٨ ذى القعدة ١٣٣٠هـ/١٨ أكتوبر ١٩١٢م[١] من أشد المراحل ايلاما في تاريخ الدولة العثمانية ، إذ أفرزت اثرين بالغين هما : تشجيع حكومات شبه جزيرة البلقان على حرب الدولة العثمانية التي أضحت قوتها القتالية أعجز من أن تقف فى وجه تلك الحكومات ، ولاسيما أنها لم تستطع ايقاف العدوان الايطالى ضد ولاياتها العربية في طرابلس الغرب وبنغازى ، ثم كان الأثر الثانى لتلك الحرب اليأس الكبير الذى عم سائر الولايات العربية الأخرى ، التى بدأت تخشى من أى

---

(1) Muahede Name, Numarasi, 335. Osmanli, Arsivi Daire Baskanligi.

عدوان أجنبى قد يهددها فى وقت أصبحت الدولة العثمانية عاجزة عن حماية ممتلكاتها ، لأن معاهدة لوزان والتنازل عن ولايتى طرابلس وبنغازى بهذه السهولة دليل على الضعف العسكرى والسياسى الذى تمر به الدولة العثمانية حينذاك ، وبعد أن تخلت الدول الأوربية عن مساندتها سياسياً ، والتزمت بما أسمته سياسة الحياد تجاه الحرب الطرابلسية ، بينما هى في واقع الأمر تقوم بدعم الحكومة الايطالية ضد الدولة العثمانية ، ولكن بصورة غير معلنة(١) ، وكان لتلك الحرب آثار على الوضع السياسى داخل الحكومة العثمانية ذاتها حيث زادت حدة الصراعات بين الحزبين البارزين في الدولة ، الاتحاد والترقى ، والحرية والائتلاف ، ليتسنم الأخير منهما سدة الحكم في فترة حرجة جداً ، ويدخل في مفاوضات معلنة مع الحكومة الايطالية انتهت بمعاهدة لوزان سالفة الذكر .

وقد وقف العرب إلى جانب الدولة العثمانية ودافعوا عن الخلافة الاسلامية في تلك الحرب لأن ولاءهم للدولة لم تكن تشوبه شائبة ، فانهالت التبرعات المالية لمساعدة المجاهدين ، وتبرع الشباب العربى للذهاب إلى أرض المعركة وكتب الأمراء العرب في الجزيرة العربية إلى الباب العالى يبدون استعدادهم لمساندة الدولة العثمانية ضد العدوان الايطالى الغادر ، لتصبح هذه الحرب حرب جهاد اسلامى عربى كامل ضد العدوان الغربى الصليبى ، ودب اليأس إلى نفوس الايطاليين وكادت كفة الحرب أن تميل لصالح العرب والدولة العثمانية ، لكن صدى هذه الحرب في ولايات الدولة العثمانية في البلقان ، وانتهاز الحكومات البلقانية للنتائج العسكرية التى يحققها الايطاليون غيّر

---

(1) Taylor, op. cit, p. 474.

ميزان القوى على جبهات القتال وجعل الدولة تُوقّع الصلح مع ايطاليا وهذا ماأثر بطبيعة الحال على موقف العرب .

وكان صدى الحرب الطرابلسية فى ولايات الدولة العثمانية فى شبه جزيرة البلقان قوياً ومؤثراً ، ويكفى دليلاً على ذلك أن تلك الحرب انتهت فى البلقان ، فعند قيام تلك الحرب بدأ البلقانيون في عقد المفاوضات السريه التى توصلوا في نهايتها إلى ابرام اتفاقيات هجومية دفاعية بينهم ضد الدولة العثمانية ، وكأنهم ينتظرون الفرصة المواتية مع حرب طرابلس ليعلنوا الحرب ضد الدولة من جانبهم ، وأدرك الساسة الأوربيون تلك التحركات التى تجرى في البلقان ، وأدلوا بنصائحهم إلى المسئولين العثمانيين كى يسارعوا إلى توقيع معاهدة السلام مع ايطاليا لتساعد على تهدئة الأوضاع المضطربة في البلقان ، واضطرت الحكومة العثمانية أن تتنازل عن كثير من شروطها مع الايطاليين لأن نُذُر الحرب فى البلقان باتت وشيكة ، بل هى واقعة بالفعل ، حيث أعلن قيام الحرب ضد الدولة العثمانية في نفس اليوم الذى وقعت فيه المعاهدة مع ايطاليا ، مما يعنى أن الحكومات البلقانية تريد أن تحصل على أكبر قدر من الاستفادة من الحرب الطرابلسية ، فبقدر ماكانت حرب ايطاليا ضد الدولة العثمانية فى طرابلس الغرب مؤثرة على كيان الدولة ومكانتها السياسية والعسكرية ، الا أن صداها فى ولايات البلقان وما أحدثته من ردة فعل أدت إلى اعلان الحرب ضد الدولة من ولاياتها البلقانية كان أخطر على الدولة العثمانية من الحرب الطرابلسية نفسها ، ونتائج تلك الحرب تؤكد ذلك .

في تلك المرحلة من مراحل الدولة التاريخية ظهر مبدأ اللامركزية الادارية ، وهو اتجاه سياسى برز على مسرح الأحداث منذ أواخر القرن

التاسع عشر الميلادى ، وأخذ دعاة الاصلاح العرب بهذا الاتجاه حين أسسوا حزب اللامركزية الادارية العثماني في مصر في شهر محرم ١٣٣١هـ/ أواخر ديسمبر ١٩١٢م ، وأقاموا له عدة فروع في البلدان العربية ، ويهدف الحزب إلى معارضة المركزية التي تسير عليها الحكومة العثمانية لأنها تعتبر سبباً رئيساً في الاهمال والضياع الذى تتعرض له ولايات الدولة العربية ، وآخرها ولايتي طرابلس الغرب وبنغازى ، وقد برزت أسهم المسحيين العرب في هذا الحزب وأصبح صوتهم مؤثراً ومسموعاً ، وهذا ماأخرج الحزب فيما بعد عن أهدافه المحددة التي تتجه إلى الاصلاح في الولايات العربية على قاعدة اللامركزية ، وكان حزب الحرية والائتلاف الذى تسلم السلطة من الاتحاد والترقى في شهر رجب ١٣٣٠هـ/ يوليو ١٩١٢م يدعم التوجهات التى ينشدها العرب ، لأن المبادىء السياسية التى ينطلق منها الحزبان متقاربة وتهدف في مجملها إلى اللامركزية الادارية ، وقد وضع حزب اللامركزية الادارية العثماني برنامجه في ست عشرة مادة ، وشكل له هيئة ادارية وتنفيذية ، وأعلن بياناً شاملاً عن أهدافه وتوجهاته التى تتطلع إلى المحافظة على البلاد العربية والولايات العثمانية من أى عدوان أجنبى يريد أن يستفيد من حالة الدولة القائمة التى لاتمكنها من الدفاع عن ممتلكاتها البعيدة عن مركز الدولة ، وكان الاتجاه العام والرسمى في الحكومة العثمانية يحبذ هذه التوجهات الحزبية التي تخدم في مجملها الدولة العثمانية وتساعد ولاياتها البعيدة على النهوض والمشاركة الفعالة للحكومة المركزية ، الا أن عودة الاتحاد والترقى إلى الحكم في ١٥ صفر ١٣٣١هـ/٢٣ يناير ١٩١٣م حال دون نجاح تلك التوجهات التى تمثل الاصلاح الحقيقى الذى كانيطالب به العرب ، وهو اصلاح الولايات العربية

على قاعدة اللامركزية في ظل خلافة الدولة الاسلامية ، وفي هذا تأكيد على أن الحرب الطرابلسية ، لم تقطع الرابطة بين العرب والدولة العثمانية بل زادتها متانة وجعلت المحاولات الاصلاحية عند العرب تخرج على أرض الواقع وتطالب باصلاح الدولة وولاياتها العربية كى تتمكن من رد العدوان الأحنبى الذى بات يهددها .

ولقد وقفت الدول الأوربية خلف الشعوب البلقانية ودعمت حكوماتها دعما محدود حيث اصبح النشاط الأوربى ضد الدولة العثمانية في ولاياتها البلقانية هو الدافع الأول والمحرك الأساسى لاتحاد البلقانيين وتحالفهم ، وقامت روسيا بدور فعال فى توحيد البلقانيين ، حيث قبل القيصر بدور الحَكَم فى أى نزاع يحدث بين البلقانيين عند تقسيم الغنائم التى يتطلعون للحصول عليها من ممتلكات الدولة العثمانية[1] ، وهذا الموقف يوحي بتغيّر السياسة الأوربية التى كانت تنطلق من تكامل الدولة العثمانية والمحافظة على ممتلكاتها في أوربا ، والذى تبلور وظهر بصورة واضحة بعد هزائم الدولة في حروب البلقان ، حين صرح رئيس الوزراء البريطاني المستر اسكويث في التاسع من نوفمبر سنة ١٩١٢م : « ان خريطة أوربا يجب أن تُعدَّل ويجب أن لانسرق ثمار الانتصار من البلقانيين »[2] ، فالحكومات البلقانية التى انتهزت فرصة الحرب الطرابلسية لتوسيع حدودها على حساب أراضى الدولة العثمانية وجدت دعما ومساندة من الدول الأوربية ، فالتحالف البلقاني تم تحت رعاية روسيا ، والبريطانيون يؤيدون البلقانيين ويطلبون من الدولة العثمانية اجراء الاصلاحات التى تطالب بها الحكومات البلقانية ، أما رئيس وزراء فرنسا ريمون بوانكاريه

---

(١) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية « القرن التاسع عشر ١٨١٥ ـ ١٩١٤م » ، ص٦٦٣ ـ ٦٦٤ .
(2) Miller : op. cit, p. 504.

فقد ابدى اعجابه الكامل بالتحالف البلقانى ، بينما دعمت حكومته البلقانيين بالسلاح والمدربين ، وقامت الحكومة الايطالية بتقديم الدعم والمساعدة للحركات البلقانية فى البانيا والجبل الأسود ، ومع نشوب الحرب البلقانية أعلنت أوربا أنها لن تسمح بأى تغيير فى أراضى البلقان ، خوفاً من أن تكون الكفة الراجحة للدولة العثمانية[1] ، ولكن انتصار البلقانيين كشف السياسة الأوربية على حقيقتها حيث تخلت عن ماسبق أن التزمت به وأعلنت للطرفين المتحاربين ، وبدأت نظرية البلقان للبلقانيين هى الفكرة المسيطرة على أذهان الساسة الأوربيين .

ورغم أن الحرب البلقانية الثانية كانت بين البلقانيين أنفسهم لاختلافهم على طريقة تقسيم الغنائم التى كسبوها من الدولة العثمانية ، الا أن نشاط الدول الأوربية ضد الدولة لم ينته ، وحاولت أوربا أن تفرض بنود الصلح التى تمت في حرب البلقان الأولى على جانب واحد وهو الدولة العثمانية ، أما البلقانيون الذين أشعلوا نار الحرب الثانية فقد غَضَّت الطرف عنهم ولم تلزمهم ببنود ذلك الصلح ، مما يؤكد أن ثورات البلقانيين وحروبهم ضد الدولة العثمانية كانت تنطلق في المقام الأول من الدعم الأوربى الذى حول تلك الحرب إلى حرب صليبية ضد المسلمين ارتكبت فيها مجازر بشرية لم تعرفها الحروب الحديثة حتى بات من الصعب على المؤرخين والمحللين تحديد عدد القتلى من المسلمين العثمانيين في تلك الحروب[2] .

قامت حرب البلقان الأولى بين الدولة العثمانية والحكومات البقانية ـ بلغاريا ، والصرب ، واليونان ، والجبل الأسود ، ذلك الاتحاد البلقانى الذى

(1) F. O. 424/250, Annual, Report, 1912. No. 315, G. Lowther to E. Grey, 17. 4. 1913. p. 15.

(2) Bilal . N. Simsir : The Turkish Presence in Bulgaria pp. 39-- 58.

تكونت نواته الأولى في مجلس النواب العثماني ، حين بدأ النواب اليونانيون والبلغاريون والصربيون يطالبون بالاصلاحات الادارية على قاعدة اللامركزية في شبه جزيرة البلقان ، بيد أن الأمر تطور ليسارع البلقانيون إلى اغتنام فرصة الحرب الطرابلسية كما أسلفنا ، وتعلن الجبل الأسود الحرب على الدولة العثمانية في السابع والعشرين من شوال سنة ١٣٣٠هـ/ الثامن من اكتوبر ١٩١٢م ، وبعد عشرة أيام من ذلك التاريخ دخلت اليونان والصرب وبلغاريا الحرب إلى جانب الجبل الأسود وكانت نتائج هذه الحرب على الدولة العثمانية خطيرة جداً ، اذ أنها اقتطعت أجزاء كبيرة وغالية من ممتلكاتها في أوربا ووصل التهديد إلى العاصمة استانبول التي بدأ الساسة الأوربيون يتباحثون حول تدويلها وحمايتها بشريط ضيق على جانبى البوغاز ، لكى لاتصل آثار الحرب تلك إلى الاضرار بالتوازن الأوربى فى أملاك الدولة العثمانية(١) .

وقد قضت حرب البلقان على الاتجاه إلى العثمنة أى عدم الانفصال عن الدولة ، ودفعت دعاة الطورانية العرقية داخل الدولة إلى التشدد بدعوتهم مما زاد من تفجر الروح القومية التركية داخل الدولة ، فى الوقت الذى اتجهت فيه الحكومة العثمانية إلى ممتلكاتها في آسيا وخاصة فى المشرق العربى لأنها فقدت أجزاء عزيزة في أوربا ، أثرت على بِنْيَة الدولة وجعلت من المشرق العربى أكثرية ذات أهمية خاصة للدولة في تلك الفترة الحرجة من تاريخها ، التى أصبحت فيها منهكة القوى ، ومشتتة وضعيفة ، لأن القوميات البلقانية نخرت جسمها ، واكتملت بنيتها في تلك الحرب التى خسرتها الدولة ، والحكومة الاتحادية التي ورثت هذا العبء الثقيل لاتملك من الفكر السياسى الواضح

(1) F. O. 424/235, No. 577, letter, No. 288, from Sir E. Grey to Sir E. Goschen, dated 20. 11. 1912. p. 257.

مايخرجها من تلك الصعاب ، وكأن دعاة الطورانية أرادوا العودة بالدولة إلى مايعرف في التاريخ بحركة الدوران إلى ماقبل العصر حين اتجهوا إلى العصر الطوراني .

وحين حاولت حكومة الاتحاد والترقى بعد هزائمها في حرب البلقان أن تقبض على بقايا الدولة العثمانية في المشرق العربى ، أصبحت سياستها غير متزنة ، وكثرت أخطاءها ، وكثر التشدد والتشتت في الدولة ، وظهر التمزق في الأفكار والأشخاص ، واختلفت الرغبات ، وبدأت ملامح التدخل الأجنبى تظهر على ساحة الأحداث في المشرق العربى العثماني .

وبما أن الدول الأوربية كانت تدعم الحكومات البلقانية في حربها ضد الدولة العثمانية ، فما هو موقف المشرق العربى العثماني تجاه دولة الخلافة ؟!

الشاعر العربى الكبير أحمد شوقى أثبت اخلاص العرب للدولة العثمانية ، التى هي دولة الخلافة الاسلامية ونعى الأقاليم العثمانية في أوربا التى سقطت في أيدى الحكومات البلقانية ، مشبها الموقف بما حدث في الأندلس ، ذلك الفردوس الاسلامى المفقود ، حين قال :

ياأخت أندلسٍ عليك سلام	هوت الخلافة عنك والاسلام
نزل الهلال عن السماء فليتها	طويت وعَمَّ العالمين ظلام
مقدونيا ـ والمسلمين عشيرة	كيف الخئولة فيك والأعمام
أترينهم هانوا وكان بعزهم	وعلوهم يتخايل الإسلام
بالأمس ـ أفريقا ـ تولت وانقضى(١)	مُلْكٌ على جيد الخضم جسام
كانت من الغرب البقية فانقضت	فعلى بنى عثمان فيه سلام(٢)

(١) يقصد بذلك ـ ولايتي طرابلس الغرب وبنغازى التى احتلتها ايطاليا في حربها الأخيرة ضد الدولة العثمانية .

(٢) أحمد شوقى : الشوقيات ، ج١ ، ص٢٣٠ ـ ٢٣٢ .

أما رجال الاصلاح العرب فلم يتخلوا عن عثمانيتهم وولائهم للدولة العثمانية ، بيد أنهم زادوا في مطالبتهم باصلاح الولايات العربية على قاعدة اللامركزية ، التى يرون أنها أصلح نهج سياسى يمكن للدولة أن تسير عليه ، وهو كفيل بدعم الولايات العربية كى تتصدى للخطر الأجنبى الذى بدأ يهددها في ظل ضعف الدولة العسكرى الذى ظهرت ملامحه بعد هزائمها في حروب البلقان ، واللامركزية التى أصبحت ظاهرة فكرية وسياسية في الدولة العثمانية ، يرى العرب أنها ستحافظ على سلامة الدولة في المشرق العربى بعد انتهاء دورها التاريخى في ولاياتها الأوربية بعد هزائمها في حرب البلقان وفى الوقت ذاته لم يتخل العرب عن مساعدة الدولة عندما كانت تخوض حروب البلقان ، حيث شاركوا في جبهات القتال وسارعوا بجمع التبرعات المالية لمساعدة الدولة .

وقد نزع بعض المسيحيين العرب إلى طلب المساعدة من الدول الأوربية ، لأن اتجاهاتهم السياسية كانت لاتحبذ التعاون مع الدولة العثمانية لاختلافهم معها عقائديا مماجعلهم يتجهون لتلك الدول التي تجمعهم معها العقيدة المسيحية التى يدينون بها ، لدرجة أن القنصلية الفرنسية في بيروت استقطبت لها عملاء منهم يزودونها بالأخبار والأعمال التى تدور على الساحة العربية حينذاك[١] ، لكن رجال الاصلاح العرب يساندهم بعض المفكرين العثمانيين في عاصمة الدولة كانوا يؤكدون على الأخذ باللامركزية الادارية التي تحفظ ممتلكات الدولة العثمانية في المشرق العربى ، ولأن رجال الاصلاح العرب المطالبين باللامركزية الادراية لايرغبون البتة في الانفصال عن الدولة

(١) وجيه كوثرانى : السلطة والمجتمع والعمل السياسى من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام ، هامش ٨٥ ص١٨٤ .

العثمانية ، أو الدعوة إلى اتجاه سياسي يضعف كيان الدولة ويؤدى إلى تفكك أجزائها ، فقد أكدت الحكومة العثمانية أنها لم تكن تمانع في نظام اللامركزية كى يُعْطَى للولايات العربية لأنها تدرك ولاء العرب وارتباطهم بالدولة ، ولكنها سعت إلى تأخير ذلك النظام نظراً للأوضاع التى كانت سائدة في شبه جزيرة البلقان والتى كانت توحى بمحاولات البلقانيين في الحصول على اللامركزية كى يسهل لهم الانفصال عن الدولة ، أما وقد أنهت حروب البلقان علاقة البلقانيين بالدولة ، وتم انفصالهم عنها ، فان الحكومة العثمانية ستحقق للعرب مصالحهم ، وسترعى حقوقهم وتمنح لهم الاصلاح المطلوب على قاعدة اللامركزية ، لأن الأخوة في ذلك هي رائدتهم والثقة فيما بينهم لايرقى اليها الشك ، وفي هذا كله تأكيد على أن مطالبة العرب باللامركزية تهدف في غايتها إلى المحافظة على الدولة العثمانية في المشرق العربى ، ودعم الولايات العربية لمواجهة الخطر الأجنبى الذى بدأ يتهددها بعد هزائم الدولة فى البلقان .

واتجهت الحكومة العثمانية إلى الاصلاح في الولايات العربية التى غدت أكثرية في الدولة وغيّرت البِنْيَة السياسية والاجتماعية فيها ، لذا كان تأثر الدولة العثمانية بالحرب البلقانية الثانية بسيطا لأن اهتمامها بالمشرق العربى أصبح يتفوق على اهتمامها بالأراضى الأوربية ، رغم أنها استفادت من تلك الحرب حين استعادت مدينة أدرنة ذات الأهمية السياسية للدولة ، لكن ثقل الدولة وأهميتها أصبحت فى المشرق العربى ، وأصبح العرب يشكلون أكثرية فعالة ومؤثرة في تكوين الدولة ، وبالتالى أصبحت مطالب العرب للاصلاح والمشاركة فى شئون الدولة تزداد وضوحا ، حين بدأ البعض يطالب بتحول الدولة العثمانية إلى دولة ثنائية « تركية ـ عربية » على غرار دولة النمسا ـ المجر ،

كي تتم المحافظة على كيان الدولة في المشرق العربى ويمنح الاصلاح على قاعدة اللامركزية للولايات العربية هناك .

وحين أدى اهتزاز الدولة العثمانية في شبه جزيرة البلقان إلى اهتزازها في المشرق العربى ، ظهرت ردود الفعل المباشرة لحروب البلقان لدى العرب فى مظاهر عدة أبرزها جمعية بيروت الاصلاحية التى وضعت لها لائحة اصلاحية تنطلق من مبدأ اللامركزية الادارية التي هي محور المطالب العربية ، وجمعية العربية الفتاة ونشاطها السياسى في باريس الذى تمخض عنه المؤتمر العربى الأول فى باريس ، وحركة البصرة الاصلاحية جميعها تعتبر من ردود الفعل المباشرة لحروب البلقان في المشرق العربى العثمانى ، لِتكوِّن مجتمعة فى نهاية الأمر عاملاً من عوامل التمزق الداخلى في الدولة العثمانية .

لقد وضعت جمعية بيروت الاصلاحية لائحتها الاصلاحية في خمس عشرة مادة ، ومادة أساسية أكدت فيها أن الحكومة العثمانية حكومة دستورية نيابية ، وطالبت في مواد تلك اللائحة بمنح الاصلاحات اللازمة للولاية على قاعدة اللامركزية وقلّلت من صلاحيات الوالي العثماني ، وأعطت صلاحيات أوسع للمجلس العمومى في الولاية ، كما طالبت بتعيين مستشارين وخبراء أجانب ، بيد أن ذلك البرنامج لم يتحقق له النجاح ، حيث أغلق الوالي العثمانى الجمعية ومنعها من مزاولة عملها، مما زاد فى توسيع شقة الخلاف بين العرب ، والحكومة العثمانية ، ومما زاد في أهمية تلك الجمعية وتأثيرها فى الحركة العربية أن برنامجها الاصلاحى يشبه إلى حد كبير برنامج حزب اللامركزية الادارية العثمانى فى القاهرة ، مما أحدث ردة فعل قوية لدى العرب حين أغلقت الجمعية ورفضت مطالبها ، غير أن اتجاهات هذه الجمعية تأثرت سلبا

بتلك الاتصالات السرية التى تمت بين بعض أعضائها المسيحيين والقنصلية الفرنسية في بيروت ، والتى طلبوا فيها تدخل فرنسا لحماية المسيحيين العثمانيين ، وهو اتجاه بطبيعة الحال لايرضاه زملاؤهم العرب المسلمون ، الذين يسعون إلى المحافظة على ولاياتهم من التدخل الأجنبى ، ولكن الاختلاف بين الحكومة العثمانية وأعضاء الجمعية زاد في الاتساع عندما رفض الصدر الأعظم العثمانى المطالب العربية التى تضمنتها اللائحة ، وشارك حزب اللامركزية الادارية العثماني أعضاء الجمعية وأرسل برقية إلى الصدر الأعظم يحتج فيها على منع جمعية بيروت من مزاولة عملها ، وتحقيق مطالبها رغم أنها شديدة الولاء للدولة العثمانية ، وحريصة على سلامة ممتلكاتها من التدخل الأجنبى ، وبذلك أصبح موقف الحكومة العثمانية من جمعية بيروت الاصلاحية نافعاً لها في زيادة التأييد العربي وتأييد مطالبها الاصلاحية ، لكن وجود عملاء لفرنسا بين أعضاء الجمعية ، ومطالبة الجمعية بالمستشارين والمفتشين الأجانب ، أخرج الجمعية عن منهجها الصحيح ، وأكد أن هدف دعاة القومية العربية المتطرفة حينذاك هو ايجاد دولة علمانية ، يضعف الاسلام والمسلمون فيها ولاتقم لهم قائمة ، ويشجع الدول الأوربية على استعمار المشرق العربى بيسر وسهولة فى ظل المتغيرات السياسية والعقائدية التي تمر به ، وهذا الموقف مناقض تماماً لما حدث في البلقان . حيث كانت الأهداف والغايات التى تنشدها الشعوب والحكومات البلقانية واحدة ، بينما كان العرب في تشتت واضح في مواقفهم ومطالبهم واتجاهاتهم ، لأن الانطلاق من القومية العرقية لن ينفع المشرق الاسلامى ، وتحقيق الأهداف العربية وفق منظور اسلامى لايرغبه دعاة القومية العربية الصرفة ، وهذا الموقف يؤكد القول على أن الحركة العربية كان يجب عليها أن تعتمد على الوحدة المنطلقة من الذات العربية في نطاق الاسلام دون عداء صريح للدولة ولاانحياز للدول الأوربية .

وكان موقف جمعية العربية الفتاة التي قامت في باريس ودعت إلى المؤتمر العربى الذى عقد هناك فيما بعد يشكل أثراً آخر من الآثار التى أحدثتها حروب البلقان في المشرق العربى ، فتأسيسها تم كرد فعل لتفجر الروح القومية التركية التى أفرزتها الحرب البلقانية ، حيث اتخذت اسماً يدل على القومية الصرفة ، ثم سعت بعد ذلك إلى استقطاب أبناء العرب وفق مقاييس سرية محددة تدل على أهميتها وأهمية القائمين عليها ، وبعد ذلك تبنت الدعوة لأول مؤتمر عربى يتم عقده لمناقشة الأمور السياسية التى تُعنى بالبلاد العربية ، وحددت باريس مقراً لذلك ، لوجود الجمعية هناك ، ولأن غالبية أعضائها ممن يتلقون تعليمهم في فرنسا ، وهناك من الشباب العرب في باريس من أيدهم لفكرة المؤتمر ، ولكن سرية الجمعية حالت دون بروزها على مسرح الأحداث حينذاك ، فقامت بالمهمة تحت مظلة حزب اللامركزية الادارية العثمانى في مصر الذى كان حزباً علنياً ، وتوجهاته معروفة ومعلنة .

وجاء انعقاد المؤتمر العربى الأول في باريس في الفترة من ١٤ رجب ١٣٣١هـ/ ١٨ يونيو ١٩١٣م إلى ١٩ رجب ١٣٣١هـ/ ٢٣ يونيو ١٩١٣م ، كرد فعل مباشر لحروب البلقان في المشرق العربى العثمانى ، حيث أحس العرب أن الإصلاح على قاعدة اللامركزية هو مطلب العرب الذى يحقق لهم نوعاً من الاستقلال الادارى الذى يساعدهم على الوقوف في وجه العدوان الأجنبى ، بيد أن المؤتمر قد وقَع في عدة محظورات أساءت له ولتوجهاته فالمكان الذى تم اختياره ليكون مقراً للمؤتمر ـ وهو مدينة باريس ـ عاصمة فرنسا ، لم يكن اختياراً موفقاً إذ أن فرنسا ليست بلداً محايداً كما كان يعتقد العرب ، اذ أنها تسيطر على عدة بلدان عربية فى افريقيا ، ومطامعها في الشام ليست خافية

على الذين عقدوا مؤتمرهم هناك ، ولأن المؤتمر يعتبر مؤتمراً قومياً عربياً صرفاً ، فقد تساوى عدد أعضاء المسلمين والمسيحيين في هيئات المؤتمر ولجانه[1] ، وفى ذلك اجحاف بحق العرب المسلمين الذين يشكلون أكثرية ساحقة في المشرق العربى ، ولكن ذلك الوضع كان تأكيداً على مدى النفوذ الذى يلعبه المسيحيون العرب في الحركة العربية في تلك المرحلة ولعل المؤتمرون قد شعروا بالخطأ الواضح فى اتخاذ باريس مقراً لهذا المؤتمر فقاموا باستئجار القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية ، ليبعدوا عنهم وعن مؤتمرهم شبهة ولائهم لفرنسا ودعمها لهم ، ولكنهم وقعوا في شبهة أخرى حين زودوا الحكومة الفرنسية بصورة من المقررات التي توصلوا اليها فى هذا المؤتمر ، والتي تمثل مطالبهم مع الدولة العثمانية ، وليس لفرنسا أي دور في تلك المطالب ، إلا اذا كان المؤتمرون يريدون منها أن تساعدهم ضد دولتهم التي لازالوا يؤيدونها ولايرغبون في الانفصال عنها ، ولكن يبدو أن تأثير العناصر المسيحية في المؤتمر كان فعالاً جداً ، حيث أدت دورها بنجاح كامل ، وحولت مواقف العرب في هذا المؤتمر إلى ادانة لهم ، واخلالاً بمطالبهم الاصلاحية التى يسعون لها والتى شملت مقررات مؤتمر باريس جانباً كبيراً منها .

ومع أن كثيرا من رجال الاصلاح العرب شاركوا في المؤتمر ودافعوا عن توجهاته وأنه ليس تكتلا ضد الدولة العثمانية وانما هو دعوة للمصالحة والمصارحة مع الحكومة العثمانية لوضع الاصلاح في الولايات العربية التي أصبحت تشكل أكثرية واضحة فى الدولة موضع التنفيذ ، رغم هذا كله ،

---

(١) مصطفى الشهابى : القومية العربية ـ تاريخها وقوامها ومراميها ـ ، ص٨٩ .

وحسبما أشرنا إليه سلفا ، فان مؤتمر باريس هذا يعتبر أول المؤتمرات الداعية إلى القومية العربية الصرفة[1] ، التى أحدثت شرخا في الحركة العربية وزادتها تمزقاً وانقساماً ، مع أن رئاسة المؤتمر أوكلت إلى حزب اللامركزية الادراية العثمانى ، وجُلُّ المتحدثين فيه ممن يؤمنون بتوجهات ذلك الحزب الذى لايهدف البتة إلى الانفصال عن الدولة العثمانية أو الوقوف ضدها سياسياً .

ورغم أن الحكومة العثمانية رغبت في التفاهم مع العرب المشاركين في المؤتمر وكادت أن تصل إلى نتيجة ايجابية تحقق للعرب مطالبهم في ظل دولة الخلافة ، إلا أن مسلك التسويف الذى لجأت إليه الحكومة ، ومن ثم اجراء تعديلات على بنود الاتفاق الذى تم مع اقطاب المؤتمر ، كل ذلك أدى إلى تأزم الموقف بين دعاة الاصلاح من العرب وحكومة الاتحاد والترقي القابضة على السلطة في الدولة العثمانية حينذاك .

وكانت الحركة الاصلاحية في البصرة تمثل واحدة من ردود الفعل المباشرة لحروب البلقان ، حيث قامت جمعية البصرة الاصلاحية في الثانى والعشرين من ربيع الأول ١٣٣١هـ/٢٨ فبراير ١٩١٣م ، وربطت نفسها بحزب اللامركزية الادارية العثماني في القاهرة ، ووضعت لائحتها الاصلاحية التى تطالب بالاصلاح على قاعدة اللامركزية في ظل الدولة العثمانية ، وزادت من توسيع صلاحيات المجالس العمومية في الولايات ، ولكنها رفضت اعطاء أي امتيازات للأجانب في الولاية مما يؤكد خوف القائمين على تلك الحركة من أن يهدد النفوذ الأجنبى بلادهم في ظل الضعف الذى تعيشه الدولة العثماينة بعد هزائمها في حروب البلقان ، وقد أكد المقيم البريطانى في الكويت الكابتن وليام شكسبير هذا الاتجاه لدى العرب القائمين على الحركة العربية في

(١) الشيخ عبد العزيز بن باز : نقد القومية العربية على ضوء الاسلام والواقع ، ص١٥ .

البصرة ، وأن الخوف بدأ يراودهم بعد الهزائم التى تعرضت لها الدولة العثمانية فى حرب البلقان[1] .

في هذا الجو السياسى والفكرى الذى عاشته الدولة العثمانية بعد انكسارها في حروب البلقان ، تزايدت أخطار التمزق الداخلى في الدولة وبرزت القوميتان العربية والتركية في وقت واحد واشتد التصادم بينهما ليشكلا معا أنشطة فعّالة مناوئة للدولة الاسلامية ، وبدأ التطرف يظهر على ألسنة المفكرين والكتاب من العرب والترك وكل منهم يدعو إلى القومية الصرفة التى ينتمي لها ، وأصبحت القومية هى محور الأحداث ، فالأتراك يمجدون الطورانية ويتغنون بأمجاد العنصر التركى وتأثيره في تاريخ الدولة العثمانية والقوميون العرب يمجدون العنصر العربى ، ويعددون مواقفه ودوره فى التاريخ ، ليصبح التطرف في القومية الصرفة البعيدة عن الإسلام هو الظاهرة المسيطرة في حياة الدولة العثمانية حينئذ ، مما أتاح للعناصر غير الإسلامية أن تتدخل في شئون الدولة ومؤسساتها الرسمية ، وهذا هو الغزو الفكرى الذى أرادته أوربا وخططت له ، وجنت ثماره في تلك المرحلة ولقد أدى ظهور القوميتين التركية والعربية في وقت واحد إلى شدة الصدام بينهما ، وقطع الطريق على دعاة الاصلاح العرب الذين ينشدون اصلاح ولاياتهم في ظل دولة الخلافة ، كما أن بروز القوميتين في تلك الفترة حال دون الأمل في الوفاق بين الحكومة العثمانية والمطالبين بالإصلاح من العرب ، لتشكل هاتان القوميتان عنصراً مؤثراً في أحداث المنطقة والتطورات التاريخية اللاحقة في المشرق الإسلامى .

وقد استفادت السياسة البريطانية من حروب البلقان ، التي اقتطعت من الدولة العثمانية ولاياتها الأوربية ، وكشفت عن ضخامة الخلل الذى أصاب

(1) F. O. 424/238, PP. 369 - 372, Enclosure 2, in No. 458, dated 15, May, 1913.

الدولة في مؤسساتها العسكرية والسياسية ، وتحققت الأهداف البريطانية الكاملة في الساحل الشرقى والجنوبى للجزيرة العربية ، وفي الخليج العربى ، حيث انتهزت السياسة البريطانية تلك الفرصة الثمينة لتفرض هيمنتها على تلك المناطق وتبرم المعاهدات مع شيوخ وأمراء المنطقة وفق استراتيجيتها الاستعمارية ، حيث أنها أضحت صاحبة القول الفصل في شئون المنطقة ، لأن الدولة العثمانية شُغلتَ عن هذه المناطق النائية ، وقُدرتها العسكرية لم تَعُد تساعدها كى تدافع عن تلك النواحى ، عندئذ تحقق لبريطانيا الاستفادة من نتائج حروب البلقان تلك ، وبدأت في تنفيذ سياستها الهادفة إلى اقتطاع الأجزاء المهمة من ممتلكات الدولة في المشرق العربى ، وأصبح الموقف السياسى لبريطانيا في الخليج والسواحل الشرقية والجنوبية للجزيرة العربية متأثراً ايجابياً بتلك المتغيرات السياسية والعسكرية التى أفرزتها الحروب البلقانية .

وبدأ الساسة البريطانيون في الخليج العربى يدركون أن التعامل مع القوى السياسية في المنطقة ، هو أفضل وسيلة للحفاظ على المصالح البريطانية هناك ، ولاسيما أن الخليج العربى يمثل الطريق الرئيسى الموصل إلى درة التاج البريطاني ـ الهند ـ ، لذا حرصت الحكومة البربطانية على تدعيم موقفها السياسى والعسكرى في الخليج العربى ، وتحويله إلى مايشبه بحيرة بريطانية مستفيدة في ذلك من آثار الهزائم التى لحقت بالدولة العثمانية في حروب البلقان وهزت مكانتها السياسية والعسكرية .

ثم سارعت السياسة البريطانية لتحصل على أكبر قدر من المكاسب الاستعمارية في أملاك الدولة العثمانية في المشرق العربى ، وعُقِدَت عدة جولات

من المباحثات بين وزير خارجية بريطانيا اللورد ادوارد جراى ومندوب الحكومة العثمانية حقى باشا ، حيث توصل الجانبان إلى توقيع المعاهدة الانجليزية ـ العثمانية في لندن ، فى الخامس والعشرين من شعبان ١٣٣١هـ/٢٩ يوليو ١٩١٣م ، وتقع في ثمان عشرة مادة ، في خمسة أقسام ، اضافة إلى أربعة ملاحق وتصريح سرى على لسان المفاوِضَيْن البريطانى والعثمانى(١) .

وقراءة بنود هذه المعاهدة تعكس الوضع الحقيقى الذى وصلت إليه الحكومة العثمانية من ضعف وتخاذل بعد هزائمها في حروب البلقان ، وهو مالم يكن معروفاً في تلك المعاهدات التى كانت تبرمها الدولة العثمانية مع أوربا إبان قوتها ، حين كانت تُمْلِى شروطها على الطرف الآخر وتأخذ ماتريد من خلال تلك المعاهدات ، ولم تستسلم البتة لأية ضغوط سياسية كانت أم عسكرية ، أما تلك المعاهدة وماشابهها من المعاهدات التى أعقبت حروب البلقان فهى تُمْلَى على الدولة العثمانية التى تقبلها قبولا يدل على الضعف والخنوع والتفكك العسكرى والسياسى .

وكان الامام عبد العزيز آل سعود أول من أدرك ضعف الدولة العثمانية في الجزيرة العربية ، واستطاع أن يواجه المستعمر البريطانى على سواحل الخليج باستعادته للاحساء ، وحفظ تلك الجهات من أن تلتهمها بريطانيا في عنفوان طغيانها الاستعمارى ، وتفكك الدولة العثمانية فى أعقاب حروب البلقان .

وحرصت السياسة البريطانية على استقطاب الحركة العربية ، لتستخدمها فى أغراضها الخاصة ، وتحقق من خلالها أهدافها الاستعمارية

(1) Muahede Name, Numarasi, 242/8. Osmanli, Arsive, Daire, Baskanligi, Ist.

خاصة أطماعها المبيتة فى رأس الخليج العربى ومدينة البصرة ذات الأهمية الاستراتيجية للمصالح البريطانية ، وساعد تمزق الحركة العربية السياسة البريطانية في الوصول إلى أهدافها ومخططاتها ، فى ظل هزائم الدولة العثمانية في حرب البلقان ، مما زاد من اضعاف دولة الخلافة وهو ماسعت إليه السياسة البريطانية ، التي أدركت أن حروب البلقان قد أنهت القوة العسكرية للدولة العثمانية ، لكن قوتها الروحية في المشرق العربى لم تزل قائمة ، والخوف الذى يراود الساسة البريطانيون هو الخوف من القوة الروحية للدولة عند العرب بصفتها الدولة الاسلامية الأولى التى تستطيع أن تؤلب المشاعر الدينية ضد بريطانيا، وربما يمتد ذلك التأثير إلى مسلمى الهند ، لذا كان تشجيع بريطانيا للحركات الانفصالية في المشرق العربى هو الحل الذى لجأت اليه الدبلوماسية البريطانية لاضعاف دولة الخلافة الاسلامية ، لأن الضعف العسكرى والسياسى للدولة العثمانية لايعنى انتهاء مكانتها الروحية وقوتها الدينية كما يدرك ذلك رجال السياسة البريطانيون .

ولأن الحركة العربية لم تحافظ على اتزانها ووحدتها فى نطاق الاسلام فقد ساعد ذلك السياسة البريطانية في تحقيق أطماعها في البصرة ، فى الوقت الذى تمزقت فيه الحركة العربية وأعلن البعض عداءه الصريح للدولة العثمانية ، بينما انحاز البعض الآخر مع السياسة البريطانية ، ولم ينقذ المشرق العربى من الاستعمار الأوربى الكامل إلا الموقف الذى وقفته سلطنة نجد وتوابعها التى أقامها الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود على قواعد اسلامية عربية راسخة حفظت لها وللعرب هذا الجزء الغالى من المشرق العربى .

ولقد زاد نشر قانون الولايات الذى أعلنته الحكومة العثمانية ابان اشتعال حرب البلقان الأولى ، من حدة الخلاف بين زعماء الاصلاح العرب

ورجال الحكومة العثمانية ، لأن العرب كانوا يهدفون بمطالبهم إلى الاصلاح على قاعدة اللامركزية وتوسيع سلطة المجالس العمومية واعطاء الولايات العربية نوعا من الاستقلال الادارى ، لشعورهم بأهميتهم السياسية في الدولة ولا سيما أن البلاد العربية أصبحت تمثل جزءاً كبيراً من خريطة الدولة ، والعرب أصبحوا يمثلون أكثرية فيها ، وهذا بالتالي يعطيهم الحق فى الاستقلال الادارى على مبدأ اللامركزية ، لكن قانون الولايات الجديد زاد من المركزية ، وفي ربط الولايات بعاصمة الدولة ، ومنح صلاحيات أكثر للوالى وقلل من صلاحيات المجالس العمومية ، وقد أثر ذلك كله على علاقات العرب بالدولة العثمانية ، وفتح المجال على مصراعيه للجدل السياسى والفكرى الذى أثر فيما بعد على تطور الأحداث التاريخية في المشرق العربى ، وفى الحركة العربية ، وبلغ التشاؤم ذروته حين اعلن دعاة الاصلاح العرب إلى أن هذا القانون ، وماينطوى عليه من حصر السلطة في مركز الدولة وتوسيع سلطة الولاة فقط سيؤدى إلى تجزئة الوحدة العثمانية ، وهو أمر لايطمع فيه العرب ولايتمنون حدوثه في القريب المنظور(١) ، وحاولت الحكومة العثمانية أن تستقطب الحركة العربية حين قامت بتعيين سبعة من رجالات العرب في مجلس الأعيان ، وكأن الحكومة بدأت تتجاوب مع مطالب العرب ، وتحاول أن تشركهم في وظائف الحكومة البارزة التى يستطيعون منها تحقيق مطالبهم ، والدفاع عن مصالح الولايات العربية في عاصمة الدولة ، وفى الحكومة المركزية .

لكن المعارضة العربية للمركزية وسياسة التتريك زادت فعالياتها عندما فَجّرت حروب البلقان الروح القومية التركية التي بدأت حكومة الاتحاد والترقى في تبنيها والدعوة اليها مما أحدث ردة فعل عند العرب لمقاومة تلك السياسة

---

(١) جريدة الاصلاح عدد ٤٠ ـ ١٤٣٥ فى ٢٢ رجب ١٣٣١هـ .

التي يرى زعماء الاصلاح العرب أنها ستزيد من تفكك الدولة واضعافها ، وأصبحت قضية اللغة العربية هى محور الأحداث اذ يرى العرب جعلها لغة رسمية إلى جانب اللغة التركية ، بينما يعتقد رجال الحكومة أن ذلك غير ممكن ، ولم يمانعوا في استعمال اللغة العربية في الولايات العربية فقط ، عندئذ زادت المعارضة العربية عنفواناً وأخذت نواح شتى زادت من توسيع حدة الخلاف بين العرب والحكومة العثمانية ، وأصبحت المطالب العربية تدعو إلى تعديل قانون الولايات الذى قضى على آمال العرب في الاصلاح على مبدأ اللامركزية ، وطبع الدولة بطابع المركزية ، لكن الحكومة الاتحادية زادت من تمسكها بالسياسة الطورانية ، وبدأت في محاولة تتريك العناصر الخاضعة للدولة العثمانية وفي مقدمتها العرب ، مما أحدث ردة فعل لدى العرب تمثلت في الدعوة إلى القومية العربية الصرفة ، لتزيد بذلك من عوامل التفكك والانهيار فى الدولة التى أصبحت على أبواب الحرب العالمية الأولى .

وقامت محاولات فردية لعقد مؤتمر في الجزيرة العربية يجتمع فيه أمراء العرب وزعماء الاصلاح ويتداولون في أمور بلادهم التى أصبح الخطر يهددها من كل جانب ، ولم تحقق تلك المحاولات النجاح المطلوب لها ، لأن التشتت الذى وصلت اليه الحركة العربية والاتجاهات التى بدأ يسير فيها رجال الحركة جعل محاولات عقد هذا المؤتمر تنتهى كما بدأت ، ولعلنا لانعدو الحقيقة اذا قلنا ان تلك المحاولات التي أسفرت عن عقد اجتماع بين شيخ الكويت والمحمرة وطالب النقيب ، ثم ماأعقبها من الدعوة إلى مؤتمر آخر يعقد في الكويت ، هى محاولات تشبه إلى حد ما مؤتمر باريس سالف الذكر ، غير أن مؤتمر باريس أخذ الصبغة الرسمية لأهمية المشاركين فيه ومكان انعقاده ثم محاولة الحكومة العثمانية التفاهم مع أصحاب ذلك المؤتمر .

أما مؤتمرات الجزيرة فهي مجرد محاولات لم تترجم على أرض الواقع ، لأن القوة العربية المؤثرة في المنطقة حينذاك كان عبد العزيز بن سعود ، وعدم حضوره لمثل هذه المؤتمرات يفقدها قيمتها ، وهو ماحدث بالفعل ، لأن ابن سعود كان يدرك اتجاهات الحركة العربية ومرحلة التمزق التى وصلت اليها ، وهو لن يسمح لدولته السلفية أن تتجه هذا الاتجاه الذى لايتفق مع الأسس والأصول للدولة السعودية ، وهذا ماتحقق بالفعل عندما اعتذر عن حضور المؤتمر الذى حاولت أن تتبناه الحكومة البريطانية ويعقد في الكويت اثناء اشتعال الحرب العالمية الأولى ، كى تستقطب الحركة العربية من خلال ذلك المؤتمر ، لكن ابن سعود خرج بلباقته المعروفة من هذا الموقف الذى حاولت السياسة البريطانية أن تضعه فيه .

وكان الامام عبد العزيز آل سعود قد خاض واحدة من الملاحم التاريخية التي عرفتها منه الجزيرة العربية منذ أن سطع نجمه في سمائها ، حين استطاع ضم الاحساء والمناطق المجاورة لها على الساحل الغربى من الخليج العربي ، وذلك في أوائل جمادى الأولى ١٣٣١هـ / النصف الأول من ابريل سنة ١٩١٣م[١] ، وأعاد الحامية العثمانية إلى بلادها دون أن يمسها بأذى ، رغم المحاولات الاستفزازية التى قامت بها تلك الحامية بالتعاون مع السلطات البريطانية في البحرين ، وحينئذ لم تجد الحكومة العثمانية بُدّاً من الاعتراف بالامام عبد العزيز آل سعود حاكماً للاحساء وسلطاناً لنجد ، وأقامت معه علاقات ولائية بموجب اتفاق الصبيحية بين ابن سعود ومندوبى الحكومة العثمانية .

وكان وصول الإمام عبد العزيز إلى سواحل الخليج العربى يعطى مردوداً ايجابياً لتلك الحركة العربية الممزقة فى مختلف البلدان العربية ، اذ أنه حافظ

(١) أمين الريحانى : نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز آل سعود ... ، ص٢٠٨ ـ ٢١٠ .

على الجناح الشرقى من الجزيرة العربية كى لايقع فريسة فى أيدى الاستعمار الأوربى الذى التهم الشام والعراق بعد ذلك بوقت يسير ، فى ظل غياب دولة الخلافة العثمانية وتشتت الحركة العربية وتفرق كلمة القائمين عليها ، وتباعد أهدافهم واتجاهاتهم ، لذا فان الامام عبد العزيز الذى كان ينظر لحرب البلقان ليقيم دولته ، قد حفظ للمشرق العربى استقلاله ومكانته ، حين أبقى على سلطنة نجد وتوابعها بعيدة عن التمزق والانحياز في ظل المتغيرات التاريخية السريعة التى سبقت الحرب العالمية الأولى .

وموقف سلطنة نجد بالنسبة للمشرق العربى كان له أثر واضح ، لأنها قامت على عقيدة اسلامية سلفية راسخة ، حفظت للجزيرة العربية مكانتها في ظل الفراغ الذى تركته دولة الخلافة العثمانية ،فى وقت كانت الحركة العربية أعجز من أن تَسُدُّ هذا الفراغ ، لما تزخر به من متناقضات عقائدية وفكرية أثَّرت مع تطور الأحداث على منطقة المشرق العربى ، وهيأت الفرصة للنفوذ الأجنبى كى يحقق أطماعه المبيتة .

وقد اتسمت مواقف الامام عبد العزيز آل سعود بالاستقلالية في الرأى ، والحزم في اتخاذ القرار ، فلم ينحاز إلى أى قوة من القوى المتصارعة فى المنطقة ، لادراكه أن هذا الصراع صراع مصالح ذاتية ، كما أنه لم يساوم على منهج دولته وعقيدته الاسلامية ، واتخذ له مسلكاً مميزاً ينطلق من العقيدة الاسلامية التى أقام دولته عليها حيث يقول : « إن خطتى التى سرت ولا أزال أسير عليها هي اقامة الشريعة السمحة كما أننى أرى من واجبى ترقية جزيرة العرب والأخذ بالأسباب التى تجعلها في مصاف البلاد الناهضة مع الاعتصام بحبل الدين الاسلامى الحنيف[1] » ، بهذا النهج أصبحت سلطنة نجد حصناً

---

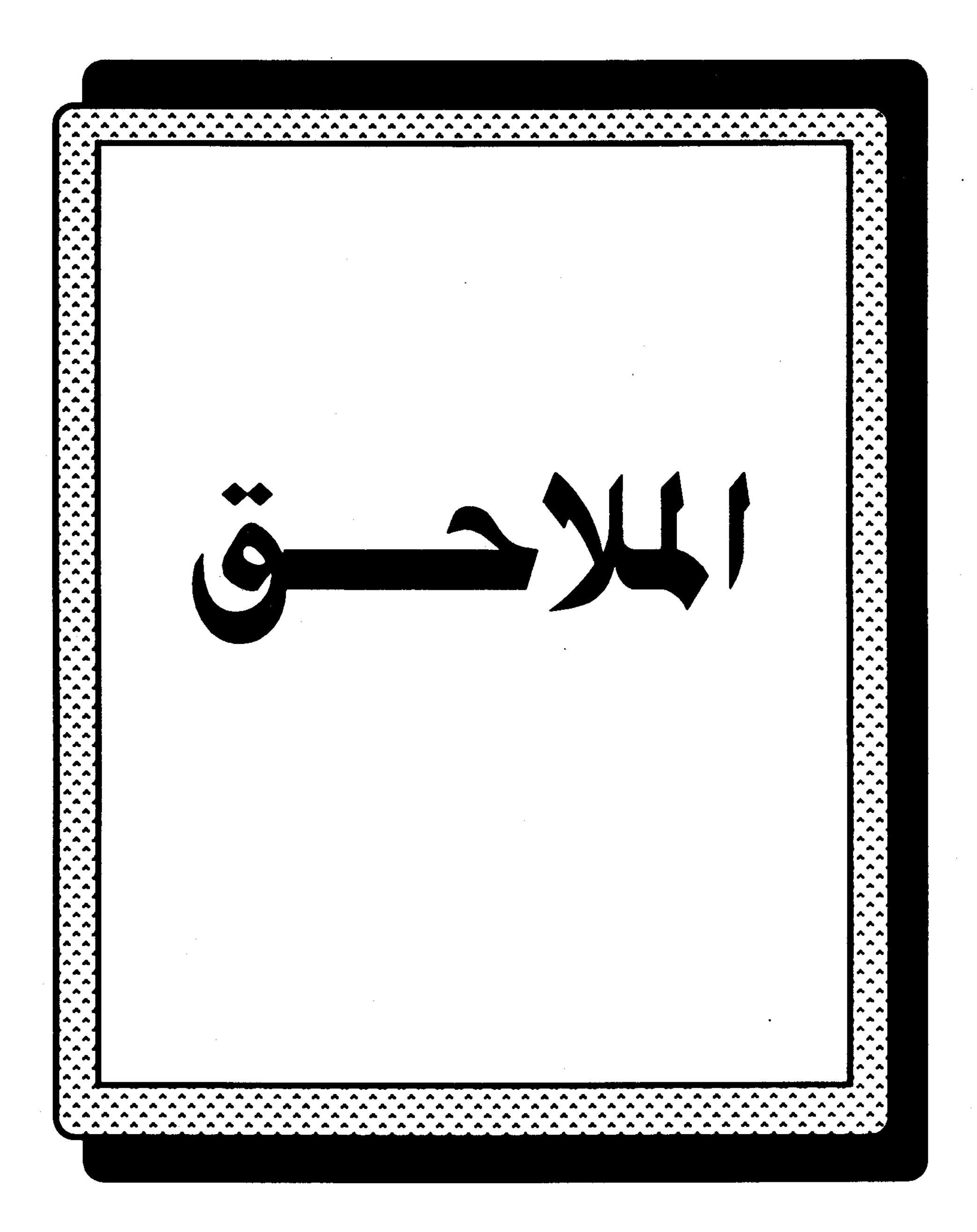
(١) خير الدين الزركلى : الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، ص٢١٥ .

منيعاً للمشرق العربى ، ودعامة قوية له ، حفظته من السقوط الكامل تحت الاستعمار الأوربى المتربص به .

وقامت الحرب العالمية الأولى ، كأول حرب عالمية تعرفها البشرية ، وكان تأثيرها على المشرق العربى خطيرا جداً ، اذ زادت الحركة العربية تمزقاً ، وأظهرت دعاة القومية العربية المتطرفة على حقيقتهم ، وسار فى ركابهم بعض العرب الذين أوصلتهم التطورات التاريخية المتلاحقة إلى الانحياز الكامل مع الدول الاستعمارية ضد الدولة العثمانية وقامت ماسميت بالثورة العربية التى ساهمت في انتصار الحلفاء ، وهزيمة الدولة العثمانية ، وافتقد المشرق العربى ذلك الاتزان السياسى ، الذى مثله الامام عبد العزيز آل سعود ، حين رفض اعلان الحرب ضد دولة الخلافة .

وترتب على دخول الدولة العثمانية للحرب العالمية الأولى اتساع نطاق الحرب وشموليته ، ولكن الحركة العربية أُوقِفَتْ قسراً عند ذلك ، لتجرها الأحداث التاريخية فيما بعد إلى تمزق أكثر خطورة مما كان بها قبل الحرب ، رغم محاولات بعض رجال الحركة التزام الحياد أو مساندة الدولة العثمانية لكن بريطانيا نجحت في استقطاب بعض رجال الحركة إلى جانبها ثم غدرت بهم مثلما غدرت بالدولة العثمانية ، وأقامت فى المشرق العربى كيانات سياسية تتبع في توجهاتها تلك القوى الاستعمارية .

وعندما سقطت الدولة العثمانية كانت تلك الكيانات قد أصبحت فريسة لايمكنها الفكاك من براثن الاستعمار ، واخذت اليهودية العالمية تنشط لتحقق مافشلت في تحقيقه في العصر العثمانى الطويل في المشرق العربى ، وانتهت اليهودية العالمية والاستعمار الى زرع ذلك الكيان الخبيث في قلب الأمة العربية .


الملاحق

أ - الصفحات الأولى والثانية والأخيرة ، من معاهدة لوزان الموقعة بين الدولة العثمانية وايطاليا ، فى ١٨ اكتوبر ١٩١٢م ، محفوظة بالأرشيف العثماني في اسطنبول تحت رقم ٣٢٥ .

ب - الصفحات الأولى والثانية والثالثة من المعاهدة الموقعة بين الدولة العثمانية والحكومات البلقانية ، والمعروفة بمعاهدة لندن في ٣٠ مايو ١٩١٣م ، والتى أنهت حرب البلقان الأولى ، محفوظة بالأرشيف العثمانى في اسطنبول تحت رقم ٣٢٣ .

ج - الصفحات الأولى والثانية والثالثة والرابعة ، من المعاهدة الموقعة بين الدولة العثمانية وبريطانيا ، في ٢٩ يوليو ١٩١٣م ، والتى تنازلت الدولة لبريطانيا بموجبها عن أجزاء غالية من المشرق العربى ، محفوظة بالأرشيف العثمانى في اسطنبول تحت رقم ٨/٢٤٢ .

د - الصفحة الأولى من جريدة الاتحاد العثمانى البيروتية التى صدرت كمثيلاتها من الصحف البيروتية خالية من أى خبر أو مقال ، احتجاجا على بلاغ الوالى العثمانى الذى بموجبه منعت الجمعية الاصلاحية في بيروت من الاجتماع واقفال ناديها ، والذى نشر لوحده على صفحات تلك الصحف في ذلك اليوم .

هـ - ثلاث خرائط منتقاة من مراجع تاريخية ، عن دول البلقان قبل الحروب البلقانية وبعدها .

(الملحق أ - ص ١)

Sa Majesté l'Empereur des Ottomans et Sa Majesté le Roi d'Italie, animés par un égal désir de faire cesser l'état de guerre existant entre les deux pays, ont nommé Leurs Plénipotentiaires :

A. Sa Majesté l'Empereur des Ottomans

- Son Excellence Mehemmed Naby Bey, Grand-Cordon de l'Ordre Impérial de l'Osmanié, Envoyé extraordinaire et Ministre plénipotentiaire de Sa Majesté l'Empereur des Ottomans.
- Son Excellence Roumbeyoglou Fahreddin Bey, Grand Officier de l'Ordre Impérial du Medjidié, commandeur de l'Ordre Impérial de l'Osmanié, Envoyé extraordinaire et Ministre plénipotentiaire de Sa Majesté l'Empereur des Ottomans;

B. Sa Majesté le Roi d'Italie

- Monsieur Pietro Bertolini, Grand Croix de l'Ordre de la Couronne d'Italie, Grand Officier de l'Ordre des

S.S. Maurice et Lazare, député au Parlement;

2- Monsieur Guido Fusinato, Grand-Croix de l'Ordre de la Couronne d'Italie, Grand-Officier de l'Ordre des S.S. Maurice et Lazare, député au Parlement, Conseiller d'État,

3- Monsieur Giuseppe Volpi, commandeur des Ordres des S.S. Maurice et Lazare et de la Couronne d'Italie;

Lesquels, après avoir échangé leurs pleins pouvoirs respectifs et les avoir trouvés en bonne et due forme, sont convenus des articles suivants:

Art. 1. = Les deux Gouvernements s'engagent à prendre, immédiatement après la signature du présent Traité, les dispositions nécessaires pour la cessation immédiate et simultanée des hostilités. Des Commissaires spéciaux seront envoyés sur les lieux pour assurer l'exécution des susdites dispositions.

Art. 2. = Les deux Gouvernements s'engagent à donner, immédiatement après la signature du présent Traité, l'ordre de rappel de leurs officiers, de leurs troupes, ainsi que de leurs fonctionnaires civils, respectivement le Gouvernement Ottoman de la Tripolitaine et de la Cyrénaïque et le Gouvernement Italien des îles qu'il a occupées dans la mer Égée.

L'effective évacuation des îles susdites par les officiers, les troupes et les fonctionnaires civils italiens aura lieu immédiatement après que la

Le choix de ceux-ci sera fait de concert par les Puissances ainsi désignées.

Le Gouvernement Royal ainsi que l'Administration de la Dette Publique Ottomane, par l'entremise du Gouvernement Impérial, auront la faculté de demander la substitution de l'annuité susdite par le payement de la somme correspondante capitalisée au taux de quatre pour cent.

Pour ce qui se réfère au précédent alinéa le Gouvernement Royal déclare de reconnaître dès à présent que l'annuité ne peut être inférieure à la somme de Livres ottomanes deux millions et qu'il est disposé à verser à l'Administration de la Dette Publique la somme capitalisée correspondante, aussitôt que demande en sera faite.

Art. 11. = Le présent Traité entrera en vigueur le jour même de sa signature.

En foi de quoi les Plénipotentiaires ont signé le présent Traité et y ont apposé leurs cachets.

Fait à Lausanne en deux exemplaires, le 18 Octobre 1912.

(الملحق ب – ص ١)

SA Majesté l'Empereur des Ottomans d'une part, et Sa Majesté le Roi des Bulgares, Sa Majesté le Roi des Hellènes, Sa Majesté le Roi de Monténégro et Sa Majesté le Roi de Serbie (ci-après désignés par les mots "les Souverains alliés") d'autre part, animés du désir de mettre fin au présent état de guerre et de rétablir les relations de paix et d'amitié entre leurs Gouvernements et leurs sujets respectifs, ont résolu de conclure un Traité de Paix et ont choisi à cet effet pour leurs Plénipotentiaires :

Sa Majesté l'Empereur des Ottomans :

Son Excellence Osman Nizamy Pacha, Général de Division, ancien Ambassadeur à Berlin ;
Son Excellence Betzaria Effendi, Sénateur, Ministre des Travaux publics ;
Son Excellence Ahmed Réchid Bey, Conseiller-légiste de la Sublime Porte.

Sa Majesté le Roi des Bulgares :

Son Excellence M. le Dr. Stoyan Danev, Président du Sobranié ;
Son Excellence M. Michel Madjarov, Envoyé extraordinaire et Ministre plénipotentiaire à Londres.

Sa Majesté le Roi des Hellènes :

Son Excellence M. Étienne Skouloudis, ancien Ministre des Affaires Étrangères ;
Son Excellence M. Jean Gennadius, Envoyé extraordinaire et Ministre plénipotentiaire à Londres ;
Son Excellence M. Georges Streit, Envoyé extraordinaire et Ministre plénipotentiaire à Vienne.

Sa Majesté le Roi de Monténégro :

Son Excellence M. Jean Popovitch, ancien Chargé d'Affaires à Constantinople ;
Son Excellence M. le Comte Louis Voïnovitch, ancien Ministre de la Justice.

Sa Majesté le Roi de Serbie :

Son Excellence M. Stoyan Novakovitch, ancien Président du Conseil des Ministres ;
Son Excellence M. André Nikolitch, Président de la Skupchtina ;
Son Excellence M. Milenko Vesnitch, Envoyé extraordinaire et Ministre plénipotentiaire à Paris ;
Son Excellence M. Jean Pavlovitch, ancien Ministre à Sophia ;

qui, après s'être communiqué leurs pleins pouvoirs et les avoir trouvés en bonne et due forme, sont convenus de ce qui suit :

Article 1er.

Il y aura, à dater de l'échange des ratifications du présent traité, paix et amitié entre Sa Majesté l'Empereur des Ottomans d'une part, et leurs Majestés les Souverains alliés d'autre part, ainsi qu'entre leurs héritiers et successeurs, leurs États et sujets respectifs, à perpétuité.

Article 2.

Sa Majesté l'Empereur des Ottomans cède à leurs Majestés les Souverains alliés tous les territoires de son Empire sur le continent européen à l'ouest d'une ligne tirée d'Énos sur la mer Égée à Midia sur la mer Noire, à l'exception de l'Albanie.

Le tracé exact de la frontière d'Énos à Midia sera déterminé par une commission internationale.

ARTICLE 3.

Sa Majesté l'Empereur des Ottomans et leurs Majestés les Souverains alliés déclarent remettre à Sa Majesté l'Empereur d'Allemagne, à Sa Majesté l'Empereur d'Autriche, Roi de Bohême, &c., et Roi Apostolique de Hongrie, à M. le Président de la République française, à Sa Majesté le Roi de Grande-Bretagne et d'Irlande et des Territoires britanniques au delà des Mers, Empereur des Indes, à Sa Majesté le Roi d'Italie et à Sa Majesté l'Empereur de toutes les Russies le soin de régler la délimitation des frontières de l'Albanie et toutes autres questions concernant l'Albanie.

ARTICLE 4.

Sa Majesté l'Empereur des Ottomans déclare céder à leurs Majestés les Souverains alliés l'île de Crète et renoncer en leur faveur à tous les droits de souveraineté et autres qu'il possédait sur cette île.

ARTICLE 5.

Sa Majesté l'Empereur des Ottomans et leurs Majestés les Souverains alliés déclarent confier à Sa Majesté l'Empereur d'Allemagne, à Sa Majesté l'Empereur d'Autriche, Roi de Bohême, &c., et Roi Apostolique de Hongrie, à M. le Président de la République française, à Sa Majesté le Roi de Grande-Bretagne et d'Irlande et des Territoires britanniques au delà des Mers, Empereur des Indes, à Sa Majesté le Roi d'Italie et à Sa Majesté l'Empereur de toutes les Russies le soin de statuer sur le sort de toutes les îles ottomanes de la mer Égée, l'île de Crète exceptée, et de la péninsule du Mont-Athos.

ARTICLE 6.

Sa Majesté l'Empereur des Ottomans et leurs Majestés les Souverains alliés déclarent remettre le soin de régler les questions d'ordre financier résultant de l'état de guerre qui prend fin et des cessions territoriales ci-dessus mentionnées à la commission internationale convoquée à Paris, à laquelle ils ont délégué leurs représentants.

ARTICLE 7.

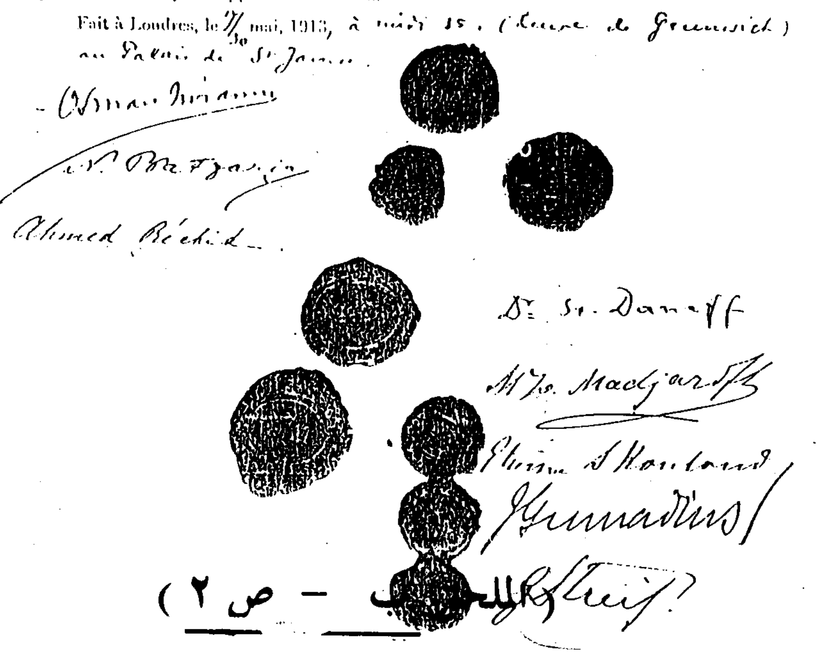
Les questions concernant les prisonniers de guerre, juridiction, nationalité et commerce seront réglées par des conventions spéciales.

ARTICLE FINAL.

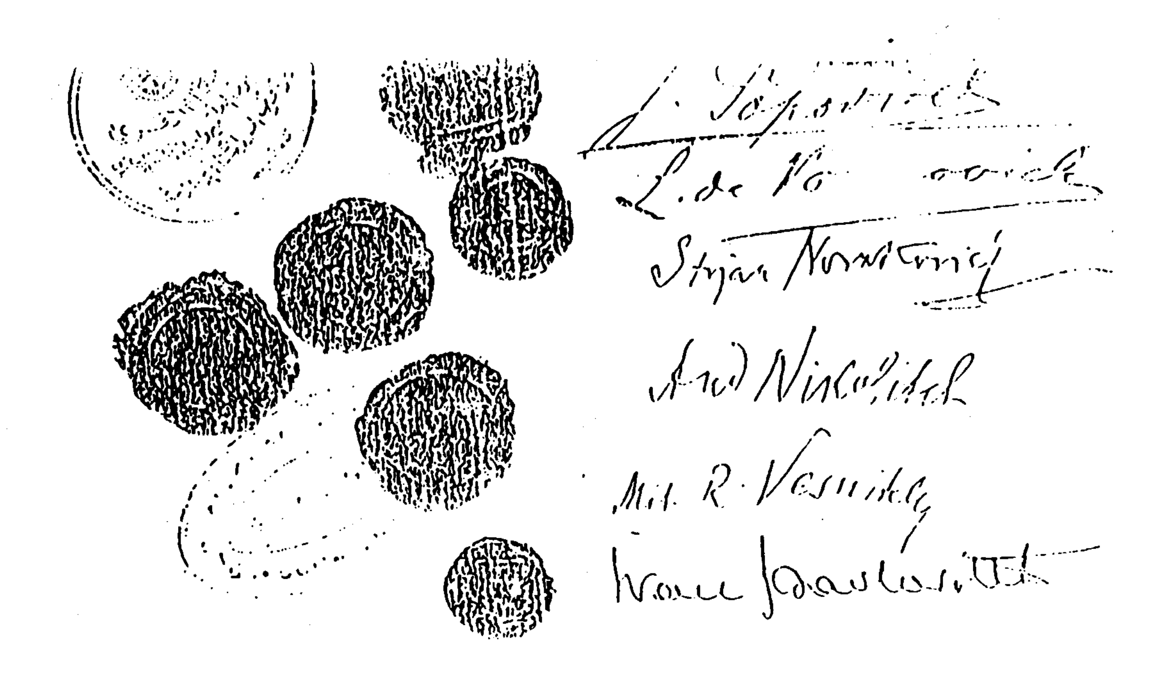
Le présent traité sera ratifié et les ratifications seront échangées à Londres dans le plus bref délai possible.

En foi de quoi les Plénipotentiaires des Hautes Parties contractantes ont signé le présent traité et y ont apposé leurs sceaux.

Fait à Londres, le 17/30 mai, 1913, à midi 15. (heure de Greenwich) au Palais de St James.



(الملحق ب - ص ٣)



(الملحق ج - ص ١)

SA Majesté l'Empereur des Ottomans, et Sa Majesté le Roi du Royaume-Uni de la Grande-Bretagne et d'Irlande et des Territoires britanniques au delà des Mers, Empereur des Indes, animés par le sincère désir de régler, par un accord complet, certaines questions touchant leurs intérêts respectifs dans le Golfe Persique et dans les territoires environnants, ont résolu de conclure une convention spéciale en vue de prévenir toute cause éventuelle de malentendu entre leurs Gouvernements en ce qui concerne ces questions.

En conséquence, ils ont nommé pour leurs Plénipotentiaires, savoir :

Sa Majesté l'Empereur des Ottomans : Son Altesse Hakki Pacha, ancien Grand Vézir, décoré des Grands Cordons des Ordres Impériaux de l'Osmanié et du Medjidié en brillants ;

Sa Majesté le Roi du Royaume-Uni de la Grande-Bretagne et d'Irlande et des Territoires britanniques au delà des Mers, Empereur des Indes : Le Très Honorable Sir Edward Grey, Baronnet du Royaume-Uni, Chevalier du Très Noble Ordre de la Jarretière, Membre du Parlement, Principal Secrétaire d'État de Sa Majesté au Département des Affaires Étrangères ;

Lesquels, s'étant communiqué leurs pleins pouvoirs, trouvés en bonne et due forme, sont convenus de ce qui suit :

I. - *Koueit.*

ARTICLE 1er.

Le territoire de Koueit, tel qu'il est délimité par les articles 5 et 7 de cette convention, forme un kaza autonome de l'Empire ottoman.

ARTICLE 2.

Le cheikh de Koueit arborera comme par le passé le drapeau ottoman, avec, s'il le désire, le mot " Koueit " inscrit au coin, et il jouira d'une autonomie administrative complète dans la zone territoriale définie à l'article 5 de cette convention. Le Gouvernement Impérial ottoman s'abstiendra de toute immixtion dans les affaires de Koueit, y compris la question de la succession, et de tout acte d'administration ainsi que de toute occupation et tout acte militaire, dans les territoires qui en font partie. En cas de vacance, le Gouvernement Impérial ottoman nommera kaïmakam, par firman Impérial, le successeur du cheikh défunt. Il aura aussi la faculté de nommer auprès du cheikh un commissaire pour protéger les intérêts et les indigènes des autres parties de l'Empire.

ARTICLE 3.

Le Gouvernement Impérial ottoman reconnaît la validité des conventions que le cheikh de Koueit a conclues précédemment avec le Gouvernement de Sa Majesté britannique en date des 23 janvier 1899, 24 mai 1900 et 28 février 1904, et dont les textes sont annexés (annexes I, II, III) à la présente convention. Il reconnaît aussi la validité des concessions de terrains faites par ledit cheikh au Gouvernement de Sa Majesté britannique et aux sujets britanniques, ainsi que celle des engagements consignés dans la note adressée à la date du 21 octobre 1911 par le principal secrétaire d'État de Sa Majesté britannique pour les affaires étrangères à l'ambassadeur de Sa Majesté Impériale le Sultan à Londres, dont le texte est annexé (annexe IV).

ARTICLE 4.

En vue de confirmer l'entente déjà établie entre les deux Gouvernements par les assurances échangées le 6 septembre 1901, entre l'ambassade de Sa Majesté britannique à Constantinople et le Ministère Impérial des affaires étrangères, le Gouvernement de Sa Majesté britannique déclare qu'en tant qu'aucun changement ne sera apporté par le Gouvernement Impérial ottoman au *statu quo* de Koueit, tel qu'il se trouve défini par la présente convention, il ne changera en rien la nature de ses relations avec le Gouvernement de Koueit et n'établira pas de protectorat sur le territoire qui lui est attribué. Le Gouvernement Impérial ottoman prend acte de cette déclaration.

ARTICLE 5.

L'autonomie du cheikh de Koueit est exercée par lui dans les territoires dont la limite forme un demi-cercle avec la ville de Koueit au centre, le Khor-Zoubeir à

(الملحق ج – ص ٢)

l'extrémité septentrionale et Kraine à l'extrémité méridionale. Cette ligne est indiquée en rouge sur la carte annexée à la présente convention (annexe V). Les îles de Ouarba, Boubiane, Machdjane, Failaka, Aouha, Kouddar, Karou, Makta et Oumm-el-Maradine, avec les îlots et les eaux adjacents, sont compris dans cette zone.

Article 6.

Les tribus qui se trouvent dans les limites indiquées à l'article suivant sont reconnues comme dépendant du cheikh de Koueit, qui percevra leurs dîmes comme par le passé et exercera à leur égard les attributions administratives qui lui reviennent en sa qualité de kaïmakam ottoman. Le Gouvernement Impérial ottoman n'exercera dans cette zone aucun acte d'administration indépendamment du cheikh de Koueit et s'abstiendra d'y établir des garnisons ou d'y exercer une action militaire quelconque sans s'être préalablement entendu avec le Gouvernement de Sa Majesté britannique.

Article 7.

Les limites du territoire dont il est parlé à l'article précédent sont fixées comme suit :

La ligne de démarcation part de la côte à l'embouchure du Khor-Zoubeir vers le nord-ouest et passe immédiatement au sud d'Oumm-Kasr, de Safouan et de Djebel-Sanam, de façon à laisser ces endroits et leurs puits au vilayet de Basra ; arrivée au Batine, elle le suit vers le sud-ouest jusqu'à Hafr-el-Batine qu'elle laisse du côté de Koueit ; de ce point ladite ligne va au sud-est en laissant à Koueit les puits d'Es-Safa et d'El-Garaa, d'El-Haba, Quabra et Antaa pour aboutir à la mer près de Djebel-Mounifa. Cette ligne est marquée en vert sur la carte annexée à la présente convention (annexe V).

Article 8.

Dans le cas où le Gouvernement Impérial ottoman s'entendrait avec le Gouvernement de Sa Majesté britannique pour faire aboutir la ligne ferrée de Bagdad–Basra à la mer au terminus de Koueit ou à tout autre terminus dans le territoire autonome, les deux Gouvernements s'entendront sur les dispositions à prendre touchant la garde de la ligne et des stations ainsi que l'établissement de bureaux douaniers, dépôts de marchandises et toute autre installation accessoire au service de la voie ferrée.

Article 9.

Le cheikh de Koueit jouira en pleine sécurité des droits de propriété privée qu'il possède dans le territoire du vilayet de Basra. Ces droits de propriété privée devront s'exercer en conformité de la loi ottomane et les biens immobiliers qu'ils concernent seront soumis aux impôts et charges au mode de conservation et de transmission et à la juridiction établis par les lois ottomanes.

Article 10.

Les criminels des provinces voisines ne seront pas reçus dans le territoire de Koueit et seront repoussés si on les y trouve ; également les criminels de Koueit ne seront pas reçus dans les provinces voisines et seront repoussés si on les y trouve.
Il est entendu que cette disposition ne servira pas aux autorités ottomanes de prétexte d'immixtion dans les affaires de Koueit ; elle ne servira pas non plus au cheikh de Koueit de prétexte d'immixtion dans les affaires des provinces voisines.

II.—*El-Katr*

Article 11.

Le sandjak ottoman de Nedjd, dont la limite septentrionale est indiquée par la ligne de démarcation définie à l'article 7 de cette convention, se termine vers le sud au golfe faisant face à l'île de Zakhnounié, qui appartient audit sandjak. Une ligne

partant du fond extrême dudit golfe ira directement au sud jusqu'au Rub'-al-Khali et séparera le Nedjd de la presqu'île d'El-Katr. Les limites du Nedjd sont indiquées par une ligne bleue sur la carte annexée à la présente convention (annexe VA). Le Gouvernement Impérial ottoman ayant renoncé à toutes ses réclamations concernant la presqu'île d'El-Katr, il est entendu entre les deux Gouvernements que ladite presqu'île sera, comme par le passé, gouvernée par le cheikh Djassim-bin-Sani et par ses successeurs. Le Gouvernement de Sa Majesté britannique déclare qu'il ne permettra pas au cheikh de Bahreine de s'immiscer dans les affaires intérieures d'El-Katr, de porter atteinte à l'autonomie de ce pays ou de l'annexer.

ARTICLE 12.

Il sera permis aux habitants de Bahreine de visiter l'île de Zakhnouniyé pour la pêche et d'y demeurer en pleine liberté pendant l'hiver comme par le passé, sans qu'aucun nouvel impôt leur soit imposé.

III. — *Bahreine.*

ARTICLE 13.

Le Gouvernement Impérial ottoman renonce à toutes ses réclamations concernant les îles Bahreine, y compris les deux îlots Lubainat-el-Aliya et Lubainat-es-Saflia, et reconnaît l'indépendance de ce pays. De son côté, le Gouvernement de Sa Majesté britannique déclare qu'il n'a aucune intention d'annexer à ses territoires les îles Bahreine.

ARTICLE 14.

Le Gouvernement de Sa Majesté britannique s'engage vis-à-vis du Gouvernement Impérial ottoman à veiller à ce que le cheikh de Bahreine ne perçoive pas des sujets ottomans de droits sur la pêche des huîtres perlières d'un taux plus élevé que celui qui sera imposé aux autres intéressés les plus favorisés.

ARTICLE 15.

Les sujets du cheikh de Bahreine seront considérés comme étrangers dans les territoires ottomans et pourront être protégés par les consuls de Sa Majesté britannique. Toutefois, cette protection devra s'exercer en conformité des règles générales du droit international européen, les sujets de Bahreine n'ayant pas le droit de jouir des privilèges accordés par les capitulations aux sujets de certaines Puissances.

IV. — *Golfe Persique.*

ARTICLE 16.

Le Gouvernement de Sa Majesté britannique ayant, aussi bien pour la sauvegarde de ses intérêts spéciaux que dans un but élevé d'humanité, entrepris de tout temps des mesures de police maritime dans les eaux libres du Golfe Persique aussi bien que sur le littoral appartenant aux cheikhs indépendants de la côte au sud d'El-Katr jusqu'à l'Océan Indien, le Gouvernement Impérial ottoman apprécie l'importance de ces efforts déjà séculaires et déclare ne pas s'opposer à ce que le Gouvernement de Sa Majesté britannique exerce comme par le passé dans le Golfe Persique les mesures suivantes :

(a.) Sondages, allumage des phares, mise des bouées, pilotage.
(b.) Police maritime.
(c.) Mesures quarantenaires.

Le Gouvernement Impérial ottoman réserve à cette occasion tous les droits qui lui reviennent comme Puissance territoriale sur les côtes ainsi que sur les eaux territoriales ottomanes.

(الملحق ج - ص ٤)

4

V.—Commission de Délimitation

ARTICLE 17.

Les deux Gouvernements sont d'accord pour nommer, dans le plus bref délai, des commissaires qui auront à appliquer sur le terrain les limites établies par les articles 5, 7 et 10 de cette convention en en dressant un plan détaillé et un procès-verbal explicatif. Le plan et le procès-verbal susmentionnés, une fois dûment dressés et signés par les commissaires respectifs, seront considérés comme partie intégrante de la présente convention.

ARTICLE 18.

La présente con[illegible] sera ratifiée et les instruments de ratification en seront échangés à Londres [illegible] que faire se pourra, et au plus tard dans un délai de trois mois.

En foi de quoi, l[illegible]tentiaires respectifs ont signé la présente convention et y ont apposé leurs cach[illegible]

Fait à Londres, [illegible] original, le 29 Juillet, 1913.

[illegible]

I. Hakki

E. Grey

ANNEXE I.

Agreement of January 23, 1899, with Sh[illegible]

(Translation)

Praise be to God alone (In the name of God Almighty) ("Bism Illah Ta'alah Shanahu")

THE object of writing this lawful and honourable bond is, that it is hereby covenanted and agreed between Lieutenant-Colonel Malcolm John Meade, I.S.C., Her Britannic Majesty's Political Resident, on behalf of the British Government, on the one part, and Sheikh Mubarak-bin-Sheikh Subah, Sheikh of Koweit, on the other part; that the said Sheikh Mubarak bin Sheikh Subah, of his own free will and desire, does hereby pledge and bind himself, his heirs and successors, not to receive the agent or representative of any Power or Government at Koweit, or at any other place within the limits of his territory, without the previous sanction of the British Government; and he further binds himself, his heirs and successors, not to cede, sell, lease, mortgage, or give for occupation or for any other purpose, any portion of his territory to the Government or subjects of any other Power without the previous consent of Her Majesty's Government for these purposes. This engagement also to extend to any portion of the territory of the said Sheikh Mubarak which may now be in possession of the subjects of any other Government.

In token of the conclusion of this lawful and honourable bond, Lieutenant-Colonel Malcolm John Meade, I.S.C., Her Britannic Majesty's Political Resident in the Persian Gulf, and Sheikh Mubarak-bin-Sheikh Subah, the former on behalf of the British

(الملحق د)

السنة الخامسة

العدد ١٣٧٧

EL-ITTIHAD AL-OSMANI

Journal Quotidien Politique, Littéraire, Commercial Industriel et Agricole

Abonnement annuel : 1 Medjidié pour Beyrouth; 1 livre turque pour les Provinces et 25 Frs pour l'Etranger

Propriétaire AHMED H. TABBARA

Rédacteur responsable R. [illegible]

Direction Rue [illegible] Beyrouth

الاتحاد العثماني

١٣٢٦

جريدة سياسية ادبية تجارية صناعية زراعية

قيمة الاشتراك

مجيدية واحدة في بيروت وليرة عثمانية في سائر الولايات و ٢٥ فرنكا خارج الممالك العثمانية

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

المراسلات

باسم صاحبها الاستاذ احمد حسن طبارة
[illegible]

المدير المسؤول : [illegible]

محل الادارة في [illegible]

بيروت ٢٠ الاربعاء في ٣ جمادى الاول سنة ١٣٣١ و ٩ نيسان سنة ١٩١٣ ـ ابريل

منع اجتماع

الجمعية العمومية الاصلاحية في بيروت واقفال ناديها

بلاغ رسمي

بما ان الجمعية التي تشكلت منذ اشهر من وقت من بعض الذوات في بيروت باسم الجمعية العمومية الاصلاحية وهي التي ادعت انها [illegible] نظام الولاية قد كان تشكيلها مغايراً اساساً للقانون العمومي الذي نص عليه قانون الجمعيات فضلاً عن ان بعض المطالب التي اتخذ هؤلاء بالاتفاق بها باسم الاصلاحات هي منافية ايضاً لاحكام القانون الاساسي وبناء عليه تقرر [illegible] منع دوام واجتماع هذه الجمعية

هذا وقد شرع بتطبيق قانون ادارة الولايات الذي نشرته الحكومة السنية وفقاً لقاعدة توسيع المأذونية وتفريق الوظائف التي نصت عليها المادة [illegible] من القانون الاساسي وصدرت ارادة [illegible] حاوياً كل المواد الاساسية التي تتضمنها الاصلاحات المطلوبة لبيروت ولسائر الولايات العثمانية ومتضمناً الاحكام الخصوصية التي تؤمن الاحتياجات المخصوصة لكل ولاية

على انه من الثابت فضلاً [illegible] هذا القانون المخصوص الكافل لجميع الاصلاحات التي تريد الحكومة السنية انفاذها [illegible] انه اذا وجدت بعض الرغائب [illegible] الا ان ذلك [illegible] الحكومة السنية [illegible] مع الاشتراك [illegible] البرلمان الذي سيجتمع قريباً ان شاء الله . وبناء عليه نعلن انه قد منع بموجب القانون اجتماع الجمعية المذكورة التي [illegible] كلياً [illegible] بعد الآن واذا [illegible] القانون [illegible] الاجتماع خلافاً للاصول فتضطر الحكومة لاجراء ما يقتضيه القانون بحقهم من المعاملات

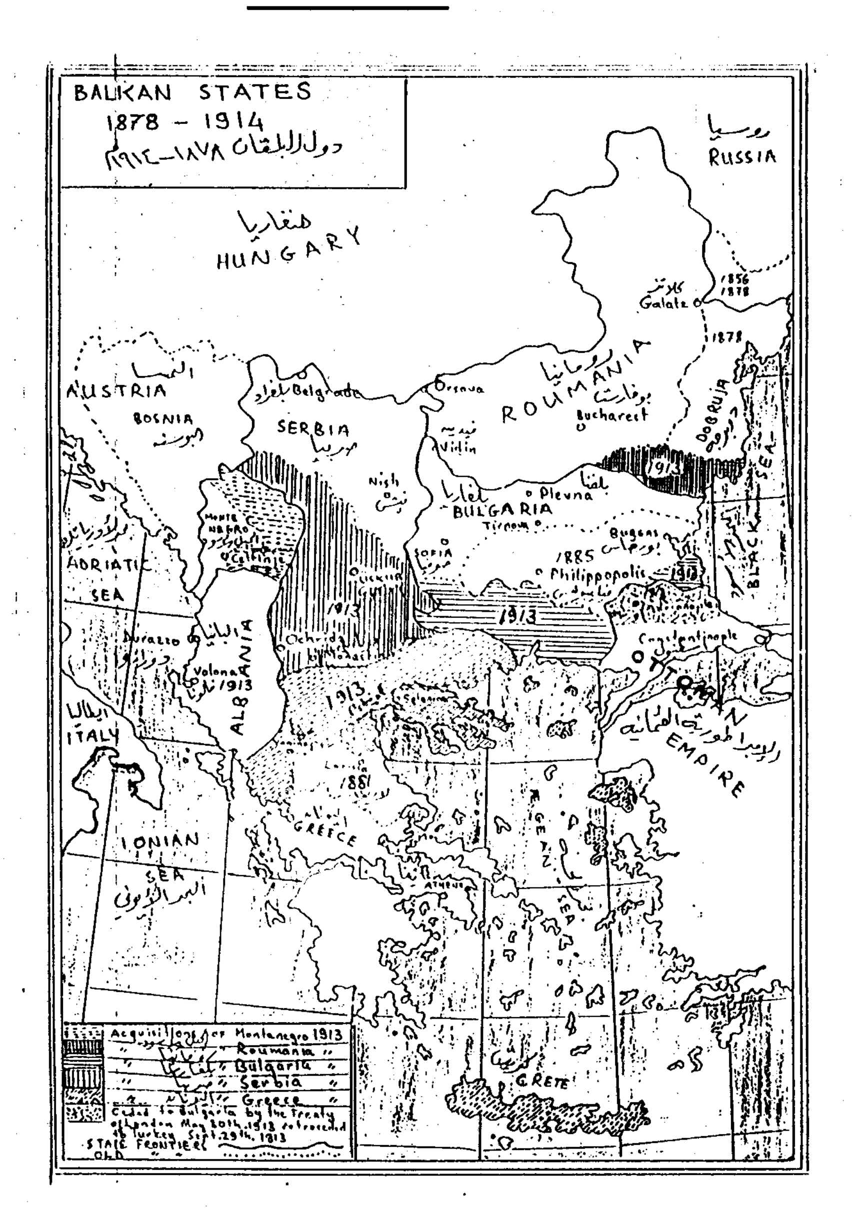
في ٢٦ مارت سنة ٣٢٩ والي بيروت

ابو بكر حازم

دول البلقان من ١٨٧٨ – ١٩١٤ . نقلا عن :

The Eastern Question anhistorical study in European Diplomacy, By , j.A.R. Marriott. P . 432

(الملحق هـ – ص ١)



دول البلقان سنه ١٩١٤ م نقلا عن :

Barbara Jelavich : History of the Balkans, Twentieth sentury .V . 2 P . 107

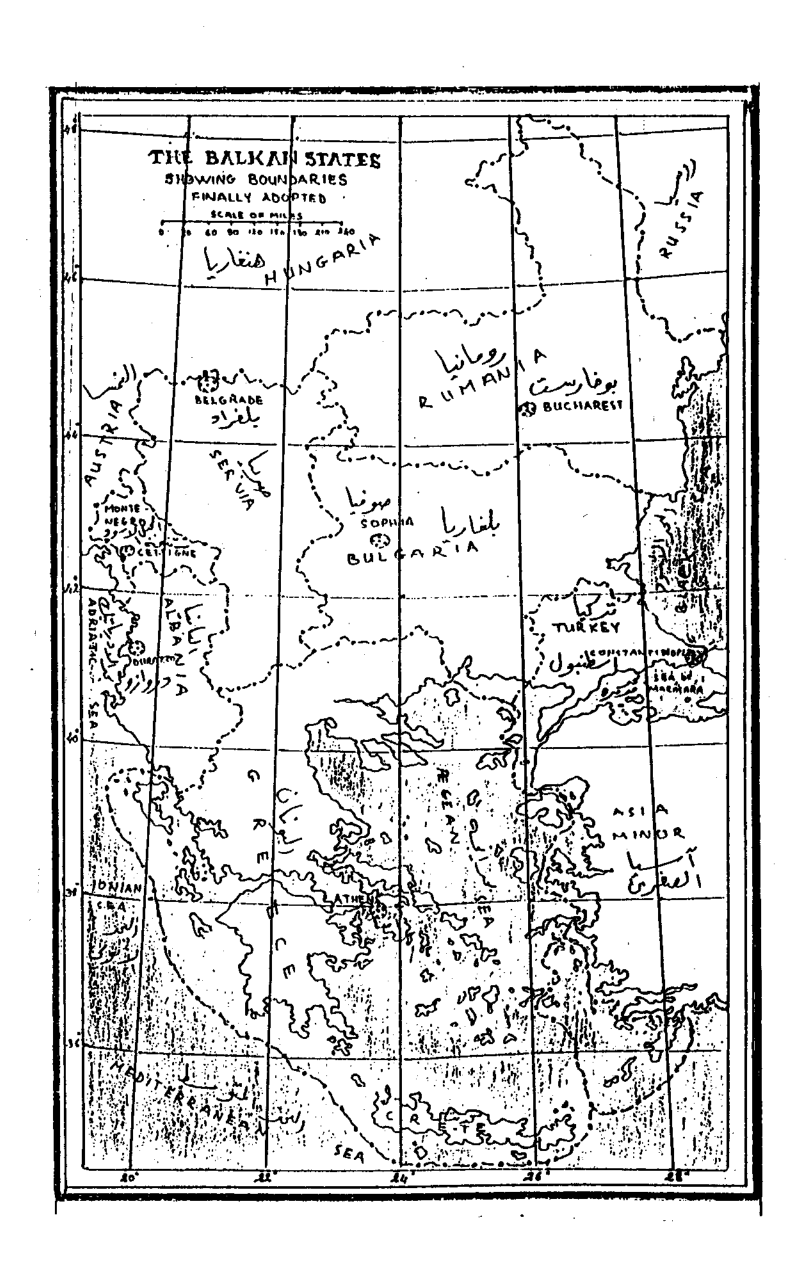
(الملحق هـ - ص ٢)



الحدود المثبته لدول البلقان عام ١٩١٤م نقلا عن :

William . m . sloane : Birtarih laboratuari, Balkanlar,P . 6

(الملحق هـ - ص ٣)



الوثائق ـ المصادر
المراجـــع

Documentes: **أولا : الوثائق :**

أ ـ وثائق لم تنشر من الأرشيف العثماني . استانبول :

(A) Osmanli Arsivi Daire Baskanligi. Yerebatan Cad. Ticarethane sok Sultanahmet. Ist.

(1) Muahede name, Numarasi, 335. dated, 18. 10. 1912.

(2) Muahede name, Numarasi, 333. dated, 30. 5. 1913.

(3) Muahede name, Numarasi, 242/8. dated, 29. 7. 1913.

(4) Muahede name, Constantinople Dated, 29. 9. 1913.

(5) Muahede name, Numarasi, 234. dated, 27. 11. 1913.

ب ـ وثائق لم تنشر من دار السجلات البريطانية : وزارة الخارجية ، لندن .

(B) Public Record offic "Foreign office" F. o --

× آسيا التركية وشبه الجزيرة العربية :

Asiatic Turkey and Arabia:

(1) F. o. 424/222: No 72. Enclosure, in No. 85.

(2) F. o. 424/223: Enclosure, in No. 33.

(3) F. o. 424/225: No. 129.

(4) F. o. 424/226: No. 32. No. 57. No. 86. No. 144.

(5) F. o. 424/229: No.13. No. 152.

(6) F. o. 424/231: No. 25. No.160.

(7) F. o. 424/232: No. 153.

(8) F. o. 424/237: Enclosure, in No. 20. No. 121.

(9) F. o. 424/238: No. 313. No. 314.

Enclosure, in No.314. No. 315.

Enclosure, in No. 315. No. 335.

Enclosure, 1 in No. 359.

Enclosure, 1 in No. 429.

Enclosure, in No. 458.

F. o. 424/238:

Enclosure, 2 in No. 458.

Enclosure, 3 in No. No. 458.

(10) F. o. 424/239: No. 15. No. 16. No. 25. No. 26.

Enclosure, in No. 54. No. 83.

Enclosure, in No. 83. No. 84.

Enclosure, 1, in No. 109.

Enclosure, 2, in No. 109.

Enclosure, 3, in No. 109. No. 164.

الحرب التركية « في شبه جزيرة البلقان » :

Turkish War:

(11) F. o. 424/234: No. 147. No. 164. No. 221. No. 222. No. 223. No. 340.

F. o. 424/234: No. 343. No. 344. No. 447. No. 485. No. 488. No. 582. No. 585. No. 872.

(12) F. o. 424/235: No. 127. No. 129. No. 151. No. 332. No. 333. No. 362. No. 452. No. 575. No. 577. No. 754. No. 756. No. 814. No.815.

(13) F. o. 424/236: No. 67. No. 68.

F. o. 424/236: No. 72. No. 182. No. 249.

Enclosure, in No. 249.

(14) F. o. 424/241: No. 447.

(15) F. o. 424/242: No. 20. No. 21. No. 204. No. 205. No. 206. No. 253.

Enclosure, in No. 253.

(16) F. o. 424/243: No. 3.

(17) F. o. 424/244: No. 14. No. 15. No. 206. No. 260.

(18) F. o. 424/245: No. 184. No. 313.

F. o. 424/245: No. 364. No. 378.

(19) F. o. 424/246: No. 286. No. 345. No. 346. No. 353.

(20) F. o. 424/247: No. 33. No. 34. No. 390. No.460. No. 597. No. 599. No. 244. No. 245. No. 246.

(21) F. o. 424/248: No. 124. No. 135. No. 136. No. 218. No. 219.

F. o. 424/248: No. 264. No. 302. No. 312.

Enclosure, in No. 312. No.414.

(22) F. o. 424/250: Annual Report, 1910, No. 103, dated, 14. 2. 1911. Annual Report, 1911, No. 100. dated, 31. 1. 1912. Annual Report, 1912, No. 315. dated, 17. 4. 1913. Annual Report, 1913, dated, 14. 12. 1914.

ثانيا : المصادر العربية والمعربة :

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ أمين الريحاني : ملوك العرب ـ الجزء الثاني ـ دار الريحاني للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٦٧م .

٣ ـ أمين الريحاني : نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها . ط٥ ، ١٩٨١م ، منشورات الفاخرية بالرياض ودار الكاتب العربي بيروت .

٤ ـ أمين الريحاني : تاريخ نجد الحديث وسيرة عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها . ط١ ، ١٩٨٠م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .

٥ ـ سليمان فيضي : في غمرة النضال « مذكرات سليمان فيضي » بغداد ، ١٩٥٢م ، شركة التجارة والطباعة .

٦ ـ عبد الرحمن الكواكبي : أم القرى ط١٩٥٩م ، حلب ، المطبعة العصرية .

٧ ـ عبد الله بن الحسين : الأمالي السياسية . عمان ، ١٩٣٩م .

٨ ـ عبد الله بن الحسين : مذكراتي ، مطبعة بيت المقدس ، القدس ، ب . ت . ن .

٩ ـ محمد جميل بيهم : قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور ـ جزئين في مجلدين ـ ج١ ، ط١ سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م ، ج٢ ، ط١ سنة ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م ، مطابع دار الكشاف ، بيروت .

١٠ ـ محمد عزة دروزة : نشأة الحركة العربية الحديثة . ط٢ ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م ، المكتبة العصرية ، بيروت .

١١ ـ محـمـد كـرد علي : خطط الشـام ـ سـتـة أجـزاء في ثلاثة مـجلدات ـ ط٢ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، مكتبة النوري دمشق .

١٢ ـ مذكرات السلطان عبد الحميد ، تعريب وتحقيق وتعليق محمد حرب عبد الحميد . ط٢ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، دار الوثائق السالمية الكويت .

١٣ ـ مذكرات سليم علي سلام « ١٨٦٨ ـ ١٩٣٨م » ، حققها وعلق على هوامشها حسان علي حلاق . الدار الجامعية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

١٤ ـ مذكرات سفير أمريكا في الأستانة المستر هنري مورغنتو تعريب فؤاد صروف . منشورات مكتبة العرب بالفجالة ، القاهرة ، ١٩٢٣م .

١٥ ـ مذكرات لورد غراى وتبعة الحرب العالمية الكبرى « ١٨٩٢ ـ ١٩١٦م » ، تعريب علي أحمد شكرى . المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م .

١٦ ـ مصطفى الشهابى : القومية العربية ـ تاريخها وقوامها ومراميها ـ ط٢ ، ١٩٦١م معهد الدراسات العربية العالية القاهرة .

١٧ ـ مؤلف مجهول : ثورة العرب ضد الأتراك ـ مقدماتها ـ أسبابها ـ نتائجها ـ ، تحقيق وتقديم عصام محمد شبارو منشورات دار مصباح الفكر ، بيروت ، ط١٩٨٧م .

١٨ ـ نجيب عـازورى : يقظة الأمـة العربية ، تعريب وتقديم أحمد أبو ملحم المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ب . ت . ن .

ثالثاً : الرسائل العلمية التي لم تنشر :

١ ـ ايمان محمد عبد المنعم عامر : سياسة بريطانيا فى الخليج العربى ١٩١٤ ـ ١٩٣٩م . رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٤م .

٢ ـ بدر الدين عباس الخصوصي : التنافس الدولى حول الكويت في الفترة مابين ١٨٩٩ ـ ١٩٤٥م . رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٦م .

٣ ـ حسين هادى الشلاه : السيد طالب النقيب ودوره في تاريخ العراق الحديث رساله ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٠م .

٤ ـ خالد حمود السعدون : الأوضاع القبلية في ولاية البصرة العثمانية ١٣٢٦ ـ ١٣٣٧هـ/١٩٠٨ ـ ١٩١٨م . رسالة دكتوراه ، كلية الشريعة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٥هـ .

٥ ـ سعيد خليل هاشم : تاريخ البحرين من الحماية إلى الاستقلال من ١٨٦١ ـ ١٩٧١م . رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٤م .

٦ ـ فوزى أسعد نقيطى : العلاقات السعودية ـ البريطانية ١٩٠١ ـ ١٩٤٦م . رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٢م .

٧ ـ منيرة عبد الله عبد الرحمن العرينان : علاقات نجد بالقوى المحيطة ١٣١٩ ـ ١٣٣٢هـ/١٩٠٢ ـ ١٩١٤م . رسالة دكتوراه ، كلية الشريعة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٧هـ .

رابعاً : المراجـع العربيـة :

١ ـ ابراهيم أحمد العدوى : قادة التحرير العربى في العصر الحديث ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م .

٢ ـ ابراهيم أحـمـد العـدوى : مـصـر والشـرق العـربى درع الاسـلام ، مكتـبـة الانجلو المصرية ، ١٩٨٥م .

٣ ـ ابراهيم خليل أحـمد : تاريخ الوطن العربى في العـهـد العثـمـانى ١٥١٦ ـ ١٩١٦م . منشورات جامعة الموصل ـ ب . ت . ن .

٤ ـ ابراهيم عبده : انسان الجزيرة ـ عرض جديد لسيرة الملك عبد العزيز آل سعود . منشورات مكتبة الآداب ، الجماميز ، القاهرة ١٩٥٤م .

٥ ـ أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ـ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين ـ ط٣ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، مطابع البادية ـ الرياض .

٦ ـ أحـمـد السـامرائى : القواسـم والخليـج العربى وعربستان ط١ ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، ب . م . ن .

٧ ـ أحـمـد السـقاف : في العروبـة والقـومـيـة ط١ ، ١٩٨٣م ، شـركـة الربيـعـان للنشـر ، الكويت .

٨ ـ أحمد شوقى : الشـوقيـات ٤ أجزاء في مـجلــدين ، دار الكتـاب العـربى ، بيـروت ب . ت . ن .

٩ ـ أحـمـد عبد الرحيم مصطفى : فى أصـول التـاريخ العثـمـانى ط١ ، ١٤٠٢/١٩٨٢م ، منشورات دار الشروق ـ بيروت والقاهرة .

١٠ ـ أحـمـد عبـد الغفور عطار : صـقر الجـزيرة ـ الجـزء الأول ـ طبع شـركـة استـاندارد للطباعة ، شارع ابراهيم باشا ، مصر ، ب . ت . ن .

١١ ـ أحمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العرب الحديث دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٠م .

١٢ ـ أحمد عسه : معجزة فوق الرمال ط٣ ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م ـ ب . م . ن .

١٣ ـ أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت الحديث ١٧٥٠ ـ ١٩٦٥م . ط١ ، ١٩٨٤م ، طباعة ونشر ذات السلاسل ، الكويت .

١٤ ـ أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ـ جزئين فى مجلد واحد ـ مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ـ الرياض ـ رقم ٩ ـ ب . ت . ن .

١٥ ـ أمين سعيد : الخليج العربى في تاريخه السياسى ونهضته الحديثة دار الكتاب العربى ، بيروت ، ب . ت . ن .

١٦ ـ أمين شاكر وآخرون : تركيا والسياسة العربية من خلفاء آل عثمان الى خلفاء اتاتورك ، منشورات دار المعارف بمصر ، ب . ت . ن .

١٧ ـ أورخان محمد على : السلطان عبد الحميد الثانى حياته وأحداث عهده دار الوثائق بالكويت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

١٨ ـ توفيق علي برو : العرب والترك في العهد الدستورى العثمانى ١٩٠٨ ـ ١٩١٤م معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٦٠ م .

١٩ ـ جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ب . ت . ن .

٢٠ ـ جمال زكريا قاسم : الخليج العربى ـ دراسة لتاريخ الامارات العربية ـ ١٩١٤ ـ ١٩٤٥م . ط١ ، ١٩٧٣م ، دار الفكر العربى ، القاهرة .

٢١ ـ جمال زكريا قاسم : دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠ ـ ١٩١٤م . ط٢ ، ١٩٧٤م ، دار البحوث العلمية ، الكويت .

٢٢ ـ جلال يحيى : العالم العربى الحديث ـ المدخل ـ دار المعارف بمصر ، ١٩٨٥م .

٢٣ ـ جلال يحيى : المغرب العربى الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فرع الاسكندرية ، ١٩٨٢م .

٢٤ ـ جلال يحيى : المغرب العربى الحديث والمعاصر ـ الفجر واحتلال فرنسا للجزائر . الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ فرع الاسكندرية ، ١٩٨٣م .

٢٥ ـ حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ط٤ ، ١٩٦١م ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

٢٦ ـ حافظ وهبه : خمسون عاما في جزيرة العرب ط١ ، ١٣٨٠/١٩٦٠م منشورات مصطفى البابى الحلبى وأولاده القاهرة .

٢٧ ـ حسان حلاق : بيروت المحروسة في العهد العثمانى ، منشورات الدار الجامعية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

٢٨ ـ حسن على الابراهيم ، الكويت ـ دراسة سياسية ـ ط٣ ، ١٩٨٠م ، منشورات مؤسسة دار العلوم ، الكويت .

٢٩ ـ خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ـ ٤ أجزاء في ٣ مجلدات ـ ط٢ ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، دار العلم للملايين ، بيروت .

٣٠ ـ خير الدين الزركلى : الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ط٣ ، يناير ١٩٧٧م ، دار العلم للملايين ، بيروت .

٣١ ـ خير الدين الزركلى : الاعلام ـ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ـ ط٧ ، ١٩٨٦ ، دار العلم للملايين ، بيروت .

٣٢ ـ خيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨ ـ ١٩٢٠م ط٢ ، ١٩٨٢م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .

٣٣ ـ رأفت الشيخ : فى تاريخ العرب الحديث ط٣ ، ١٩٨٠م ، دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة .

٣٤ ـ زكى صالح : مجمل تاريخ العراق الدولى في العهد العثمانى معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٦٦م .

٣٥ ـ زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ـمع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية ط٣ ، ١٩٧٩م ، دار النهار للنشر ، بيروت .

٣٦ ـ زين نور الدين زين : الصراع الدولى في الشرق الأوسط وولادة دولتى سوريا ولبنان ط٢ ، ١٩٧٧م ، دار النهار للنشر ، بيروت .

٣٧ ـ ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية . معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٥٧م .

٣٨ ـ ساطع الحصرى : محاضرات في نشوء الفكرة القومية ط٢ ، يوليو ١٩٨٥م منشورات مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت .

٣٩ ـ ساطع الحصرى : آراء وأحاديث في الوطنية والقومية منشورات مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، نوفمبر ١٩٨٤م .

٤٠ ـ محمد عمارة العلمانية ونهضتها الحديثة ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٦م .

٤١ ـ سيد مصطفى سالم : تكوين اليمن الحديث ـ اليمن والامام يحيى ١٩٠٤ ـ ١٩٤٨م ط٣ ، ١٩٨٤م ، مكتبة مدبولى بالقاهرة .

٤٢ ـ سيد نوفل : الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربى وجنوب الجزيرة ـ الكتاب الثانى ـ ط٢ ، ١٩٧٢م ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة .

٤٣ ـ سيف مرزوق الشملان : من تاريخ الكويت ط٢ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت .

٤٤ ـ صالح محمد العجيرى : تقويم القرون لمقابلة التواريخ الهجرية والميلادية ـ ط٢ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت .

٤٥ ـ صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ـ جزئين في مجلدين ـ ط١ ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

٤٦ ـ صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربى مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٣م ، القاهرة .

٤٧ ـ الطاهر أحمد الزاوى الطرابلسي : جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٠م ، مطبعة الفجالة الجديدة ، مصر .

٤٨ ـ عابدين حماده : تاريخ الشرق والغرب ط٣ ، ١٩٥٧م ، المطبعة الجديدة دمشق .

٤٩ ـ عبد الحميد البطريق : التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥ ـ ١٩٦٠م . دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤م .

٥٠ ـ عبد الرحمن البزاز : العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٥٤م .

٥١ ـ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ط٣ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، منشورات دار المتنبى ـ الدوحة ـ قطر .

٥٢ ـ عبد الرزاق أحمد النصيرى : نورى السعيد ودوره فى السياسة العراقية حتى عام ١٩٣٢م . ط٢ ، ١٩٨٨م ، مكتبة اليقظة العربية ، بغداد ـ العراق .

٥٣ ـ عبد العزيز بن باز : نقد القومية العربية على ضوء الاسلام والواقع . ط٤ ، ١٤٠٠هـ ، منشورات المكتب الاسلامى ، بيروت .

٥٤ ـ عبد العزيز رفاعى ، عبد العال ابراهيم : دراسات فى الشرق الأوسط ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ب . ت . ن .

٥٥ ـ عبد العزيز سليمان نوار : مصر والعراق ـ دراسة في تاريخ العلاقات بينهما حتى نشوب الحرب العالمية الأولى ـ مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

٥٦ ـ عبد العزيز سليمان نوار : تاريخ العرب المعاصر ـ مصر والعراق ـ دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٣م .

٥٧ ـ عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الاسلامية ـ الأتراك العثمانيون ، الفرس ، مسلمو الهند . دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٣م .

٥٨ ـ عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم : السلام البريطانى في الخليج العربى ١٨٩٩ ـ ١٩٤٧م ـ دراسة وثائقية ، ط١ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م ، منشورات دار المريخ بالرياض .

٥٩ ـ عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ـ دراسة وثائقية ـ مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ـ الرياض ـ ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٦٠ ـ عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربى ١٢٧٥ ـ ١٣٣٣هـ/١٨٥٨ ـ ١٩١٤م ـ دراسة وثائقية ـ مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

٦١ ـ عبد العزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ـ ثلاثة أجزاء فى ثلاثة مجلدات ـ مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ١٩٨٣م .

٦٢ ـ عبد العزيز محمد عوض : الادارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤ ـ ١٩١٤م دار المعارف ، بمصر ، ١٩٦٩م .

٦٣ ـ عبد العزيز محمد المنصور : التطور السياسى لقطر في الفترة مابين ١٨٦٨ ـ ١٩١٦م . ط٢ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت .

٦٤ ـ عبد العزيز محمد المنصور : الكويت وعلاقتها بعربستان والبصرة ١٨٩٦ ـ ١٩١٥م . ط٢ ، ١٩٨٠م ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت .

٦٥ ـ عبد الكريم رافق : العرب والعثمانيون ١٥١٦ ـ ١٩١٦م . ط١ ، ١٩٧٤م ، مكتبة أطلس دمشق .

٦٦ ـ عبد الكريم محمود غرايبة : تاريخ العرب الحديث منشورات الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٤م .

٦٧ ـ عبد المنصف حافظ البورى : الغزو الايطالى لليبيا ـ دراسة في تاريخ العلاقات الدولية . ط١ ، ١٩٨٦م ، منشورات شركة كاظمة للنشر ، الكويت .

٦٨ ـ عبد المنعم الغلامى : الملك الراشد ـ جلالة المغفور له عبد العزيز آل سعود ـ ط٢ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، منشورات دار اللواء ، الرياض .

٦٩ ـ عبد الواسع بن يحيي الواسعى : تاريخ اليمن « المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث تاريخ اليمن » الدار اليمنية للنشر ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م .

٧٠ ـ على حسون : تاريخ الدولة العثمانية . ط١ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، المكتب الاسلامى ، دمشق .

٧١ ـ على حسون : العثمانيون والروس ط١ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، المكتب الاسلامى ، بيروت ـ دمشق .

٧٢ ـ على حسون : العثمانيون والبلقان ط٢ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، المكتب الاسلامى ـ بيروت ـ دمشق .

٧٣ ـ على حسنى الخربوطلي : القومية العربية من الفجر إلى الظهر ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ب . ت . ن .

٧٤ ـ عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربى ١٥١٦ ـ ١٩٢٢م . دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، بيروت .

٧٥ ـ عمر عبد العزيز عمر : دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ـ مصر ١٥١٧ـ ١٩٥٢م ، القضية الفلسطينية ـ دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠م .

٧٦ ـ فاروق عثمان أباظة : الحكم العثمانى في اليمن ١٨٧٢ ـ ١٩١٨م . ط٢ ، ١٩٧٩م ، دار العودة بيروت .

٧٧ ـ فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩ ـ ١٩١٨م الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦م .

٧٨ ـ فاروق عثمان أباظة : مستقبل الجانب الشرقى من الدولة العثمانية في نظر حكومة الهند البريطانية في بداية الحرب العالمية الأولى ، مطبوعات دار المعارف بمصر ، ١٩٨٦م .

٧٩ ـ فتوح عبد المحسن الخترش وعبد العزيز محمد المنصور : مصادر تاريخ قطر ١٨٦٨ ـ ١٩١٦م ، ط٢ ، ١٩٨٤م ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت .

٨٠ ـ فتوح الخترش وعبد العزيز المنصور : نشوء قطر وتطورها ـ دارسة تاريخية ـ ط١ ، ١٩٧٧م ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت .

٨١ ـ فتوح عبد المحسن الخترش : تاريخ العلاقات السياسية البريطانية الكويتية ١٨٩٠ ـ ١٩٢١م ط٢ ، ١٩٨٤م ، منشورات ذات السلاسل الكويت .

٨٢ ـ فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ط٢ ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، منشورات مكتبة النصر الحديثة ، الرياض .

٨٣ ـ فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربى ١٨٥٣ ـ ١٩١٤م ط١ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت .

٨٤ ـ قدرى قلعجى : الخليج العربى ، دار الكاتب العربى ، بيروت ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

٨٥ ـ محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ١٥١٤ ـ ١٩١٤م . مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ب . ت . ن .

٨٦ ـ محمد أسعد طلس : تاريخ العرب ، ط٣ ، ١٩٨٣م ، دار الأندلس ، بيروت .

٨٧ ـ محمد الخير عبد القادر : نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية ـ دراسة للقضية العربية فى خمسين عاما ١٨٧٥ ـ ١٩٢٥م . ط١ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، منشورات مكتبة وهبة ، القاهرة .

٨٨ ـ محمد جلال كشك : السعوديون والحل الاسلامى ـ مصدر الشرعية للنظام السعودى ـ ط٤ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، المطبعة الفنية بالقاهرة .

٨٩ ـ محمد خليفة بن حمد النبهانى الطائى : التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ط١ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، دار احياء العلوم ، بيروت ، المكتبة الوطنية البحرين .

٩٠ ـ محمد رفعت : تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

٩١ ـ محمد رفعت : التوجيه السياسى للفكرة العربية الحديثة ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

٩٢ ـ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس في العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية على ماهى عليه اليوم ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦١م .

٩٣ ـ محمد عبد الرحمن برج : دراسة في التاريخ العربى الحديث والمعاصر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

٩٤ ـ محمد عبد الكريم الوافى ـ الطريق إلى لوزان ـ الخفايا الدبلوماسية والعسكرية للغزو الايطالي لليبيا ـ ط١ ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، دار الفرجاني ، طرابلس ، ليبيا .

٩٥ ـ محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر الأنصارى الأحسائى : تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد ط٢ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م مكتبة المعارف بالرياض .

٩٦ ـ محمد عرابى نخلة : تاريخ الأحساء السياسى ١٨١٨ ـ ١٩١٣م ، منشورات ذات السلاسل ـ الكويت ، ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م .

٩٧ ـ محمد عصمت شيخو : سورية وقضية فلسطين ١٩٢٠ ـ ١٩٤٩م ، ط١ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، دار قتيبة ، دمشق .

٩٨ ـ محمد عمارة : العروبة في العصر الحديث ، دار الوحدة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م .

٩٩ ـ محمد عمر : يهود الدنمة ، مؤسسة الدراسات التاريخية ، ماليزيا ، ب . ت . ن .

١٠٠ ـ محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق احسان حقى . ط٢ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، دار النفائس ، بيروت .

١٠١ ـ محمد فؤاد شكرى : ميلاد دولة ليبيا الحديثة ـ وثائق تحريرها واستقلالها ـ مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

١٠٢ ـ محمد قاسم وأحمد نجيب هاشم : التاريخ الحديث والمعاصر ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ب . ت . ن .

١٠٣ ـ محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، منشورات دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٦م .

١٠٤ ـ محمود حسن صالح منسى : الحملة الايطالية على ليبيا ـ دراسة وثائقية في استراتيجية الاستعمار والعلاقات الدولية ـ دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

١٠٥ ـ محمود الشرقاوى : جنوب الجزيرة العربية مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٩م .

١٠٦ ـ محمود صالح منسى : حركة اليقضة العربية في الشرق الآسيوى ، نشر وطبع دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

١٠٧ ـ محيى الدين القابسى : المصحف والسيف « مجموعة من خطابات وكلمات وأحاديث ومذكرات الملك عبد العزيز آل سعود » . ط٢ ، ب . ت . ن ـ ، دار الناصر للنشر ، الرياض .

١٠٨ـ مديحة أحمد درويش : تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ط٢ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، منشورات دار الشروق بجدة .

١٠٩ ـ مصطفى عبد القادر النجار : امارة المحمرة ـ دراسة لتاريخها العربى ١٨١٢ ـ ١٩٢٥م . وزارة الثقافة والاعلام ـ العراق ، ١٩٨١م .

١١٠ ـ مصطفى عبد القادر النجار : التاريخ السياسى لامارة عربستان العربية ١٨٩٧ ـ ١٩٢٥م ، دار المعارف بمصر . ١٩٧٠م .

١١١ ـ مصطفى النجار وآخرون : تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر ، مطبوعات جامعة البصرة ، ١٩٨٤م .

١١٢ ـ مكى الطيب شبيكة : العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى ، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

١١٣ ـ موضى بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود : الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت ١٣٤٢هـ/١٩٢٣ ـ ١٩٢٤م . ط١ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، منشورات تهامة ، جدة .

١١٤ ـ موفق بنى المرجة : صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثانى والخلافة الاسلامية ، منشورات مؤسسة صقر الخليج ، الكويت ، ١٩٨٤م .

١١٥ ـ نبيل عبد الحي رضوان : الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السـويس ١٢٨٦ ـ ١٣٢٦هـ/١٨٦٩ ـ ١٩٠٨م ، ط١ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، منشورات تهامة ، جدة .

١١٦ ـ نجيب صالح : تاريخ العرب السياسي ١٨٥٦ ـ ١٩٥٦م ط١ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م ، منشورات دار اقرأ ، بيروت .

١١٧ ـ وجيه كوثراني : بلاد الشام ـ السكان ، الاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين ـ قراءة في الوثائق ، ط٢ ، ١٩٨٤م ، معهد الانماء العربي ، بيروت .

١١٨ ـ وجيه كوثراني : السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام ، ط١ ، ١٩٨٨م ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت .

١١٩ ـ وميض جمال عمر نظمي : ثورة ١٩٢٠ ـ الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق ـ ط٢ ، ١٩٨٥م ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ـ بغداد .

١٢٠ ـ يوسف ـ ف ـ البستاني : تاريخ حرب البلقان الأولى بين الدولة العلية والاتحاد البلقاني المؤلف من البلغار والصرب واليونان والجبل الأسود ، مطبعة الهلال بالفجالة ، مصر ، أكتوبر ١٩١٣م .

خامسا : المراجع الأجنبية المعربة :

١ ـ أرنست ـ أ ـ رامزور : تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨م ترجمة صالح أحمد العلى ، وتقديم ومراجعة نقولا زيادة ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٠م .

٢ ـ ادوار عطية : العرب ، ترجمة محمد قنديل البقلى ، مراجعة محمد مأمون نجا ، ط١ ، ١٩٦١م الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة .

٣ ـ برنارد لويس : الغرب والشرق الأوسط ، ترجمة نبيل صبحى ، كتاب المختار ، القاهرة .

٤ ـ بنواميشان : عبد العزيز آل سعود ـ سيرة بطل ومولد مملكة ـ ترجمة عبد الفتاح ياسين ، دار الكاتب العربى ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

٥ ـ بييررنوفان : تاريخ العلاقات الدولية ـ القرن التاسع عشر ١٨١٥ ـ ١٩١٤م ـ ترجمة جلال يحيى ، منشورات دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٨٠م .

٦ ـ بييررونوفن : تاريخ القرن العشرين ، ترجمة نور الدين حاطوم ط٢ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، دار الفكر القاهرة .

٧ ـ جورج انطونيوس : يقظة العرب ـ تاريخ حركة العرب القومية ـ ترجمة ناصر الدين الأسد واحسان عباس ، وقدم له نبيه أمين فارس ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٦٩م .

٨ ـ جى ـ بى ـ كيلى : الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، ترجمة وتعليق خيرى حماد ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧١م .

٩ ـ زينائيدا ـ بافلوفنا ـ ياخيموفتش : الحرب التركية ـ الايطالية ١٩١١ ـ ١٩١٢م . ترجمة هاشم صالح التكريتى ط١ ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م بيروت ، منشورات الجامعة الليبية كلية الآداب والتربية .

١٠ ـ سنت جون فيلبى : تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ السلفية ـ ترجمة عمر الديراوي ، منشورات المكتبة الأهلية ، بيروت ، ب . ت . ن .

١١ ـ فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال اليازجى ، مراجعة جبرائيل جبور ، منشورات دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٩م .

١٢ ـ فيليب حتى وآخرون : تاريخ العرب ط٧ ، ١٩٨٦م ، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

١٣ ـ كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ، منير البعلبكى ، ط٩ ، ١٩٨١م ، دار العلم للملايين ، بيروت .

١٤ ـ لوتسكى : تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ترجمة عفيفة البستانى ومراجعة يورى روشين ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧١م .

١٥ ـ مارى ملز باتريك : سلاطين بنى عثمان ـ صفحات من تاريخ تركيا الاجتماعي والسياسي والاسلامى ـ ط١ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م ، دار الحضارة للطباعة والنشر ، بيروت .

١٦ ـ مجيد خدورى : الاتجاهات السياسية في العالم العربى ط١ ، ١٩٧٢م الدار المتحدة للنشر ، بيروت .

١٧ ـ محمد المانع : توحيد المملكة العربية السعودية ، ترجمة عبدالله الصالح العثيمين ط١ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م مطابع المطوع ـ الدمام .

١٨ ـ نجلاء عز الدين : العالم العربى ، ترجمة محمد عوض ابراهيم وآخرون ، وتقديم وليم آرنست هوكنج ، ط٢ ، ١٩٦٢م ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة .

١٩ ـ هارولد تمبرلى ـ و ـ أ ـ ج ـ جرانت : أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩ ـ ١٩٥٠م ترجمة محمد على أبو درة ، ولويس اسكندر ، وراجعه أحمد عزت عبد العزيز الناشر مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

٢٠ ـ هارولد . ف . يعقوب . ك . س . أى : ملوك شبه الجزيرة العربية ، ترجمة أحمد الضواحى دار العودة ، بيروت ١٩٨٣م .

٢١ ـ هـ . ج . ولز : معالم تاريخ الانسانية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، المجلد الرابع ـ فى التاريخ الحديث ١٦٠٠ ـ ١٩٦٥م ، ط٢ ، ١٩٦٥م ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .

سادسا : المقالات والابحاث العلمية :

١ ـ أحمد طربين : الملك عبد العزيز والوحدة العربية بحث مقدم للمؤتمر العالمى عن تاريخ الملك عبد العزيز المنعقد بالرياض في الفترة من ١٩ ـ ٢٣ ربيع الأول سنة ١٤٠٦هـ . مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ـ الرياض .

٢ ـ أحمد الشيبانى : حصاد حقبة من تاريخ ، جريدة الرياض ، عدد ٧٤٣٤ في ٢٠ ربيع الأول سنة ١٤٠٩هـ .

٣ ـ البراور طايلى : انفصال الولايات العربية الشرقية عن الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر والسياسة العثمانية في هذا العصر . المجلة التاريخية المغربية ، تونس ، السنة العاشرة عدد ٣١ ـ ٣٢ ، ديسمبر ١٩٨٣م .

٤ ـ تركى بن محمد بن سعود الكبير : علاقة بريطانيا بالملك عبد العزيز آل سعود ١٩٠٢ ـ ١٩٢٥م . بحث مقدم للمؤتمر العالمى عن تاريخ الملك عبد العزيز ، المنعقد بالرياض في الفترة من ١٩ ـ ٢٣ ربيع الأول سنة ١٤٠٦هـ . مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الرياض .

٥ ـ جمال زكريا قاسم : موقف الكويت من التوسع السعودى في نجد وسواحل الاحساء ، المجلة التأريخية المصرية ، المجلد السابع عشر ، ١٩٧٠م .

٦ ـ جمال زكريا قاسم : النزاع البريطانى العثمانى في الخليج العربى قبل نشوب الحرب العالمية الأولى . المجلة التاريخية المغربية ، تونس ، السنة العاشرة ، عدد ٢٩ ـ ٣٠ ، يوليو ١٩٨٣م .

٧ ـ رأفت غنيمى الشيخ : امارة قطر قبيل الحرب العالمية الأولى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السابع والعشرون ، ١٩٨١م .

٨ ـ سليمان شفيق كمال باشا : بلاد العرب في مذكراته ، مجلة العرب ، الجزء التاسع ، السنة الخامسة ربيع الأول سنة ١٣٩١هـ . دار اليمامة للنشر بالرياض .

٩ ـ فؤاد المرسى خاطر : الصراع الروسى ـ العثمانى وأثره في الوطن العربى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلدان ٢٨ ، ٢٩ ، سنة ١٩٨١ ـ ١٩٨٢م .

١٠ ـ لسلوناجي : صدى الحرب الايطالية ـ التركية بطرابلس الغرب في الصحافة المجرية ، المجلة التاريخية المغربية ، تونس ، السنة الثامنة ، عدد ٢٣ ـ ٢٤ ، نوفمبر سنة ١٩٨١م .

١١ ـ محمد عبد اللطيف البحراوى : من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم . مجلة دارة الملك عبد العزيز ـ الرياض ، العدد الرابع ، السنة الثالثة عشرة ، رجب سنة ١٤٠٨هـ .

١٢ ـ مصطفى الشهابى : من ذكريات الحركة القومية العربية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السادس١٩٥٧م .

١٣ ـ مصطفى كريم : مسألة غزو ايطاليا الاستعمارى لليبيا ، المجلة التاريخية المغربية ـ تونس . العدد السادس ـ يوليو ١٩٧٦م .

سابعاً : الدوريات « المجلات والصحف » :

(أ) مجلة المنار « القاهرة » :

١ ـ الجزء ١٠ من المجلد ١٤ شوال ١٣٢٩هـ/ اكتوبر ١٩١١م .

٢ ـ الجزء ١١ من المجلد ١٤ ذى القعدة ١٣٢٩هـ/ نوفمبر ١٩١١م .

٣ ـ الجزء ١٢ من المجلد ١٤ ذى الحجة ١٣٢٩هـ/ ديسمبر ١٩١١م .

٤ ـ الجزء ١ من المجلد ١٥ محرم ١٣٣٠هـ/ يناير ١٩١٢م .

٥ ـ الجزء ٢ من المجلد ١٥ صفر ١٣٣٠هـ/ فبراير ١٩١٢م .

٦ ـ الجزء ٣ من المجلد ١٥ ربيع أول ١٣٣٠هـ/ مارس ١٩١٢م .

٧ ـ الجزء ٦ من المجلد ١٥ جمادى الآخرة ١٣٣٠هـ/ يونيو ١٩١٢م .

٨ ـ الجزء ٨ من المجلد ١٥ شعبان ١٣٣٠هـ/ أغسطس ١٩١٢م .

٩ ـ الجزء ١١ من المجلد ١٥ ذى القعدة ١٣٣٠هـ/ نوفمبر ١٩١٢م .

١٠ ـ الجزء ١٢ من المجلد ١٥ ذى الحجة ١٣٣٠هـ/ ديسمبر ١٩١٢م .

١١ ـ الجزء ١ من المجلد ١٦ محرم ١٣٣١هـ/ يناير ١٩١٣م .

١٢ ـ الجزء ٢ من المجلد ١٦ صفر ١٣٣١هـ/ فبراير ١٩١٣م .

١٣ ـ الجزء ٣ من المجلد ١٦ ربيع الأول ١٣٣١هـ/ مارس ١٩١٣م .

١٤ ـ الجزء ٤ من المجلد ١٦ ربيع الآخر ١٣٣١هـ/ ابريل ١٩١٣م .

١٥ ـ الجزء ٥ من المجلد ١٦ جمادى الأولى ١٣٣١هـ/ مايو ١٩١٣م .

١٦ ـ الجزء ٦ من المجلد ١٦ جمادى الآخرة ١٣٣١هـ/ يونيو ١٩١٣م .

١٧ ـ الجزء ٧ من المجلد ١٦ رجب ١٣٣١هـ/ يوليو ١٩١٣م .

١٨ ـ الجزء ٨ من المجلد ١٦ شعبان ١٣٣١هـ/ أغسطس ١٩١٣م .

١٩ ـ الجزء ٩ من المجلد ١٦ رمضان ١٣٣١هـ/ سبتمبر ١٩١٣م .

٢٠ ـ الجزء ١١ من المجلد ١٦ ذى القعدة ١٣٣١هـ/ أكتوبر ١٩١٣م .

٢١ ـ الجزء ٢ من المجلد ١٧ صفر ١٣٣٢هـ/ يناير ١٩١٤م .

٢٢ ـ الجزء ٣ من المجلد ١٧ ربيع الأول ١٣٣٢هـ/ فبراير ١٩١٤م .

٢٣ ـ الجزء ٥ من المجلد ١٧ جمادى الأول ١٣٣٢هـ/ ابريل ١٩١٤م .

٢٤ ـ الجزء ٨ من المجلد ١٧ شعبان ١٣٣٢هـ/ يوليو ١٩١٤م .

٢٥ ـ الجزء ١١ من المجلد ١٧ ذى القعدة ١٣٣٢هـ/ أكتوبر ١٩١٤م .

٢٦ ـ الجزء ١٢ من المجلد ١٧ ذى الحجة ١٣٣٢هـ/ نوفمبر ١٩١٤م .

(ب) جريدة الاتحاد العثمانى « بيروت » :

١ ـ عدد ١٢٨٢ تاريخ ٩ محرم ١٣٣١هـ/١٨ ديسمبر ١٩١٢م .

٢ ـ عدد ١٢٨٦ تاريخ ١٤ محرم ١٣٣١هـ/٢٣ ديسمبر ١٩١٢م .

٣ ـ عدد ١٣٠١ تاريخ ١ صفر ١٣٣١هـ/٩ يناير ١٩١٣م .

٤ ـ عدد ١٣٠٢ تاريخ ٢ صفر ١٣٣١هـ/١٠ يناير ١٩١٣م .

٥ ـ عدد ١٣٠٥ تاريخ ٦ صفر ١٣٣١هـ/١٤ يناير ١٩١٣م .

٦ ـ عدد ١٣١٢ تاريخ ١٤ صفر ١٣٣١هـ/٢٢ يناير ١٩١٣م .

٧ ـ عدد ١٣٢٣ تاريخ ٢٧ صفر ١٣٣١هـ/٤ فبراير ١٩١٣م .

٨ ـ عدد ١٣٢٤ تاريخ ٢٨ صفر ١٣٣١هـ/٥ فبراير ١٩١٣م .

٩ ـ عدد ١٣٢٥ تاريخ ٢٩ صفر ١٣٣١هـ/٦ فبراير ١٩١٣م .

١٠ ـ عدد ١٣٣٣ تاريخ ٩ ربيع الأول ١٣٣١هـ/١٥ فبراير ١٩١٣م .

١١ ـ عدد ١٣٣٨ تاريخ ١٦ ربيع الأول ١٣٣١هـ/٢٢ فبراير ١٩١٣م .

١٢ ـ عدد ١٣٤٤ تاريخ ٢٣ ربيع الأول ١٣٣١هـ/١ مارس ١٩١٣م .

١٣ ـ عدد ١٣٤٧ تاريخ ٢٧ ربيع الأول ١٣٣١هـ/٥ مارس ١٩١٣م .

١٤ ـ عدد ١٣٤٨ تاريخ ٢٨ ربيع الأول ١٣٣١هـ/٦ مارس ١٩١٣م .

١٥ ـ عدد ١٣٥٣ تاريخ ٤ ربيع الثانى ١٣٣١هـ/١٢ مارس ١٩١٣م .

١٦ ـ عدد ١٣٦١ تاريخ ١٣ ربيع الثانى ١٣٣١هـ/٢١ مارس ١٩١٣م .

١٧ ـ عدد ١٣٧١ تاريخ ٢٥ ربيع الثانى ١٣٣١هـ/٢ ابريل ١٩١٣م .

١٨ ـ عدد ١٣٧٥ تاريخ ١ جمادى الأولى ١٣٣١هـ/٧ ابريل ١٩١٣م .

١٩ ـ عدد ١٣٧٦ تاريخ ٢ جمادى الأولى ١٣٣١هـ/٨ ابريل ١٩١٣م .

٢٠ ـ عدد ١٣٧٧ تاريخ ٣ جمادى الأولى ١٣٣١هـ/٩ ابريل ١٩١٣م .

٢١ ـ عدد ١٣٨٢ تاريخ ٩ جمادى الأولى ١٣٣١هـ/١٥ ابريل ١٩١٣م .

٢٢ ـ عدد ١٣٨٤ تاريخ ١١ جمادى الأولى ١٣٣١هـ/١٧ ابريل ١٩١٣م .

٢٣ ـ عدد ١٣٨٥ تاريخ ١٢ جمادى الأولى ١٣٣١هـ/١٨ ابريل ١٩١٣م .

٢٤ ـ عدد ١٣٩٠ تاريخ ١٨ جمادى الأولى ١٣٣١هـ/٢٤ ابريل ١٩١٣م .

٢٥ ـ عدد ١٣٩٤ تاريخ ٢٢ جمادى الأولى ١٣٣١هـ/٢٨ ابريل ١٩١٣م .

(ج) جريدة الإصلاح « بيروت » :

١ ـ عدد ١٠ ـ ١٤٠٥ تاريخ ١٥ جمادى الثانية ١٣٣١هـ/٢١ مايو ١٩١٣م .

٢ ـ عدد ٢٢ ـ ١٤١٨ تاريخ ٢٩ جمادى الثانية ١٣٣١هـ/٤ يونيو ١٩١٣م .

٣ ـ عدد ٢٣ ـ ١٤١٨ تاريخ ١ رجب ١٣٣١هـ/٥ يونيو ١٩١٣م .

٤ ـ عدد ٢٤ ـ ١٤١٩ تاريخ ٢ رجب ١٣٣١هـ/٦ يونيو ١٩١٣م .

٥ ـ عدد ٢٦ ـ ١٤٢١ تاريخ ٥ رجب ١٣٣١هـ/٩ يونيو ١٩١٣م .

٦ ـ عدد ٢٧ ـ ١٤٢٢ تاريخ ٦ رجب ١٣٣١هـ/١٠ يونيو ١٩١٣م .

٧ ـ عدد ٢٩ ـ ١٤٢٤ تاريخ ٨ رجب ١٣٣١هـ/١٢ يونيو ١٩١٣م .

٨ ـ عدد ٣٩ ـ ١٤٣٤ تاريخ ٢١ رجب ١٣٣١هـ/٢٥ يونيو ١٩١٣م .

٩ ـ عدد ٤٠ ـ ١٤٣٥ تاريخ ٢٢ رجب ١٣٣١هـ/٢٦ يونيو ١٩١٣م .

١٠ ـ عدد ٤١ ـ ١٤٣٦ تاريخ ٢٣ رجب ١٣٣١هـ/٢٧ يونيو ١٩١٣م .

١١ ـ عدد ٤٤ ـ ١٤٣٩ تاريخ ٢٧ رجب ١٣٣١هـ/١ يوليو ١٩١٣م .

١٢ ـ عدد ٤٥ ـ ١٤٤٠ تاريخ ٢٨ رجب ١٣٣١هـ/٢ يوليو ١٩١٣م .

١٣ ـ عدد ٤٨ ـ ١٤٤٣ تاريخ ١ شعبان ١٣٣١هـ/٦ يوليو ١٩١٣م .

١٤ ـ عدد ٤٩ ـ ١٤٤٤ تاريخ ٣ شعبان ١٣٣١هـ/٧ يوليو ١٩١٣م .

١٥ ـ عدد ٥٠ ـ ١٤٤٥ تاريخ ٤ شعبان ١٣٣١هـ/٨ يوليو ١٩١٣م .

١٦ ـ عدد ٥١ ـ ١٤٤٦ تاريخ ٥ شعبان ١٣٣١هـ/٩ يوليو ١٩١٣م .

١٧ ـ عدد ٥٣ ـ ١٤٤٨ تاريخ ٧ شعبان ١٣٣١هـ/١١ يوليو ١٩١٣م .

١٨ ـ عدد ٥٦ ـ ١٤٥١ تاريخ ١١ شعبان ١٣٣١هـ/١٥ يوليو ١٩١٣م .

١٩ ـ عدد ٥٧ ـ ١٤٥٢ تاريخ ١٢ شعبان ١٣٣١هـ/١٦ يوليو ١٩١٣م .

٢٠ ـ عدد ٥٩ ـ ١٤٥٤ تاريخ ١٤ شعبان ١٣٣١هـ/١٨ يوليو ١٩١٣م .

٢١ ـ عدد ٦٥ ـ ١٤٦٠ تاريخ ٢١ شعبان ١٣٣١هـ/٢٥ يوليو ١٩١٣م .

٢٢ ـ عدد ٨٩ ـ ١٤٨٤ تاريخ ١٩ رمضان ١٣٣١هـ/٢٢ أغسطس ١٩١٣م .

٢٣ ـ عدد ٩٤ ـ ١٤٨٩ تاريخ ٢٥ رمضان ١٣٣١هـ/٢٨ أغسطس ١٩١٣م .

٢٤ ـ عدد ١٣٦ ـ ١٥٣١ تاريخ ٢٠ ذى القعدة ١٣٣١هـ/٢٠ أكتوبر ١٩١٣م .

(د) جريدة الأهرام « القاهرة » :

١ ـ عدد ١٠٥٩٤ تاريخ ٧ يناير ١٩١٣م/٢٩ محرم ١٣٣١هـ .

٢ ـ عدد ١٠٥٩٦ تاريخ ٩ يناير ١٩١٣م/١ صفر ١٣٣١هـ .

٣ ـ عدد ١٠٦٠١ تاريخ ١٥ يناير ١٩١٣م/٧ صفر ١٣٣١هـ .

٤ ـ عدد ١٠٦٠٣ تاريخ ١٧ يناير ١٩١٣م/٩ صفر ١٣٣١هـ .

٥ ـ عدد ١٠٦١١ تاريخ ٢٧ يناير ١٩١٣م/١٩ صفر ١٣٣١هـ .

٦ ـ عدد ١٠٦١٣ تاريخ ٢٩ يناير ١٩١٣م/٢١ صفر ١٣٣١هـ .

٧ ـ عدد ١٠٦١٥ تاريخ ٣١ يناير ١٩١٣م/٢٣ صفر ١٣٣١هـ .

٨ ـ عدد ١٠٦٢٦ تاريخ ١٢ فبراير ١٩١٣م/٧ ربيع الأول ١٣٣١هـ .

٩ ـ عدد ١٠٧٥٤ تاريخ ١٦ يوليو ١٩١٣م/١٢ شعبان ١٣٣١هـ .

١٠ ـ عدد ١٠٧٥٩ تاريخ ٢١ يوليو ١٩١٣م/١٧ شعبان ١٣٣١هـ .

١١ ـ عدد ١٠٧٧١ تاريخ ٥ أغسطس ١٩١٣م/٣ رمضان ١٣٣١هـ .

١٢ ـ عدد ١٠٧٧٤ تاريخ ٨ أغسطس ١٩١٣م/٦ رمضان ١٣٣١هـ .

١٣ ـ عدد ١٠٧٧٦ تاريخ ١١ أغسطس ١٩١٣م/٩ رمضان ١٣٣١هـ .

١٤ ـ عدد ١٠٧٧٨ تاريخ ١٣ أغسطس ١٩١٣م/١١ رمضان ١٣٣١هـ .

١٥ ـ عدد تاريخ ٤ أبريل ١٩٨٩م/٢٨ شعبان ١٤٠٩هـ .

(هـ) جريدة المقتبس « دمشق » :

١ ـ عدد ٩٦٠ تاريخ ٢٧ شعبان ١٣٣٠هـ/١٠ أغسطس ١٩١٢م .

٢ ـ عدد ٩٧٠ تاريخ ٩ رمضان ١٣٣٠هـ/٢١ أغسطس ١٩١٢م .

٣ ـ عدد ٩٧٨ تاريخ ١٩ رمضان ١٣٣٠هـ/٣١ أغسطس ١٩١٢م .

٤ ـ عدد ٩٩٣ تاريخ ١٠ شوال ١٣٣٠هـ/٢١ سبتمبر ١٩١٢م .

٥ ـ عدد ١٠٠٩ تاريخ ٢٨ شوال ١٣٣٠هـ/٩ اكتوبر ١٩١٢م .

٦ ـ عدد ١٠١١ تاريخ ٢ ذى القعدة ١٣٣٠هـ/١٢ اكتوبر ١٩١٢م .

٧ ـ عدد ١٠١٢ تاريخ ٣ ذى القعدة ١٣٣٠هـ/١٣ اكتوبر ١٩١٢م .

٨ ـ عدد ١٠١٣ تاريخ ٤ ذى القعدة ١٣٣٠هـ/١٤ اكتوبر ١٩١٢م .

٩ ـ عدد ١٠١٤ تاريخ ٥ ذى القعدة ١٣٣٠هـ/١٥ اكتوبر ١٩١٢م .

١٠ ـ عدد ١٠٢٣ تاريخ ١٦ ذى القعدة ١٣٣٠هـ/٢٦ اكتوبر ١٩١٢م .

١١ ـ عدد ١٠٢٦ تاريخ ١٩ ذى القعدة ١٣٣٠هـ/٢٩ اكتوبر ١٩١٢م .

١٢ ـ عدد ١٠٢٩ تاريخ ٢٣ ذى القعدة ١٣٣٠هـ/٢ نوفمبر ١٩١٢م .

١٣ ـ عدد ١٠٤٧ تاريخ ١٧ ذى الحجة ١٣٣٠هـ/٢٦ نوفمبر ١٩١٢م .

١٤ ـ عدد ١٠٥٣ تاريخ ٢٤ ذى الحجة ١٣٣٠هـ/٣ ديسمبر ١٩١٢م .

١٥ ـ عدد ١٠٥٦ تاريخ ٢٨ ذى الحجة ١٣٣٠هـ/٧ ديسمبر ١٩١٢م .

١٦ ـ عدد ١٠٥٨ تاريخ ٣٠ ذى الحجة ١٣٣٠هـ/٩ ديسمبر ١٩١٢م .

(و) جريدة المقطم « القاهرة » :

١ ـ عدد ٦٩٢٠ تاريخ ٣ يناير ١٩١٢م/١٣ محرم ١٣٣٠هـ .

٢ ـ عدد ٦٩٢١ تاريخ ٤ يناير ١٩١٢م/١٤ محرم ١٣٣٠هـ .

٣ ـ عدد ٦٩٢٣ تاريخ ٨ يناير ١٩١٢م/١٨ محرم ١٣٣٠هـ .

٤ ـ عدد ٦٩٤١ تاريخ ٢٩ يناير ١٩١٢م/٩ صفر ١٣٣٠هـ .

٥ ـ عدد ٦٩٤٨ تاريخ ٦ فبراير ١٩١٢م/١٧ صفر ١٣٣٠هـ .

٦ ـ عدد ٦٩٦٦ تاريخ ٢٧ فبراير ١٩١٢م/٩ ربيع الأول ١٣٣٠هـ .

٧ ـ عدد ٦٩٧٤ تاريخ ٧ مارس ١٩١٢م/١٨ ربيع الأول ١٣٣٠هـ .

٨ ـ عدد ٦٩٧٥ تاريخ ٨ مارس ١٩١٢م/١٩ ربيع الأول ١٣٣٠هـ .

٩ ـ عدد ٦٩٨٠ تاريخ ١٤ مارس ١٩١٢م/٢٥ ربيع الأول ١٣٣٠هـ .

١٠ ـ عدد ٦٩٨٥ تاريخ ٢٠ مارس ١٩١٢م/١ ربيع الثانى ١٣٣٠هـ .

(ز) جريدة طنين التركية « اسطنبول » :

١ ـ عدد ١١٣١ تاريخ ٢٦ اكتوبر ١٩١١م/٤ ذى القعدة ١٣٢٩هـ .

٢ ـ عدد ١٢٩٩ تاريخ ١٣ ابريل ١٩١٢م/٢٥ ربيع الثانى ١٣٣٠هـ .

ثامنا : المراجع الأجنبية :

(أ) المؤلفات العثمانية :

١ ـ جلال نورى : تاريخ استقبال ثلاثة أجزاء فى مجلد واحد استانبول ، يكى عثمانلى ـ مطبعة وكتبخانة سى ، هجرى ١٣٣١ .

٢ ـ دستور ـ ترتيب ثانى قوانين ونظامات ومعاهدات آيله عمومه عائد مقاولات وارادات سنية محتوياتى ـ جلد ـ ٥ ـ ، ٤ ذى الحجة ١٣٣٠هـ/١٢ ذى الحجة ١٣٣١هـ عدلية نظارتي احصائيات ومدونات قانونية مديريتى معرفتيله ترتيب ايدلمشدر . در سعادت : مطبعة عامرة ١٣٣٢ .

(ب) المؤلفات التركية :

× فيروز أحمد : الاتحاد والترقى ١٩٠٨ ـ ١٩١٤م ترجمه للتركية : نوران ياووز .

(1) Ahmad, Feroz: Ittihat

ve

Terakki

1908-- 1914.

ceviren: Nuran Yavuz

Kaynak, Yayinlari, 1976.

× مدحت شكرى بلادا

انهيار الامبراطورية

(2) Bleda, Mithat Sukru: :

Imparatorlu Gun

Cokusu

Remzikitabevi, Istanbul, 1979.

× محمود مختار : حرب البلقان

(3) Muhtar, Mahmud:

Balkan

Harbi

Istanbul, 1979.

× وليام . م . سلوان : المعمل التاريخى ـ بلاد البلقان ترجمه للتركية سيبل أوزبودون

(4) Sloane, William. M:

Birtarih Laboratuari

Balkanlar

Ceviran: Sibel Ozbudun

Birinci Baski, Eylul, 1987.

(ج) المؤلفات الأنجليزية :

(1) Davison, Roderic. H: Turkey,

Ashort History

The Eothenpress, Walkington,

Beverley, England, 1981.

(2) Hoskins, Halford. L: The middle East

Problemarea in world politics

The Macmillan, Campany, New York,

1957.

(3) Hurewitz, J. C. : Diplomacy in The

Near and Middle East

Adocumentary Record, 1535-- 1914, Vol. 1

New York, 1956.

(4) Hurewitz, J. C. : The Middle Eastand North Africa

in world Politics, Adocumentary Record

New Haven and London, Yale University

Press, 1979.

(5) Jelavich, Barbara: History of the Balkans
Twentieth century
Volume. 2.
Cambridge University Press, 1983.
(6) Kedourie, Elie: England
and The
Middle East
The
Destruction of
The ottoman Empire,
1914-- 1921,
The Har Vester press, 1955.
(7) Kirk, George. E. : Ashort History of The Middle
East
from The Rise of Islam to Modern Times
Meth Ven & Co Ltd. 1954.
(8) Marriott, J. A. R. : The Eastern Question,
An Historical study,
European Diplomacy, Fourth Edition,
Oxford
At The Clarendon, press, 1969.
(9) Miller, William : The
Ottoman Empire,
and its Sucessors,
1801-- 1927.
Frankcass & Co. Ltd.
1966.

(10) Price, M. Philips: Ahistory of Turkey
From Empire to Republic,
Second Edition, 1961.
(11) Stavrianos, L. S. : The Balkans, Since 1453.
1958.
Library of Congress Catalog, Card Number
58-- 7242.
(12) Simsir, Bilal, N. : The Turks of Bulgaria and
The Immigration Question, PP. 39-- 58
In The Turkish Presesnce in Bulgaria,
Ankara, 1986.
(13) Taylor, A. J. P: The Struggle for Mastery
in Europe
1848-- 1918,
Oxford,
At the Clarendon Press
1957.

فهرس المحتويات

مطابع جامعة أم القرى